إثراء
ithra

المعلقات
لجيل الألفية

The Muʿallaqāt for Millennials
Pre-Islamic Arabic Golden Odes

مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي (إثراء)
King Abdulaziz Center for World Culture (Ithra)

المعلقات
لجيل الألفية

The Muʿallaqāt for Millennials

Pre-Islamic Arabic Golden Odes

إصدار مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي (إثراء)، مبادرة أرامكو السعودية
بالتعاون مع مجلة القافلة، الصادرة عن أرامكو السعودية

مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي
٨٣٨٦ الطريق الدائري، غرب الظهران،
الظهران ٣٤٤٦١
المملكة العربية السعودية: ٨٠٠١٢٢١٢٢٤
دولي: ٩٦٦١٣٨١٦٩٧٩٩+
www.ithra.com

الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م
جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، سواء بإعادة النشر أو ترجمته، أو بأية طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ورقية أو غيرها، بدون إذن كتابي من الناشر.

© مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي (إثراء)
مكتبة الملك فهد الوطنية
رقم الإيداع: ٣٠٣٩ / ١٤٤٢
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٦٣٩٢-٦

تصميم
رحاب مستو، أحمد سليمان، حسام نصر

تنفيذ

Published by King Abdulaziz Center for World Culture (Ithra) an initiative by Saudi Aramco
In cooperation with the AlQafilah Magazine produced by Saudi Aramco

King Abdulaziz Center for World Culture
8386 Ring Rd, Gharb Al Dhahran,
Al Dhahran 34461
Saudi Arabia: 8001221224
International: +966138169799
www.ithra.com

First edition, 2020
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system or transmitted in any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without prior permission in writing by the publisher.

© King Abdulaziz Center for World Culture (Ithra)
King Fahad National Library
ISBN: 978-603-03-6392-6

Design
Rehab Misto, Ahmed Soliman, Husam Nasr

CONTENTS

Content Management team 07
Introduction 09
The Muʿallaqāt Relived 11
The Muʿallaqāt Book: Story, Map, and Contribution 15
Muʿallaqah of Imruʾ al-Qays 24
Muʿallaqah of Ṭarafah ibn al-ʿAbd 90
Muʿallaqah of Zuhayr ibn Abī Sulmā 164
Muʿallaqah of Labīd ibn Rabīʿah 202
Muʿallaqah of ʿAmr ibn Kulthūm 252
Muʿallaqah of ʿAntarah ibn Shaddād 294
Muʿallaqah of Al-Ḥārith ibn Ḥillizah 344
Muʿallaqah of al-Aʿshā al-Qaysī 382
Muʿallaqah of al-Nābighah al-Dhubyānī 422
Muʿallaqah of ʿAbīd ibn al-Abraṣ 456

المحتويات

فريق إدارة المحتوى 06
مقدِّمة 08
المعلَّقات في حضورها الدائم 10
المعلَّقات لجيل الألفية: الحكاية، الخريطة، والإضافة 14
معلَّقة امرِئ القَيس 24
معلَّقة طَرَفة بن العبد 90
معلَّقة زُهير بن أبي سُلمَى 164
معلَّقة لبِيد بن ربِيعَة 202
معلَّقة عمرو بن كلثوم 252
معلَّقة عَنتَرة بن شَدَّاد 294
معلَّقة الحارث بن حِلّزة 344
معلَّقة الأعشَى القَيسِي 382
معلَّقة النّابغة الذُّبياني 422
معلَّقة عَـبيد بن الأبرصِ 456

Content Management team

Project Supervisor
Bander AlHarbi
Publications Unit Supervisor,
Editor In Chief, AlQafilah Magazine
Publishing Division, Saudi Aramco

Content Review
Mohammad Ameen Abu AlMakarem
Review & Approval Unit Supervisor
Deputy Editor in Chief, AlQafilah Magazine
Publishing Division, Saudi Aramco

Content & International Communication Supervisor
Hatem Alzahrani
Assistant Professor of Arabic Literature, Umm al-Qura University
Ph.D. in Arabic Studies, Georgetown University
MA in Arabic Studies, Yale University

Advisory Committee
Saad AlBazei
Professor Emeritus of English and Comparative Literature, King Saud University

Moneera AlGhadeer
Saudi scholar and was a distinguished visiting professor at Columbia University & Harvard University

Roger Allen
Professor Emeritus of Arabic & Comparative Literature, University of Pennsylvania

Beatrice Gruendler
Professor of Arabic Language and Literature, Freie Universität Berlin

English Content Review
Phil J. Embleton
Review & Approval Unit
Publishing Division, Saudi Aramco

Translation of the Muʿallaqah of ʿAbīd ibn al-Abraṣ
David Larsen
Clinical Associate Professor, New York University

Commentary on the Muʿallaqāt of Imruʾ al-Qays, and Ṭarafah ibn al-ʿAbd
Sami Abdulaziz AlAjlan
Assistant Professor of Literary Criticism at the College of Arabic Language, Al-Imam Mohammad Ibn Saud University

Translation of the Muʿallaqāt of Imruʾ al-Qays, Labīd ibn Rabīʿah, and al-Nābighah al-Dhubyānī
Suzanne Pinckney Stetkevych
Sultan Qaboos bin Said Professor of Arabic and Islamic Studies, Georgetown University

Commentary on the Muʿallaqāt of Al-Ḥārith ibn Ḥillizah, ʿAbīd ibn al-Abraṣ, ʿAmr ibn Kulthūm, and al-Nābighah al-Dhubyānī
Saleh AlZahrani
Professor of Rhetoric and Criticism, Umm al-Qura University

Commentary on the Muʿallaqāt of ʿAntarah ibn Shaddād, and Zuhayr ibn Abī Sulmā
Abdullah S. AlRoshaid
Professor of Arabic Literature, Al-Imam Mohammad Ibn Saud University

Commentary on the Muʿallaqāt of al-Aʿshā al-Qaysī, and Labīd ibn Rabīʿah
Adi AlHerbish
Saudi writer and physician

Translation of the Muʿallaqāt of ʿAntarah ibn Shaddād, Al-Ḥārith ibn Ḥillizah, Zuhayr ibn Abī Sulmā, and ʿAmr ibn Kulthūm
Kevin Blankinship
Professor of Arabic Literature, Brigham Young University

Translation of the Muʿallaqāt of al-Aʿshā al-Qaysī, and Ṭarafah ibn al-ʿAbd
Huda J. Fakhreddine
Associate Professor of Arabic Literature, University of Pennsylvania

فريق إدارة المحتوى

مشرف المشروع
بندر الحربي
مشرف وحدة المطبوعات، رئيس تحرير مجلة القافلة
قسم النشر، أرامكو السعودية

مراجعة المحتوى
محمد أمين أبو المكارم
مشرف وحدة المراجعات، نائب رئيس تحرير مجلة القافلة
قسم النشر، أرامكو السعودية

مشرف المحتوى والتواصل الدولي
حاتم الزهراني
أستاذ الأدب العربي المساعد، جامعة أم القرى
دكتوراة في الدراسات العربية، جامعة جورجتاون
ماجستير في الدراسات العربية، جامعة ييل

اللجنة الاستشارية
سعد البازعي
أستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن غير المتفرغ،
جامعة الملك سعود

منيرة الغدير
أكاديمية سعودية عملت أستاذة زائرة للأدب العربي في جامعة هارفارد وجامعة كولومبيا
دكتوراة من جامعة كاليفورنيا بيركلي
ماجستير من جامعة نيويورك

روجر ألن
أستاذ الأدب العربي والمقارن غير المتفرغ، جامعة بنسلفانيا

بياتريس غروندلر
أستاذة اللغة العربية والأدب العربي، جامعة برلين الحرة

التدقيق اللغوي للقسم الإنجليزي
فيليب إمبِلتون
وحدة المراجعات، قسم النشر، أرامكو السعودية

ترجمة معلَّقة عَبيد بن الأبرصِ
ديفيد لارسن
أستاذ مشارك، جامعة نيويورك

شرح معلَّقتي امرِئ القَيس، وطَرَفة بن العبد
سامي بن عبدالعزيز العجلان
أستاذ النقد الأدبي المساعد في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود

ترجمة معلَّقات امرِئ القَيس، ولبِيد بن ربِيعَة، والنّابغة الذُّبياني
سوزان بينكني ستيتكيفيتش
أستاذة كرسي السلطان قابوس بن سعيد في الدراسات العربية والإسلامية، جامعة جورجتاون

شرح معلَّقات الحارث بن حِلّزة، والنّابغة الذُّبياني، وعَبيد بن الأبرصِ، وعمرو بن كلثوم
صالح الزهراني
أستاذ البلاغة والنقد، جامعة أم القرى

شرح معلَّقتي زُهير بن أبي سُلمَى، وعَنتَرة بن شَدَّاد
عبدالله بن سُلَيم الرُّشَيد
أستاذ الأدب والنقد، جامعة الإمام محمد بن سعود

شرح معلَّقتي الأعشَى القَيسِي، ولبِيد بن ربِيعَة
عدي الحربش
أديب وطبيب سعودي

ترجمة معلَّقات الحارث بن حِلّزة، وزُهير بن أبي سُلْمَى، وعمرو بن كلثوم، وعَنتَرة بن شَدَّاد
كفين بلانكنشيب
أستاذ مساعد في الأدب العربي، جامعة بريغام يونغ

ترجمة معلَّقتي الأعشَى القَيسِي، وطَرَفة بن العبد
هدى فخر الدين
أستاذة مشاركة في الأدب العربي، جامعة بنسلفانيا

مقدِّمة

ترتكـز رؤيـة مركـز الملـك عبدالعزيـز الثقـافي العالمـي (إثـراء)، مبـادرة أرامكـو السـعودية، عـلى تعزيـز التواصـل الثقـافي الحضـاري مـع العالـم، انطلاقـاً مـن رسـالة تسـعى إلى تحفيـز الإبـداع ونـشر المعرفـة. ويؤمـن المركـز مـن خـلال رعايتـه للفنـون والآداب والعلـوم، أن الفـن والثقافـة يزيـدان الأفـراد والمجتمعـات قـوةً وتأثـيراً.

وضمـن سـعيه في البحـث عـن أفضـل إبداعـات الثقافـات العالميـة وجـذور الإبـداع العالمـي والعـربي، يُقـدِّم إثـراء في هـذا الكتـاب بالتعـاون مـع مجلـة القافلـة، الصـادرة عـن أرامكـو السـعودية، المعلَّقـات العـشر لجيـل الألفيـة باللغتـين العربيـة والإنجليزيـة، احتفـاءً بالقيـم الإنسـانية والجماليـة والفلسـفية الغزيـرة الـتي تفيـض بهـا، وتوظيفـاً لمكنونـات ودلالات هـذه القصائـد لإلهـام عقـول أبنـاء الجيـل المعـاصر ووجدانـه، وفتحـاً لآفاقهـم نحـو أفـكار وأشـكال جديـدة مـن التعبـير والفهـم الثقـافي، وعرضـاً لجماليـات اللغـة العربيـة الخالـدة، فيمـا يشـبه النافـذة المُطلَّـة عـلى ثقافـة الجزيـرة العربيـة وتاريخهـا، وحيـاة إنسـانها منـذ آلاف السـنين.

تُعـدُّ المعلَّقـات العـشر مـن روائـع الأدب العـربي والعالمـي، والجـذور الخالـدة لإبـداع الشـعر العـربي، حيـث تتواشـج وتتشـابك فروعهـا مـع الكتابـة الإبداعيـة العربيـة حـتى اليـوم، حـاضرة في الشـعر والأدب العربيـين في العصـور اللاحقـة. مـادة أصيلـة بقيـت قرونـاً شـاهدة عـلى سـليقة ومَلَكَـة الإنسـان اللغويـة وقدرتـه عـلى تطويعهـا وتشـكيلها والتعبـير عـن ذاتـه مـن خلالهـا.

ويسـهم إثـراء مـن خـلال هـذا الكتـاب في المحافظـة عـلى ديمومـة أحـد أبـرز الأعمـال الإبداعيـة في تاريـخ الأدب العـربي وتقريبهـا مـن ذائقـة الأجيـال الجديـدة. وقـد تصـدَّى لهـذه المهمـة عـددٌ مـن المتخصِّصـين السـعوديين والدوليـين في الشـعر والأدب العربيـين، سـاعين مـن خـلال شرح أبيـات المعلَّقـات باللغـة العربيـة وترجمتهـا إلى اللغـة الإنجليزيـة بلغـة معـاصرة، إلى تأكيـد معـاصرة هـذه القصائـد، وتأبّيهـا عـلى النسـيان، وقابليتهـا للتجـدُّد في كل عـصر ومـع كل جيـل لتكـون مصـدراً مـن مصـادره ومنبعـاً مـن منابعـه في الإبـداع والجَمَـال.

Introduction

Based on its endeavor to stimulate creativity and its commitment to the spread of culture, the vision of King Abdulaziz Center for World Culture (Ithra) — an Aramco initiative — continues to boost cultural communication with the world by sponsoring arts, literature, and science. This endeavor emanates from Ithra's deep belief that art and culture can make individuals and communities stronger and more impactful.

Seeking to present to the public some of the best Arabic and world productions, Ithra, in collaboration with Aramco's Al-Qafilah magazine, has proudly produced this book. It contains a collection of 10 poems called the Muʿallaqāt (Pre-Islamic Arabic Golden Odes) in both the Arabic and English languages. This book is intended to educate new generations about the human, aesthetic, and philosophical values of these ancient poems, and to share knowledge about their meaning and subject matter, in a manner accessible to modern readers. This book celebrates the beauty of the Arabic language by focusing on the culture and history of the Arabian Peninsula, and the lives of those who inhabited it over 1,000 years ago.

The 10 poems are considered masterpieces of both Arabic and world literature. These poems comprise the roots of Arabic poetry, which entwine gracefully with today's creative writing. That's why the influence of the Muʿallaqāt still resonates today, in Arabic poetry and literature in general. These poems bear witness to the ingenuity, originality, and linguistic skills of the ancient poets, who succeeded in skilfully utilizing language to express their ideas and feelings.

This book is another contribution by Ithra to preserve Arabic history, while making it accessible to a new generation of young readers. This achievement was made possible by a team of Saudi and international scholars and experts in Arabic literature and poetry, including the translation team who employed their skills and knowledge to translate these poems into modern English. The result is this book — a testament to the powerful influence of these poems, which even after 1,500 years, remain an inspiring example of creativity and beauty.

المعلَّقات في حضورها الدائم

أي نص شعري هذا الذي أنتج قبل أكثر من ألف وخمسمائة عام، وما زال ينبض بالحياة ويحرِّك الهواجس ويستثير المخيلة، وكأنه وُلِدَ بالأمس القريب؟ هذا النص هو المعلّقات، التي يجد فيها القرّاء، جيلاً بعد جيل، مصدراً لإلهامٍ يتجدّد. في هذا الكتاب، يسعدنا أن نقدّم "المعلّقات" مشروحةً ومترجمةً بطريقةٍ جديدة تناسب الجيل الجديد من القرّاء.

والمعلَّقات نهر جارٍ لا ينضب معينه، يعبُر الزمان والمكان متدفقاً ليعبِّر عن لحظتنا. ينهل من هذا النهر كل من أراد أن يتذوَّق العربية ويستقي معينها؛ فهذه القصائد العشر الخالدات تشكّل قاموساً للغة العربية ودستوراً للنحاة، ومصدراً لمتعة لا تنتهي لأولئك المفتونين ببلاغة الفن اللفظي الرفيع. وإضافة إلى ذلك، تعدُّ هذه القصائد وثيقةً للمؤرِّخين وعلماء الاجتماع، ودليلاً للجغرافيين.

ولكن أكثر من ذلك بكثير، تُقدِّم هذه القصائد لمحة عن التجربة الإنسانية كما صاغها أولئك الذين عرفوا الحُب والحرب والنصر والمآسي. إنها تشهد على حقبة من التاريخ عبّر فيها الشعراء عن رؤيتهم ومشاعرهم تجاه أحداث العصر. وبكلمة واحدة: المعلقات هي الإنسان بكل أبعاده التي لا حدود لها، وهي لا تزال مكتنزة بالمشاعر والمعاني التي تنتظر من القرّاء أن يكتشفوها.

فما الذي وهب المعلَّقات هذا الدوام حتى اليوم، ومن الذي سقاها من نهر البقاء، وأوغل بها في ثقافة العرب عابراً بها الأجيال؟ لقد كان من أهم عوامل ذلك رقيّ جمالياتها وعلو بلاغتها، حيث استثمرت أجمل إمكانات اللغة العربية بعبقرية نادرة. وإضافة إلى ذلك، كان ارتباط المعلَّقات الوثيق بالأرض والإنسان من أهم عوامل بقائها مصدراً لإلهام الشعراء المعاصرين.

إن الشعر ديوان العرب؛ فبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر؛ فهو السجل الذي يوثِّق تاريخهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وبيئتهم، وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وأسواقهم التي يلتقون فيها، كما أنها المدوّنة التي تضيء قيمهم وتحفظ حروبهم وأيامهم الخالدة.

وعلاوة على ذلك، لقد كان الشعر مصدراً لغوياً لا يقدّر بثمن؛ فمنه تعلَّم العرب لغتهم وبواسطته احتفظوا بها للأجيال القادمة. والمعلّقات كانت وما زالت واسطة العقد للشعر العربي وأبرز الأمثلة على إبداع الثقافة العربية. لقد كانت المعلّقات نبض حياة العرب الذي يبدو على شكل كلمات.

The Muʿallaqāt Relived

What are these poetic texts, produced more than 1,500 years ago, and yet still full of life, stirring our feelings and our imaginations, as if they were born yesterday? They are the Muʿallaqāt, a source of renewed inspiration to every new generation of readers. In this volume, we are pleased to present the Muʿallaqāt with new commentaries and translations in a manner accessible to modern readers.

The Muʿallaqāt are an inexhaustible river that passes gracefully through time and place and speaks to us in the present moment. It is also a doorway for all those keen to experience the beauty of the Arabic language; these ten ancient odes comprise an Arabic language dictionary, a grammar reference, and an endless source of enjoyment for those fascinated by the eloquence of fine verbal art. In addition, these poems are a source for historians and sociologists and a guide for geographers.

But much more than this, these ancient odes offer a glimpse into the human experience, penned by those who knew love and war, triumph and tragedy. They stand witness to an era in which poets expressed their feelings about the events of the time. In a word, the Muʿallaqāt are the “human” in all of their boundless dimensions, a well of meaning and feeling just waiting to be discovered by the reader.

So, why are the Muʿallaqāt so revered? Why are they so celebrated in Arabic culture, and how did they survive throughout the centuries? The essence of their enduring appeal lies in that they are splendid works of verbal art—they exploit the aesthetic potential of the Arabic language with a rare genius. In addition, the Muʿallaqāt’s close connection with the land and its people is one of the principal reasons that they remain a source of inspiration for contemporary poets.

The phrase “Poetry Is the Register of the Arabs” perfectly sums up the importance and high status that poetry retained, and still retains, in Arabic culture. It mediates between the past and the present and opens a window to a lost world, documenting the tribes and their history, traditions, values, environment, battles, losses and accomplishments, social and economic lives, and marketplaces.

Above all, poetry was the invaluable source of the Arabs’ language, to both learn and preserve it. The Muʿallaqāt poems have throughout history been considered among the most brilliant examples of Arabic poetry—even today they are revered as the crown jewels of Arabic language. The Muʿallaqāt were the pulse of Arab life that appeared in the form of words.

من هنا، فقد حظيت المعلّقات باهتمام بالغ من القرّاء والباحثين قديماً وحديثاً. ولم يقتصر ذلك على اللغويين والأدباء والنقّاد والمفكّرين العرب وحدهم، بل تجاوزهم إلى المستعربين الذين يدرسون الآداب العربية من غير العرب. وقد تجلّى ذلك في ترجمة المستعرب الإنجليزي السير وليم جونز (ت. ١٧٩٤) سبعَ معلّقاتٍ إلى الإنجليزية، وتُعدُّ أول ترجمة لها إلى لغة أوروبية.

وتلتها ترجمات عدَّة مثل ترجمة المستعرب الألماني نولدكه (ت. ١٩٣٠) خمسَ معلّقاتٍ إلى الألمانية. واستمرت الترجمات في محاولة نقل المعلّقات إلى لغات أوروبية، ولعلّ آخرها الترجمة الفرنسية لسبع معلّقات (صدرت عام ٢٠٠٠) على يد المستعرب الفرنسي بيار لارشيه.

وكل تلك الأعمال الجليلة لها ريادتها وقيمتها الأدبية والتاريخية، لكنها لا تقف حائلاً دون القيام بمحاولات جديدة لتقديم هذا العمل الخالد للأجيال؛ فما زال هناك مجال لشروح وترجمات جديدة لهذه النصوص الثرية. من هنا، يقدّم هذا العمل للقرّاء، الناطقين بالعربية وغيرهم، ترجمة للمعلّقات العشر كاملةً وشرحاً أدبياً لها. لقد كان هدفنا هو تقديم هذه النصوص التأسيسية بطريقة تجعلها في متناول جيل جديد من القُرَّاء، في الوقت الذي يعدّ فيه هذا الكتاب مرجعاً موّثقاً للباحثين المتخصّصين الناطقين باللغتين العربية والإنجليزية.

يهدف هذا الكتاب إلى أن يكون مصدراً لجمالٍ أدبيٍّ متجدّد للقرَّاء في جميع أنحاء العالم عن طريق تقريب المعلّقات إلى القارئ العربي وإنعاش ذاكرته بالأصيل من تراثه الجميل، وكذلك للوصول إلى الجيل الجديد من القرَّاء عبر العالم للدخول في تجربة الجمال الثريّ للغة العربية. يبقى أملنا الأكبر هو أن تستمدوا من قراءة هذا الكتاب أكبر قدر من المتعة، تماماً كتلك المتعة التي رافقتنا طوال مراحل إنتاجه.

محمد أمين أبو المكارم

Therefore, the Muʿallaqāt have received great attention from readers and scholars, past and present. This was not limited to Arab linguists, writers, critics, and thinkers alone, but also went beyond them to Arabists, non-Arab scholars who study Arabic culture. This was evident in the translation of seven Muʿallaqāt into English by the British Arabist Sir William Jones (d. 1794), the first translation of these ancient odes into a European language.

Several translations followed, such as the translation of five Muʿallaqāt into German by the German Arabist Nöldeke (d. 1930). And efforts to translate the Muʿallaqāt into European languages have continued, perhaps the latest of which was the translation of seven of them into French in 2000 by the French Arabist Pierre Larcher.

Despite the tremendous historical and literary values of these various past translations, there is still room for new interpretations. The present work delivers to readers, Arabic-speaking and non- alike, the translation of the ten Muʿallaqāt, in their entirety, along with new Arabic commentaries. Our intention was to present the translation and commentary of these foundational texts in a way that makes them accessible to a new generation of readers, while still serving as a reference work for the more specialized readers in Arabic and English.

This book intends to be a source of renewed literary beauty for readers around the world: to make the Muʿallaqāt more relatable to modern Arab readers and remind them of Arabia's great heritage, language, and cultural identity, while at the same time offering non-Arabic readers an opportunity to experience the rich beauty of the language. Our greatest hope is that you derive as much joy from reading this book as we did producing it.

Mohammed Ameen Abu AlMakarem

المعلَّقات لجيل الألفية: الحكاية، الخريطة، والإضافة

المعلَّقات هي أهم عشر قصائد عربية من عصر ما قبل الإسلام، والأساس اللغوي للثقافة العربية. في الصفحات التالية، سوف تقترب منكم أكثر في إصدار بديع وبلغتين اثنتين: العربية والإنجليزية. تتقاسم اللغتان بهجةَ تأويل هذه النصوص الخالدة: يتكفّل القسم العربي بتوفير شرح جديد لنصوص المعلَّقات، فيما يستقبلها القسم الإنجليزي في ترجمات أصيلة. والهدف استكشاف رسائلها الإنسانية، والاحتفاء بفرادتها الفنية، والإنصات إلى ما تقوله عن المبدعين الذين أنتجوها وعن الناس الذين عاصروا لحظات ابتكارها، في الوقت الذي تتحدث فيه عنّا نحن أبناءَ القرن الحادي والعشرين الذين ينتمون إلى تنوعّات غنيّة من الثقافات والألسنة.

لهذا المشروع قصة، وسيكون عليّ في هذه المقدّمة أن أرويها باختصار. كما سأحاول أن أرسم بإيجاز خريطة للعمل بما يعزّز من إمكانية استمتاعكم برحلة الصفحات القادمة.

بدأ هذا المشروع في يوم خريفي جميل من عام ٢٠١٩م عبر دعوة من مجلة القافلة التابعة لأرامكو السعودية، من أجل المشاركة في لجنة استشارية مهمتها تقديم المعلَّقات لجيل الألفية. جاءت تلك الدعوة لتفتح نافذة نحو حلمٍ كنت أرى تحقيقه أمراً بعيد المنال: إعادة تقديم نصوص الشعر العربي الخالدة للأجيال الجديدة على اختلاف انتماءاتها اللغوية والثقافية. وبدأ العمل فوراً باختيار فريق من الخبراء العالميين في الشعر العربي لمهمّة صناعة المحتوى، أعني للقيام بأمرين: كتابة شرح للمعلّقات وإنتاج ترجمات أصيلة لها، مع مقدِّمات جديدة وبأسلوب يستجيب لحاجات القارئ المعاصر. وبينما كانت فكرة التقريب للقارئ غير المتخصِّص أساسيةً وحاسمةً في القرارات التي أدّت إلى ظهور العمل بشكله الحالي، خصوصاً في أسلوبه، إلاّ أننا أيضاً أردنا للعمل أن يحقِّق وظيفة مرجعية للمتخصِّص.

لقد كانت رحلة عبر الزمان ممتعةً جداً مع نصوص المعلَّقات، وشرّاحها ونقّادها ومترجميها عبر التاريخ، ومع القصص الكثيرة التي دارت حولها والحكايات المذهلة عن شعرائها في كتب الأدب. وبالمثل، فقد كانت جولة بانورامية فريدة من نوعها عبر المكان، على امتداد شبه الجزيرة العربية في المواقع الجغرافية التي تظهر في المعلَّقات، في كل من العوالم الخيالية وغير الخيالية، والتي تبكي عليها مقدّمات الشعراء الطللية لتحتفي بها خواتيم قصائدهم. وكان هدف تلك الرحلة أن يصل المنتج النهائي إلى الصورة التي تليق بمكانة نصوص المعلَّقات وفرادتها، والأمل أنّ ما ترونه الآن أمام أعينكم قد نجح في تحقيق جزء كبير من هذه الأهداف.

The Muʿallaqāt Book: Story, Map, and Contribution

The Muʿallaqāt (Suspended Odes) are the ten most important Arabic poems from the pre-Islamic era and the linguistic foundation of Arabic culture. In the pages that follow, you will see the Muʿallaqāt presented in both Arabic and English. Both languages share the joy of interpreting these timeless texts; the Arabic section provides new commentaries on the odes, while the English section furnishes original translations. The aim is to explore their human lessons, celebrate their artistic originality, and listen carefully to what they reveal about the artists who produced them as well as those who witnessed their creation. At the same time, they reveal a great deal about us, the people of the twenty-first century who belong to a rich variety of cultures and languages.

This project has a story, and I will tell it briefly in this introduction. I will also attempt to sketch a map for this work so that you can enjoy your journey through the coming pages.

This project began one beautiful autumn day in 2019 with an invitation from Saudi Aramco's AlQafilah Magazine to participate in an advisory committee whose task was to reintroduce the Muʿallaqāt to millennials. The invitation opened a window to a dream that I thought was nearly impossible to achieve: to bring timeless Arabic poetry texts to new generations regardless of their linguistic and cultural affiliations. Work on the project began immediately by selecting a team of world experts in Arabic poetry to accomplish two main goals: write new commentaries on the Muʿallaqāt and produce original translations of them, all preceded by new introductions and cast in a style that would meet the needs of the contemporary reader. While making the ancient odes more accessible to the non-specialist was essential in the decisions that led to the style and format of this book, we also wanted it to serve as a reference work for the specialist.

It has been a marvelous journey through time with the Muʿallaqāt, along with their commentators, critics, and translators throughout history, and the many fascinating stories surrounding the odes and their poets in the *akhbār* books of literary accounts. Likewise, it has been a unique panoramic tour of the geographic locations across the Arabian Peninsula that appear in the Muʿallaqāt, in both fictional and non-fictional realms, which the poets celebrate in their endings after having wept over them in their preludes. The aim of this journey was for the final product to appear

وبينما سأترك مهمة إيضاح النقاط التفصيلية عن كل شرح وترجمة لكتّابها، من المهم أن أشير إلى النقاط التقنية التالية: يبدأ الفصل الخاص بكل معلَّقة، سواءً في الشروح العربية أو الترجمات الإنجليزية، بمقدِّمة توفّر خلفية عن حياة الشاعر ومنزلته الفنية، مع إضاءة لأهم الأخبار الأدبية حول ذلك. بعد ذلك تنتقل المقدِّمة إلى القصيدة وما يدور حولها عبر التاريخ الأدبي، وفي أحيان كثيرة بمقارنتها بنصوص من آداب أخرى، لتنتهي المقدِّمة بإضاءات فنيّة عامة حول القصيدة.

وحين تصلون إلى قسم الشرح العربي، ستجدون أنه يعتمد أسلوب الشرح باللوحات الفنيّة وليس بالأبيات. كل معلَّقة تنقسم إلى لوحات فنيّة منفصلة يصاغ شرحُها وتأويلها على حدة، بناءً على التميز النسبي لثيمات المعلَّقة. وفي كل لوحة، يصافحكم في الهامش الأيسر قسم "اللغة" لشرح معاني الكلمات، ومن ضمن ذلك ذكر المقابلات المعاصرة لأسماء المواقع الواردة في الأبيات، من مثل "الدخول" و"حومل" في البيت الأوّل لمعلَّقة امرئ القيس، وكذلك خلفية تعريفية مختصرة جداً عن الشخصيات الواردة في النص. وتحت الأبيات، يبدأ الشرح ويتفاوت طولاً وقصراً بناءً على ما تقتضيه اللوحة، لينتهي وقد أدّى إلى إبراز الثيمة الرئيسة للوحة، وإسهام كل بيت في تشكيلها. وفي بداية اللوحة التالية، يربط الشرح بينها وبين اللوحة السابقة، وهكذا مع بقية اللوحات حتى نهاية المعلَّقة. أخيراً تأتي الخاتمة في أسطر قليلة لتربط أجزاء المعلَّقة ببعضها. بهذا ينجح الشرح في الجمع بين العمق ووضوح العرض، ليأخذكم من فقرة إلى أخرى بسلاسة منطقية وتدرّج تحليلي، وفي أسلوب يشعّ حيويةً تشبه حيوية المعلَّقات نفسها.

تؤدّي الشروح إلى تقريب المعلّقات من ثلاثة أوجه: ١) توضيح المفردات الغريبة والتراكيب الغامضة وصولاً إلى تفسير أبيات القصيدة ولوحاتها ودلالاتها الكبرى. ٢) التركيز على مظاهر التوازي بين العناصر الفنية للقصيدة ورسالتها الإنسانية. ٣) إبراز أبعاد المحليّة والعالمية والمعاصرة في المعلّقة؛ الأولى عبر تفسير النص في سياقه التاريخي، والثانية عبر ربط قصص شعراء المعلّقات وشخصيّاتها بآداب أخرى مما يشير إلى عالميّة النصوص الأدبية الخالدة ضمن شروطها الخاصة، وأما الثالثة فعبر التقاط الرموز والأمثولات السابحة فوق المستوى التفصيلي للنصوص وقراءتها في ضوء مفاهيم الواقع المعاصر. ولأنّ الشرح يصاغ في لغة أدبية راقية تجمع بين جمال الفنيّ ودقة العلميّ، فإنه يبدو بمثابة "ترجمة" نثرية أدبية معاصرة للمعلّقات انطلاقاً من نقطة التقاطع بين الإضاءات الشعرية لشكلها والمعاني العميقة لمحتواها والأهداف الأدائية التي صيغت من أجلها. إنّ من أهم إضافات هذا المشروع أنه ينجح في إعادة الحياة لتقليد شرح الشعر العربي عبر الدعوة إلى الاحتكاك بها بشكل مباشر بعد عقود طويلة من سيطرة النظرية على ممارسات القراءة الأدبية.

in a form befitting the unique status of the Muʿallaqāt, and I am confident that what you see now before you does justice to the towering legacy of these odes.

Each author will have the opportunity to clarify the detailed points of his or her commentary and translation, so here I will limit my discussion to the following technical points. Each Muʿallaqah chapter, whether in its Arabic commentaries or English translations, begins with an introduction that provides a background on the poet's life and poetic status, with an overview illuminating the most important literary *akhbār* about him. After that, we proceed to the poem and the conversation it has inspired throughout literary history, often by comparing it to texts from other literatures. Finally, the introduction ends with general observations on the poem and its enduring message.

In the Arabic section, each poem is divided into parts based on its distinctive themes. Since the odes appear in many versions in the classical sources, it was the commentators' task to either pick one version and adhere to it, or produce a new, "critical edition" of their own after comparing various versions from multiple sources. The commentary itself is organized in such a way as to achieve the two-fold goal of defining obscure words and furnishing the verses with exegesis and interpretation. While the latter part, called "Meaning," comes right below the verses, the former, called "Language," appears in an end-note sub-section to the left side of the page. The Language part often includes contemporary names for the ancient locations mentioned in the odes, along with some biographical information about the poems' characters, human and non-human alike.

Just as the commentary section was essential in achieving the purpose of this project, so, too, was the translation section, furnished with entirely new English renderings of the ten Suspended Odes. The English introductions were not intended to differ from the Arabic ones, particularly in terms of the factual information they provide. However, they are unique in that they contextualize the odes more in line with the "horizon of expectations" that suits the English-speaking reader. They often link the Arabic poems to texts from Western literatures, which hopefully allows the English reader more access to these ancient odes. Because the English section comes without a commentary detailing the author's reading decisions, such as the ode's thematic divisions, the English introductions most often represent a

وفيما يتعلَّق أيضاً بالشرح العربي، فهناك عمل آخر لن يُرى على الورق رغم أنه كان أساسياً في اكتمال المشروع. في معظم الحالات، كان الشرح العربي يسبق الترجمة الإنجليزية، لعدة أسباب من أهمها أن نص المعلَّقات كان يعاد تحقيقه أحياناً من كتّاب الشرح عبر الترجيح من روايات متعدِّدة، وبطريقة لها مسوّغاتها العلمية المذكورة في مقدّمات الشروح. هذا يعني أن هناك جهداً تحقيقياً كبيراً سبق البدء بقراءة المعلَّقة من أجل شرحها. وبعد اعتماد الشارح العربيّ النصَّ النهائيَّ للمعلَّقة كان يُرسَل للمترجم ليتوافق نصّ الترجمة مع نصّ الشرح. وفي بعض الأحيان، تبدأ عملية من المفاوضات التأويلية بين الشارح والمترجم والمُراجِع لترجيح كلمة هنا أو حركة إعرابية هناك. إن تحقيق النصوص بطريقتها الموجودة في هذا الكتاب لهو من الإضافات الكبرى التي نعتز بها.

وكما كان للشرح دور جوهري في تحقيق غاية المشروع، كانت الترجمات، الجديدة بالكامل، حاسمةً في ذلك. وبينما لم يكن من المتصوّر أن تختلف المعلومات الواردة في المقدِّمات الإنجليزية عن تلك الواردة في العربية، فنحن في نهاية المطاف نتحدث عن الشعراء أنفسهم ونعتمد، تقريباً، على المصادر نفسها، إلا أن المقدّمات الإنجليزية تنفرد بتوفيرها سياقاً للمعلَّقة يناسب القارئ بالإنجليزية، كما أنها كثيراً ما تربط النصوص العربية بنظيراتها العالمية. ونظراً لأنّ قسم الترجمة الإنجليزية يفتقد لشرح تفصيلي كما في قسم الشرح العربي، أخذاً في الحسبان أن الترجمة هي في ذاتها شرحٌ، بطريقة ما، للنص العربي، كانت المقدِّمة الإنجليزية في كثير من الأحيان تمثّل قراءة تعوّض الشرح ولكن تسبق النص: حيث توفّر تأويلاً كاملاً للمعلَّقة بتقسيمها إلى وحدات وقراءتها في ضوء الاعتبارات المنهجية والاختيارات الفنية الخاصة بكل مترجم.

لقد حرصتُ في مراجعة النصوص مع الزملاء والزميلات الثمانية الذين أسهموا في صناعة هذا المحتوى باللغتين شرحاً وترجمةً على إخراج العمل في أسلوب يحافظ على التواصل مع القارئ المعاصر، ويستجيب لما تتطلبه هذه القصائد الخالدة من مستويات تتصاعد باستمرار في قراءتها واستكشاف جمالياتها ورسالتها الإنسانية. وهذان الهدفان المكمّلان لبعضهما في إنتاج محتوى مشروعنا كانا، في الحقيقة، يعنيان عاماً كاملاً من المفاوضات الرائعة حول مسائل دقيقة مثل تضمين أفكار ومفردات وتراكيب وأمثال بعينها، أو استبعادها. أحياناً كان النقاش يدور حول الوقوف على أرضية مشتركة بشأن تأويل بيتٍ معيّن، أو كلمة فيه، أو حتى حركة الإعراب في آخره، أو ربما لكي يكون هناك توافق معقول حول معنى تركيب معيّن بين الشرح العربي والترجمة الإنجليزية. وفي المناسبات كلها، كانت براعة نصوص المعلَّقات نفسها واتّساع دلالاتها تأخذنا إلى طريق توافقي مناسب.

reading that precedes the text. This provides a bird's eye view of the ode by dividing it into distinct thematic units and allows for a reading of them in light of the methodological considerations and artistic choices of each translator. The result is a translation that functions as a commentary and interpretation of the Arabic text.

In reviewing the texts of this book with the eight colleagues responsible for content creation in both languages, we were keen on producing a work that appeals to nonspecialist contemporary readers while meeting the increasingly challenging reading requirements stipulated by the poems themselves. This meant diving more and more into the poems in order to explore their distinctive aesthetics and their undying messages of love, hope, and perseverance in face of adversity.

These two complementary goals for our project meant, in the end, a full year of wonderful negotiations over delicate reading matters such as word choice, including or excluding specific ideas, or coming up with the right structure. On some occasions, the discussion revolved around finding a common ground about the interpretation of a particular verse, or a single word, or even a certain *ḥarakah* (short vowel) at the end of a word. On others, the hope was to arrive at a reasonable agreement over the meaning of a particular phrase between the Arabic commentary and the English translation. On all occasions, however, the ingenuity of the Muʿallaqāt themselves succeeded in opening up a broad horizon of meanings that led us to an appropriate compromise path.

The poetic styles of the Muʿallaqāt vary greatly, from their vocabulary to the images their poets create to communicate abstract concepts. Put simply, they differ in everything, from diction to fiction. Indeed, I'd go further to say that, sometimes, we are faced with great stylistic variation in the same Muʿallaqah, and perhaps it is this tolerance, or rather acceptance, of stylistic diversity that had a positive impact on our book and led to our own stylistic diversity in receiving the poems — both the Arabic commentaries and the English translations. This book succeeds, within reasonable and acceptable limits, in leaving enough freedom for commentators and translators to showcase their distinctive views of the odes, which are reflected in their equally distinctive writing styles.

لقـد تنوّعـت أسـاليب المعلَّقـات تنوعـاً كبـيراً، بـل أسـاليب الشـاعر في المعلَّقـة الواحـدة، وربّمـا كان لهـذا النفـس المتسـامح مـع التنوّعـات الأسـلوبية تأثـيره الإيجـابي الكبـير عـلى أسـاليب اسـتقبالنا للنصـوص في هـذا العمـل. ينجـح هـذا الكتـاب، وفي حـدود المعقـول والمقبـول، في أن يـترك للكتّـاب والمترجمـين مساحة كافيـة مـن الحريّـة لتظهـر رؤيتهـم الفنيـة للقصائـد وتنعكـس بشـكل خـلّاق عـلى نمطهـم الأسـلوبي الخـاص في الكتابـة.

وأخـيراً، تطبـع المعلَّقـات العـشر كاملـةً مـع الـشروح والمقدّمـات باللغتـين العربيـة والإنجليزيـة في كتـاب واحـد، وبأسـلوب حاولنـا جاهديـن أن يكـون قريبـاً مـن قـارئ اليـوم غـير المتخصِّـص في الوقـت الـذي يلـبّي فيـه حاجـة القـارئ العليـم. المعلَّقـات قطعـة فنيـة خالـدة، ونحـن ربمـا أصبنـا بدهشـة المعلَّقـات ورعشـة فنّانيهـا إلى درجـة أننـا تجرّأنـا عـلى التطلّـع إلى تقديمهـا مـن جديـد إلى جيـل جديـد.

ومـع ذلـك، فـإن قـراءة المعلَّقـات تجربـة تعلّـم التواضـع، كمـا تطـوّر مهـارةَ الإصغـاء بعنايـة عـلى أملٍ بـقراءةٍ نعـرف أنهـا لـن تكـون مرضيـة أو كاملـة أبـداً. ومـن هنـا، فهـذا العمـل مجـرّد دعـوة، وهـذه إحـدى أهـم إسـهاماته. إنّـه يقـدّم دعـوة لطيفـة، وبلغـة مناسـبة، إلى الجيـل الجديـد للدخـول إلى مـسرح المعلَّقـات والاسـتمتاع بالدهشـة. لقـد كانـت الغايـة، منـذ البـدء، هـي أن نفتـح البـاب، ولعلّنـا نسـتبشر بـأن الأيـام والأعـوام القادمـة سـتحمل إلينـا أخبـار نجـاح مشروعنـا.

إن مشروعـاً ضخمـاً مثـل هـذا لجديـرٌ بـأن تقـوم بـه مؤسسـات كاملـة وعـلى مـدار سـنوات، ولكـن الجديـة في العمـل والتفـاني مـن جميـع المعنيـين جعـل مـن الممكـن الانتهـاء مـن المـشروع خـلال عـام واحـد فقـط كمـا خُطّـط لـه. ينـدرج ضمـن هـؤلاء فريـقُ صناعـة المحتـوى مـن الـشرّاح والمترجمـين والمراجعـين والمحرّريـن، بالإضافـة إلى إدارة المـشروع في مجلـة القافلـة وإثـراء، المبـادرة الثقافيـة الرائـدة مـن أرامكـو السـعودية إلى العالـم. وفي سـنة شـكّلت لحظـة اسـتثنائية عـلى العالـم أجمـع، عندمـا أصبحـت الأنشـطة اليوميـة الـتي كانـت طبيعيـة في السـابق مهـدَّدَةً أو حـتى مهـدِّدَةً للحيـاة، يظهـر هـذا المـشروع إلى النـور لتأكيـد الرسـالة الخالـدة الـتي تقـول إن الفنـون والكلمـات أقـدر عـلى الـدوام والخلـود في وجـه تقلّبـات التاريـخ المفاجئـة.

حاتم الزهراني

At last, the ten Muʿallaqāt with their Arabic commentaries and English translations appear in one volume, cast in a style that is designed to be as close as possible to today's nonspecialist readers while still meeting the needs of the specialist. The Muʿallaqāt are immortal works of art, and we may have been so astonished by these odes and their artists that we had the courage to aspire to present them anew to a new generation.

Still, reading the Muʿallaqāt is a humbling experience; it teaches us to listen carefully in the hope of a reading that we know will never be fully satisfying or complete. Hence this work is just an invitation, and this is one of its most important contributions. It invites a new generation, and in a language highly suitable to them, to enter the theater of the Muʿallaqāt and enjoy the amazing journey. The goal, from the beginning, has been to open the door, and we are hopeful that the coming days and years will bring us news of the success of our venture.

A huge project like this deserves to be undertaken by a multitude of institutes over the course of years. But the hard work and dedication of all of the people involved have made it possible to deliver, as planned, in just one year. These people include the content creation team, i.e., commentators, translators, reviewers, and editors, along with the project management team in AlQafilah magazine and King Abdulaziz Center for World Culture (Ithra), the dynamic cultural initiative from Saudi Aramco to the world. In such an exceptional moment in the history of humanity as this year, when once normal daily activities have become threatened or even life-threatening, this project has come to light to affirm the timeless message that arts and words, immortal and enduring, outlast the vagaries of history.

Hatem Alzahrani

The Muʿallaqāt
for Millennials

Review:
Hatem Alzahrani

المعلَّقات
لجيل الألفية

مراجعة:
حاتم الزهراني

امرؤ القيس
Imru' al-Qays

مغامرات الهوى والشباب

Adventures of
Youthful Passion

The Muʿallaqah of Imruʾ al-Qays
Adventures of Youthful Passion

Introduction by Suzanne Pinckney Stetkevych
Translation by Suzanne Pinckney Stetkevych, assisted by Khalid Stetkevych

معلَّقة امرِئ القَيْسِ
مُغَامراتُ الهَوى والشَّبَاب

مقدمة وشرح: سامي بن عبدالعزيز العجلان

هـو امـرؤ القيـس بـن حُجْـر بـن الحـارث الكِنْـدي، ويقـول الـرواة: إن الاسـم الأول هـو لقـب لـه، واسـمه في الأصـل هـو: عـدي، وقيـل: حُنـدُج، وقيـل أيضـاً: مُليكـة. وهـو سـليل أسرة مَلَكيـة مـن قبيلـة كِنْـدة اليمنيـة نزحـتْ شـمالاً نحـو نجـد في قلـب الجزيـرة العربيـة، وأنشـأ جدّهـا الأكـبر: حُجْر آكِل الـمُرار إمـارة في منتصف القـرن الخامـس الميـلادي، وورِثهـا عنـه ابنـه عمـرو، ثـم حفيـده الحـارث الـذي اتسـعتْ عـلى يـده هـذه الإمـارة النجديـة حـتى نافسـتْ المنـاذرة في نفوذهـم، وقـد جعـل الحـارث أبنـاءه حُكّامـاً عـلى عـدد مـن القبائـل العربيـة، ومنهـم ابنـه: حُجْـر الـذي كان ملِـكاً عـلى أسـد وغطفـان. ومـن المرجّـح أن امـرأ القيـس ولِـد أواخـر القـرن الخامـس الميـلادي، ووالدتـه -كمـا يقـول الـرواة- هـي فاطمـة بنـت ربيعـة أخـت كُلَيـب ومُهلهِـل سـيّدَي قبيلـة تغلـب.

According to most literary accounts of his life, such as al-Iṣbahānī's *Kitāb al-Aghānī* (Book of Songs), the poet Imruʾ al-Qays was the youngest son of Ḥujr ibn al-Ḥārith of the powerful southern Arabian tribal group of Kindah, who had been appointed king of the unruly tribes of the Banū Asad and the Banū Ghaṭafān in Najd, in central Arabia. The poet's mother is said to be Fāṭimah bint Rabīʿah, the sister of Kulayb Wāʾil and the poet Muhalhil ibn Rabīʿah—the protagonists of the celebrated Jāhilī forty-year war, or feud, Ḥarb al-Basūs.

The young Imruʾ al-Qays's devotion to poetry, especially erotic poetry, led to his banishment from his father's house. His father instructed his servant Rabīʿah to put his son to death and bring back his eyes as evidence that he had carried out the order.

Taking pity on the boy, Rabīʿah slew an antelope and brought back its eyes instead. Ḥujr later repented, and his son returned to his father's house. Banished once again, Imruʾ al-Qays took up the life of a profligate, wandering the desert with a band of companions and devoting himself to the hunt, wine, gambling, and the entertainment of singing slave-girls.

Such was his state when the news reached him of the regicide of his father at the hands of the rebellious Banū Asad. Exclaiming, "Wine today, business tomorrow!"(*al-yawm al-khamr, ghadan al-ʾamr*), he continued carousing for a week and then swore off his debauchery: "Wine and women are forbidden to me until I have killed a hundred of the Banū Asad and cut off the forelocks of a hundred more."

وبعـد حـروب متواصلـة اسـتطاع المنـاذرة هزيمـة الحـارث ملـك كِنْـدة، وتمكنـوا مـن قتلـه، ودفـع هـذا بعـض القبائـل إلى التمـرُّد عـلى حكـم أبنائـه، فقتـل بنـو أسـد حُجْـر بـن الحـارث -والـد امـرئ القيـس- وهـي الحادثـة الـتي قلبـتْ حيـاة هـذا الأمـير اللاهـي رأسـاً عـلى عقِـب، فبعـد أن قـضى شـبابه في اللهـو والغـزل وأفانـين الصيـد والشـعر والسـمر، تبدّلـتْ أحوالـه بعـد هـذه الواقعـة، فانتفـض يعـدّ عُـدَّة الحـرب، ويجمـع فرسـان القبائـل مـن حولـه ليطـارد بـني أسـد أينمـا حلُّـوا، ثـأراً لمقتـل أبيـه، ومـع أنـه أوقـع بهـم؛ ولكـنّ غُلّتـه لـم تُشـفَ منهـم، حـتى أدركتْـه المنيّـة غريبـاً بمدينـة أنقـرة بعـد لقائـه قيـصر الـروم للاسـتعانة بـه عـلى تحقيـق مُـراده، مُطوِّفـاً في الآفـاق -كمـا قـال- دون أن يسـتكمل ثـأره، أو يسـتردّ مُلْكـه الـمُضاع، ومـن هنا لقّبـه العـرب بـ: الملـك الضلِّيـل.[1]

أمّـا منزلـة امـرئ القيـس الشـعرية فهـو معـدود مـن بـين الطبقـة الأولى مـن شـعراء العـرب، والكثـير مـن النقـاد يـرون تقديمـه بالإطـلاق عـلى سـائر الشـعراء؛ لسـبقه إلى كثـير مـن المعـاني والصـور والأسـاليب الشـعرية الـتي تبِعـه فيهـا الشـعراء اللاحقـون، فهـو صاحـب الأوليّـات: أول مـن وقـف واسـتوقف، وبـكى واسـتبكى، وقيّـد الأوابـد، وبتعبـير النقـاد القدامى فـإن امـرأ القيـس هـو الـذي خسـف للشـعراء عـين الشـعر.[2]

(١) للتوسـع في أخبـار امـرئ القيـس والحكايـات الـتي تناقلهـا الـرواة عـن حياتـه وظـروف وفاتـه الـتي لا يخلـو بعضهـا مـن نَفَـس أسـطوري انظـر: الشـعر والشـعراء لابـن قتيبـة ١١٤/١-١٢٥، وجمهـرة أشـعار العـرب لأبي زيـد القـرشي ٢٣٢/١-٢٣٤، والأغـاني للأصفهـاني ٩٣/٩-١٢٤.

(٢) عـن منزلـة امـرئ القيـس عنـد نقـاد الشـعر انظـر: طبقـات فحـول الشـعراء لابـن سـلام ٥١/١-٥٥، والشـعر والشـعراء لابـن قتيبـة ١٢٦/١-١٣٦.

References:

Suzanne Pinckney Stetkevych. *The Mute Immortals Speak: Pre-Islamic Poetry and the Poetics of Ritual*. Ithaca NY: Cornell University Press, 1993. Chapter 7: Regicide and Retribution: The Muʿallaqah of Imruʾ al-Qays. Pp. 241-285.

Abū al-Faraj al-Iṣbahānī. *Kitāb al-Aghānī*. Ed. Ibrāhīm al-Abyārī. 32 vols. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1389H./1969 C.E. 9:3197-3227.

Abū Muḥammad ʿAbd Allāh ibn Muslim ibn Qutaybah. *Kitāb al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ*. Ed. M. J. de Goeje. Leiden: E. J. Brill, 1902/1904. P. 51

Abū Bakr Muḥammad ibn al-Qāsim al-Anbārī. *Sharḥ al-Qaṣāʾid al-Sabʿ al-Ṭiwāl al-Jāhiliyyāt*. 2nd ed. Ed. ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1969. Pp. 1-112.

With the aid of other tribes, he proceeded to inflict heavy casualties on the Banū Asad. Yet, never satisfied, he spent the remainder of his days seeking further, excessive vengeance for his slain royal father.

His search for allies led him to the Jewish overlord of Taymāʾ, al-Samawʾal, to whom he entrusted his ancestral coats of armor before making his way to the court of the Byzantine Emperor Justinian.

Justinian agreed to lend Imruʾ al-Qays an army with which to avenge his father's murder and regain his throne, but rumors that the poet had seduced the Emperor's daughter prompted Justinian to send Imruʾ al-Qays a poisoned robe.

When Imruʾ al-Qays donned the royal gift, his body broke out in sores, earning him the nickname, 'Dhū al-Qurūḥ' ('covered in sores').

The condition proved fatal, and legend tells us that the poet died and lies buried near Ankara (in present-day Turkey).

Imruʾ al-Qays's death in a foreign land, having failed to quench his excessive thirst for vengeance and to accede to his royal father's throne earned him yet another sobriquet, 'al-Malik al-Ḍillīl' ('the errant king').

Some classical critics have suggested that the occasion for the Muʿallaqah was the episode recounted in lines 10-12, the Day at Dārat Juljul. But to me the tying of the poem to one frivolous erotic episode leaves much unexplained.

Al-Anbārī in his commentary on the Muʿallaqāt devotes much of his introduction to the reports about Imruʾ al-Qays's unslakable thirst for vengeance. Although he does not explicitly connect the theme of vengeance to the poem, this emphasis is suggestive in terms of how we might read the Muʿallaqah.

Whatever we might know or think we know about the poem or its circumstances, there is no escaping the fact that the monumental ode that has been handed down to us as the 'Muʿallaqah of Imruʾ al-Qays' stands on its own as an extraordinary literary achievement.

The same Islamic tradition that immortalized Imruʾ al-Qays's Muʿallaqah as the best poem in the Arabic language seems also to have been aware that the poet's tragic-heroic character—both his untrammeled and illicit eroticism and his equally untrammeled and illicit quest for excessive vengeance—embodied the quintessence of *jahl*.

For the *jahl* from which the Jāhiliyyah takes its name is not merely 'ignorance', but more precisely the 'impetuosity', 'recklessness', 'lack of restraint or inhibition' which are all too apparent in the biographical lore of Imruʾ al-Qays, but equally, as we shall see, in his Muʿallaqah.

Thus, in addition to the other colorful by-names that the Arabic Islamic tradition bestowed on Imruʾ al-Qays, we read in Ibn Qutaybah's *Al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ* (Poetry and Poets) the title, 'Qāʾid al-Shuʿarāʾ ilā al-Nār' ('the leader of poets into Hellfire').

المعلَّقة

هـذه القصيـدة اللاميـة لامـرئ القيـس هـي إحـدى معلّقـات العـرب، وهـي: مجموعـة قصائـد طِـوال عدّهـا الـرواة والنقّـاد عيـونَ الشـعر الجاهـلي وأفضـل قصائـده، ولهـا لقـب آخـر يشـير أيضـاً إلى نفاسـتها، وهـو لقـب: الـمُذهَبات.[٣]

ومعلَّقـة امـرئ القيـس هـي أول مـا يُذكَـر حـين تُسـرَد هـذه المعلَّقات، وقـد تفـاوت الـرواة والـشرّاح في روايـة أبيـات هـذه المعلَّقـة، والاختـلاف بينهـم يشـمل عـدد أبياتهـا الـذي تـراوح مـا بـين ٧٧ بيتـاً في روايـة الأصمعـي، و٩٣ بيتـاً في روايـة أبي زيـد القـرشي عـن المفضّـل بـن عبـدالله، وإن كانـت معظـم الروايـات أقـرب إلى العـدد الأول، كمـا اختلـف الـرواة والـشرّاح أيضـاً في ترتيـب بعـض أبياتهـا: تقديمـاً وتأخـيراً، وكذلـك في صياغـة كثـير مـن ألفاظهـا وتراكيبهـا.

وقـد اجتهـدتُ في تحقيـق هـذا النـص الشـعري، بالرجـوع إلى الطبعـة المحققـة لديـوان امـرئ القيـس بروايـة الأصمعـي، بالموازنـة مـع الروايـات الأخـرى الـواردة في شروح الديـوان وشروح القصائـد الطـوال لـكلٍّ مـن: أبي سـعيد السـكّري، وأبي بكر الأنبـاري، وأبي جعفـر النحاس، وأبي عبـدالله الـزوزني، والخطيـب التبريـزي، ومحمـد الحضرمـي، وجعلـتُ معيـار الترجيـح يسـتند إلى: روايـة الأصمعـي في الديـوان، مـا لـم تخالـف مـا توافـقَ عليـه كثـير مـن الـشرّاح في رواياتهـم، ومـن الواضـح أن نـص المعلَّقـة هنـا قـد جـاء حصيلـة موازنـات كثـيرة بـين الروايـات؛ للوصـول إلى الروايـة الأرجـح لـكلّ بيـت، ولعـل معلَّقـة امـرئ القيـس هـي أكـثر المعلَّقـات اختلافـاً في الروايـات، إذْ لا يـكاد يخلـو بيـت فيهـا مـن اختـلاف بـين رُواتهـا، وفي هـذا لمحـة دالـة عـلى فضـل العنايـة بهـا عـن سـائر المطـوّلات.

(٣) عن حديث النقاد الموسع حول عدد المعلَّقات وأسباب تسميتها بذلك انظر: شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس ٦٨١/٢-٦٨٢، ومعلّقات العرب لبدوي طبانة: ١٠-٥٧، والمعلَّقات الرواية والتسمية لعبدالحق الهواس: ٢٢-٣١.

The Poem

The master poem of Imruʾ al-Qays ibn Ḥujr (d. ca. 550 C.E.) takes pride of place among the Muʿallaqāt, the collection of seven, or ten, ‘Suspended Odes’ or ‘Golden Odes’ of the pre-Islamic period—the Jāhiliyyah or ‘Age of Ignorance,’ and is widely considered the premier example of the art of the *qaṣīdah*, the preeminent poetic form of the pre-Islamic tribal warrior aristocracy.

The poet likewise has been considered by scholars throughout the centuries the master poet of the Arabic language. The biography of Imruʾ al-Qays, like that of most poets of the pre-Islamic period, straddles legend and history, and both the legendary and historical elements are preserved in many variant versions.

Furthermore, and again like most other pre-Islamic Arab poets, the connection between the poet and the poem cannot be historically verified. Rather, what has come down to us is a rich literary cultural tradition that presents the poem as the work of this tragic, heroic, and in some respects mythic, persona.

واستبعدتُ من هذا النص للمعلَّقة أربعة أبيات يذكرها بعض الرُّواة والشرّاح ضمن القصيدة، ثم يعلِّق بعضهم عليها بأن الصحيح أنها ليست لامرئ القيس، وهي الأبيات التي تبدأ بقول الشاعر:

وقِربةأقوامٍجعلتُعِصامها على كاهلٍمِنّيذَلولٍمُرحَّلِ

وأبو عبيدة والأصمعي ينسبان هذه الأبيات الأربعة للشاعر الصعلوك: تأبَّط شراً، كما ذكر ذلك الأنباري في شرحه لها[٤]، فهي مما أدخله بعض الرواة خطأً في المعلَّقة، كالسكّري، والنحاس، ونفْي هذا الأبيات الأربعة عن المعلَّقة هو ما رجّحه كذلك البغدادي في الخزانة، فقد علّق عليها بقوله: "وهذا الشعر أشْبه بكلام اللص والصعلوك، لا بكلام الملوك"[٥]، وحقاً فإن تأمُّل هذه الأبيات يؤكد طابع الصعلكة الذي لا يتناسب مع شخصية ملِك وابن ملِك. والخلاصة أن النص المعتمَد لهذه القصيدة اللامية التي نُظِمتْ على بحر الطويل يشتمل على ٧٨ بيتاً.

أمّا مناسبة هذه القصيدة وباعث إنشائها فهو كما يذكر الرواة: ما جرى مع امرئ القيس يوم دارة جُلجُل، حين ترصّد امرؤ القيس لبنت عمه: عُنيزة مع رفيقاتها لدى مرورهن بالغدير، وكيف أخّرهنّ شَغَبه معهنّ ومماطلته لهنّ عن اللحاق بركْب العشيرة[٦]، إلى آخر أحداث الحكاية التي ستجد تفصيلها في موضع شرحها في اللوحة الثانية من المعلَّقة.

وقبل أن ننتقل إلى الشرح التفصيلي لأبيات المعلَّقة يحسُن التنويه ببعض السمات العامة التي لحظتُ تواترها في القصيدة، فمِن ذلك: ما يُلحظ في المعلَّقة -وبخاصة في نصفها الأول- من كثرة استعمال الأداة (رُبَّ)، أو ما يدلّ عليها كالواو والفاء، بالإضافة إلى تكرر الظرف الزماني (يومَ)، فهذه مجموعة من الأساليب والكلمات ترتبط باستذكار الزمن الآفِل، ومن شواهدها في المعلَّقة: "ألا رُبَّ يوم لك منهنّ صالحٍ... ويومَ عقرتُ للعذارى مطيّتي... ويومَ دخلتُ الخِدْر... فمِثلِكِ حُبْلى قد طرقتُ... ويوماً على ظهر الكثيبِ تعذَّرتْ... وبَيْضةِ خِدْرٍ لا يُرام خِباؤها... ألا رُبّ خصمٍ فيكِ ألوى رددتُه... وليلٍ كموجِ البحر".

(٤) انظر: شرح القصائد السبع الطوال للأنباري: ٨٠، ٨٢.

(٥) خزانة الأدب للبغدادي ١٣٥/١ .

(٦) انظر هذه الرواية منقولةً عن الفرزدق في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٢٢/١-١٢٤، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ٢٣٤/١-٢٣٧.

As the most celebrated *qaṣīdah* of the Jāhiliyyah, and, indeed, of the Arabic language, Imruʾ al-Qays's Muʿallaqah both embodies and defines that poetic genre.

It exhibits the required *qaṣīdah* monorhyme, with the opening rhymed couplet (*taṣrīʿ*) and end-rhyme of each line, in the letter 'l' and the monometer throughout, in this case the long and majestic Ṭawīl meter (*faʿūlun mafāʿīlun faʿūlun mafāʿilun*).

In the Arabic original, the single rhyme and meter produce a distinctive sonority that binds the variety of themes into a unified and identifiable whole.

The poem presents unique and masterful performances of the motifs and themes of the *qaṣīdah* tradition at times with the utmost delicacy and subtlety, and, at others, with stunning bursts of energy, as Imruʾ al-Qays displays the extraordinary aesthetic potential of the *qaṣīdah* form and its conventions.

In the Muʿallaqah we can identify five major *qaṣīdah* themes. The first three fall under the general heading of the Lyrical Prelude (*nasīb*) that traditionally opens the *qaṣīdah*; the last two under the closing theme of Boast (*fakhr*).

وفي هـذا كلـه دلالـة عـلى ذاكـرة اسـتعراضية لا تمـلُّ مـن الاسـترجاع المنتـشي بالزمـن الغـارب، والحنـين الـمُتصابي إلى سـالف الأيـام.

ومـن الظواهـر الواضحـة في المعلَّقـة أيضـاً: هـذه الإشـارات المتكـررة إلى بـكاء الشـاعر المتواصـل، والمبالغـة في وصـف غـزارة دموعـه حزنـاً عـلى معشـوقاته، وكأنمـا هـو عَـرَض مـن أعـراض تـرف البطالـة الـذي انغمـس فيـه الشـاعر أيّـام فتوّتـه اللاهيـة في حيـاة والـده، ومـع أن لهـذه المبالغـة في وصـف الدمـوع شـواهد مماثلـة عنـد عـدد مـن شـعراء الجاهليـة؛ ولكـنّ اللافـت في معلَّقـة امـرئ القيـس هـو: تواترها المتكـرر في حـدود قصيـدة واحـدة.

ومما يُلحـظ كذلـك في المعلَّقـة: سـمة التصويـر الحـسي الأقـرب إلى اللقطـات الفوتغرافيـة الـتي يُـراد منهـا نقـل المشـهد بـأدقّ وصـف، وربمـا مـن أجـل هـذا أكـثر امـرؤ القيـس مـن اسـتعمال أسـلوب التشـبيه في المعلَّقـة؛ حـتى ليمكـن أن يُقـال: إنـه ملِـك التشـبيهات في الشـعر العـربي.

ويتصـل بهـذا ظاهـرة أخـرى شـائعة في المعلَّقـة، وهـي ظاهـرة: الاسـتطراد التصويـري، والمقصـود بهـا: أنّ امـرأ القيـس وهـو يرسـم اللوحـة الكبـيرة لا ينـسى أدقّ تفاصيـل الصـورة الأصغر التي استُدعيتْ لإيضـاح الصـورة الكليـة، فهـو لا يـرى بأسـاً في أن يبتعـد قليـلاً عـن أجـواء الصـورة الكـبرى، ليُكمـل رسـم صورتـه الصغـرى ويذكـر أدقّ تفاصيلهـا، ريثمـا يعـود بعـد ذلـك للوحتـه الأساسـية، وهـذه السـمة شـائعة في الشـعر الجاهـلي بعامـة، ولكنهـا بـارزة ومتواتـرة عنـد امـرئ القيـس، وفي الـشرح التفصيـلي وقفـات متعـددة عنـد شـواهد هـذه الظاهـرة في المعلَّقـة.

ومما يلفت النظر أيضاً: هذا التقارب الكبير في المعاني والصياغة والصُّوَر بين هذه المعلَّقة، وبعض قصائد امرئ القيس، وبخاصة: لاميته الأخرى التي يستهلّها بقوله: (ألا عِمْ صباحاً أيها الطللُ البالي)، وهو التقارب الذي يصل أحياناً إلى التكرار شبه المتطابق، وقد لحظ بعض النقاد القدامى هذه الظاهرة، ومنهم: نجم الدين الطوفي الذي رصد في كتابه (موائد الحَيس) شواهد ما أسماه: المتشابه في شعر امرئ القيس، وعلّله بتقارب أغراض شعره ومقاصده، وبرغبته في التفنُّن في عرض هذه الموضوعات المكررة بألفاظ وأساليب متغايرة.[٧]

وآخر ما يمكن الإشارة إليه من ظواهر في هذه المقدمة الموجزة هو: هذا الحشد اللافت لأسماء الأماكن في المعلَّقة، وكأنما هو امتداد للطابع التسجيلي والتوثيقي الذي يسِم شعر امرئ القيس بخاصة، والشعر الجاهلي بعامة، وهذا الإكثار من أسماء الأماكن في المعلَّقة استوقف قديماً أبا بكر الباقلاني، ووجد فيه مدخلاً لانتقاد امرئ القيس[٨]؛ ولكنّ التأمُّل الأكثر ترفُّقاً بهذه الظاهرة قد يجد فيها دلالات تتجاوز التعداد الظاهري للأسماء، وفي خاتمة الشرح التفصيلي للمعلَّقة تلويح بشيء من هذه الدلالات.

ولكنّ الجانب الأكثر غرابة في هذه الظاهرة هو: ما يُلحَظ من التباعد الكبيرفي المسافات التي تفصل بين الأماكن التي يذكرها امرؤ القيس في سياق حدث واحد؛ كما هو الحال في وصفه للمطر والسيل في آخر المعلَّقة، فهذا الوصف يشير إلى أماكن تمتدُّ على بقعة شاسعة ما بين وسط نجد، وشمالها، وجنوبها الغربي من جهة الحجاز، هذا إذا اكتفينا بأرجح الأقوال في تحديد مواضع

(٧) انظر: موائد الحيس في فوائد امرئ القيس لنجم الدين الطوفي: ١٧٨-٢٥٢، ٢١٥-٢٥٣.

(٨) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ١٦٠.

هـذه الأماكـن، وهنـاك في الواقـع اضطـراب كبـير في تحديـد المواضـع الـواردة في معلَّقـة امـرئ القيـس، وفي سـائر المعلَّقـات العـشر عنـد الجغرافيـين والإخباريـين العـرب القدامـى؛ كالهمـداني، وياقـوت الحمـوي، وكذلـك عنـد الجغرافيـين المعاصريـن الذيـن خاضـوا في محاولـة تحديـد مواضـع هـذه الأماكـن، مثـل: ابـن بليهـد، وحمـد الجـاسر، ومحمـد العبـودي، وسـعد الجنيـدل، والأخـير لـه كتـاب خـاص بـ(الأماكـن الـواردة في المعلَّقـات العـشر)، وهـو كتـاب ينـمّ عـن اجتهـاد وتدقيـق؛ ولكنـه ينـمّ أيضـاً عـن اختلافـات واسـعة بـين الإخباريـين والجغرافيـين لا تـكاد تُحسَـم حـول كثـير مـن أماكـن المعلَّقـات.

وسـبب هـذا الاضطـراب يعـود أولاً إلى كـثرة الأماكـن الـتي تحمـل الاسـم نفسـه في مختلِـف مناطـق الجزيـرة العربيـة، كمـا يعـود ثانيـاً إلى مـا تتسـم بـه الروايـات والمصـادر القديمـة مـن وصـف واسـع الحـدود للمـكان؛ مـن خـلال ربطـه بديـار قبيلـة أو عشـيرة؛ كأن يقولوا: إنـه في بـلاد عمـرو بـن كلاب، أو ديـار بـني أسـد، أو بـلاد غطفـان، أو ديـار بـني عقيـل، وقـد يعـود سـبب هـذا الاضطـراب ثالثـاً إلى اندثـار الاسـم القديـم للموضـع، فـلا يعرفـه النـاس إلَّا باسـمه المحـدَث، وهنـا يلجـأ الجغـرافي إلى كثـير مـن التخمـين والتقديـر.

كأنّ حنين الذكريـات إذن عنـد امـرئ القيـس – وليـس تزامـن الأحداث- هـو مـا يسـتدعي هـذه الأماكـن المتباعـدة في ذاكرتـه، وينظمهـا في سـياق تصويـري واحـد.

I. Stopping at the Ruined Abode
(*al-wuqūf ʿalā al-aṭlāl*) (lines 1-6)

The poem opens with the two most famous words in Arabic poetry, *qifā nabki*: 'Stop and we will weep' as the forlorn poet bids his companions to stop at the abandoned campsite, the 'site of memory' where his lost beloved once dwelt.

In fact, Imru' al-Qays is credited with being the first poet to make this request, termed *al-istīqāf* (asking to stop), the most time-honored opening motif of the *qaṣīdah* prelude in the Arabic tradition.

To give greater immediacy to the feelings of nostalgia for the lost past, the poet gives the proper names of places that stir the memory. Section I falls under the traditional terminology of *nasīb ṭalalī* (ruined abode prelude).

He then describes the remains of the Bedouin camp and the ravages of time and, finally, recalls the morning of departure. As he breaks down in tears, his companions urge him to control himself—to no avail.

اللوحة الأولى

الاستهلال الطللي

١. قِفا نبْكِ مِن ذِكرى حَبِيبٍ ومنزِلِ بِسِقْطِ اللِوى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
٢. فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لِما نَسَجَتْـهَا مِـن جَنُـوبٍ وشَمْأَلِ
٣. تَرَى بَعَر الآرامِ في عَرَصَاتِها وقِـيـعَـانِـهـا كأنَّه حَـبُّ فُـلْـفُـلِ
٤. كأنّي غداةَ البَيْنِ يومَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُراتِ الحيِّ ناقِـفُ حَنْظَـلِ
٥. وقُوفاً بها صَحْبِي عَلَـيَّ مَطِيَّهُمْ يَـقُولُون: لا تَهْلِكْ أسىً وتَـجَـمَّـلِ
٦. وإنَّ شِفَائـي عَبْرةٌ مُهَـرَاقَـةٌ فَهَلْ عِنـدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَـوَّلِ

يسـتهلّ امـرؤ القيـس معلّقتـه باسـتيقاف صاحبيـه للبـكاء عـلى أطـلال الأحبة الذيـن غـادروا المكان، واستهلال القصيـدة باسـتيقاف الصاحبـين عـلى الأطـلال تقليـد شـعري اتبعـه كثـير مـن الشـعراء العـرب القُدامى، ويقـول النقـاد: إنّ امـرأ القيـس هـو أول مـن سـنّ هـذا التقليـد الفـني، أمّـا الموضـع الـذي يطلـب الشـاعر مـن صاحبيـه أن يقفـا عليـه للبـكاء فهـو: سِـقْط اللِّـوى؛ حيـث ينحـسر الرمـل وتصلُـب الأرض، فتغـدو صالحـةً لغـرز الأوتـاد الـتي تُشَـدّ بهـا أطنـاب الخيـام، وامـرؤ القيـس يحـدد بدقـة الموضـع الـذي كانـت خيـام الأحبـاب منصوبـةً فيـه، فيجعلـه متوسـطاً بـين أربعـة أماكـن يعيّنهـا بأسـمائها: الدَّخـول، وحومَـل، وتُوضِـح، والمِقْـراة، وكـأنما يريد تخليد هـذا الطلـل الـذي كان مسرحـاً لأُنـسٍ قديـم وهنـاءٍ مؤقّـت لـم يلبـث أن تبـدّد؛ ولكـنّ آثـار الأحبـاب فيـه -كـما يؤكـد البيـت الثـاني- مـا تـزال باقيـةً لـم تختـفِ مـع مـرور الوقـت، وهـو يعلِّـل ذلـك بـأن الريـاح الـتي تعاقبـتْ عـلى هـذه الـدار لـم تكـن تهـبُّ في اتجـاه واحـد، بـل كانـت تـأتي مـن الجنـوب حينـاً ومـن الشـمال حينـاً آخـر، فـكأنّ هاتـين الريحـين المتعاكسـتين كانتـا تتقاسـمان نسـجَ المكان وإبقـاءَ ذكرياتـه، فـإذا هبّـتْ إحداهمـا وغطّـت الآثـار بالرمـال، هبّـت الريـح الأخـرى مـن الجهـة المعاكسـة، فأزالـت الرمـال عنهـا.

اللغة:
سِـقْط اللِّـوى: السـقْط -بكـسر السـين، وضمّهـا، وفتحهـا-: هـو الموضـع الـذي ينقطـع فيـه الرمـل وتصلُـب الأرض. **اللِّـوى:** حيـث يلتـوي الرمـل ويـرِقّ لقِلّتـه، وهـو اسـم موضـع يقـع في عاليـة نجـد جنـوب مدينـة عفيـف، **واسـمه الآن:** مـشرف. **الدَّخُـول:** هضـب أحمـر لـه قِمَـم عاليـة يقـع شـمال هضـب الـدواسر وجنـوب عفيـف. **حَومَـل:** جبـل أسـود يقـع غـرب هضـب الدَّخُـول. **تُوضِـح:** اسـم لمواضـع متعـددة في الجزيـرة العربيـة، ومنهـا موضـع يقـع غـرب هضـب الدَّخُـول. **المِقْـراة:** أرض منخفضـة مُحاطـة بالجبـال، وتقـع جنـوب هضـب الدَّخُـول، **وتُسـمَّى الآن:** الـجَفْرة. **لم يعـفُ:** لـم يختـفِ. **رسـمُها:** رسْـم الـدار هـو طللهـا والأثـر البـاقي منهـا. لِمـا نسـجتْها مـن جَنـوب **وشـمْأل:** لمـا تعاقـب عليهـا مـن ريـاح جنوبيـة وشـمالية. **بَعَـر:** مـا يخـرج مـن بطـون الغنـم ومـا شـابهها. **الآرام:** جمـع رِئـم، وهـي الظِّبـاء خالصـة البيـاض. **عَرَصـات:** جمـع عَرْصـة، وهـي السـاحة الواسـعة الـتي ليـس فيهـا بِنـاء. **قِيعـان:** جمـع قـاع، وهـو الأرض المسـتوية. **غَـداة:** وقـت الضحـى. **البَـين:** الفِـراق. **تحمّلـوا:** ارتحلـوا. **سـمُرات:** جمـع سَـمُرة، وهـي شـجر الطلْـح. **الحـيّ:** القبيلـة أو منازلهـم ومـكان اجتماعهـم. **ناقِـف:** هـو الـذي يشـقّ الثمـر بظُفْـره ليسـتخرج مـا فيـه. **الحنظـل:** ثمـر بداخلـه حـبّ مُـرّ لـه حـرارة تهيِّـج دمـوع العـين. **مَطِيَّهـم:** المطِـيّ جمـع مَطِيَّـة، وهـي الراحلـة أو الدابّـة الـتي تُرْكَـب كالإبِـل. **أسى:** حـزن. **تجمَّـل:** اصبِرْ وتجلَّـدْ. **عَـبْرة:** دمعـة. **مُهَراقـة:** مُراقَـة مصبوبـة. **رسْـم دارِس:** الأثـر البـالي مـن الديـار. **مُعـوَّل:** مـا يُعتمَـد عليـه.

1. Stop, my friends, and we will weep
over the memory of a loved one
And an abode at the dune's edge of Siqt al-Liwā,
between al-Dakhūl, then Hawmal,

2. Then Tūdih, then al-Miqrāt, whose trace
was not effaced
By the two winds weaving over it
from south and north.

3. You see the droppings of
white antelope
Scattered on its wide grounds and dried-up puddles
like peppercorns.

4. On the morning when they loaded the camels
to depart, before the tribe's acacia trees,
I wept splitting
bitter colocynth.

5. My friends stopped their mounts there
over me and said:
"Don't die of grief,
control yourself!"

6. "There is no cure for me
but pouring tears,
And is there a better place to weep
than the worn traces of a ruined abode?"

يمـدُّ امـرؤ القيـس بعـد ذلـك لوحتـه الطلليـة، فيلتفـت إلى الأرض المنبسـطة أمامـه، ويلتقـط صـورةً لهـا وقـد تناثـر في سـاحاتها بَعَـر الظِّبـاء، وكأنـه حـبُّ الفُلفُـل، ويفوتـك المشـهد إن لـم تـدرك إيحاءاته النفسـية، فمـا يقصـده امـرؤ القيـس هنـا وفي كل صُـوَره التسـجيلية هـو شيء أبعـد مـن الرسـم البـصري للمكان، لأن انتشـار بَعَـر الظبـاء في سـاحات الديـار هـو إيحـاء آخـر بوحشـتها وخلوِّهـا مـن سـاكنيها، فقـد أصبحـتْ مرتعـاً للظِّبـاء النافـرة تتجـول فيهـا كيـف تشـاء. هكـذا تُذكِّـره وحشـة المـكان مجـدداً برحيـل أحبابـه، فيسـترجع ذكـرى يـوم الرحيـل، وكيـف كان يتابعهـم ببـصره وهـم يحملـون أمتعتهـم أمامـه، فـلا يملـك أن يبـوح بأشـواقه أمـام الآخريـن، وإنمـا يقـف يعيـداً بجـوار أشـجار الطلـح الظليلـة ليرسـل أخـيراً دموعـه الحبيسـة، وإنـه ليعجـب مـن غـزارة دمعـه يومـذاك، حـتى لكأنـه قـد أمسـك بيديـه ثمـر الحنظـل المـرّ وراح يشـقُّه بأظافـره؛ لتنبعـث مـن لُبِّـه حـرارة تهيِّـج عينيـه وتسـتدرّ دموعهـا بـلا حسـاب، عـلى أنّ ثمـر الحنظـل الأمـرّ لـم يكـن في الواقـع بـين كفّيـه، بـل داخـل فـؤاده المسـكون بالأشـجان.

II. Erotic Encounters (lines 7-43)

In keeping with the profligate reputation of the legendary persona of Imruʾ al-Qays, Section II features a disproportionately extended series of erotic encounters with numerous women where a more standard *qaṣīdah* recounts the poet's affair with one beloved only. These fall under the theme of *nasīb ghazalī* (erotic prelude).

Imruʾ al-Qays combines the delicately lyrical, the playful, and the shockingly erotic in his depictions of his numerous escapades—all of them illicit and scandalous and all of them featuring the jealously guarded and luxuriously pampered maidens and women of the tribal elite.

As always in the *qaṣīdah* , all his affairs end in heartbreak and tears. One sometimes flows into the next, but we can generally discern separate episodes.

The first (lines 7-9) already features two women, apparently mothers, Umm al-Ḥuwayrith and Umm al-Rabāb.

The second (lines 10-12), the famous Day at Dārat Juljul is, by contrast, an adolescent frolic.

The third (lines 13-15) is a comical and ribald recounting of the camel-top (attempted?) seduction of ʿUnayzah as her howdah (the women's tented camel-saddle) sways precariously under the weight of the intruding poet-lover, threatening to cripple her camel.

Justifiably considered the most obscene lines in classical Arabic poetry, the fourth episode (lines 16-17) involves sex with a pregnant women while she is nursing her one-year-old.

ويواصل امرؤ القيس رسمَ المشهد الطللي في البيتين الأخيرين من هذه اللوحة، فيحكي حواراً دار بينه وبين صحبه الذين استوقفهم أمام الأطلال، فقد استجابوا له ووقفوا بمطاياهم معه إيناساً لوحشته – وهو هنا يتحدث عنهم بصيغة الجمع لا بصيغة المثنّى، وكأنهم تداعوا تِباعاً وشاركوه وِقفته مع صاحبيه- ولكنهم حين رأوا الحزن يستولي عليه والأسى يعتصر قلبه، أشفقوا على صاحبهم من أن يُهلك نفسه، فرجوه بأن يُكفكِف شيئاً من لوعته، وأن يتجمّل بالصبر والتجلُّد؛ غير أنه يُجيبهم في البيت الأخير بأنَّ راحته لن تتحقق قبل أن ينفث هذه اللوعة المكبوتة، وبأنَّ شفاء ما في صدره هو أن يُرسل ذلك الدمع الحبيس، ثم لا يلبث طويلاً حتى يعود فيتساءل في الشطر الأخير عن جدوى هذه الوقفة الطللية بأسرها، وعمّا يمكن أن تقدّمه له آثار الديار البالية ما دامت لا تردُّ محبوباً، ولا تُعيد غائباً.

وهو هنا يصف آثار الديار بأنها: دارسة؛ أي بالية ومتبدِّدة، بينما كان في البيت الثاني يؤكد أن هذه الآثار باقية لم تتبدد؛ كأنه حين استبدّ به اليأس من جدوى الوقوف عندها لم يعد يرى فيها سوى أمارات الزوال ودلائل الفناء. وهذا الموقف "القيسيّ" المتأرجح من جدوى الأشياء: بين الأمل العريض فيها، ثم اليأس العارم منها سنصادفه مرة أخرى داخل المعلَّقة – في لوحة الليل الطويل- حين يصوِّر تشوُّقه لبزوغ الصبح، ثم لا يلبث أن يستدرك على نفسه بقطْع رجائه فيه.

هكذا يفتتح امرؤ القيس معلَّقته بلوحة متنهِّدة تحمل بذور الارتياب في العالم منذ نقراتها الأولى على إيقاع الحنين.

This flows into a fifth (lines 18-22), a break-up scene with one Fāṭimah, presented as an imperious mistress who rejects her submissive lover.

The sixth and final (lines 23-43), longest, and perhaps most famous, is the *bayḍat al-khidr* ('egg' or fair-skinned damsel of the women's tent). Here the poet begins by recounting how he lures her out of her tent at night to tryst on a sand-dune's hollow, but then extends the passage into one of the most finely wrought 'descriptions of the beloved' (*waṣf al-maḥbūbah*) in Arabic poetry, in which he enumerates the physical charms of the ideal beauty of the pre-Islamic tribal aristocracy.

The passage ends with the poet-lover expressing his inability to grow up and be consoled for his youthful folly. He remains disconsolate, despite the well-meaning advice of his friends.

اللوحة الثانية

الذكريات الغزلية

٧. كَدأْبِكَ مِن أُمِّ الحُويرثِ قَبْلَها وجَارَتِها أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ
٨. إذا قَامَتا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُما نَسِيمَ الصَّبا جَاءتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ
٩. فَفَاضَتْ دُموعُ العَينِ مِنِّي صَبابَةً عَلَى النَّحرِ حتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلي
١٠. ألا رُبَّ يومٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ولا سِيَّما يومٌ بِدَارةِ جُلْجُلِ
١١. ويومَ عَقَرتُ لِلعذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كُورِها المُتَحَمَّلِ
١٢. فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

تستدعي الأحزان الطللية الملتاعة على فراق المحبوبة مثيلاتها في ذاكرة الشاعر، فتتداعى صور النساء الأخريات اللاتي أحبّهن، وفي هذا التداعي المعلّن قدْر كبير من الرغبة في الاستعراض وإظهار محبة النساء له، ولهذا يختار امرؤ القيس مفردة (الدأب) الدالّة على أن هذا التعلُّق الغزلي هو من عاداته المعهودة مع النساء الكثيرات اللاتي عرفهنّ في حياته، ويذكر في البدء امرأتين بكُنيتيهما: أمّ الحُويرث، وأمّ الرباب، وبعض الشُّراح القُدامى يبيِّن أن أمّ الحويرث هي: هِرّة أمّ الحارث بن حُصين الكَلْبي، وأمّ الرباب هي أيضاً امرأة من قبيلة كَلْب، ولكن من اللافت تجنُّب الشاعر التصريح باسمي هاتين المرأتين، بينما صرّح بعد ذلك باسمي: عُنيزة، وفاطمة، وكأنه كان يُراعي بعض الحساسيات القبلية المحيطة بامرأتي كَلْب، وربما لأجل هذا أيضاً اكتفى بالوصف المجمَل لشذى رائحتهما بما تعبقان به من مِسْك يضوع وينتشر، وكأنه نسيم رِيح الصَّبا المحمَّلة برائحة القرنفل.

اللغة:
كَدأْبِك: كعادتك. **مَأْسَل:** اسم ماء أو جبل في جهة نجد الجنوبية إلى الشرق من هضب الدواسر. **تضوَّع:** تحرّكتْ رائحته وانتشرت. **الصَّبا:** رِيح مهبُّها من جهة الشرق، وكثيراً ما تُضاف إلى نجد، **فيُقال:** صَبا نجد. **ريّا القرنفل:** رائحته الطيّبة. **فاضتْ:** سالتْ بغزارة. **صَبابة:** رِقّة الشوق. **النحر:** أعلى الصدر. **مِحمَل:** السير الذي يُحمَل به السيف. **دارة جُلْجُل:** اسم موضع اختُلِف في تحديد مكانه، والأرجح أنه ما **يُسمّى الآن:** غدير جلاجل في هضب الدواسر. **عقرتُ:** نحرتُ. **مطِيّتي:** المطيّة هي كلُّ ما يُمتطى ويُركَب من الدواب، والمقصود بها **هنا:** الناقة. **كُورها:** رحْلها، وهو ما يُوضَع على ظهرها من أمتعة. **يرتمين بلحمها:** يتهادينه فيما بينهنّ. **هُدّاب:** خيوط وأطراف. **الدِّمَقْس:** الثوب الأبيض المنسوج من الحرير. **المفتّل:** المشدود.

II: Erotic Encounters

7. Console yourself as once before you did
for Umm Huwayrith
And her neighbor at Mount Ma'sal,
Umm Rabāb.

8. When they rose there wafted from them
a fragrance, redolent
As the East breeze when it bears
the scent of clove.

9. Then out of ardent love my eyes
sent flowing down my neck
A flood of tears
until they soaked my sword-belt.

10. And the many days of delight
with the damsels!
And, best of all, the day
at Dārat Juljul!

11. The day I slew my she-camel
for the maidens—
How amazing when they loaded up
her saddle and its gear!

12. All day the playful maidens
tossed pieces of her meat
And of her fat, like twisted fringes
of white Damascus silk.

ثـم يعـود امـرؤ القيـس للمـرة الرابعـة للإشـارة إلى بكائـه جـرّاء العشـق، مصـوِّراً دموعـه الغزيـرة الـتي وصلـتْ حـدّ أن تفيـض عـلى نحـره، وتُبلِّـل مِحمَـل سـيفه، ومـن الظواهـر الواضحـة في المعلَّقـة: هـذه الإشـارات المتواتـرة إلى بـكاء الشـاعر الشـديد والمبالغـة اللافتـة في وصـف غـزارة دموعـه حزنـاً عـلى معشـوقاته، وكأنمـا هـو عَـرَض مـن أعـراض تـرف البطالـة الـذي انغمـس فيـه الشـاعر أيّـام فتوّتـه اللاهيـة في حيـاة والـده.

تعـود الخطـرات الغزليـة مـن جديـد إلى ذاكـرة امـرئ القيـس، فيمـا ينغمـس في هـذا التأكيـد المسـتعاد عـلى اتسـاع مغامراتـه العاطفيـة مـع النسـاء، فيقـول: "ألا رُبّ يـومٍ لـك مِنهـنّ صالـحٍ"، ليصـل الشـاعر بعـد ذلـك إلى ذكـرى عزيـزة عليـه، وهـي: يـوم دارة جُلجُـل، الـذي ترصّـد فيـه لبنـت عمـه: عُنـيزة مـع رفيقاتهـا لـدى مرورهـن بالغديـر، وكيـف أخّرهـنّ شَـغَبه معهـنّ ومماطلتـه لهـنّ عـن اللحـاق بركْـب العشـيرة، ثـم كيـف عوضهـنّ عـن هـذا التأخـير بـأن نحـر ناقتـه لإطعامهـنّ، وإنـه ليعجـب كيـف لـم يبـقَ لـه مـن ناقتـه سـوى متاعهـا الـذي كانـت تحملـه، وكيـف اضطُـرت العـذارى إلى تقاسـم هـذا المتـاع ليحمِلْنـه عـلى رواحلهـنّ، وهـو يذكـر مـا رافـق ذلـك مـن لهـو وسـمَر، وكيـف قضـت الفتيـات وقتهـنّ في تهـادي قِطَـع اللحـم والشـحم بينهـنّ.

جموح الشباب

١٣. ويـومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِـدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ: لَكَ الوَيْلاتُ إنَّكَ مُرْجِلِي

١٤. تَقُولُ وقَدْ مَالَ الغَبِـيْطُ بِنا معاً: ... عَقَرتَ بَـعِيْرِي يا امْرأَ القَيْسِ فانْزِلِ

١٥. فَقُلْتُ لها: سِيْـرِي وأَرخِي زِمَامَهُ ... ولا تُبْعِدِينِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ

١٦. فمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرضِعٍ ... فَأَلْهَيْـتُها عـن ذِيْ تَمـائِمَ مُحْـوِلِ

١٧. إذا ما بَكَى مِن خَلْفِها انْصَرَفَتْ له ... بِشِـقٍّ وتحـتي شِـقُّها لَـمْ يُحَـوَّلِ

يسـتكمل امـرؤ القيـس رسْـم هـذه اللوحـة الأثـيرة بـين ذكرياتـه الغزليـة، فبعـد أن طعِمـوا مـن الناقـة، وتقاسـمت العـذارى أمتعـة امرئ القيـس اسـتعداداً لاسـتئناف الرحلـة، بقـي أن يُحمَـل هـو عـلى إحـدى النـوق أو الجِمـال، وقـد اختـار عامـداً أن يعتـلي جمـل بنـت عمـه ليرافقهـا في المسـير، وهـو يصـوّر هنـا شـيئاً مـن عبـث الشـباب، وكيـف كان يُدخـل رأسـه إلى هودجهـا المحمـول عـلى البعـير؛ ليتملّى محاسـنها، فيمـا كانـت هـي تتضجـر مـن صنيعـه، وتُظهـر جزعهـا مـن أن لا يحتمـل البعـير ثقليهمـا معـاً، فقـد تنكسـر قوائمـه، ويعجـز عـن النهـوض بعـد ذلـك، ممـا سـيجعلها مضطـرّةً للمسـير راجلـةً عـلى أقدامهـا، وهـي في جزعهـا هـذا تناديـه باسـمه، وفي هـذا مـن الدلالـة عـلى التحبُّـب وأمـارة التعلُّـق مـا فيـه، وهـذه المنـاداة المتغنِّجـة هـي المـرة الوحيـدة الـتي تُهـيّئ للشـاعر أن يذكـر اسـمه في المعلَّقـة.

ويحـاول امـرؤ القيـس أن يُهـدِّئ مـن روعهـا؛ طالبـاً منهـا أن تُرخـي زِمـام البعـير، فليـس هنـاك مـا يُخـشَى منـه، وأن لا تُبعـده عنهـا، لينعـم بقربهـا وهِبـات جمالهـا، دون أن ينـسى تذليـل هـذا التمتُّـع منهـا بالعـزف عـلى الوتـر المفضَّـل لديـه، وهـو إظهـار حظوتـه عنـد النسـاء، ممـن يماثلْنهـا في الحسـن والـدلال، وهـو يؤكـد هـذا بالإشـارة إلى أن بعـض المتيَّمـات بـه كُـنّ مـن الحوامـل والمرضعـات، وهـذا أدلُّ عـلى مكانتـه عنـد النسـاء، لأن الحمـل والإرضـاع مُشـغِلان للمـرأة في العـادة عـن الغـزل والصبابـة، ويصـل بـه التعهُّـر النرجـسي إلى حـد أن يصـوِّر مـدى شـغف المـرأة المرضِـع بـه، وحرصهـا عـلى إدامـة متعتهـا معـه، بحيـث لا يصرفهـا بـكاء رضيعهـا عـن مواصلـة التقـرّب والاسـتمتاع.

اللغة:
الخِـدْر: كلُّ مـا يُـؤوي ويُخفـي مـن بيـت أو سِـتْر، والمقصـود بـه هنـا الهـودج الـذي يُوضـع للنسـاء عـلى ظهـر الناقـة. **عُنَـيزة:** قيـل إنـه اسـم بنـت عمّـه، **وقيـل:** إنـه اسـم الموضـع الـذي جـرتْ فيـه القصـة. **مُرجِـلي:** أي سـتجعلني أمـشي راجلـةً؛ لأن البعـير لـن يحتمـل ثقـلي وثقلـك معـاً. **الغَبِـيط:** الهـودج، أو أساسـه الـذي يُشَـدّ بـه. **عقـرتَ:** أثقلـتَ عـلى البعـير بوزنـك وكأنـك قطعـتَ إحـدى قوائمـه. **أَرخِـي زِمامـه:** هـوِّني عليـك واتـركي البعـير يسـير عـلى هَونـه. **جَنَـاك:** جَـنَى **النخـل:** مـا اجتُـني مـن ثمـره، **والمقصـود بـه هنـا:** مـا يجتنيـه مـن المـرأة: حديثـاً وقُربـاً ومؤانسـةً. **المعلِّـل:** الـمُلهي. **فمِثْلِك:** هـذه فـاء (رُبَّ)، أي فـرُبَّ امـرأةٍ مثلِـك. **حُبْـلى:** حامـل بجنـين. **طرقـتُ:** أتيـتُ ليـلاً. **تمائـم:** جمـع تميمـة، وهـي مـا كانـوا يعلِّقونـه عـلى الطفـل حمايـةً وتعويـذاً لـه. **مُـحْوِل:** أتـمّ حـولاً، أي أن عمـره سـنة واحـدة. **شِـقّ:** نصـف أو طـرف.

13. And how about the day I entered the howdah,
‘Unayzah’s howdah,
And she said, “Damn you! Look what you’ve done!
I’ll have to go on foot!”

14. She kept on, as the high-sided saddle
lurched to one side,
“You’ve crippled my camel, Imru’ al-Qays!
Get down!”

15. So I said to her, “Just keep going
and loosen his reins,
Don’t keep me from a second taste
of your sweet fruit.”

16. Many a woman, like you, pregnant and nursing,
I have visited at night
And distracted from her amuleted
one-year-old.

17. When he cried from behind her, she turned
her upper half toward him,
But the half that was beneath me
did not budge.

القلب المقتَّل

١٨. ويوماً عَلَى ظَهْرِ الكَثِيبِ تَعَذَّرَتْ عَـلَيَّ وآلَـتْ حَلْفَـةً لَـمْ تَحَلَّـلِ
١٩. أَفَاطِـمَ مَهْـلاً بعـضَ هـذا التَّدَلُّلِ وإنْ كُنْتِ قد أَزْمَعْتِ صَرْمِي فأَجْمِلِي
٢٠. وإنْ تَكُ قد سَاءتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُـلِّي ثِيـابِي مِـن ثِيابِـكِ تَنْسُـلِ
٢١. أَغَـرَّكِ مِـنِّي أنَّ حُبَّـكِ قاتِـلِي وأَنَّـكِ مَهْما تأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَـلِ
٢٢. وما ذَرَفَتْ عَـيْناكِ إلَّا لتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ في أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

بـذكاء الخبـير، وبتقلّب المشـاعر وأهـواء العشّـاق يُعيـد امـرؤ القيـس هنـا توجيـه الدفَّـة، فيتخـلى- مؤقّتـاً- عـن نـبرة الاسـتعراض الفحـولي، ويـضرب عـلى وتـر آخـر، فهـا هـو ذا يُقـرّ بـأن جاذبيتـه لا تنجـح دائمـاً أمـام إبـاء المـرأة؛ ولهـذا يذكـر أنهـا تمنّعـتْ عليـه ذات يـوم وهمـا فـوق الكثيـب، وتشـددتْ في تمنُّعهـا، حـتى أقسـمتْ عـلى صـدِّه دون أن تسـتثني، وهـو يرجـو مـن فاطمـة أن تُكفِـف بعـض دلالهـا عليـه، وأن لا تتعجـل في هجـره والانـصراف عنـه، عـلى أنهـا إذا كانـت قـد ضاقـت ذرعـاً ببعـض صفاتـه الـتي لا تـروق لهـا، فـإنّ بإمكانها أن تسُـلَّ ثيابـه مـن ثيابهـا، والثيـاب هنـا كنايـة عـن القلـب كمـا يقـول بعـض الـشرّاح القُدامـى، أي أن بإمكانهـا -إن اسـتطاعت- أن تـنزع حبَّـه لهـا، وحبَّهـا لـه، ثـم يتسـاءل عـن سرّ قسـوتها معـه: ألأنهـا ضمِنـتْ تغلغل حبهـا في قلبـه، وتعلُّقـه بهـا، وامتثالـه لـكل مـا تأمـره بـه، حـتى إنهـا لتـذرف دموعهـا أمامـه لتتمكـن مـن رشْـق قلبـه بعينيهـا النجلاويـن، وكأنما تسـدِّد سـهمين نحـو قلبـه الجريـح، ليسـتحيل إلى قِطَـع داميـة وكسـور مبعـثرة.

اللغة:
الكثيب: الرمـل الكثـير المجتمـع. **تعـذَّرتْ:** امتنعـتْ وتصعّبـتْ. **آلـتْ:** أقْسـمتْ. **لـم تَـحلَّل:** لـم تسـتثنِ في قَسَـمها. **أفاطِـمَ:** نـداء لفاطمـة، وحُذفـت التـاء منهـا ترخيمـاً. **أزمعـتِ:** عزمـتِ عـلى الأمـر وأجمعـتِ عليـه. **صَرمـي:** القطيعـة معـي وهجْـري. **أجْمِـلي:** أي لا تُفرطي في الهجْـر، بـل اتئـدي وتريّـثي فيـه. **إنْ تَـكُ:** إنْ تكـنْ. **خَليقـة:** خُلُـق أو صفـة أو طبيعـة. **سُـلِّي ثِـيابي مـن ثيابـك:** أزيليهـا وباعـدي بينهـا. **تنسُـل:** تسـقط وتُفـارق. ذرفـتْ **عينـاك:** سـالتْ دموعهـا. **أعشـار:** قِطَـع وكسـور. **قلـب مقتّـل:** مجـروح مـن شـدة العشـق.

18. Then one day, on the back of a dune,
she rebuffed me,
And swore an oath never
to be broken.

19. O Fātimah! Enough
of this teasing!
And if you have resolved to cut me off,
then do it gently.

20. If something in my character
has hurt you,
Then pull my clothes away from yours—
they'll slip right off.

21. Were you emboldened to abuse me
because your love is my slayer
And whatever you command my heart to do,
it does?

22. Your eyes do not shed tears
except to pierce
With their two arrows
the pieces of my slaughtered heart.

اللوحة الثالثة

المغامرة القصصية

٢٣. وبَيْضَـةِ خِـدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤهـا تَمَتَّعتُ مِن لَـهْوٍ بِها غيرَ مُعْجَلِ
٢٤. تَـجَاوَزْتُ أحْـراساً إليها ومَعْـشَـراً عَـلَيَّ حِرَاصاً لـو يُسِرُّون مَقْـتَلِي
٢٥. إذا ما الثُّرَيَّا في السَّـمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَـرُّضَ أثْـنَاءِ الوِشَـاحِ الـمُفَصَّلِ
٢٦. فَجِئْـتُ وقَـدْ نَضَتْ لِـنَـومٍ ثِيابَهـا لَدَى السِّـتْرِ إلَّا لِبْسَـةَ الـمُتَفَضِّلِ
٢٧. فَقَالَـتْ: يَـمِينَ اللهِ ما لَـكَ حِيلَةٌ وما إنْ أَرَى عنكَ الغِوَايَةَ تَنْجَلِي

مـع أن هـذه اللوحـة هـي امتـداد للذكريـات الغزليـة السـابقة؛ لكـنّ اسـتقلالها القصـصي المتكامـل وامتـداد الـسرد الحـكائي فيهـا يُهيئـان لنـا أن نعدّهـا لوحـة مسـتقلة بذاتهـا، وتذكّرنـا هـذه المغامـرة الليليـة بنظيرتهـا في لاميـة امـرئ القيـس الأخـرى: (ألا عِـمْ صباحـاً أيهـا الطلـلُ البـالي)، فهنـاك يحـكي الشـاعر مغامـرة اقتحاميـة مشـابِهة قـام بهـا للوصـول إلى إحـدى محبوباتـه: (سـموتُ إليهـا بعدمـا نـامَ أهلُهـا...)، وسـيحاكي عـدد مـن الشـعراء اللاحقـين امـرأ القيـس في هـذا النمـط مـن القصـص الشـعرية المبنيـة عـلى الـسرد التفصيـلي للمغامـرات الغزليـة، ولعـل أبرزهـم عمـر بـن أبي ربيعـة في رائيتـه الشـهيرة: (أمِـن آلِ نُعْـمٍ أنـت غـادٍ فمُبْكِـرُ).

في هـذه اللوحـة يـروي امـرؤ القيـس كيـف تسـلّل ليـلاً ونجـوم الثريّـا تتـلألأُ في السـماء إلى هـذه المـرأة الرقيقـة والمصُونـة في خِدرهـا، متجـاوِزاً الحـرس الحريصـين -لـو ظفِـروا بـه- عـلى قتلـه بسرّيـة تامـة، ولا يفوتـه أن يصـوِّر جمـال منظـر السـماء تلـك الليلـة وقـد تـلألأتْ نجـوم الثريّـا فيهـا؛ كمـا يتـلألأ العِقـد المرصّـع بالجواهـر والـدرر، كمـا لا يفوتـه أن يسـجّل اندهـاش المـرأة مـن وصولـه المفاجـئ إلى خِبائهـا، فيمـا كانـت تتهيّـأ للنـوم متخفِّفـةً مـن لباسـها، فـلا تملـك إلّا أن تتعجـب مـن تهـوّره، مقسِـمةً عـلى أنـه لا حيلـة لـه كي يسـوِّغ لهـا هـذا الاقتحـام المتهـوِّر، كمـا أنـه لا حيلـة لهـا أمـام اندفاعـه وغِوايتـه الـتي لا تنقـضي.

اللغة:

وبَيْضـةِ خِـدْر: أي ورُبَّ امـرأةٍ كأنها بَيْضـة في صفائها ورقّتهـا، مَصُونـة في خِدرهـا الـذي يُؤويهـا. **لا يُـرام:** لا يُطمَـع فيـه ولا يقـترب منـه أحـد لعـزّه ومَنَعتـه. **خِباؤهـا: الخِبـاء:** الخيمـة الصغـيرة تُنصَـب عـلى عموديـن أو ثلاثـة. **غـيرَ مُعجَـل:** أي لا خـوف يدفعـني إلى التعجُّـل في الاسـتمتاع. **أحراسـاً:** جمـع حَـرَس. **يُـسِرُّون:** يُخفـون. **الثُّرَيّـا:** مجموعة مـن النجـوم عـلى شـكل عنقـود تتميـز بلمعانهـا الشـديد. **أثنـاء:** جمع ثَـنْي، وهـو الناحيـة أو الجـزء. **الوِشـاح:** عِقـد مـن الجواهـر أو الخَـرَز الملـوّن. **المفصَّـل:** الـذي فُصـل بـين جواهـره بأحجـار الزبرجـد. **نَضَـتْ:** خلعـتْ وألقـتْ. **المتفضِّـل:** المكتفي بلِباس واحـد تخفُّفـاً. **الغِـــواية:** الضـلال. **تنجـلي:** تنكشـف وتـزول.

23. With many a pale and curtained maiden
whose tent none dares approach,
I took my pleasure,
unhurried.

24. I stole past guards
to get to her, past clansmen,
Eager, if they could conceal it,
to slay me.

25. When the Pleiades were spread out
across the sky
Like the pleats of a sash with alternating
gold and gems,

26. I came when she, before the tent curtain,
had shed her clothes for sleep
And was clad in nothing but
an untied shift.

27. She cried, "By God, there's no way
to dissuade you!
And I don't see the veil of your error
lifting!"

تحت ستر الظلام

٢٨. خَرَجْتُ بِها أَمشِي تَجُرُّ وَرَاءَنا عَلَى أَثَرَينا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ
٢٩. فَلَمَّا أَجَزْنا ساحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ
٣٠. هَصَرْتُ بِفَوْدَي رَأْسِها فَتَمايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمُ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ
٣١. مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ
٣٢. كَبِكْرِ مُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاها نَمِيرُ المَاءِ غيرَ مُحَلَّلِ

هنا يبدأ الفصل الثاني من هذه المغامرة القصصية، فبقاء العاشقَين معاً في الخيمة معرّض لخطر الانكشاف؛ ولهذا يخرجان تحت سِتر الليل، متّجهَين إلى خلاء بعيد، وفي سيرهما كانت المرأة القلِقة من افتضاح أمرهما تسحب وراءها كِساءها الموشَّى بالزينة؛ ليمحو آثار خطواتهما على الرمل، فلا يستدلّ بها أحد، حتى إذا ضمّهما منخفض من الأرض اجتذبها امرؤ القيس إليه، وهنا يذكر بالتفصيل أبرز ما استثار حِسَّه من مفاتنها، مركِّزاً على التسجيل البصري الدقيق لمحاسن المرأة الظاهرية – وهذا التسجيل البصري المباشر سِمة بارزة في المعلَّقة- فهذه المرأة نحيلة الخصر، مكتنزة الساق، مُعتدلة الخلْق، غير مسترخية البطن، بينما يُشرق نحرها وسط الظلمة وكأنه مِرآة مصقولة، وإنّ بياض جسدها ليذكِّره بالبيضة البِكر من بيض النعام التي يمتزج بياضها بصُفرة خفيفة، ويتعزز معنى البكارة في تصوير هذا الجسد حين يُضاف إليه بكارة الماء الذي نمّاه وأغدق عليه عذوبته، فهو ماء صافٍ لم يتغير؛ لأنه لم يسبق لأحد أن حلَّ بقُربه، وبهذا الإلحاح على معنى البكارة في هذه المرأة يُرضي امرؤ القيس شيئاً من غرور الفحولة عنده.

اللغة:
مِرط: كِساء من خزّ ونحوه. **مُرحَّل:** مُوشًّى بخطوط وأشكال للزينة. **أجزْنا:** عبرنا وقطعنا. **انتحَى:** مالَ وانفرد. **خَبْت:** ما انخفض من الأرض واتّسع. **حِقاف:** جمع حِقْف، وهو الرمل المعوجّ. **عقنْقل:** واسع ورمله متداخل. **هصرتُ:** جذبتُ. **بفَودَي رأسها: فَودا الرأس:** جانباه. **هَضِيم الكَشْح:** ضامرة نحيلة. **الكَشْح:** جانب الجسم، وهو ما بين منقطع الأضلاع إلى الورك، ويُسمَّى كذلك: الخَصْر. **ريّا:** مكتنزة وممتلئة. **المخَلْخَل:** موضع الخَلْخال، وهو: الساق. **مُهَفْهَفة:** معتدلة الخَلْق. **مُفاضَة:** مسترخية البطن. **ترائبها: الترائب:** عظام الصدر العُليا، وهي موضع القِلادة. **السجنْجَل:** المِرآة. **كبِكْر مُقاناة البَياض بصُفْرة:** أي كالبَيضة الأُولى البِكْر من بَيض النعام التي قُوني أي مُزِجَ بياضُها بصُفرة. **غَذَاها: نمّاها. نَمير الماء:** الماء العذْب الذي يروي شاربه. **غير مُحلَّل:** لا يحلُّه أحد، فهو صافٍ لا يصفرُّ ولا يتغير.

28. I led her forth from her tent
and as she walked she trailed
Over our tracks the train of her gown
of figured silk.

29. Then, when we had crossed
the clan's enclosure
And made our way to a sandy hollow
surrounded by long winding dunes,

30. I drew her temples toward me, and she
leaned over me
With a slender waist, but full where
her anklets ring.

31. Her skin white, her waist thin,
not full,
Her collarbone shone like
a polished mirror.

32. Like the first inviolate bloom,
white mixed with yellow,
Nurtured on water limpid,
unmuddied.

التفاصيل المحببة

٣٣. تَصُدُّ وتُبْدِي عن أَسِيْلٍ وتَتَّقِي ... بِناظِرَةٍ مِن وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

٣٤. وجِيدٍ كجِيدِ الرِّئْمِ ليسَ بِفَاحِشٍ ... إذا هِيَ نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ

٣٥. وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أسْودَ فاحِمٍ ... أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

٣٦. غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا ... تَضِلُّ المَدارَى في مُثَنًّى ومُرْسَلِ

٣٧. وكَشْحٍ لَطِيفٍ كالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ ... وسَاقٍ كأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ

٣٨. وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كأَنَّهُ ... أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أو مَسَاوِيكُ إسْحِلِ

يواصل امرؤ القيس الوصف الحسي التفصيلي لمحاسن هذه المرأة، فهي حين تُعرض عنه تمنحه متعة التأمُّل في نعومة خدها وصفائه، ولكنه حين يُطيل النظر إليها، ستلتفت إليه متّقيةً نظراته بنظرة مماثلة من عيونها النجلاء، فيذكّره جمالها واتساع أحداقها بعيون ظِباء وجْرة، ولكنّ امرأ القيس لا يكتفي بتشبيه عيون هذه المرأة بعيون الظباء الواسعة، وإنما يُوغل أكثر في التخصيص والتفصيل، فيختار نوعاً محدداً من الظباء، وهو: الظبية المُطْفِل، أي التي يصاحبها طفلها، ولا تفوت دلالة هذا التخصيص على الشرّاح القُدامى، فيعلّلونه بأن عيون الظبْية المُطْفِل أكثر سحراً وجمالاً بسبب نظراتها الحانية والمتكررة نحو طفلها.

وعلى هذا النحو من الدقة في التصوير يواصل امرؤ القيس عقد المقارنات الجمالية الحسية بين المحبوبة والظبْية، فيشبِّه عنق هذه المرأة بعنق الظبْي الأبيض، ولكنه حين يلتفت إلى شَعرها الفاحم المسترسل يظهر وكأنه حفيٌّ بالفوضى الجمالية فيه، فشَعر هذه المرأة كثيف ومتداخل، وكأنه أعذاق النخل المتشابكة، وهو لهذا نافر إلى الأعلى، وعصيٌّ على التنظيم والتهذيب، وكأنّ عين امرئ القيس مأخوذة بجماليات التفاوت، فبعد هذه الخشونة العارضة في تصوير شَعر المرأة، يعود فيؤكّد رقة الحسن في جسدها، فهي ذات خَصْر نحيل، وساق بيضاء ليّنة، وأصابع

اللغة:
تَصُدُّ: تُعرِض. **أسيل:** ليّن أملس، والوصف للخدّ. **بناظرة من وحْش وجْرة:** أي بعين كحيلة تُشبه عين ظبْية من ظِباء وجْرة، وهو موضع تكثر فيه الظِباء. **مُطْفِل:** أي معها طِفلها. **جِيْد:** عنُق. **الرِّئْم:** الظبْي الأبيض. **فاحش:** كريه المنظر. **نصَّتْه:** رفعتْه. **مُعطَّل:** خالٍ من الحُليّ. **فرْع:** الشَّعر التام. **المتْن:** الظهْر. **فاحِم:** شديد السواد. **أثِيث:** كثيف. **قِنْو:** عِذْق النخلة. **المُتَعثْكِل:** المتداخل. **غدائره:** ذوائب الشعر. **مُسْتشْزِرات:** مرتفعة. **إلى العُلا:** إلى الأعلى. **المَدارَى:** جمع مِدرى، وهو آلة ذات أسنان أطول من أسنان المِشط تُجمَع بها خصلات الشعر. **كَشْح:** جانب الجسم، وهو الخصْر. **لطيف:** ضامر نحيل. **الجَديل:** زِمام من جِلد يُجدَل فيلين ويتثنّى. **مُخصّر:** دقيق. **أنبوب:** عصا قَصَب ينبت وسط النخل، **السَّقيّ:** المسْقِيّ. **المُذلَّل:** الذي قُطِف ثمره، أو الذي ذُلِّل له الماء. **تعْطُو:** تتناول. **رَخْص:** ليّن ناعم، وهو وصف للبنان أو الإصبع. **شَثْن:** غليظ خشِن. **أساريع:** دوابّ صغيرة على هيئة الدود تعيش في الرمل، **وتُسمَّى:** بنات النَّقا، **ومفردها:** أُسْروع. **ظبْي:** اسم عَلَم لكثيب محدد من كثبان الرمل. **الإسْحِل:** شجر ذو غصون دقيقة تُقطَع وتُستاك بها الأسنان.

33. Now hiding, now baring a cheek
full and smooth,
She guards herself with the glance
of a wild doe at Wajrah with fawn.

34. Her neck, like the neck
of a white antelope,
Is not overly long when she raises it,
nor lacking in ornament.

35. A jet-black head of hair
adorns her back,
Full and thick like dates upon
a cluster-laden palm.

36. Some locks are secured on top,
while others
Stray between the braided
and the loose.

37. Her waist is as fine as
a twisted bowstring, trim;
Her calf like a papyrus reed,
well-watered, tender.

38. She takes with fingers smooth, uncalloused,
as if they were
The soft dry worms of Zaby Dune or
the tender twigs of ishil trees.

ناعمـة، وكلُّ هـذه الصفـات تقـترن في مخيّلتـه بمـا يشـبهها مـن مظاهـر الطبيعـة الصحراويـة مـن حولـه، وبعـض هـذه المقارنـات يبـدو غريبـاً عـلى الـذوق المعـاصر، إذْ كيـف يمكـن أن تُشـبّه أصابـع المـرأة الرقيقـة بـدُود الرمـل أو بالمسـاويك؟ ولكنهـا الذاكـرة البصريـة المعنيّـة أكـثر بتسـجيل الخـبرات الحسـية في البيئـة المحيطـة بهـا؛ عـبر رصـد أدنى تشـابه بينهـا؛ حـتى لـو كان مجـرد تشـابه عـارض أو ظاهـري.

الوجه الصبوح

٣٩. تُـضِيءُ الظَّـلامَ بِالعِشَـاءِ كأَنَّهـا مَـنَارَةُ مُـمْسَـى راهِبٍ مُتَـبَـتِّـلِ
٤٠. وتُضْحِي فَـتِـيْتُ المِسْكِ فَوقَ فِراشِها نَؤُومُ الضُّحَى لم تَـنْـتَـطِقْ عن تَفَضُّلِ
٤١. إلى مِثْـلِـها يَـرْنُو الحَلِـيْمُ صَبابَـةً إذا ما اسْـبَـكَـرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ
٤٢. تَسَلَّتْ عَمَاياتُ الرِّجَالِ عن الصِّبَا وليسَ فُؤادِي عن هَـوَاكِ بِـمُـنْـسَـلِ
٤٣. ألا رُبَّ خَـصْـمٍ فِـيكِ أَلْوَى رَدَدْتُـهُ نَصِـيْـحٍ عَـلَى تَـعْـذَالِـهِ غَـيرِ مُـؤْتَـلِ

تفاصيـل الـحُسن في هـذه المـرأة تـكاد لا تنقـضي، فامـرؤ القيـس يلحـظ أيضـاً أن وجههـا الصَّبـوح يتـلألأ إشراقـاً، حـتى إنـه ليُـضيء ظلمـة الليـل، فهـي كالمصبـاح الـذي ينـشر النـور ويُبـدِّد الوحشـة، وكعـادة امـرئ القيـس في تشـبيهاته لا يكتفـي بهـذا التماثـل العـام، وإنمـا يختـار مصباحـاً خاصـاً، وهـو مصبـاح راهـب منقطـع في الليـل إلى عبادتـه، ومـن المعـروف -كمـا فطِـن لهـذا الـشرّاح القُدامـى- أن مثـل هـذا المصبـاح لـن ينطفـئ طـوال الليـل؛ لأن هـذا الراهـب المتبتّـل في العبـادة سيسـتمر سـاهراً مـع مصباحـه حـتى ينبلـج الفجـر، فكذلـك هـو أيضـاً إشراق وجـه هـذه المـرأة الـذي لا يـذوي توهُّجـه.

اللغة:
مَنَارة: سِراج. **مُـمْسَى:** مَساء. **متبتِّل:** المنقطع عن الناس للعبادة. **تُضحي:** تدخل في وقت الضحى. **فَتِيت:** الأجزاء الدقيقة المنتثرة. **المِسْك:** نوع من الطِّيب يُستخلَص من دم الغزال. **لم تنتطق:** لا تلبس نطاقاً تحزم به ثوبها من الوسط كما تفعل النساء عند العمل. **عن تفضُّل:** أي أنها تلبس أدنى ثيابها؛ بسبب ترفها، وقيام غيرها على خدمتها. **يرنو:** يُديم النظر. **صبابة:** رِقّة الشوق. **اسْبكرَّتْ:** استوتْ واقفةً ممتدّة القامة. بين **دِرع ومِجْول:** أي أنها ما تزال فتيّة، فعمرها بين من تلبس المِجْول، وهو لباس الصبيّة الصغيرة، ومن تلبس الدِّرْع، وهو لباس المرأة البالغة. **تسلّتْ:** انشغلتْ. **عَمَايات:** جمع عَمَاية، وهو العَمى، **والمقصود به:** الجهل والغِواية. **الصِّبا:** اللهْو. **مُنسَل:** منصرِف. **ألْوَى:** شديد الخصومة. **تَعذال:** أي العذْل، وهو اللوم. **غير مؤْتَل:** غير مقصِّر في بذل نصحه، **يُقال: ما ألَوتُ:** أي ما قصّرتُ.

39. At nightfall she lights up
the dark
Like the lamp in the night-cell
of a hermit monk.

40. Late into the morning her bed is fragrant
as though strewn with crumbs of musk,
And she, still in her loose night clothes,
sleeps on ‘til noon.

41. At one like her the staid man
gazes with ardor
When she stands at her full height between
woman’s gown and maiden’s shift.

42. Grown men find consolation for
the follies of their youth,
But my heart refuses solace for
its love for you.

43. How often did I quarrel
over you
And reject sincere advice that, though reproachful,
was generously given.

ثـم يصـوِّر الشـاعر شـيئاً مـن تـرف هـذه المـرأة ورفـاه عيشـها، فهـي تنـام حـتى وقـت الضحـى، غـير منشـغلة بتأمـين شـؤون معيشـتها، فهنـاك مـن سيسـتيقظ باكـراً لأجـل خدمتهـا ورعايـة شـؤونها، وإنّ أعجـب مـا يكشـف عنـه الضحـى هـو فِراشـها الـذي يظـل عابقـاً بفتيـت المِسْـك المتحـدِّر منهـا، فهـل يُـلام الرجـل -مهمـا كان اتّزانـه وحِلْمـه- إذا نـسي وقـاره أمـام طلعتهـا البهيّـة، واسـتمرّ يحـدِّق فيهـا حـين تسـتوي واقفـةً بقامتهـا الغضّـة الـتي انتقلـتْ للتـوّ مـن نعومـة الطفولـة إلى فتنـة الشـباب؟

ولهـذا يؤكـد امـرؤ القيـس أنـه حـتى لـو انـصرف كُلُّ الرجـال عـن صبواتهـم، وتسـلَّوا عنهـا؛ فـإن فـؤاده سـيظل يخفـق بهـوى هـذه المـرأة، غـير منـصرف عـن التعلُّـق بهـا، هـذا مـع أن الكثيريـن مـن العُـذَّال يلومونـه عـلى هـذا التولُّـه، مُشـفقين عليـه منهـا؛ ولكنـه لا يراهـم وقـد ألحّـوا في نُصحـه سـوى خصـوم للمحبوبـة، وهـذا وحـده كافٍ ليصدّهـم، ويُعـرض عـن كلامهـم.

اللوحة الرابعة

هموم الليل الطويل

٤٤. ولَيلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أَرخَى سُدُولَهُ عَلَـيَّ بِأَنْـوَاعِ الهُمُـومِ لِيَبْتَلِي
٤٥. فَقُلْتُ لَهُ لَمَّـا تَمَطَّـى بِـصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَـازاً ونَـاءَ بِكَلْكَـلِ
٤٦. ألا أيُّهـا الليـلُ الطَّوِيْـلُ ألا انْجَلِ بِصُبْحٍ ومَا الإصْبَاحُ مِنْـكَ بِأَمْثَلِ
٤٧. فَـيَالَـكَ مِنْ لَـيلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
٤٨. كَـأَنَّ الثُّـرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِها بِأَمْـرَاسِ كَتَّـانٍ إلى صُمِّ جَنْـدَلِ

تُباغتنـا هـذه اللوحـة الرابعـة مـن لوحـات المعلَّقـة بنقلـة كبـيرة في إيقـاع العـرض والتصويـر، لـم نعـد نـرى عـلى المـسرح الآن أي شـخص آخـر غـير امـرئ القيـس. لا أثَـر للصحـاب الذيـن كانـوا يشـاركون الشـاعر في وقفتـه عـلى الأطـلال، ويُسـعِفونه بـمُجاراته في البـكاء عليهـا، ولا حضـور كذلـك لمحبوباتـه الجميلات،لقـد انسـللن هـنّ أيضـاً بهـدوء وغـادرنَ المـسرح تِباعـاً، كلّ أولئـك النسـاء الـلاتي مـلأ الأبيـات السـابقة بأوصافهـنّ، وحكاياتهـنّ، وذكرياتـه معهـنّ انسـحبنَ الآن هربـاً مـن وحشـة الظلمـة، وتركْنـه وحـده مـع الليـل البهيـم والهـمّ الثقيـل.

كيـف يمكـن أن تُصـوَّر ظلمـة الليـل؟ كيـف يمكـن أن يُجسَّـد سـواده المتكاثـف في صـورة متحركـة؟ هاهنـا تحديـداً تتجـلى عبقريـة التصويـر عنـد امـرئ القيـس، فقـد صـوّر امتـداد الليـل الطويـل وكأنمـا هـو بحـر واسـع الأرجـاء مـا تـزال أمواجـه تتعاقـب ويتجـدد توالدهـا: كلمـا انحسـرتْ موجـة عـن الشـاطئ، أعقبتْهـا أخـرى في تنـاوب رتيـب لا ينقـضي أو يتوقـف، والليـل لا يكتفـي بهـذا التوالـد المتجـدد، بـل يضيـف إليـه هـذه الأسـتار السـوداء الـتي يُرخيهـا بالتدريـج عـلى صـدر الشـاعر، حـتى تـكاد تخنـق أنفاسـه، ويـردُّه ضيـق الأفـق وانحسـار الرؤيـة أمامـه إلى التأمُّـل الداخـلي، فـلا يصـادف سـوى نفـس مليئـة بالأشـجان والهمـوم، وهنـا يبلـغ العنـت بالشـاعر مبلغـاً يدفعـه إلى أن يتسـاءل: هـل يريـد هـذا الليـل المتطـاول أن يختـبر بهـدوء ماكـر مقـدار صـبري، أو أن يسـخر مـن جزعـي وقِلّـة حيلـتي؟

III. The Dark Night of the Soul (lines 44-48)

Often termed simply a description of the night (*waṣf al-layl*), Imru' al-Qays's renowned night passage depicts the poet's spiritual desolation and psychological paralysis as a seemingly endless night in which time, or emotional progress, has come to a stand-still, as if the stars were steeds firmly tethered to immovable boulders, as if morning will never come.

44. Many a night like the billowing sea
let down its veils over me
With all kinds of cares
to torment me.

45. Then I said to it when, like a huge camel,
it stretched out its spine
Then raised its haunches
and heaved its ponderous chest

46. "O long night, will you not dispel
to reveal the dawn?
Though the dawning day will be
no better for me!

47. "O what a night you are!
as if each of your stars
Were tied to Mount Yadhbul
with a tightly twisted rope.

48. "And the Pleaides stand in midcourse
motionless,
As if suspended by flaxen cords
from obdurate rocks."

اللغة:
وليـلٍ: أي ورُبَّ ليـلٍ. **أرخَـى:** أنـزل. **سُـدوله:** سُـتوره. **ليبْتَـلي:** ليختـبر مـا عنـدي مـن الصـبر أو الجـزع. **تمطَّـى:** تمـدَّد. **صُلْـب:** وسـط الجسـد. **أعجـازاً:** أواخـر. **نـاءَ:** جهـد في النهـوض. **كَلْـكَل:** صـدْر. **انْجَـلِ:** انْكشِـفْ. **بأمْثَـل:** بأفضـل. **مُغَـار الفتْـل:** شـديد الفتْـل مُحْكَمُـه، وهـو وصـف للحبْـل. **يَذْبُـل:** هضـب أحمـر عظيم يشـتمل عـلى قِمَـم متفرقـة أعلاهـا مـا يُعـرَف الآن باسـم: جبـل صَبْحـا، ويقـع شـمال حصـاة قحطـان إلى الجنـوب الـشرقي مـن مدينـة القويعيـة. **الثُّرَيّـا:** مجموعـة مـن النجـوم عـلى شـكل عنقـود تتميـز بلمعانهـا الشـديد. **مَصَامهـا:** موضعهـا ومُقامهـا. **أمْـراس:** جمـع مَـرَس، وهـو الحبْـل. **كَتَّـان:** نـوع مـن النبـات تُصنـع مـن أليافـه الحِبـال والأنسـجة. **صُـمّ:** جمـع صمّـاء، وهـي في الحجـارة: مـا كانـت شـديدة الصلابـة. **جنْـدل:** الصخـرة العظيمـة.

ومن الواضح أن الشاعر لم يستطع ملازمة الصبر في هذا الاختبار، وإنما هو الجزع البيِّن، والشكوى المستمرة، فبعد صورتي: أمواج البحر الكثيفة، والأستار السوداء الخانقة، تتفتّق قريحة الشاعر عن صورة ثالثة لطول الليل أكثر ضنْكاً وثِقلاً، فهو يرى الليل مُطبِقاً على أنفاسه وكأنما هو جمل هائل الحجم قد استلقى فوق الأفق، وهو ما يزال يتمطى بظهره الممتد، حتى إذا ظننتَ أن رحيله قد اقترب بعد انقضاء هذا التمطّي ترادفتْ عليك أعجازه وأواخره، فكأنما أعادتْ لك هذا الجمل الليلي من أوله، وإذا هو ما يزال يحاول أن ينهض بصدره عن الأفق من جديد. فلا يملك الشاعر بعد هذا كله سوى أن يناديه بضجر بالغ، ويدعوه مباشرةً إلى الرحيل والانصراف؛ متشوِّقاً لبزوغ صباح يوم جديد، ثم تُدركه يقظة الفِكْر، وتلذعه لوعة الغمّ، فيتذكّر أن همومه المستوطِنة في صدره لن تنقضي بمولد الصباح، فيستحيل أمله فيه إلى يأس تامّ منه، وهو ما يُعيدنا إلى ما ذكرناه في آخر اللوحة الأولى من هذه المعلَّقة حول سِمة: الموقف المتأرجِح من جدوى الأشياء عند امرئ القيس: بين الأمل العريض فيها، ثم اليأس العارم منها، وما يُوحي به ذلك من رؤية مُرتابة وقلِقة تجاه العالَم.

وإذن، فلا بأس بعد هذا اليأس أن يعود الشاعر إلى لعبة التصوير الخيالي لطول الليل، فيبتكر صورة رابعة له، إذْ لا شيء يفسِّر بقاء هذه الظلمة طوال هذا الوقت سوى تخيُّل أن تكون نجوم الليل قد رُبِطتْ بحبال مُحكَمة الفتْل، ثم شُدَّت إلى جبل يَذْبُل العظيم، فمهما حاولتْ هذه النجوم أن تمضي بعيداً وتأخذ معها الليل، فإن حبالها الموثقة والمشدودة إلى الجبل الأرضي ستمنعها من التحرك والانصراف! حتى إنّ نجوم الثريّا قد خُصَّتْ من بين هذه النجوم بمزيد من الاحتراز في التقييد، فهي ثابتة في موضعها لا تبرحه؛ لأنها معلَّقة بحبال مفتولة إلى صخور صُلْبة لا يمكن أن تتزحزح من مكانها. وفي كل هذه الصور الخيالية المتتابعة يظهر لنا ليل امرئ القيس لا بوصفه: ظرفاً زمانياً فحسب، وإنما هو أيضاً مكان متجسد في الكون، له حيّز محدد، وأعضاء متصلة، وأجزاء ملموسة، وأجرام مُشاهَدة.

IV. The Horse and the Hunt (lines 49-66)

The day breaks dramatically in line 49 with 'I went forth early'(*wa-qad aghtadī*), as the poet sets out on horseback for an early morning hunt, in a famous phrase that would go on to introduce many a hunt poem (*ṭardiyyah*) of the ʿAbbāsid period.

In this Boast or *fakhr* theme, the poet-speaker hardly uses the first person 'I' or 'we', but rather describes his magnificent steed.

The astounding and unrelenting energy and intensity embodied in the steed is captured in four famous words, known to every Arab school-child: *mikarrin mifarrin muqbilin mudbirin maʿan* (wheeling, charging, advancing, retreating all at once) (line 50) and the passage continues to compare the steed to all that is powerful, potent, and full of vigor: rain, hard rock, a boiling cauldron, a child's whirling toy.

The oryx-hunt itself contains intimations of sacrifice and ritual as the blood of the game is likened to henna, the herd to a procession of virgins and to alternating beads on a noble child's neck.

The passage ends, as the poetic hunt always does, with the commensal feast and, finally, the precious steed tethered all night beneath his master's watchful eye.

Certainly we are given to understand that the dramatic psychological shift from the night of paralysis and despair of Part III to the life-affirming vigor and determination of the horse and hunt of Part IV is meant to convey the emotional transition of the poem's protagonist, that is, the poet. The indirection with which the poet presents his 'boast' renders it all the more effective.

اللوحة الخامسة
الحصان الأسطوري ورحلة الصيد

٤٩. وقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها ... بِمُنْجَرِدٍ قَـيْـدِ الأَوَابِـدِ هَـيْـكَـلِ
٥٠. مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كَجُلْمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ
٥١. كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حَالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّتِ الـصَّفْوَاءُ بالـمُـتَـنَـزِّلِ
٥٢. مِسَحٍّ إذا ما السَّابِحاتُ على الوَنَى ... أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيدِ الـمُـرَكَّـلِ
٥٣. عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهْتِـزَامَـهُ ... إذا جَاشَ فِيهِ حَمْـيُـهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

تقـدِّم لنـا هـذه اللوحـة الطويلـة نسـبياً جانبـاً آخـر مـن شـخصية امرئ القيـس، عـلى الأقـل كما تظهـر في المعلَّقـة، فـإذا كان الشـاعر قـد شـغل أكـثر مـن أربعـين بيتـاً؛ أي مـا يتجـاوز نصـف القصيـدة بالتغـزُّل بالنسـاء، والبـوح بصبابتـه لهـنّ، والبكاء الشـجيّ عـلى آثارهنّ، والتغـنّي الوالِـه بأوصافهـنّ، والـسرد الاسـتعراضي لمغامراتـه العابثـة معهـنّ، فإنـه في هـذه اللوحـة يُـبرز الجانـب الفُـروسي شـديد الشـكيمة في شـخصيته وحياتـه، فهـا هـو ذا يغـدو في الصبـاح الباكـر، وقبـل أن تبـارح الطيـور أعشاشـها، راكبـاً حصانـه الأسـطوري الـذي يسـتفرغ الجهـد في وصـف مظهـره الخارجـي المهيـب، وقدراتـه العجائبيـة المذهلـة، فهـو حصـان قصـير الشـعر -وهـذه مـن صفـات الحسـن في الفَـرس- ثـم إنـه ضخـم التكويـن، وكأنمـا هـو هيـكل عـالي البنيـان، كما أنـه: قَيـد الأوابـد، وهـذا وصـف مبتكَـر لـم يـزل الشـعراء والنقـاد يعدُّونـه مـن أوليّـات امـرئ القيـس في التصويـر؛ لأنـه يجعـل هـذا الفـرس بمثابـة القيـد الـلازم الـذي لا سـبيل أمـام الحيوانـات البريّـة للفـرار منـه والاختبـاء عنـه؛ بسـبب قوتـه الهائلـة مـن جانـب، وشـدة سرعتـه مـن جانـب آخـر، وهـو يجمـع بصـورة مدهشـة بـين القـدرات المتقابلـة، فهـو سريـع الكـرّ، كما أنـه سريـع الفـرّ، وهـو قـادر عـلى الإقبـال والإدبـار في اللحظـة عينهـا، فـأيّ فـزع سيسـتولي عـلى قلـوب الطرائـد حـين ينحـطُّ عـدْواً إليهـا، وكأنمـا هـو صخـرة عظيمـة تـتردّى بأقـصى اندفاعهـا المتسـارع مـن أعـلى الجبـل.

اللغة:
أَغْتَدي: أخرجُ غُـدْوةً، أي في الصباح الباكـر. **وُكُنات:** أعشـاش الطيـور. **مُنْجـرِد:** قصـير الشـعر، والوصـف للحصـان. **الأوابـد:** الحيونـات البريّـة التي تسـتوحش من الإنسـان. **هَيـكَل:** ضخْـم. **مِكَـرّ مِفَـرّ:** قـادر عـلى الكَـرّ أي الرجـوع، وعـلى الفَـرّ أي الابتعـاد في الوقـت المناسـب. **جُلْمُـود:** الحَجَـر الصُّلْـب. **حطَّـه:** أنزلـه وأسـقطه. **عَـلٍ:** مكان عـالٍ. **كُمَيـت:** لونـه بـين الأسـود والأحمر. **يـزِلّ:** يزلـق ويسـقط. **اللِبْـد:** مـا يُوضَـع عـلى ظهـر الحصـان تحـت السَّـرج. **حـال:** موضـع اللِبْـد مـن ظهـر الفـرس. **متْـنه:** ظهـره. **الصَّفْـواء:** الصخـرة الملْسـاء. **الـمُتَنَزِّل:** النـازل عليهـا مـن سـيل أو مطـر أو طـير. **مِسَـحّ:** مُنْصَـبّ في عَدْوه. **السَّـابحات:** هي التي تبسُـط يديهـا عنـد الجـرْي فكأنهـا تسـبح. **الـوَنَى:** التعـب والفُتُـور. **الكَديـد:** مـا غلُـظ مـن الأرض. **الـمُركَّل:** الذي تركُلُـه الخيـول بحوافرهـا. **الذَّبْـل:** الضُّمـور وقِلَّـة لحـم الجسـم. **جَيَّـاش:** مـن الجَيَشـان، وهـو الاضطـراب والهَيَجـان. **اهْتزامـه:** صـوت جَوفه عنـد الجرْي. **حَـمْيه:** حرارتـه الشـديدة. **غَـلْي:** صـوت فَـوَران المـاء الحـارّ. **مِرْجَـل:** القِدْر.

49. At daybreak I ride forth,
the birds still in their nests,
On a huge steed, sleek and swift,
like a lasso for wild game.

50. Now wheeling, now charging, advancing, retreating,
all at once,
Like a mighty boulder the torrent has washed
down from the heights.

51. A dark bay: the saddle pad
slips from its back
Like raindrops rolling
off hard rock.

52. His gallop, like a downpour,
still bursts forth
When the dragging hoofs of flagging coursers
kick up dust.

53. Lean yet full of vigor,
as if his pounding gallop
When he seethes with heat
were a cauldron’s boil.

ويواصـل امـرؤ القيـس اسـتعراض الدلائـل الباهـرة عـلى السرعـة الاسـتثنائية لهـذا الفـرس، فمـا أكـثر مـا ينزلـق اللبّـد الـذي يوضـع عـلى ظهـره مـن شـدة عـدْوه، وكأنـه صخـرة ملسـاء لا يلبـث أيُّ شيء يمـرُّ فوقهـا حـتى ينزلـق منهـا غـير قـادر عـلى الاسـتقرار المطمـئنّ عليهـا، حـتى إذا جـرى هـذا الفـرس مـع الخيـل السـوابق، وقـد انعقـد الغبـار في الجـو مـن شـدة ركْلهـا الأرض بحوافرهـا، رأيتـه مـن بينهـا منصبّـاً في جَريـه لا يُبـارَى، ومـع الضمـور المعتـدِل لجسـده، فـإن للجيشـان المضطـرِب الـذي يصـدُر مـن جوفـه -جـرّاء الركـض- أزيـزاً مدويّـاً مثـل أزيـز القِـدْر عنـد غليانهـا.

ملامح الفرس الأصيل

٥٤. يَزِلُّ الغُلامُ الخِفُّ عن صَهَواتِهِ ويُلْوي بِأَثْوابِ العَنِيفِ المُثَقَّلِ
٥٥. دَرِيْرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
٥٦. لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ
٥٧. ضَلِيْعٍ إذا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ
٥٨. كَأَنَّ عَلَى المَتْنَيْنِ مِنْهُ إذا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوْسٍ أو صَلايَةَ حَنْظَلِ
٥٩. كَـأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَـاتِ بِـنَحْـرِهِ عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بِـشَيْـبٍ مُـرَجَّلِ

تسـتمر الأبيـات في وصـف سرعـة هـذا الفَـرَس الـذي لا يسـتطيع الغـلام خفيـف الـوزن أن يسـتقر عـلى ظهـره بسـبب شـدّة جرْيـه، كمـا لا يسـتطيع الرجـل الثقيـل أن يثبـت عليـه إلّا بمشـقّة، بينمـا تتطايـر أثوابـه منـه بسـبب الحركـة الشـديدة والهـواء العاصـف، وإنّ حفيـف الهـواء الناتـج عـن اندفـاع الفـرس في الركـض ليذكِّـر الشـاعر بلعبـة الفتيـان الـتي يُـدوِّرون بهـا عـوداً عـبر إدخـال خيـط فيـه، ثـم إمسـاك الخيـط مـن طرفيـه، وتحريكـه بصـورة دائريـة، ولكـنْ لمـاذا وصـف امـرؤ القيـس خيـط اللعبـة بأنـه: مُوصَّـل؟ لأن هـذا يعـني أن الخـذروف قـد لُعِـب بـه كثـيراً، حـتى ارتخـى خيطـه وتقطّـع، فوُصِـل بخيـط آخـر، فيكـون هـذا -كما اسـتنتج بعـض الشـرّاح القُدامـى- أسرعَ لدورانـه، وهـذا شـاهد إضـافي عـلى ولَـع امـرئ القيـس المعهـود بـأدق التفاصيـل حـين يُشـبِّه أو يرسـم صـورة اسـتعارية.

اللغة:
يزِلّ: يزلق ويسقط. **الخِفّ:** الخفيف. **صَهَواته:** جمع صَهْوة، وهي من كل شيء: أعلاه، ومن **الحصان:** المكان الذي يُوضع عليه اللبْد من ظهره. **يُلوي:** يرمي ويُذهِب. **العنيف:** البعيد عن الرِّفْق. **المثقّل:** الثقيل. **دَرير:** متتابع العدْو سريع الجرْي. **خُذْروف:** عُود يُشقّ في وسطه ويُنظَم فيه خيط يُشَدّ به ويُدوَّر بسرعة، فيُسمَع له حفيف. **الوليد:** الصبيّ. **أمرّه:** شدّه وأحكم فتْله. **أيطلا ظبْي:** خاصِرتاه. **إرخاء:** عدْو غير شديد. **سِرحان:** ذئب. **تقريب:** نوع من العدْو، وهو أن يرفع يديه معاً، ويضعهما معاً. **تَتْفُل:** ولد الثعلب. **ضليع:** عريض الأضلاع عظيم الجنبين. **فَرجه:** ما بين رجليه. **بِضافٍ:** طويل مسترسِل، والوصف للذيل. **فُويق الأرض:** أي أن الذيل ليس طويلاً فيطأ عليه، وليس قصيراً فيبعد عن الأرض. **أعزل:** ما كان ذَنَبه مائلاً عن دُبُره لإحدى الجهتين، وهي سمة غير مستحسنة في الفرس. **على المتْنين:** على الكتفين. **انتحى:** اعترض. **مَداك:** حجر يُسحَق عليه الطِّيب، فيكون له بريق. **صَلاية حَنْظَل:** حجر يُسحَق عليه حبُّ الحنظل، فيكون دائماً أمْلس. **الهَاديات:** المتقدِّمات من قطيع بقر الوحش. نحْر: أعلى الصدر. **عُصارة:** ما عُصِر منه. **حِنَّاء:** خِضاب يُصبَغ به الشعر فيحمرّ. **مرجَّل:** ترجيل **الشَّعر:** تسريحه وتسويته.

54. The slender youth
slips from his back;
The sturdy riders' robes
fly out behind.

55. His gallop streams like a boy's
pebble-on-a string
When he tightly twirls the string with his two hands
then pulls!

56. He has the flanks of a gazelle,
the ostrich's two legs,
The wolf's lope,
the fox-cub's canter.

57. Full in the flanks; from behind
a thick tail fills the gap
Between his legs, reaching almost to the ground,
not crooked.

58. As if, when he heads off, his rump,
hard and smooth, were a stone
On which a bride pounds perfume or
bitter colocynth is crushed.

59. As if the blood on his throat—
blood of the herd's frontrunners—
Were henna on an old man's
combed white hair.

وتصـل غِبْطـة امـرئ القيـس بحصانـه الأسـطوري حـدّ أن يجعلـه جامعـاً لمحاسـن الكائنـات، فخاصرتـاه تُشـبه خـاصرتي الظـبْي؛ لرشـاقته وقِلّـة لحمـه، وسـاقاه مثـل سـاقَي النعامـة في قِصَرهمـا؛ لأن ذلـك أسرعُ في جرْيـه، أمّـا حـين يعـدو فإنـك تـرى فيـه أحيانـاً عـدْو الذئـب المتربّـص، كمـا تـرى فيـه أحيانـاً أخـرى خِفـة الثعلـب بجرْيـه المنتظِـم. وهـو مـع عِظَـم جنبيـه وضخامـة أضلاعـه فـإن رشـاقة روحـه لا حـدود لهـا، إذْ حـين يـراك تقـف أو تسـير خلفـه فإنـه -بأناقـة المتـأدب- يسـدُّ مـا بـين وِركيـه بذيلـه السـابغ معتـدل الطـول الـذي لا يمـسُّ الأرض؛ وإنْ كان غـير بعيـد عنهـا.

ومثـل آلـة التصويـر الـتي تعـرض لـك المنظـر الجميـل مـن زوايـا متعـددة يصـوّر امـرؤ القيـس روعـة الحسـن في جسـد هـذا الحصـان وقـد اعـترض أمامـك، فرأيـت كتفيـه العريضـين اللامعـين وكأنهمـا الحجـر الـذي يُسـحَق عليـه الطِّيـب وحـبّ الحنْظـل، فهـو مـا يـزال يتـلألأ أمـام عينيـك، ويشـتدُّ بريقـه كلمـا ردّدت فيـه النظـر، ويـزداد هـذا الجمـال الحـسي بجمـال دلالاتـه عـلى القـوة والظفـر، فنحْـر هـذا الحصـان مـا يـزال يحتفـظ بسـجلّ انتصاراتـه، فهـا قـد تحـنّى جِلـده بدمـاء بقـر الوحـش السـابقات الـتي طالمـا ظفِـر بهـنّ عنـد احتـدام الركـض في رحـلات القنـص.

مشهد الصيد

٦٠. فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعاجَهُ ... عَذَارَى دَوَارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

٦١. فَأَدْبَرْنَ كالجَزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ ... بِجِيْدِ مُعَمٍّ في العَشِيْرَةِ مُخْوِلِ

٦٢. فَأَلْحَقَنَا بِالهَادِيَاتِ ودُوْنَهُ ... جَوَاحِرُها في صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

٦٣. فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ ... دِرَاكاً ولَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

٦٤. فَظَلَّ طُهَاةُ اللحْمِ ما بَيْنَ مُنْضِجٍ ... صَفِيْفَ شِوَاءٍ أو قَدِيْرٍ مُعَجَّلِ

٦٥. ورُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُوْنَهُ ... مَتَى ما تَرَقَّ العَيْنُ فِيْهِ تَسَفَّلِ

٦٦. فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجَامُهُ ... وبَاتَ بِعَيْنِي قَائِماً غَيْرَ مُرْسَلِ

يصِف امرؤ القيس هنا رحلة صيد مثيرة مع حصانه، وفي هذا الوصف تتجلى بوضوح سِمة من أبرز سمات النهج الشعري لهذه المعلَّقة، وهي سِمة: التسجيل البصري المولَع بتجسيد أدقّ التفاصيل الحسّية، فها قد ظهر أمام امرئ القيس وهو يسير على فرسه قطيع من بقر الوحش، وإنه لينظُر إلى إناث ذلك القطيع، فيذكِّره بياض ألوانها وطول أذيالها ببياض الفتيات التي يراهنّ يطُفْن حول صنم (دَوَار)، وقد لبسْن المُلاءات السابغة طويلة الذيول، ولكنّ هذا القطيع لا يلبث أن يتفرق هرباً من امرئ القيس وحصانه الجامح، وتقوده هذه الصورة المتحركة لتفرُّقهنّ عنه، وتمايز سواد سيقانهنّ عن سائر لون جلدهنّ الأبيض إلى استحضار صورة حسية مشابهة، وهي: صورة عِقْد من الخرَز الأبيض المسْودّ الأطراف، وقد تخلّلتْه حبّات من اللؤلؤ تماثل الفراغات البيضاء التي تفصل بين هذا البقر المتفرق، غير أن امرأ القيس لا يكتفي بهذا التجسيد الدقيق، بل يمضي مع طبعه الميّال إلى مزيد من الاستطراد التصويري، فيخصِّص هذا العِقْد بأنه موضوع على عنُق صبي كريم الأعمام والأخوال، ومثل هذا الصبيّ الذي اجتمع له مجد العمومة والخؤولة لن يُوضع على عنقه إلّا أنفسُ العقود وأكثرها إبهاراً.

اللغة:
عَنَّ: ظهر لنا واعترض أمامنا. **سِرب:** قطيع من بقر الوحش. **نِعاج:** جمع نعجة، وهي أنثى بقر الوحش. **عَذَارى:** فتيات أبكار. **دَوَار:** اسم صنم لأهل الجاهلية كانوا يدورون حوله. **مُلاء:** جمع مُلاءة، وهي مِلْحفة تُوضع فوق اللباس وتتدثّر بها النساء. **مُذيّل:** سابغ طويل الذيول. **أدبرن:** هربن. **الجَزْع:** الخَرَز اليماني الذي اسْودّتْ أطرافه وسائره أبيض. **المُفصّل:** الذي فُصِل بينه باللؤلؤ. **جِيْد:** عنُق. **مُعَمّ، مُخْوِل:** أي كريم الأعمام والأخوال، والوصف للصبيّ. **الهاديات:** المتقدِّمات من قطيع بقر الوحش. **دُونه:** خَلْفه. **الجواحِر:** المتأخّرات من قطيع بقر الوحش. **الصَّرّة:** الجماعة، أو الضجّة والجَلَبة. **لم تَزَيّل:** لم تتفرّق. **عادَى عِداءً:** والَى في جَرْيه بين صيد الثور وصيد النعجة. **دِراكاً:** لِحاقاً ومتابعة. **يَنْضَح:** يرشح. **بماء:** المقصود به العَرَق. **طُهاة اللحم:** الطبّاخون. **صَفيف شِواء:** الشِّواء المصفوف الذي يُرقَّق على هيئة شرائح ويُوضَع على الجمْر. **قَدير:** مطبوخ في القِدْر. **الطَّرْف:** نَظَر العين. **ترقّ العين:** تنظر إلى أعلى الحصان. **تسفّل:** تنظر إلى أسفله. **السَّرج:** ما يُوضع على ظهر الحصان لتيسير الجلوس عليه. **لِجام:** سيور يُشَدُّ بها فم الحصان. **غير مُرسَل:** غير متروك ولا مُهمَل.

60. Then an oryx herd appeared before us
with does like virgins
Circling round a sacred stone
in long-trained gowns.

61. Then they turned like a string of onyx beads,
alternated black and white,
On the neck of a child
of two noble families.

62. He took us straight
to the leaders of the herd,
Leaving behind those that lagged
in an unbroken cluster.

63. One after another he overtook
a buck then a doe,
But still was not awash
with sweat.

64. Some cooks laid out the meat in strips
to slowly roast on embers;
Others threw it into pots
to quickly boil.

65. At evening, our glances shied
before this steed:
To whatever part we raised our gaze—
dazzled, it dropped.

66. All night he remained, with his saddle and bridle
upon him.
All night he stood beneath my eye,
not loose to graze.

وبعـد هـذا الاسـتطراد التفصيـلي يعـود امـرؤ القيـس إلى إكمـال لوحـة الصيـد، فيصـوِّر كيـف اسـتطاع فرسـه بالـغ العنفـوان الإحاطـة بهـذا القطيـع مـن بقـر الوحـش، فقـد أدرك السـوابق المتقدمـات منهـا، مخلِّفـاً وراءه البقـر المتأخـرات وقـد عـلا ضجيـج ركْضهـنّ ولُهـاث أنفاسـهنّ، ليقنـص منهـنّ ثـوراً ونعجـة معـاً، وكلّ هـذا دون أن يعـرَق جسـمه مـن الجهـد أو التعـب، ثـم يصـوِّر كيـف خُتِمـتْ رحلـة الصيـد بنهايتهـا الظافـرة، فقـد أمـضى الطُّهـاة وقتهـم في توزيـع هـذا اللحـم الوافـر بـين مـا يُشـوَى عـلى الجمـر، ومـا يُطبَـخ -عـلى عَجَـل- في القُـدور.

ألا يحـقّ لامـرئ القيـس بعـد هـذه الرحلـة المظفّـرة أن يُفتَن بحصانـه وهـو يقـف شـامخاً بجـواره بعـد أن أدّى مهمتـه عـلى أكمـل وجـه؟ إنـه لـيردد إليـه النظـر الآن، فـلا تسـتقر عينـه عـلى عضـو مـن أعضائـه، أو جـزء معـيّن مـن جسـده، وإنمـا يدفعهـا الانبهـار بـه إلى تسريـح النظـر في جميـع محاسـنه: جيئـةً وذهابـاً، وصعـوداً ونـزولاً، دون أن ترتـوي منـه، ثـم هـا قـد أتى الليـل بسـكونه، وآنَ للحصـان أن يبيـت هادئـاً فيـه، وعليـه سَرجـه ولِجامـه، ولكـنّ عـين امـرئ القيـس مـا تـزال ترعـاه، حـتى لكأنـه يبيـت فيهـا، وتـكاد تُطبـق عليـه الأجفـان تعلُّقـاً وإكبـاراً .

V. Observing the Storm (67-78)

The storm scene comes as something of a surprise, for, although not unknown in pre-Islamic poetry, this theme occurs more often in the opening prelude section.

What is further unusual is that the Boast or *fakhr* theme at the end of a heroic *qaṣīdah* most often involves the poet's first person 'I' or tribal 'we' celebrating his own prowess in the hunt or in battle or the power and authority of his tribe (see, for example, the Muʿallaqah of Labīd).

Often, too, the *fakhr* will be very graphic in its battle-details and record the proper names of those for whom or from whom vengeance is sought (see, for example, the Muʿallaqah of ʿAntarah).

By contrast, in the majestic storm scene that concludes the Muʿallaqah of Imruʾ al-Qays, the poet presents himself as merely an observer of a cataclysmic natural event.

The storm takes on the mythic proportions, like the flood of the Gilgamesh epic or of Noah, with intimations of the cosmic or the divine, wreaking destruction (lines 71 and 73), but also bringing new and purified life, as the fabric-laden bags of the Yemeni trader are understood to indicate the fresh herbage that springs up after a desert storm (line 76).

The two closing lines of the Muʿallaqah create an image of purification and pollution: the effusive and uninhibited song of the 'inebriate' birds suggest spiritual salvation (line 77) while the bloated corpses of drowned beasts suggest the mortality of the flesh and its desires (line 78).

اللوحة السادسة
وصف المطر والسيل، والنظرات الأخيرة للطبيعة

٦٧. أَصَاحِ تَـرَى بَـرْقاً أُرِيْـكَ وَمِيْضَهُ ... كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّـلِ

٦٨. يُضِيءُ سَنَاهُ أو مَصَابِيحِ رَاهِبٍ ... أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ المُـفَـتَّلِ

٦٩. قَعَدْتُ لَهُ وصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ ... وبَيْنَ العُذَيْبِ بُعْدَ ما مُتَأَمَّلِي

٧٠. عَلَى قَطَنٍ بِالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ ... وأَيْسَـرُهُ عَلَى السِّتَـارِ فَـيَـذْبُـلِ

٧١. فَأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ ... يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

٧٢. ومَرَّ عَلَى القَـنَانِ مِـنْ نَـفَـيَانِـهِ ... فَأَنْـزَلَ مِنْهُ العُصْمَ مِـنْ كُلِّ مَـنْـزِلِ

هـذه هـي اللوحـة الأخـيرة في المعلَّقـة، وكأنمـا أراد امـرؤ القيـس أن يربطهـا باللوحـة الأولى حيـث بـدأ، وأن يعطـف خاتمتـه عـلى فاتحتـه، فهـا هـو ذا يعـود إلى أصحابـه الذيـن تركهـم عنـد الأطـلال في مستهلّ القصيـدة، ولكـنّ المشـهد قـد تغـيّر الآن تمامـاً: مـن البـكاء الغـزلي عـلى الأطـلال، إلى التأمُّـل المنبهِـر بالطبيعـة، وهـا هـو يدعـو أحـد أصحابـه كي يـتراءى معـه وميـض البـرق البعيـد، فالسـماء مُنـذِرة بمطر غزيـر، والـبرق يـضرب بسـوطه المـضيء السـحاب المتراكـم الـذي يدنـو مـن الأرض، ويبحـث امـرؤ القيـس -كعادتـه- عـن تشـبيه يجسِّـد صـورة هـذا السـوط الفـضّي الـذي يقطِّـع أحشـاء الغيـوم، فيقـوده التخييـل إلى تشـبيه وميـض البـرق المرتعِـش بصورتـين: الأُولى: صـورة حركـة اليديـن المضطربـة عنـد تقليبهمـا بسرعـة، والأخـرى: صـورة الفتيـل المتراقـص بالضـوء في مصبـاح الراهـب الـذي يجتهـد في إبقـاء الضـوء متّقـداً عـبر إمالـة الزيـت باتجـاه الفتيلـة المشـتعلة، وهـذه هـي المـرة الثانيـة الـتي يسـتحضر فيهـا امـرؤ القيـس صـورة مصبـاح الراهـب في معلَّقتـه، فقـد سـبق لـه أن شـبّه وجـه محبوبتـه المتـلألئ وسـط الظلمـة بمصبـاح الراهـب المتبتِّـل، وفي لاميتـه الأخـرى نـراه يعيـد اسـتدعاء هـذه المصابيـح الدينيـة مـن جديـد:

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها ... مصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

اللغة:
أَصَاحِ: الهمـزة للنـداء، **وصـاحِ:** ترخيـمٌ لكلمـة: صاحـب. **وَمِيـض:** لمـع الضـوء. **كلمْـع اليديـن:** أي كحركـة اليديـن عنـد تقليبهمـا بسرعـة. **حَبِـيّ:** مـا حبـا مـن السحاب، أي برز ودنا من الأرض. **مُكَلَّـل:** متراكـم بعضـه فـوق بعـض. **السَّـنا:** الضـوء. **السَّـليط:** الزيـت أو الدهـن الـذي يُوقَـد بـه المصبـاح. **الذُّبـال:** جمـع ذُبالـة، وهـي الفتيلة. **الـمُفتَّل:** المشـدود. **ضَـارِج:** اسـم لأكـثر مـن موضـع، والراجـح أنـه الواقـع في حـيّ الشُّـقَّة بمدينـة بريـدة بالقصيـم. **العُذَيـب:** الأظهـر أنـه غـير عُذيـب العـراق المشـهور، وأن المقصـود بـه مـا يُسـمَّى الآن: الـمَعذب ضمـن خُبُـوب مدينـة بُريـدة. **بُعْـدَ مـا مُتأمَّـلي:** أي يـا بُعْـدَ مـا تأمّلتُـه، يريـد أنّ تشـوّفه للـبرق كان مـن مـكان بعيـد. **قَطَـن:** اسـم جبـل أحمـر متـلألئ يقـع في شـمال بلـدة (عقلـة الصقـور) بالقصيـم. **الشَّـيْم:** النظـر إلى البـرق والمطـر ليُعلَـم أيـن همـا. **الصَّـوْب:** المطـر. **السِّـتار:** اسـم مشـترك لعـشرة جبـال عـلى امتـداد الجزيـرة العربيـة، وأقـرب هـذه الجبـال للمواضـع السـابقة الـتي وصفهـا امـرؤ القيـس: جبـل يقـع بالقـرب مـن بلـدة (رويضـة العـرض) التابعـة لمدينـة القويعية.**يذْبُـل:** هضـب أحمـر عظيـم يشـتمل عـلى قِمَـم متفرقـة أعلاهـا مـا يُعـرَف الآن باسـم: جبـل صَبْحـا، ويقـع شـمال حصـاة قحطـان إلى الجنـوب الشرقي مـن مدينـة القويعيـة. **يسُـحُّ:** يصُـبّ. **كُتَيفـة:** جبـل صغـير يقـع شـمال غـرب القصيـم. **يكُـبُّ عـلى الأذقـان:** أي يقلـع الشـجر ويقْلبـه. **دَوح:** جمـع دَوحـة، وهـي الشـجرة الكبـيرة ذات الفـروع الممتـدة والمتشـعِّبة. **الكَنَهْبَـل:** الشـجر العظيـم. **القَنـان:** اسـم جبـل يقـع في الشـمال الغـربي مـن القصيـم، ويُسـمَّى الآن: الموشَّـم. **نَفَيَـان:** المـاء المتطايـر مـن السـيل. **العُصْـم:** جمـع أعصـم، وهـو مـن الحيـوان مـا كان في ذراعيـه بيـاض، وسـائر جسـمه بلـون داكـن، والمقصـود بـه هنـا: الوعْـل (تيـس الجبـل).

67. Friend, can you see lightning? Look,
there is a faint gleam,
Like two hands flashing
in the cumulus' high crown.

68. Its flash lights up the sky—or like
the sudden flare of a monk's lamp
When, tilting it, he soaks
the twisted wick with oil.

69. I sat with my companions
between Dārij and ʻUdhayb.
How distant was the storm
at which I gazed!

70. Over Mount Qatan, as I read the signs,
the right flank of its downpour falls,
Over Mount Sitār, then Mount Yadhbul,
falls the left.

71. By late morning it began pouring down its rain
around Kutayfah,
Overturning the lofty kanahbal-trees
upon their beards.

72. As the fringes of its rain passed
over Mount Qanān
They drove white-footed goats
down every path.

وهـذا كلـه تكـرار لافـت برمزيتـه الدينيـة عنـد شـاعر كان يديـن عـلى الأرجـح -كشـأن معظـم العـرب آنـذاك- بالوثنيـة.

ثـم يكشـف امـرؤ القيـس الحـدود المكانيـة لهـذا المطـر المنهمِـر، فقـد كان هـو وأصحابـه بـين موضعَـي: ضـارج، والعُذيـب، وإنـه ليتعجّـب مـن قدرتـه عـلى تشـوُّف الغيـم المسـتهِلّ مـع بُعـد مكانـه عنـه، وهـو يقـدِّر بالنظـر أن المطـر قـد امتـدّ يميناً إلى جبـل قَطَـن، بينمـا امتـدّ يسـاراً إلى جبـلي: السِّـتار، ويَذْبُـل، فهـو مطـر حافـل إذن، وهـذا مـا يفسِّـر الانقـلاب الـذي حـدث في الصحـراء بأشـيائها وأحيائهـا بعـد هطولـه.

يلتفـت الشـاعر بعـد ذلـك إلى المـكان مـن حولـه، وقـد تغـيَّرتْ هيئتـه ونواميسـه بفعـل المطـر الغزيـر، فقـد تكـوّن سـيل عظيـم حـاصر جبـل كُتيفـة، وجـرف كلّ مـا يعـترض طريقـه، فاقتلـع الأشـجار الكبـيرة مـن جذورهـا، وقلبهـا رأسـاً عـلى عقِـب، ثـم مـا انفـكّ يرشـق جبـل القَنـان بمياهـه المندفعـة والمتطايـرة، حـتى إن الوعـول الـتي تلـوذ عـادةً بالجبـال قـد أصابهـا الاضطـراب مـن هـذا الهيجـان المـائي الكبـير، فنزلـتْ تستكشـف ملامـح الخطـر وسُـبُل النجـاة.

مشهد الطوفان

٧٣. وتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ ولا أُطُماً إلَّا مَشِيْداً بِجَنْدَلِ
٧٤. كَأَنَّ أَبَاناً في عَرَانِيْنِ وَبْلِهِ كَبِيْرُ أُنَاسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ
٧٥. كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ والغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ
٧٦. وأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَبِيْطِ بَعَاعَهُ نُزُوْلَ اليَمَانِيْ ذِي العِيَابِ المُحَمَّلِ
٧٧. كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافاً مِنْ رَحِيْقٍ مُفَلْفَلِ
٧٨. كَأَنَّ السِّبَاعَ فِيْهِ غَرْقَى عَشِيَّةً بِأَرْجَائِهِ القُصْوَى أَنَابِيْشُ عُنْصُلِ

يواصل امرؤ القيس رسم هذه اللوحة الأخيرة والوداعية من معلّقته، ويستمر في عرض مشاهد الطبيعة المتداعية جرّاء هطول المطر الغزير والسيل الجارف الناتج عنه، فقد طال هذا السيل بلدة تيماء، فلم يترك فيها شجراً ولا بناءً على حاله، ولم يتمكن من مقاومته سوى البيوت التي أُحكِم بناؤها بالجِص والصخور المتينة، وبمشهدية (طُوفانية) يعرض الشاعر صورة مزدوجة لالتقاء الماء بين مطر السماء المنهمر وسيل الأرض المندفع، فهذا جبل أَبَان المحاصر بالمياه من فوقه ومن تحته يبدو من بعيد وكأنه شيخ طاعن في السنّ متشبّث بمكانه، ومتزمّل ببُردته؛ كما هو شأن الشيوخ عادةً في حرصهم على التدثّر والتزمّل، وها هي تلال المجيمر وقد حاصرها السيل وأحاط بها الحُطام المنجرف من كل جهة، فكأنها خشبة المِغزل التي تُحيط بها الخيوط من كل جانب.

ثم يلتفت امرؤ القيس إلى ما صنعه المطر والسيل بصحراء الغبيط الممتدة، فقد دبّت الحياة في الأرض، وبدأ العشب الأخضر بالظهور، وتفتّحتْ صنوف الأزهار بألوانها الزاهية، ويذكّره هذا المشهد البهيج بمشهد آخر عامر بالألوان، حين ينزل التاجر اليماني بأوعيته الثمينة، لينشر على الأرض ما فيها من أمتعة نفيسة وثياب مزركشة، وتصنع بهجة المكان عملها حتى في الطيور العابرة، وإنك لترى طائر المُكّاء الصغير الذي لا يغرِّد إلّا في موسم الخِصب وقد استخفّ به الطرب لهذا التبدّل

اللغة:
تيماء: بلدة تقع بين المدينة المنورة وتبوك، وهي أقرب إلى تبوك. **أُطُم:** البيت المسقوف. **مَشِيد:** مبْنيّ بالشِّيد، وهو: ما يُطلَى به البناء من جِصّ ونحوه. **الجَنْدل:** الصخر. **أَبَان:** جبل معروف في نجد يقع غرب مدينة الرسّ بمنطقة القصيم، وكثيراً ما يُثنَّى لأنهما جبلان متجاوران. **عَرانين:** أوائل. **وبْل:** المطر الغزير شديد الوقْع. **كبير أُناس:** شيخ طاعن في السن. **بجاد:** كِساء مخطّط. **مُزَمَّل:** مُدثَّر ومُلْتفّ، وكلمة (مزمّل) مجرورة لمجاورتها كلمة (بِجاد)، وحكمها الأصلي: الرفع؛ لأنها نعت لـ(كبيرُ أناس). **ذُرَى:** جمع ذُروة، وهي أعلى الشيء. **المُجيمِر:** جبل أسود صغير ما يزال محتفظاً باسمه، ويقع في أعلى وادي مبهل الذي يصبُّ في وادي الرمّة بمنطقة القصيم. **الغُثَّاء:** بتشديد الثاء وتخفيفها: كلّ ما يحمله السيل من التبن والحشيش وحطام الشجر. **فَلْكة مِغْزَل:** الرأس الخشبي المستدير في أعلى المِغزل. **الغَبيط:** اسم موضع، وكلّ أرض منخفِضة فهي غَبيط. **البَعَاع:** الثِّقل المحمول. **العِياب:** جمع عَيبة، وهي: وعاء تُوضع فيه الثياب والأمتعة. **مَكَاكِيّ:** جمع مُكّاء، وهو طائر كثير الصفير. **الجِواء:** اسم منطقة متعددة القُرى بالقرب من مدينة بريدة بالقصيم، وقاعدة هذه القُرى بلدة العيون التي تُسمّى: عيون الجِواء، وكلّ وادٍ واسع فهو جِواء. **غُدَيّة:** تصغير غداة أو غُدْوة، وهو أول الصبح. **صُبِحْن:** من الصَّبُوح، وهو: شُرب أول النهار. **السُّلاف:** أول ما يُعصَر من الخمر. **رحيق:** صفوة الخمر وخالصه. **المُفَلْفَل:** الذي أُلقيتْ فيه توابله. **السِّباع:** الحيوانات المفترسة. **الأرجاء:** النواحي. **القُصْوى:** البعيدة. **أنابيش:** جمع أنبوش، وهي: عروق النبات وجذوره، سُمِّيتْ بذلك لأنها تُنبَش من الأرض بفعل المطر أو الإنسان. **العُنْصُل:** البصل البرّي، وهو نبات شديد الحموضة.

73. In Tayma' Oasis it did not leave
a single palm trunk standing
Nor a single stronghold but those
of gypsum-plastered stone.

74. As if Mount Abān in the first rains
of the storm
Were a tribal chieftain wrapped
in a striped cloak.

75. As if the peak of Mount Mujaymir
in the morning
Ringed with dross left by the torrent
were wool on a spindle.

76. The storm set down its burden
on the desert of Ghabīt
Like a Yemeni merchant alighting with
his fabric-laden bags.

77. It was as if the song-birds of the valley
at daybreak
Had drunk a morning draught
of fine spiced wine,

78. As if the wild beasts drowned at evening
in its remotest reaches
Were wild onions'
plucked-out bulbs.

الرخـيّ في الأجـواء والألـوان، فـراح منـذ الصبـاح الباكـر يصـدح بغنائـه مبـدّداً سـكون المكان، وإنـه ليواصـل غنـاءه الطـروب دون كلـل، حـتى ليُخيَّـل إليـك أنـه سُـقي قدحـاً مـن الخمـر، فـسرتْ رعشـة الانتعـاش في دمائـه وأوصالـه.

وتنتهـي هـذه المعلَّقـة دون أن تنـسى ضحايـا هـذا السـيل الجـارف، فهـا هـي ذي السـباع الـتي غرقـتْ فيـه تطفـو الآن ميّتـة في نواحيـه القصيّـة، سـابحةً مـع التيـار الجامـح دون حـراك، وقـد بـدتْ فـوق الميـاه أطرافهـا وأرجلهـا، ملطّخـةً بالطـين والمـاء الكـدِر، وكأنهـا جـذور البصـل الـبرّي حـين تُنبَـش وتُقتلَـع مـن الأرض.

هـذه هـي اللوحـة الختاميـة للمعلَّقـة، وهـي مـن النهايـات الآسِرة الإيقـاع، لقـد ظـلّ امـرؤ القيـس يقـول فيهـا: كأنَّ.. كأنَّ.. كأنَّ.. وكأنّـه يُلقـي نظراتـه الأخـيرة إلى الوجـود، متشـبثاً بـكل صـورة يراهـا تنبـض أمامـه بالحيـاة، وكأنهـا قـارب نجـاة مؤقَّـت مـن الفنـاء المحقَّـق. ومـن اللافـت للنظـر أن الشـاعر في هـذه الأبيـات القليلـة الـتي تتكـوّن منهـا اللوحـة الأخـيرة قـد ذكـر أسـماء اثـني عـشر موضعـاً مـن المواضـع الـتي تشـكِّل مـسرح هـذا السـيل العظيـم، ويذكِّرنـا هـذا الحشـد الكبـير مـن أسـماء الأماكـن بحشـد مماثـل مـرّ بنـا في البيتـين الفاتحـين لهـذه القصيـدة، فقـد ذكـر فيهمـا -عـلى ضِيـق مسـاحة التعبـير- أسـماء خمسـة أماكـن، وهـذا رابـط معنـويّ ونفـسي آخـر بـين خاتمـة المعلَّقـة وفاتحتهـا.

تُـرى هـل يكـون هـذا الحشـد اللافـت لأسـماء الأماكـن في فاتحـة المعلَّقـة وخاتمتهـا ضربـاً مـن الطقـوس والغنـاء الشـعائري يُهمْهِـم بـه شـاعر يعلـم أن لا حيلـة لـه أمـام حركـة الزمـان الـتي تُفـني عمـره وتهـدم جسـده سـوى أن يغـرس روحـه في سـكون المـكان، متجـذِّراً في الأرض وممتـدّاً فيهـا، مـا بقيـتْ أسـماء بِقاعهـا وبواديهـا؟

The storm scene is so sublime that it admits of any number of readings.

Is the storm that washes away pollution and leaves the song-bird—the poet—revived and purified a metaphor for blood vengeance that leaves the avenger relieved of his burden and pure (*ghasl al-dam bi-al-dam*)?—a suitable, perhaps necessary, closure to a poem of *fakhr*? Or has Imruʾ al-Qays so abstracted and elevated his imagery that we can read it, not as the boast of an individual, but as a universal spiritual message?

المعلقات

طرفة بن العبد

Ṭarafah ibn al-ʿAbd

المتمرد وفلسفة الحياة والموت

Rebellion and Philosophy of Life and Death

The Muʿallaqah of Ṭarafah ibn al-ʿAbd
Rebellion and Philosophy of Life and Death

Introduction and Translation by: Huda Fakhreddine

معلَّقة طَرَفة بن العبْد
التَمَرُّدُ وفَلْسَفَةُ الحَيَاةِ وَالمَوْتِ

مقدمة وشرح: سامي بن عبدالعزيز العجلان

هـو طَرَفـة بـن العَبْـد بـن سـفيان بـن سـعد بـن مالـك مـن قبيلـة بَكْـر ابـن وائـل مـن ربيعـة، وقيـل: إنّ اسـمه عمـرو، وإنمـا سُـمِّي: طَرَفـة لبيـتٍ قالـه. وُلِـد في هَجَـر شرق الجزيـرة العربيـة لأسرة كريمـة النسـب، وفقـد والـدَه في سـنّ مبكِّـرة، فنشـأ يتيمـاً، وجـارَ أعمامُـه عليـه وعـلى والدتـه: وردة، فمنعوهمـا حقَّهمـا مـن مـيراث والـده.

وربمـا كان هـذا أحـد البواعـث المبكِّـرة لتمـرُّده عـلى بعـض الأعـراف القبليـة، بالإضافـة إلى مـا جُبِـل عليـه مـن جـرأة في القـول والسـلوك، وهـي الجـرأة الـتي جعلـت الـرواة العـرب يتناقلـون قصصـاً كثـيرة عـن اندفاعـه غـير المحسـوب تجـاه بعـض السـادة مـن قومـه. بـل طـالَ تمـرُّده أيضـاً ملـوكَ المنـاذرة: اسـتهانةً بهـم، وهِجـاءً لهـم، وقـد أدّى هـذا -بحسـب مـا يذكـر الـرواة- إلى مقتلـه شـاباً بأمـرٍ مـن ملـك الحِـيرة: عمـرو بـن هنـد، في حكايـة مُثـيرة وأسـطورية الطابـع اشـترك معـه فيهـا خالـه المتلمِّـس: جريـر بـن عبدالمسـيح الـذي نجـا مـن القتـل بأعجوبة.[1]

أمّـا منزلـة طرفـة الشـعرية، فقـد جعلـه ابـن سـلام الجمحـي في الطبقـة الرابعـة مـن الشـعراء الفحـول، ثـم اسـتدرك عـلى نفسـه فقـال عـن شـعراء هـذه الطبقـة: "موضعهـم مـع الأوائـل، وإنمـا أخـلَّ بهـم قِلَّـة شـعرهم بأيـدي الـرواة"،[2] ثـم خـصّ شـاعرنا بقولـه: "فأمَّـا طرفـة فأشـعرُ النـاس واحـدةً، وهـي قولـه: لِخَولـةَ أطـلالٌ... وتليهـا أخـرى مِثلهـا، وهـي: أصحـوتَ اليـومَ أم شـاقتْكَ هِـرّ... ومِـن بعـدُ لـه قصائد حِسـانٌ جِيـاد".[3]

ونقـل ابـن قتيبـة تقديـر الشـاعر لَبيـد بـن ربيعـة لطرفـة، حـتى قدَّمـه عـلى نفسـه، وجعلـه تاليـاً لامـرئ القيـس في المنزلـة الشـعرية، وسـمّاه: ابـن العشريـن؛ لأنـه مـات شـاباً، ثـم راح ابـن قتيبـة يسـتعرض شـواهد تميـزه وابتكاراتـه الشـعرية.[4]

وسـيكرر الأدبـاء والنقـاد اللاحقـون هـذه الالتفاتـة المرتبطـة بالمـوت المبكِّـر لطرفـة الـذي حـالَ دون تمـدُّد عبقريتـه الشـعرية، ومنهـم: بديـع الزمـان الهمـذاني الـذي قـال عـلى لسـان أبي الفتـح الإسـكندري حـين سُـئل عنـه في (المقامـة القريضيـة): "هـو مـاء الأشـعار وطِينتُهـا، وكـنز القـوافي ومدينتُهـا، مـاتَ ولـم تظهـر أسرار دفائنـه، ولـم تُفتَـح أغـلاق خزائنـه ".[5]

(١) للتوسـع في أخبـار طرفـة بـن العبـد والحكايـات الـتي تناقلهـا الـرواة عـن حياتـه وظـروف مقتلـه، ورثـاءِ الخِرنـق - وهـي أختـه مـن أمـه - لـه، وبكائهـا عـلى شـبابه انظـر: الشـعر والشـعراء لابـن قتيبـة ١٨٥/١-١٨٩، وشرح القصائـد السـبع الطـوال لأبي بكـر الأنبـاري: ١١٥-١٣٢، والأغـاني للأصفهـاني ٢٣١/٢٤-٢٣٣، ٢٤٥-٢٤٦. وعـن رأي طـه حسـين في حكايـة مقتـل طرفـة انظـر: في الأدب الجاهـلي: ١٩٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء ١٣٧/١.

(٣) المصدر السابق ١٣٨/١.

(٤) انظـر: الشـعر والشـعراء لابـن قتيبـة ١٨٩/١-١٩٦.

(٥)مقامات بديع الزمان الهمذاني: ٩، وانظـر هـذه الالتفاتـة أيضـاً في مسـائل الانتقـاد لابـن شرف: ٦٤، والعمـدة لابـن رشـيق ٢١٦/١.

Ṭarafah is ʿAmr b. al-ʿAbd b. Sufyān of Qays b. Thaʿlabah, a branch of the tribe Bakr b. Wāʾil. He comes from a long line of celebrated poets among them al-Aʿshā, both al-Muraqqish the elder and the younger, and al-Mutalammis, his maternal uncle who appears in the accounts on Ṭarafah's death. His sister al-Khirniq also composed poetry. He is often described as the youngest of the notable poets of his time because he rose to a respected high rank before he was killed in his early twenties, at most.

Central to the events of his life are his disputes with his family. An incident with his brother Maʿbad, whose camels were confiscated by another tribe, is often narrated in the accounts. When Ṭarafah resorted to his cousin Mālik for help in retrieving the herd, he was turned down and disappointed.

The various accounts of his life depict him as blindly loyal to and trusting of his kin even when there is good reason to be wary. Ṭarafah hoped for assistance from ʿAmr b. Hind, the Lakhmid ruler, but past injuries and slights from the young poet had left ʿAmr b. Hind with a grudge. Nevertheless, ʿAmr promised Ṭarafah and his uncle al-Mutalammis support and reward, and sent them to his deputy in Bahrain, giving each a sealed letter.

On the way, al-Mutalammis became suspicious and broke the seal to find out that he was carrying his own death sentence. Still, Ṭarafah remained confident that ʿAmr b. Hind could not have possibly betrayed him. He arrived in Bahrain and met his death. His persona, in the lore created around it, is that of precocious confident idealist who is plagued by recurrent disappointments and bitter self-lament.

المعلَّقة

هـذه القصيـدة الداليـة لطرفـة هـي أطـول المعلَّقـات العـشر وأكثرهنَّ عـددَ أبيـات، فقـد تجـاوزتْ مئـة بيـت في جميـع رواياتهـا المعتبَـرة، ووصـل عـدد أبياتهـا عنـد أبي زيـد القـرشي في (الجمهـرة) إلى ١١٥ بيتـاً؛ ولكـنّ روايـة القـرشي للمعلَّقـات بعامـة لا تـكاد تخلـو مـن تزيُّـد واسـتكثار.

وقـد اجتهـدتُ في تحقيـق مـتن المعلَّقـة بالرجـوع إلى روايـة الأعلـم الشـنتمري لديوانـه، مـع المقارنـة بالروايـات الموثوقـة للمعلّقـة المنقولـة عـن الأصمعـي والـرواة المتقدمـين، وهـي الروايـات الـتي اعتمدتْهـا شروح القصائـد الطـوال لأبي بكـر الأنبـاري، وأبي جعفـر النحـاس، وغيرهمـا مـن الـشرَّاح الذيـن سـبقتْ الإشـارة إليهـم في شرح معلّقـة امـرئ القيـس.

واسـتبعدتُ مـن هـذا المـتن لمعلَّقـة طرفـة بيتـين يحـوم الشـكُّ حـول نسـبتهما لـه، فالبيـت الأول هـو قولـه: (ذَريـني أُروِّي هَامَـتِي في حياتهـا...)، وقـد نقـل أبـو بكـر الأنبـاري في شرحـه عـن أبي جعفـر أنـه مدخـول عـلى القصيـدة[٦]، والبيـت الآخـر هـو قولـه: (مـتى مـا يَشَـأْ يومـاً يَقُـدْهُ لِـحَتْفِهِ...)، فلـم يـرِدْ هـذا البيـت عنـد معظـم شُراح المعلَّقـة، وهـو لا يـكاد يُضيـف شيئـاً إلى مـا قبلـه[٧]، هـذا إذا لـم نقـل: إنـه أضعـفَ بالـشرح والتفصيـل قـوةَ التصويـر في البيـت السـابق لـه، وهـو قـول طرفـة: (لَعَمْـرُكَ إنّ المـوتَ مـا أخطـأ الفـتى...).

وهنـاك بيتـان آخـران في المعلَّقـة شـكّك بعـض الـرواة والـشرّاح أيضـاً في نسـبتهما لطرفـة؛ ولكـني رجّحـتُ إبقاءهمـا في المـتن والـشرح؛ لشـيوع نسـبتهما إليـه، ولورودهمـا في جُـلّ شروح المعلَّقـات، ولأنهمـا أضافـا دلالـة ذات قيمـة نوعيـة، وليسـا كالبيتـين المسـتبعَدين اللذيـن كانـا أقـرب إلى التكـرار، ومـع هـذا فقـد التزمـتُ التنبيـه في هـذه المقدمـة عـلى مـا ورد مـن التشـكيك في نسـبتهما، وهـذان البيتـان همـا أولاً قولـه: (وظُلْـم ذوي القُـربى أشـدُّ مَضاضةً...)،فقـد نقـل أبـو بكـر الأنبـاري وغـيره عـن بعـض الـرواة أن هـذا البيـت ليـس مـن المعلَّقـة، وإنمـا هـو للشـاعر عـديّ بـن زيـد العبـادي.[٨]

(٦) انظـر: شرح القصائـد السـبع الطِّـوال لأبي بكـر الأنبـاري: ١٩٨.

(٧) توقـف طـه حسـين عنـد هـذا البيـت، ورأى أنـه: ليـس مـن شـعر طرفـة في أكـبر الظـن وإنمـا هـو تفسـير لمـا سـبقه، انظـر: حديـث الأربعـاء ٨٠/١.

(٨) انظـر: شرح القصائـد السـبع الطـوال لأبي بكـر الأنبـاري: ٢٠٩، وشرح القصائـد العـشر للخطيـب التبريـزي: ١٨٨.

The Poem

A degree of skepticism surrounds the authenticity of Ṭarafah's poem. The available versions of the poem differ in order and content considerably. Moreover, the fact that the poem corroborates many of the events from the *akhbār* about the poet's life and death hints at likely interventions or reconstructions of the poem and the poet's biography by medieval redactors and commentators.

The poem opens with an elegiac prelude (verses10-1) in memory of the beloved Khawlah and her people. When memory overwhelms the poet and "grief sets in," he sets out on the desert journey (44-11), which consists primarily of a long and detailed description of his she-camel.

And when grief sets in, quick
I ride off on a swift
lean mare that races
day and night.

Ṭarafah's description of his she-camel here has become iconic in Arabic poetry. Not only does he dissect the animal in a photographic portrayal of its parts from all angles, but he also cinematically presents us with dynamic shots of the she-camel in motion: jolting, sprinting, retreating, and responding to commands:

She contends with the light-footed
she-camels and strikes
        hindleg after foreleg
        on the beaten track.

وثانياً قوله: (وأصفرَ مضبوحٍ نظرتُ حِوارهُ...)، فهذا البيت رواه أبو عمرو الشيباني، ولم يروِه الأصمعي وابن الأعرابي كما يقول أبو بكر الأنباري، والخطيب التبريزي[٩]، ولا يعرفه البصريّون كما يقول أبو جعفر النحاس.[١٠]

وآخر هذه الأبيات التي تحتاج إلى بيان هو قوله: (أرى الموتَ أعدادَ النفوس...)، فلم أجد هذا البيت إلّا في رواية الأعلم الشنتمري للديوان[١١]، وممن نسب هذا البيت لطرفة أيضاً الشاعر الأموي جرير؛ بحسب ما نقله أبو بكر الأنباري عن الأصمعي.[١٢] والخلاصة أن النص المعتمَد لهذه القصيدة الدالية التي نُظِمتْ على بحر الطويل يتضمن ١٠٥ أبيات.

وقبل أن ننتقل إلى الشرح التفصيلي لأبيات المعلَّقة سأتوقف عند ظاهرتين بارزتين فيها، أُولاهما: صورة المرأة في معلَّقة طرفة، وفي هذا السبيل يلفت النظر أنّ طرفة حين يتحدث عن المرأة فإنه يكتفي بالوصف الظاهري لها، والرسْم الخارجي لمحاسنها؛ دون أن يأْبَه كثيراً بعوالمها الأعمق، أو حتى بتصوير عواطفه تجاهها، ولولا البيت الثاني في لوحة الاستهلال الطللي الذي استمدّه طرفة من معلّقة امرئ القيس - أو استُمِدّ له - لأمكننا القول: إنّ هذه المعلَّقة – على طولها الذي تجاوزتْ به سائر المعلَّقات - تخلو من شجن النسيب وإلْف التعلُّق والغَزَل.

لن تجد هنا وصفاً للبكاء وفيضان الدموع جرّاء الصبابة والعشق، وهو الوصف الذي لفتَ تواترُه أنظارنا في معلَّقة امرئ القيس، ولا حديثَ هنا عن الحب القاتل، وعن العينين اللتين تضرب بسهميهما أعشار القلب المتيّم، فمهما أمرتْه امتثل، كما أنك لن تجد خطرات زهير اللطيفة التي تتوسّم ظعائن السُّوبان، وتستجْلي أناقة سيرهنّ وفتنة دلالهنّ الناعم المتنعّم، ولن تصادف عشق عنترة الشجيّ، وتولُّهه ببريق السيوف وسط المعركة لأنها تذكِّره بثغر المحبوبة؛ لا شيء من هذا كلِّه، فالمرأة عند طرفة هي حُسن ظاهر وإغواء حسّي مستدرِج، و: قَيْنة تُرفِّه عنه وعن أصحابه بجسدها البَضّ، وصوت غنائها الفاتن، إنها

(٩) انظر: شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري: ٢٢٩، وشرح القصائد العشر للخطيب التبريزي: ١٩٩.

(١٠) انظر: شرح القصائد التسع المشهورات لأبي جعفر النحاس ٢٩٤/١.

(١١) انظر: ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق دربة الخطيب ولطفي الصقال: ٥٨.

(١٢) انظر: شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري: ٢٣١.

[...]
She veers to one side,
plunging forward. Her head large
and her shoulders raised into
a lofty structure.
[...]
Well-tamed, she quickens,
when I wish and slows
when I wish, fearing the stings
of twisted leather.
[...]
On one like this
I set out when my companion says:
in this, my life for yours
and yours for mine,

The poet transitions to a boast portraying himself as a noble, gallant, hedonist, blamed and chastised by his people for his reckless ways (verses 53-54). Ostracized and shunned, Ṭarafah meditates on life's pleasures (verses 58-62), time and mortality (verses 63-68), and most strikingly, the relationship of self and others. In verses 69, he mentions the incident with his cousin Mālik and goes on to oscillate between boasting of his bravery and loyalty and lamenting his lot in life. At the heart of Ṭarafah's poem is the burning sense of self, which is always challenged and contorted in its relationship with others. In his darkest moments, Ṭarafah poses the enduringly urgent question: who am I and what if I were another? (verse 81)

Who we are and who we will become in others' eyes after we are gone are both beyond our control. The poem ends with a bitter surrender to time; to what it will bring and what it will make of us.

The days will reveal to you
what you know not and news
will come to you from one
you least expect.

مجـرّد مسكِّن خارجـي ومؤقَّـت لألـم شـعوره الحـادّ بحتْميـة الفنـاء، ووجعـه الغائـر مـن عجـزه عـن الإجابـة عـن أسـئلة المصـير.

أمَّـا الظاهـرة الأخـرى والأكـثر بـروزاً في معلَّقـة طرفـة، فهـي: هـذا الطـول اللافـت لوصـف الناقـة في المعلَّقـة، فقـد تجـاوزت الأبيـات المرتبطـة بهـذا الوصـف ثلاثـين بيتـاً، أي مـا يقـارب ثلـث القصيـدة، وتميَّزَ هـذا الجـزء مـن المعلَّقـة بالإغـراب في الألفـاظ، والتدقيـق التفصيـلي في رصـد صفـات الناقـة، حـتى يمكـن أن يُعَـدّ هـذا الجـزء وحـده موسـوعة لُغَويـة وثقافيـة عـن الناقـة وأعضائهـا، وصفاتهـا المستحسَـنة عنـد العـرب، وهـذه الـروح التفصيليـة الموغِلـة في الإغـراب اللفظـي تبـدو مُخالِفـة لأسـلوب طرفـة في بقيـة أجـزاء المعلَّقـة، ومـن هـذا المدخـل شـكَّك طـه حسـين في صحـة نسـبة هـذه الأبيـات الممتـدة في وصـف الناقـة إلى طرفـة، ورجّـح أنهـا مـن صنـع بعـض اللغويـين ممـن يرومـون تعليـم النـشْء بعـض المعـارف اللغويـة.[١٣]

ولكـنّ قـراءة طـه حسـين لهـذا الجـزء مـن معلَّقـة طرفـة ومـدى صِلَتـه ببقيـة أجـزاء المعلَّقـة تبـدو وكأنهـا قـراءة موضوعاتيـة وظاهريـة للقصيـدة، فهـو قـد قـرأ الأبيـات الخاصـة بوصـف الناقـة باعتبارهـا (موضوعـاً) مـن الموضوعـات الـتي أُضيفـتْ إلى المعلَّقـة، وليـس باعتبارهـا لوحـة تصويريـة مـن لوحـات المعلَّقـة الـتي يُعـبِّر كلٌّ منهـا -وبالتـوازي- عـن الموضـوع نفسـه؛ وإنْ كان ذلـك بأسـاليب تصويـر مختلفـة.

وهـل كانـت هـذه الناقـة الأسـطورية في صفاتهـا، والمتوعِّـرة في شـدتها وصلابتهـا واحتمالهـا غـيرَ طـوقِ نجـاةٍ لطرفـة الـذي آذاه الضعـف وأذلّتْـه الحاجـة إلى ابـن عمّـه: مالـك بعـد ضيـاع نُوقـه ونُـوق أخيـه مَعبَـد، وكيـف دفعتْـه غِلظـة مالـك معـه وصـدُّه غـير الجميـل لـه إلى أن ينظِـم قصيـدة حافلـة يتغـنّى فيهـا بقـوة شـخصيته وفروسـيته وشـدة بأسـه، ويُضْفـي هـذه القـوة أيضاً عـلى ناقتـه: صِفـاتٍ، وملامحَ تصويريـة، وألفاظـاً منحوتـةً مـن صخـور اللغـة ووديانهـا السـحيقة.

(١٣) انظـر: في الأدب الجاهـلي لطـه حسـين: ١٩٦-١٩٨، وكذلـك كتابـه الآخـر: حديـث الأربعـاء ٦٦/١-٦٨.

أضِفْ إلى هذا أننا في النهاية -وبصرف النظر عن ظروف التكوين- أمام نص توارثتْه الأجيال عبر حِقَب ممتدة، بوصفه أحد النصوص المنتخَبة والنادرة التي بلغتْ مستوى عالياً من النضج والاكتمال، وقد حافظَ على صورته النصّية التي ظهر بها لأول مرة على مدى زمني يتجاوز ثلاثة عشر قرناً على أقلّ تقدير، فلا بدّ للقراءة النقدية أن تحاول تفسير التكوين البنائي لهذا النص الذي ضمِن له هذا البقاء والامتداد والتأثير والخلود، وأن تسعى لكشف بعض الأسرار المعنوية الأكثر تجذُّراً، التي يمكن أن تشِفّ عنها صياغته الشكلية الظاهرة.

فهذه الاستطالة اللافتة من طرفة في وصف ناقته، وطبيعة الأوصاف المثالية التي أسبغها عليها توحيان بأن الأمر يتجاوز الوصف المعتاد عند الشعراء القدامى للراحلة، كأنّ الناقة هنا قد تحولتْ إلى معادل موضوعي لكل رغبات طرفة غير المحقّقة، وآماله العريضة في الحياة المتخيَّلة التي أراد أن يحياها؛ ولهذا كان طرفة "يصِف الناقة كما يريدها أن تكون، لا كما هي كائنة في الواقع المستقلّ عن الوعي، إنها بديل عمّا يُعيق استتباب الحرية، وهذا يعني أنها[١٤] معادلة انفعالية تختزن إسقاطات الأنا على ما يُشبع حاجاتها".

لوحة وصف الناقة إذن هي معرض آخر للتعبير عن الموضوع الأساسي نفسه الذي تعبِّر عنه اللوحات الأخرى في المعلَّقة. هذا يعني أنّ المعلَّقة لا تتضمّن (موضوعات) متعددة، بل لوحات مترادفة تُترجِم بأساليب متنوعة عن الموضوع نفسه.

والتفكُّك لا يكمن في بنية المعلَّقة، بل في بعض الرؤى النقدية المعاصرة التي عجزتْ عن إدراك أسلوب التمثيلات الرمزية المتنوِّعة للمعنى الكلي المهيمِن على أجواء القصيدة.

(١٤) بحوث في المعلَّقات ليوسف اليوسف: ٨، وانظر فيه أيضاً: ٢٦-٣٢.

اللوحة الأولى

الفاتحة الطللية

١. لِـخَولَةَ أَطْـلالٌ بِبُرقَـةِ ثَهْمَـدِ — تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ
٢. وقُوفاً بِها صَحبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ — يَقُولُون: لا تَـهْلِكْ أسىً وتَـجَلَّدِ
٣. كأنَّ حُـدُوجَ المالِكِيَّـةِ غُـدْوةً — خَلايا سَفِيْنٍ بالنَّواصِفِ مِن دَدِ
٤. عَدَوْلِيَّةٌ أو مِنْ سَفِيْنِ ابْنِ يَامِنٍ — يَجُورُ بِهَا المَلّاحُ طَوْراً ويَهْتَدِي
٥. يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيْزُوْمُهَا بِها — كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ بِالْيَدِ

يستهلّ طَرَفة معلّقته بفاتحة طَلَلية ذات منحى خاص، فهي تجمع بين البرّ والبحر، وتنظِم صحراء الجزيرة بشواطئ الخليج العربي، ويطيب لطَرَفة -وهو في موقف الحنين والتذكُّر- أن يعقد موازنة بصرية بين مشهدين متباعدين: مشهد قوافل الإبل التي تقطع الصحراء الممتدة في الصباح الباكر حاملةً فوق ظهورها هوادج المالكيّة وصواحبها، ومشهد السفُن العظيمة وهي تمخُر عُباب الخليج.

ولا يفوت طرفة أن يرصد تشابه الإيقاع في التمايل والاهتزاز بين الهوادج والسفُن، وهي تتهادى في بحر الرمال وزبد الأمواج، وإنه ليُمعِن في هذه الموازنة، حتى ليرى التوافق بين الرحلتين: الصحراوية، والبحرية في ارتباك المسير، وتعثُّر الدليل أو الملّاح في استكشاف الطريق الآمِن، والاهتداء إلى الدرب المسلوك.

كما يرى هذا التوافق يمتدّ أيضاً ليشمل فكرة الرحلة نفسها، فالسفينة العظيمة تشقُّ طريقها وسط البحر، فتقسمه نصفين عن يمينها وشمالها، دون أن تُدرك أيّ جهتي البحر أحفل بالرزق وأكثر أماناً من غوائل الطريق، وحال مقدمة السفينة التي تشطُر البحر شطرين كحال صِبيان الأعراب وسط رمال الصحراء حين يروق لهم أن يلعبوا لُعبة الحياة والقدَر، فيكوّم أحدهم الرمل، ويضع داخله كنزه، ثم يقسم الكومة بيده قسمين ليسأل رفيقه السؤال الماكر الأثير: في أيّ القسمين يختبئ الكنز الدفين؟

اللغة:
خَولة: اسم المحبوبة، وهي امرأة من بني كَلْب. **الأطلال:** جمع طَلَل، وهو ما شَخَص من آثار الديار وبقي بعد رحيل أصحابها. **بُرقة ثَهْمَد: البُرقة هي:** المكان الذي اختلط ترابه بحجارة أو حَصى برّاق، **وثَهْمَد:** هضبة حمراء في نجد حولها مجموعة من الأبارق (جمع بُرقة)، ولم تحتفظ ثَهْمَد باسمها لهذا العهد، ويقدِّر بعض الجغرافيين المعاصرين أنها: هضبة (شِرثة) الواقعة غرب مدينة الداودمي. **تلوح:** تبدو. **الوشْم:** ما يُنقَش بالإبرة على الجِلْد من رسوم وخُطوط. **مَطِيّهم:** المطِيّ جمع مَطِيَّة، وهي الراحلة أو الدابّة التي تُركَب كالإبِل. **أسى:** حزن. **تجلَّدْ:** احتمِلْ وتصبَّرْ. **حُدُوج:** جمع حِدْج، وهو مركب يُوضَع على الجِمال للنساء خاصة. **المالكيّة:** المرأة المنسوبة إلى بني مالك بن سعد بن ضُبيعة. **غُدْوة:** أول النهار. **خَلايا:** جمع خَلِيّة، وهي السفينة العظيمة. **سَفِين:** جمع سفينة. **النواصِف:** جمع ناصِفة، وهي: الرحْبة الواسعة في الوادي. **دَدْ:** اسم وادٍ يقع شرق الجزيرة العربية ويصبّ في مياه الخليج. وفي صياغة البيت تقديم وتأخير، وأصل الترتيب: (كأنّ حُدوج المالكية غُدوةً بالنواصف من ددٍ خلايا سَفِين). **عَدَوْلِيّة:** أي أن هذه السفُن العظيمة منسوبة إلى عَدَولى؛ لأنها تُصنَع فيها، **وعَدَولى:** بلدة تقع شرق الجزيرة العربية على ساحل الخليج. **ابن يامِن:** اسم تاجر أو ملّاح من أهل هَجَر (الأحساء). **يجُور:** يضِلُّ عن طريق السفُن المسلوكة. **طَوراً:** حِيناً. **حَباب:** زَبَد الموج. **الحَيزوم:** صدر السفينة ومُقدَّمها. **المُفايِل:** الذي يلعب لُعبة الفيَال، وهي لعبة لصِبيان الأعراب، إذْ يُكوّمون تراباً ويضعون داخله خبيئاً، ثم يشقّ المُفايِل تلك الكومة من التراب بيده، فيقسمها نصفين، ثم يسأل: في أيّ الجانبين وضعتُ المخبوء؟ فإنْ أجاب المسؤول بالصواب ظفِر، وإنْ أخطأ غُلِب، وقيل له: فَالَ رأيُك.

1. Traces of Khawlah loom
at Burqat Thahmad
like the hints of a tattoo
on the back of a hand.

2. My companions halted
their mounts above me and said:
Toughen up, don't let this grief
do you in.

3. And the departing caravans
of the tribe of Mālik appeared
at dawn like ships
sailing the valley of Dadi.

4. A ship of ʻAdawl or Yemen,
its sailor now floating astray
and now coming back
to course.

5. Its forepeak
parts the water as it pushes forth
like a child's hand plowing
through soil.

ربما من أجل هذا التماثل العميق بين البحر والصحراء كان طرفة يرى روح الماء الرملية تكتسح كلّ ما حوله، وتمحو كلّ أثر يعترض طريقها، وتُغرقه في عالم النسيان، ومن هنا استهلّ نقراته الأولى في معزوفته الخالدة بما بدا له أنه قانون الحياة: المحو الذي لا يُبقي ولا يذر، وها هي أطلال محبوبته خولة تكاد تتلاشى وسط هذه الهضبة النجدية الحمراء، فلم يبقَ منها سوى رُسوم بالية، وبقايا باهتة تبدو وكأنها أثر ضئيل لوشْمٍ عفا عليه الزمن.

ولا نملك أن نغادر هذه اللوحة الاستهلالية من المعلَّقة دون أن نتوقف عند البيت الثاني منها، فقد جاء متطابقاً مع البيت الخامس في معلَّقة امرئ القيس؛ باستثناء كلمة القافية، وهو البيت الذي يبدأ بقوله: (وقوفاً بها صَحبي...)، فهل يعود هذا التماثل بين البيتين إلى وهْم الرواة، أم هو مجرد شاهد إضافي لظاهرة السرقات الشعرية، أي أن طرفة -وهو المتأخِّر زمناً- أغار على بيت امرئ القيس، واجتلبه لمعلَّقته نَسْخاً؛ كما يذهب إلى ذلك بعض نُقّادنا القدامى؟

ربما كان أفضل تفسير لهذا التوافق بين بيتي امرئ القيس وطرفة هو ما قدّمه ابن سلام الجمحي، فقد جعله من باب استزادة الشاعر من شعر غيره؛ كالـمَثَل إذا جاء موضعه، وقد تفعل ذلك العرب لا يريدون به السرقة.

أي أن طرفة استمدّ هذا البيت المشهور لامرئ القيس على سبيل التضمين والاستشهاد بالمثل السائر، لا على سبيل الإغارة والسرقة.

اللوحة الثانية

المرأة الناعمة

٦. وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِـرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ
٧. خَذُوْلٌ تُرَاعِي رَبْـرَباً بِخَمِيْلَةٍ تَنَاوَلُ أَطْرَافَ البَرِيْرِ وتَرْتَدِي
٨. وتَبْـسِمُ عـن أَلْمَى كَأَنَّ مُنَـوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِي
٩. سَـقَتْهُ إِيَاةُ الشَّـمْسِ إِلَّا لِثَاتِـهِ أُسِفَّ ولَـمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْـمِدِ
١٠. ووَجْهٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَها عَلَيْـهِ نَـقِيُّ اللَّـونِ لَـمْ يَتَخَـدَّدِ

يواصل طرفة في هذه اللوحة الثانية الحديث عن المرأة، ولكنه الحديث الذي يكتفي بالوصف الظاهري لها، والرسْم الخارجي لمحاسنها؛ دون أن يحفل كثيراً بتصوير عواطفه تجاهها، ففي منازل القبيلة امرأة جميلة يفضِّل طرفة أن يسرد محاسنها بأسلوب غير مباشر، فيصوِّرها بهيئة ظبي أسود العينين فتيّ الشباب يتوغل في شجر الأراك، وينفُض أغصانه بقرنيه الناعمين ليلتقط ثمره، ثم يضيف طرفة صورة هي ألصقُ بالمرأة، فهي تلبس قلادتين من اللؤلؤ والزبرجد.

وتدفعه هذه الزينة الأنثوية لتأنيث حكايته عن الظبي بينما يواصل سردها، فهي الآن ظبْية ترعى في أرض ليّنة متشابكة الأشجار، وقد خذلتْ صواحبها من الظباء، فابتعدتْ قليلاً عنهنّ؛ لتُعنَى بصغيرها، وإنْ كانت ما تزال تمدّ عنقها كلّ حين لترنو إلى بقية الظباء؛ حتى لا تبتعد كثيراً عن السِّرب، فهي إذن كثيرة التلفّت موزّعة النظرات بين صغيرها، وبقية القطيع، وثمر الأراك، ولم يفُت وصف طرفة لهذه الظبية بأنها (خَذول تُراعي القطيع) على الشرّاح القُدامى، فقد استنتجوا منه ما يدلُّ على مزيد حُسنها، فانفرادها عن القطيع يُبرز جمالها، وتتابُع التفاتاتها يُظهِر دلال انعطافها وفِتْنة نظراتها.

ثم هي في أثناء ذلك تتناولُ أطراف شجر الأراك، فتضع يديها على ساق الشجرة، وتمدُّ عنقها، لتلتقط الثمار المرتفعة من الأغصان، وفي هذا التصوير إشارة إلى طول عنق المرأة المقصودة بهذا

اللغة:

الحيّ: منازل القبيلة. **أحْوَى:** أسود العين، وهو وصف للظبْي الذي تُشبّه به المرأة. **ينفُض:** يهزُّ الثمر بقرنيه ليتناوله. **المَرْد:** ثمر الأراك. **شادِن:** صغير الظبي. **مُظاهِر سِمطَيْن:** أي يلبس قلادتين إحداهما فوق الأخرى، والسِّمط هو الخيط الذي تُنظَم فيه الجواهر. **زَبَرْجَد:** حجر كريم يُشبِه الزُّمرُّد، له ألوان كثيرة أشهرها الأخضر. **خَذُول:** وصف للظبْية أو للبقرة الوحشية لأنها تخذل صواحبها وتتخلف عنهم لتقيم مع ولدها. **تُراعي:** تُراقِب وتُتابِع. **رَبْرب:** القطيع من الظِّباء وبقر الوحش. **خَميلة:** الأرض اللَيِّنة ذات الأشجار الكثيفة المتهدِّلة. **تَناوَلُ:** أصلها: تَتَناوَلُ، حذف إحدى التائين ليستقيم الوزن. **البَرير:** ثمر الأراك. **ألْمَى:** أسمر الشفة أو اللثة، وهو وصف للثغر. **مُنَوَّر:** متفتِّح، وهو وصف لزهر الأقحوان. **تخلَّل:** توسَّط. **حُرّ الرمل:** خالصُه ونقيُّه وأحسنه لوناً. **دِعْص:** كثيب من الرمل. **نَديّ:** رَطْب مبْتلّ. **إياةُ الشمس:** ضوؤها. **لِثات:** جمع لِثة، وهي مغارز الأسنان وما يحيط بها. **أُسِفّ بإثْمِد:** أي ذُرّ عليه الإثمِد، وهو الكُحل. **لم تَكْدِم عليه:** أي لم تُحدِث فيه كَدمة بعَضٍّ شديد أو بأكل الأشياء اليابسة والغليظة، بل تكتفي بأكل الناعم اللَيّن. **حلّتْ رِداءها:** ألقتْه عليه. لم **يتَخَدَّد:** لم يتغضّن جلده ولم تظهر فيه التجاعيد.

6. In the tribe is a gazelle
dark-eyed, her slender neck reaching
to the Arāk fruits, adorned with strings
of chrysolite and pearl.

7. Oblivious, she loiters
in a lush garden with her peers,
and tugs at the branches of Arāk
until they drape her.

8. Her wine-colored lips smile
revealing teeth like a bloom
sprouting through thepuresands
of a dew drenched dune.

9. They sparkle
as if sun-kissed and
against her kohl tinted gums,
brighter they shine.

10. As if the sun has
let down its robes
upon her face, unblemished
and washed in light.

التمثيـل، ويواصـل طرفـة هـذا الـسرد التصويـري لحكايـة الظبْيـة، فهـي حـين تتنـاول ثمـر الأراك تتهـدّل عليهـا أغصـان الشـجرة، وتحيـط بهـا مـن كل جانـب، فكأنهـا ترتـدي الأغصـان، وتتّخذهـا لِباسـاً لهـا، وهـذا كلـه لوصـف مـا هـي فيـه مـن نِعمـة وخِصـب، وهـو الوصـف الـذي يُفـضي إلى اسـتنتاج مـا تنعـم بـه المـرأة الـتي شُـبِّهتْ بالظبيـة مـن غِـنى ويُـسْر ورخـاء حـال.

ويسـتأنف طرفـة تعديـد محاسـن هـذه المـرأة، فحـين يفـترُّ ثغرهـا باسـماً تتبـيّن سُـمرة شـفاهها، والعـرب تمـدح سُـمرة الشـفاه لأنهـا إذا اسـمرّت ظهـر بيـاض الأسـنان وصفاؤهـا، وهـو مـا يسـوقنا إليـه طرفـة حـين يشـبّه افـترار ثغرهـا بتفتّـح زهـر الأقحـوان الـذي طـاب غرسـه وارتـوى عُـوده، فأسـنانها تتـلألأ وكأنّ الشـمس قـد سـقتْها مـن نهـر ضوئهـا، أمّـا لِثاتهـا فهـي داكنـة دون تلـوُّن معيـب، وبهـذا يـبرز إشراق الأسـنان ويتجـلى لمعانهـا، وأمّـا وجههـا فكأنمـا ألقـت الشـمس رداءهـا عليـه: إشراقَ نـورٍ، وصفـاءَ لـونٍ، ونعومـةَ جِلـد بريئـةً مـن التغضُّـن والترهُّـل.

اللوحة الثالثة

وصف الناقة

١١. وإنّي لأُمْضِي الهَـمَّ عِندَ احْتِضَارِه ... بِعَـوْجَاءَ مِـرْقَالٍ تَـرُوحُ وتَغْتَـدِي
١٢. أَمُـوْنٍ كَأَلْـوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهـا ... عَـلَى لاحِـبٍ كَأَنَّـهُ ظَهْـرُ بُرْجُـدِ
١٣. جَـمَالِيَّةٍ وَجْـنَاءَ تَـرْدِي كَأَنَّهـا ... سَـفَنَّجَـةٌ تَـبْـرِي لِأَزْعَـرَ أَرْبَـدِ
١٤. تُبَـارِي عِتَاقاً نَاجِيَـاتٍ وأَتْبَعَـتْ ... وَظِيْفـاً وَظِيْفـاً فَـوْقَ مَـوْرٍ مُعَبَّـدِ
١٥. تَرَبَّعَتِ القُفَّيْنِ في الشَّـوْلِ تَرْتَعِي ... حَدَائِـقَ مَـوْلِيِّ الأَسِرَّةِ أَغْيَـدِ

هـذه اللوحـة هـي أطـول لوحـات المعلَّقـة، وأشـدُّها إغرابـاً في الألفـاظ، وتدقيقـاً عجيبـاً في الأوصـاف، وهـي أقـرب إلى موسـوعة لغويـة وثقافيـة عـن الناقـة وصِفاتها المفضَّلـة عنـد العـرب. وروحُـها التفصيليـة المثقَلـة بالألفـاظ الوحشـية مُباينـةٌ لأسـلوب طرفـة في بقيـة أجـزاء المعلَّقـة، وهـذا كلُّـه دفـع بعـضَ الدارسـين إلى التسـاؤل عـن مـدى انتمـاء هـذه اللوحـة بكاملهـا لمعلَّقـة طرفـة، ممـا سـبق بسـطه في مقدمـة الـشرح.

الحديـث عـن الهمـوم بعـد الغـزل بالمـرأة مثـير للشـجون، وخطّـة طرفـة لـصرف هـذا الهـمّ عـن نفسـه هـي الارتحـال عـلى ناقتـه الأسـطورية في صفاتهـا وتكوينهـا، فهـي رشـيقة في مظهرهـا، سريعـة في سـيرها، شـديدة في عزمهـا، حـتى إنهـا لتصـل آخـر النهـار بأولـه في السـير دون عنـاء أو كلـل، وقـد أمِـن راكبهـا مـن أن تعـثُر بـه لشـدة خلْقهـا وصلابـة جسـدها، فـكأنّ أضلاعهـا ألـواح التابـوت العظيـم.

وهـي تسـتجيب لـه حـين يزجرهـا بعصـاه، ليسـتقيم مشـيها في الطريق المسـلوك، وإنـه ليتأمـل آثـار الخُطـا في هـذا الطريـق وتعرُّجـات الخطـوط فيـه، فيبـدو لـه وكأنـه الكِسـاء المخطَّـط، ثـم يعـود ليتملّى ناقتـه ومحاسـن خلْقهـا، فيراهـا تشـبه الجمـل في قوتهـا، كمـا أنهـا

اللغة:
أُمْـضِي الهَـمّ: أُذهِبه وأصرفه عني. **احتضاره:** حضوره. **عَوجـاء:** ضامرة ملتصقة البطن، والوصف للناقة، وهـو دلالـة عـلى نشاطها. **مِرقـال:** صيغـة مبالغـة مـن الإرقـال، وهـو سرعـة السـير مـع نفْـض الـرأس. **تـروح وتغتـدي:** تصِل آخـر النهـار بأولـه في السـير. **أَمُـون:** يُؤمَـن عثارهـا لصلابتهـا. **الإران:** التابـوت العريـض الـذي يُوضَـع فيـه الميـت، وكانـوا لا يحملـون فيـه إلا سـادتهم وكُبَراءهـم. **نصأْتُهـا:** زجرتُها. **لاحِب:** الطريـق الواضـح الـذي تظهـر عليـه آثـار المـشي. **بُرْجُـد:** كِساء مخطَّـط. **جَمَاليّـة:** تُشـبِه الجَمَـل في وثاقـة الخلْـق. **وَجْنـاء:** عظيمـة الوجنـات. **تَـرْدِي:** تعـدو. **سَـفَنَّجَة:** نعامـة. **تـبري:** تـبرز وتعـترض. **أزعـر:** قليـل الشـعر، والوصـف لذكـر النعـام. **أَربَـد:** مغْـبرّ اللـون كلـون الرمـاد. **تُبَـاري:** تُجـاري وتنافـس. **عِتـاق:** كِرام. **ناجِيَـات:** مُسرعـات في السير. **الوَظِيـف:** عظْـم السـاق، وهـو مـا بـين رُسْـغ القـدم إلى الركبـة، وكـرره لأنهـا تُتْبِـع الوظيـف بالوظيـف، فتضـع وظيـف رِجْلها موضـع وظيف يدهـا وهـي تسـير. **مَـوْر:** طريـق. **مُعبَّـد:** مُذلَّـل. **تربَّعَـت:** رعـت الربيـع، أو اتخـذت المـكان رَبْعـاً. **القُـفّ:** مـا ارتفـع مـن الأرض، ولكنـه لـم يبلـغ ارتفـاع الجبـل، وخصَّـه لأنـه موضـع خِصْـب، ونبْتـه أحسـن نبْـت. وثّناه لأنـه ضـمّ إليـه موضعاً آخـر يُجـاوره، والمـراد بـه هنـا موضع بعينـه، ويقـدِّر بعـض الجغرافيـين المعاصريـن أن القُفّـين المقصوديـن يقعـان شـمال وادي الرمّـة وجنوبـه. **الشَّـوْل:** جمـع شـائلة، وهـي الناقـة الـتي جـفّ ضرعهـا وقـلّ لبنهـا. **تَرتعـي:** ترعـى. **الحدائـق:** البسـتان وكُلُّ روضـة ارتفعـتْ أطرافهـا وانخفـض وسـطها. **مَولِـيّ:** المـكان الـذي أصابـه الوَلْـي، وهـو مطـر يلي مطراً قبلـه. **الأَسِرّة:** بطـون الأوديـة، وسرارة الـوادي: وسـطه وأكـرم مـا فيـه. **أَغْيَـد:** ناعـم ريّـان.

11. But when grief sets in, quick
I ride off on a swift
lean mare that races
day and night.

12. Trusty like the planks
of a coffin when I drive her down
a road striped with tracks
like a cloak.

13. Stallion-like she sprints
as if she were an ostrich
luring a sleek grey
male.

14. She contends with the light-footed
she-camels and strikes
hindleg after foreleg
on the beaten track.

15. She grazes on the twin
hilltops among milk-less peers,
in lush pastures
greened by second rains.

عظيمة الوجنات، وحين تعدو تذكِّره بمنظر النعامة السريعة حين تبرز لذكرِ نعامٍ مُستعرضةً أمامه، ولا تتأخر هذه الناقة النجيبة في عدْوها عن منافسة أكرم النُّوق، فتباريهنّ، وتتلاحق حركة يديها ورجليها فوق الطريق الممهّد، حتى إذا وصلتْ إلى القُفّين، وهما مرتفَعان تخصب الأرض فيهما، تمهّلتْ لترعى الربيع في أكنافهما، وقد أمرع الوادي بالعشب، وطابت تربته وارتوتْ بعد الهطول المتكرر للمطر.

ملامح التفرُّد

١٦. تَرِيْعُ إلى صَوْتِ المُـهِيْبِ وتَتَّقِي ... بِـذِيْ خُصَلٍ رَوْعاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ
١٧. كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَـضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا ... حِفَافَيْهِ شُكّافِي العَسِيْبِ بِـمِسْـرَدِ
١٨. فَطَوْراً بِـهِ خَلْفَ الزَّمِيْلِ وتَارةً ... عَلَى حَشَـفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ
١٩. لَهَا فَخِذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيْهِما ... كَأَنَّهُما بَابَا مُنِيْـفٍ مُمَـرَّدِ
٢٠. وطَيُّ مَـحَالٍ كالحَنِـيِّ خُلُوفُـهُ ... وأَجْـرِنَـةٌ لُـزَّتْ بِـدَأْيٍ مُنَضَّدِ

يستعرض طرفة هنا بعض الدلائل الشاهدة على حصافة ناقته وذكائها، فهي مدرّبة على أن تعود إلى راعيها حينما يدعوها، وهي تُعرِض عن البعير الراغب فيها، وتصدُّه حتى لو كان أقوى الفحول، ومهما اهتاج في طلبها، وهذا يعني أنها غير حفيّة بالحمل والولادة، وهذه إشارة أخرى إلى قوة هذه الناقة؛ لأنها إذا لم تحمِل وتلِد فستكون مجتمعة القوى مشدودة الأضلاع، فلا تشكو من وهن عند السير والعدْو.

ثم يتأمّل طرفة الشعر الكثيف لذنَب ناقته، فيراه كجناحي نسر أبيض قد غُرِزا بإبرة في عَظْم ذنَبها، ولا يكتفي بهذا، بل يتابع ببصره الناقة وهي تحرِّك هذا الذنَب تارةً على عجُزها، فتصل به الموضع الذي يجلس فيه الراكب الرديف الذي يُزامل راكبها المتقدم، وتارةً تحرّك هذا الذنَب على أخلاف جافة ومنقبضة لا لبن فيها وكأنها قِربة بالية، وجفاف الضرع في الناقة هو دلالة على نشاطها وقوتها؛ لأن حلْب اللبن أو إرضاعه يُضعف من قوتها ويُصيبها بالهزال.

أمَّا فخِذا هذه الناقة فهما تامّتا الخلْق، مكتنزتا اللحم، كأنهما مِصراعا بابِ قصرٍ عالٍ مصقول البنيان. وأمَّا فقرات ظَهْرها فهي مطْويّة متراصة دانٍ بعضها من بعض، وذلك أدلُّ على شدة خلْقها وصلابة تكوينها، وتتصل بهذه الفِقار أضلاعها الصلبة التي تُشبِه القِسِيّ في الانحناء، مما يجعل جوفها أكثر اتساعاً، بينما يبدو باطن عنقها مشدوداً إلى فِقارِ عنقٍ نُضد بعضها على بعض.

اللغة:
تَرِيع: ترجع. **المُهِيب:** الداعي الذي يصيح بها. **بذي خُصَل:** أي بذَنَب ذي قِطَع مجتمعة من الشعر. **رَوعات:** جمع رَوعة، وهي: الفزع. **أَكْلَف:** الذي يشُوب حُمرتَه سواد، والوصف لفحل من الإبل. **مُلْبِد:** أي أنه ذو وبر متلبِّد. **مَضْرَحِيّ:** أحمر يضرب إلى البياض، والوصف للنسر. **تكنَّفا:** أحاطا بالذنَب عن يمينه وشماله. **حِفافَيه:** جانبيه. **شُكّا:** غُرِزا. **العَسِيب:** عظْم الذنَب. **مِسْرَد:** إبرة يُخرَز بها. **الزَّمِيل:** الرديف. **حَشَف:** جافّ، وهو وصف للضرع المتقبِّض الذي انقطع لبنه. **الشَّنّ:** القِربة الجافة البالية. **ذَاوٍ:** ذابل. **مُجَدَّد:** مقطوع اللبن. **النحْض:** اللحم. **المُنِيف:** العالي المُشرِف على غيره، وهو وصف للقصر. **مُمَرَّد:** مصقول. **طَيُّ:** مَطْوِيّة متراصّة. **مَحَال:** جمع مَحَالة، وهي: فِقار الظهر. **الحَنِيّ:** جمع حَنِيّة، وهي القوس، سُمِّيتْ بذلك لانحنائها. **خُلُوف:** الأضلاع المتأخرة. أجْرِنة: جمع جِران، وهو: باطن عنق الناقة. **لُزَّتْ:** شُدَّتْ وضُمّتْ. **دَأْي:** فِقار العنُق. **منضَّد:** مُلصَق بعضه ببعض.

16. She jolts at the driver's call
and guards against the advances
of a dark mud-caked stallion
with her bushy tail.

17. A tail as if prickled
on its sides with falcon
feathers, pierced deep
into the bone with an awl.

18. She swings it once
over her flanks and once
over her udders, dry
like empty waterskins.

19. Built to perfection,
her meaty thighs stand
like the smooth flaps
of a high citadel gate.

20. Her ribs curl around her barrel,
and the bottom of her neck
is supported by bone
packed on bone.

تزاحم المحاسن

٢١. كَأَنَّ كِنَاسَيْ ضَالَةٍ يَكْنُفَانِهَا ... وأَطْـرَ قِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مُؤَيَّـدِ
٢٢. لَـهَا مِرْفَـقَانِ أَفْـتَـلانِ كَأَنَّـما ... تَـمُـرُّ بِسَـلْمَـيْ دَالِجٍ مُتَشَـدِّدِ
٢٣. كَقَنْطَـرَةِ الرُّوْمِـيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا ... لَتُكْتَـنَفَنْ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ
٢٤. صُهَابِيَّةُ العُثْنُوْنِ مُوْجَدَةُ القَرَا ... بَعِيْدَةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ
٢٥. أُمِرَّتْ يَدَاها فَتْلَ شَزْرٍ وأُجْنِحَتْ ... لَـهَا عَضُدَاها فِي سَقِيْفٍ مُسَنَّدِ
٢٦. جَنُوْحٌ دُفَاقٌ عَنْـدَلٌ ثُـمَّ أُفْرِعَتْ ... لَهَا كَـتِفَاها فِي مُعَـالًى مُصَعَّدِ

يواصـل طرفـة وصـف ناقتـه مركِّـزاً عـلى تصويـر ضخامـة هيكلهـا، فيشـبّه الفـراغ الـذي بـين مِرفقيهـا وأُصـول كتِفيها بكِناسَـين في السـعة، أي إن مِرفقيهـا بعيـدان عـن إبطيهـا، بحيـث يمكـن أن تذكِّـرك كلٌّ مـن هاتـين الفجوتـين بذلـك البيـت الـذي يحتفـره الغـزال أو الوحـش في أصـول الشـجر ليتخـذه مـلاذاً مـن الحـرّ والـبرد، ولهـذه الضخامـة أثرهـا في رسـوخ سـير هـذه الناقـة، وسـلامتها مـن التعـثُّر والانكفـاء، ثـم إنّ لهـا ضلوعـاً قويـة منحنيـة بمرونـة كمرونـة القِسِـيّ تحـت ظهـرٍ قـويّ متـين، فهـي قـادرة -اسـتناداً إلى هـذه الصلابـة- عـلى تحمُّـل مشـاقّ السـفر وأوصابـه.

وهـذه الضخامـة تتجـلى أيضـاً في مِرفقي الناقـة العظيمـين والمتباعدَين عـن جنبيهـا، فكأنهـا بهذيـن المِرفقـين الرحْبـين عـن يمينهـا وشـمالها سـقّاء عظيـم البنيـة يحمـل دَلويـن متباعِدَيـن بيُمْنـاه ويُسْراه، ثـم إنهـا في تراصُـف عِظامهـا وتداخُـل أعضائهـا تُشـبه جسـراً يُشـرِف عـلى بنائـه رومـيّ يحـبّ إتقـان العمـل، وقـد أقسـم أن يُبنَـى مـن كلّ ناحيـة بدقّـة وإحـكام، وأن يُشـاد بأقـوى المـواد وأصلبهـا.

ويبـدو طرفـة عاجـز الحِيلـة أمـام تدفُّـق جماليـات الوصـف لهـذه الناقـة شـديدة العنفـوان، مـا بـين شُـقْرة شـعرها الـذي يتبـدّى تحـت لَحييهـا، ومتانـة ظهرهـا، وسرعـة سـيرها مـع تباعـد رِجليهـا، ومرونـة يديهـا في الحركـة، مـع أنهمـا مفتولتـان فتْـلاً شـديداً، ثـم إنّ هـذه الناقـة تبـدو جانحـةً في سـيرها كمـا تجنـح السـفينة، حـتى كأنهـا متّكِئـة، وكأنّ أُصُـول كتفيهـا سـقف أُسـنِد بعـض حجارتـه إلى بعـض. فهـي شـديدة الميـلان لفـرط نشـاطها، متدفقـة المـشْي، كمـا أنهـا عظيمـة الـرأس، وقـد عـلا كتفاهـا ببنيـة هيكلهـا المرتفـع المصعَّـد.

اللغة:
الكِنـاس: بيـت يتخـذه الغـزال أو الوحـش في أصـل شـجرة ليسـتكِنّ فيـه مـن الحـرّ والـبرد. **ضَالَة:** شـجرة السِّـدر الـبرّي. **يكْنُفـان:** يُحيطـان بهـذه الناقـة مـن ناحيتيهـا. **الأَطْـر:** عَطْـف الـشيء، **وأَطْـر قِـسِيّ:** أي انعطـاف القِسِـيّ وانحناؤهـا. **صُلْب:** ظَهْـر. **مؤيَّـد:** قـوي. **أفْتـلان:** شـديدان متجافيـان عـن جنبيهـا. **سَـلْمَي:** مُثنّى سَـلْم، وهـو الدلْـو إذا كان بعُـروة واحـدة. **دالِـج:** السـقّاء الـذي يأخـذ الدلْـو مـن البـئر، فيُفرغهـا في الحـوض. **متشـدِّد:** قـويّ نشيط. **قَنْطَـرة:** جِسر. **ربُّـها:** مالِكهـا. **تُكْتَنَـف:** يُحـاط بهـا مـن جميـع نواحيهـا. **تُشَـاد:** تُرفَـع، أو تُطْلَى بالشِّيد، وهـو الجِصّ. **قَرمَد:** كُلّ مـا يُطْـلَى بـه البنـاء مـن جِـصّ وآجُـرّ ونحوهما. **صُهابيّـة:** في لونهـا صُهْبَـة، وهـي حُمْـرة أو شُـقْرة في الشـعر. **العُثْـنون:** مـا تحـت لَحييهـا مـن الشـعر والوبـر. **مُوجَـدة:** مُوثَقـة مُحكَمـة. **القَـرا:** الظهْـر. **الوخْـد:** ضرب مـن سـير الإبـل فيـه سرعـة. **مـوّارة اليـد:** يدهـا سريعـة الحركـة في يسْر وسـهولة. **أُمِـرّتْ:** فُتِلـتْ فتْـلاً مُحكَمـاً. فَتْـل **شَزْر:** هـو الفتْـل إلى الخـارج. **أُجْنِحَـتْ:** أُمِيلـتْ حـتى كأنها مُتّكِئـة. **العضُـد:** الجنْـب. **سَـقِيف:** صفائـح حِجـارة. **مُسَـنَّد:** أُسـنِد بعضـه إلى بعـض. **جَنُـوح:** تجنـح في سـيرها، أي تميـل إلى أحـد شِـقّيها نشـاطاً وسرعـة. **دُفَـاق:** متدفقـة في سـيرها. **عَنْـدل:** ضخمـة الـرأس. **أُفْرِعـتْ:** عُوليـتْ وأُشرِفـتْ. **مُعَـالَى:** مرتفـع إلى فـوق. **مُصَعَّـد:** صاعـد.

21. As if her armpits are two
caves wrapped in thickets.
Her ribs curve like bows
held together by a sturdy spine.

22. Her forearms open wide
at the elbows and bend
like those of a water carrier
burdened by two heavy pails .

23. Built high like a Byzantine archway
whose builder swore
to raise up brick and mortar
high on both sides.

24. Her chin hair is reddish
and her back-bone stout,
her stride wide
and her forearms lashing.

25. Twisted and flexed out,
her forearms arch like the
weighed down
roof beams.

26. She veers to one side,
plunging forward. Her head large
and her shoulders raised into
a lofty structure.

لوحة تشكيلية

٢٧. كَأَنَّ عُلُوبَ النِّسْعِ فِي دَأَيَاتِهَا ... مَوَارِدُ مِنْ خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرْدَدِ
٢٨. تَلاقَى وأَحْيَاناً تَبِيْنُ كَأَنَّهَا ... بَنَائِقُ غُرٍّ فِي قَمِيْصٍ مُقَدَّدِ
٢٩. وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إذا صَعَّدَتْ بِهِ ... كسُكَّانِ بُوْصِيٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِدِ
٣٠. وجُمْجُمَةٌ مِثْلُ العَلاةِ كَأَنَّمَا ... وَعَى المُلْتَقَى مِنْها إلَى حَرْفِ مِبْرَدِ
٣١. وخَدٌّ كقِرْطَاسِ الشَّآمِيِّ ومِشْفَرٌ ... كَسِبْتِ اليَمَانِيْ قَدُّهُ لَمْ يُحَرَّدِ

يُشبِّه طرفة هنا آثار الحبل المضفور على صدر ناقته بالآثار التي تبقى بعد مرور وُرّاد المياه على صخرة ملساء بأرض صُلْبة مسْتوية، فهذه النسوع أو الحبال المفتولة لا تؤثر في جِلد الناقة القويّ إلا كما تؤثر الموارد في الصخرة الملساء، وهو يصف الأرض التي تستند إليها الصخرة بأنها: قَردد، أي أرض صُلبة مستوية، وهذا أدلُّ على ثبات الصخرة ورسوخها في الأرض.

ويزيد طرفة هذه الصورة التشبيهية تفصيلاً، فيذكر أن آثار النسع في جلد ناقته تتقارب أحياناً، وتتباعد في أحيان أخرى، فهي كهذه الموارد التي تتلاق في الطريق مرة، وتفترق أخرى، ثم يركِّز نظره على آثار الموارد في الأرض، فينتقل إلى صورة تشبيهية جديدة يحوِّل من خلالها المشبّه به إلى مشبّه، إذْ تذكِّره هذه الطرائق اللامعة المتناثرة بصورة البنائق البيضاء التي تُرقَّع بها القمصان القديمة.

ثم يلتفت طرفة إلى عنُق ناقته، فيروعه بهاء ارتفاعه وطوله الممتد، وسرعة نهوضها به، فيستدعي خياله صورة طالما أَلِف رؤيتها في نهر دجلة بالعراق، حين تخطر السفن أمام عينيه، ويرى أعمدتها منتصبةً في امتداد أخّاذ نحو السماء. أمّا جمجمة هذه الناقة فهي في صلابتها كالسندان التي يطرقها الحدّاد بحدائده، وهذه الجمجمة الصُّلبة شديدة الأسر، ملتئمة بمِهاد الرأس دون نتوء أو انعراج، فهي في استوائها كحدّ المِبرد.

ويستمر طرفة في التغني بمحاسن ناقته، فهو حين يُرخي نظره قليلاً تقع عينه على خدّها الأبيض النقيّ، وكأنه صحيفة بيضاء يحملها رجل من أهل الشام، حيث يكثُر النصارى المعتنون في ذلك العهد بالكتب والأوراق، ثم يتأمّل مِشْفرها، ويلحظ استقامته واعتداله البعيد عن الاعوجاج والتهدُّل، فتتراءى له صورة سِبت اليماني المصنوع من جلد البقر المدبوغ، ونسبته لليمن تحلية له؛ لأنها بلد الملوك وصناعة الجِلد المتقدمة في ذلك العهد، فلا تجد فيها اعوجاجاً في القطْع، أو تفاوتاً في المقادير.

اللغة:
عُلُوب: جمع عَلْب، وهو الأثر الباقي على الجلد. **النِّسْع:** حبْل مضفور كهيئة العِنان تُشدّ به الأحمال. **دَأَيَات:** ضلوع الصدر. **مَوَارِد:** جمع مَورِد، وهو طريق الوُرّاد إلى الماء. **خَلْقاء:** ملْساء، وهي صفة للصخرة. **القَرْدَد:** الأرض الصُّلْبة المستوية. **تَلاق:** أصلها تتلاق، أي يتصل بعضها ببعض. **تَبِين:** تتفرّق. **بَنَائق:** جمع بَيْقة، وهي جيب القميص وطَوقه، أو القِطَع التي تُوصَل به. **غُرّ:** بِيض. **مُقَدّد:** مشقّق وبالٍ. **أَتْلَع:** طويل مُشرِف، وهو وصف للعنق. **نهّاض:** مرتفع سريع النهوض. **صعّدتْ به:** رفعتْه. **سُكَّان:** العُود الذي يُنصَب في السفينة ويُمدّ عليه الشِّراع. **بُوصِيّ:** نوع من السُّفُن. **دِجْلة:** النهر المعروف في العراق. **مُصعِد:** مرتفع لأن اتجاهه مضاد للتيار. **العَلاة:** السّندان التي يضرب الحدّاد عليها حديده. **وَعَى:** اجتمع وانضمّ. **الملتقَى:** حيث يلتقي طرف الجمجمة بِفِراش الرأس. **حرف:** طرف. مِبْرَد: آلة حادة خشنة الجوانب. **قِرطاس الشآمي:** الصحيفة المنسوبة إلى الشام. **المِشْفر:** للبعير كالشَّفة للإنسان. **سِبْت:** جِلْد البقر المدبوغ. **القَدّ:** القَطْع. لم **يُحَرَّد:** لم يُعوَّج أو يتفاوت قَطْعه.

W

27. The saddle-strap marks
on her sides are smooth and white
like wasteland stones
burnished by coursing water.

28. These marks intersect
and then diverge,
like the frayed lining
of a tattered shirt.

29. Her neck is long
and, when she raises it,
like a ship's bow
emerging out of Dijlah.

30. Her skull is like an anvil,
its sides welded together
with jutting bones
as sharp as files.

31. Her cheeks are as smooth
as a Damascene's parchment
and her lips like tanned
Yemeni leather.

مرايا التوجُّس

٣٢. وعَيْنـانِ كالـمَاوِيَّتَيْنِ اسْـتَكَنَّتَا بِكَهْفَيْ حِجَاجَيْ صَخْرَةٍ قَلْتِ مَوْرِدِ
٣٣. طَحُوْرَانِ عُـوَّارَ القَذَى فَـتَـراهُـا كَمَكْحُـوْلَتَـيْ مَذْعُـوْرَةٍ أُمِّ فَـرْقَـدِ
٣٤. وصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّـرَى لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أو لصَوتٍ مُـنَدَّدِ
٣٥. مُؤَلَّـلَـتَانِ تَعْـرِفُ العِتْقَ فِيْهِما كَسَامِعَتَـيْ شَـاةٍ بِـحَوْمَلَ مُفْرَدِ
٣٦. وأَرْوَعُ نَـبَّـاضٌ أَحَـذُّ مُـلَـمْـلَـمٌ كَـمِـرْدَاةِ صَخْـرٍ فِي صَفِيْـحٍ مُصَمَّـدِ

يواصـل طرفـة الرسـم الدقيـق لتفاصيـل ناقتـه ومحاسـن خلْقهـا، فعيناهـا صافيتـان كالـمِرآة، وقـد غارتـا في حِجاجيهما وكأنهما مستكنّتان إلى كهفـين محيطـين بهمـا، ثـم يشبّه صفـاء هاتـين العينـين الغائرتـين في عظْمَـي الحِجاجـين بصفـاء المـاء المجتمـع في نقـرة محفـورة عـلى سـطح صخـرة، والمـاء في الصخـرة أصفـى مـا يكـون، حـتى إنـك لا تـرى فيهمـا مـا يعـتري العيـون أحيانـاً مـن دَرَنٍ أو تـراب.

وإنّ حُسْـنهما ليذكّـرك بعيـني البقـرة الوحشـية اللتـين تبـدوان دائمـاً كأنهمـا مكحولتـان، وطرفـة يصِـف هـذه البقـرة بأنهـا: مذعـورة، وإذا كانـت مذعـورة كان ذلـك أحـدَّ لنظرهـا، وأبـينَ لجمـال عينيهـا، ثـم إنهـا ذاتُ ولـد، فهـي دائمـة التشـوّف والنظـر إشـفاقاً عـلى ولدهـا، فيزيـد هـذا أيضـاً مـن فتنـة نظراتهـا وبهـاء عينيهـا.

أمَّـا أُذُنـا هـذه الناقـة فهمـا رهيفتـا الحـسّ، صادقتـا السـمع، خاصـةً عنـد المسـير ليـلاً، حيـث يبلـغ الحـذر عندهـا منتهـاه، فـلا تفوتهـا الحركـة الخفيّـة، ولا الصـوت خفيضـاً كان أم جهـيراً. وهاتـان الأُذنـان مؤلّلتـان، أي محددتـان ومرسـومتان بدقـة، فأنـت تتبـيّن كـرم الأصـل والعـروق فيهمـا إذا نظـرتَ إليهمـا لتحديدهمـا وقِلّـة وَبَرهما، وتسـتدعي رهافـة الحـس في أُذُني الناقـة صـورة مماثلـة في خيـال طرفـة، فيشـبهها برهافـة أُذُني ثـور وحـشي يعيـش وحـده، والانفـراد يسـتدعي الترقـب والحـذر، فيكـون أبعـدَ عـن التشـتُّت والالتهـاء اللذيـن يسـبّبهما وجـود القريـن المصاحـب، ومـن هنـا يشـتدّ سـمعه وتيقُّظـه وارتياعـه.

وهـذه الإشـارة إلى التيقـظ والارتيـاع تسـوق طرفـة إلى الحديـث عـن قلب الناقـة، هكـذا يمـدّ طرفـة نظـره نحـو ناقتـه ليصـل إلى مـا وراء المنظـور ومـا يختفـي خلـف الحُجُـب، وكأنـه لا يريـد أن يـترك شـيئاً يخـصُّ هـذه الناقـة إلّا ذكـره، وتمـلّى فيـه، فهـذا القلـب المضطـرب الـذي يرتـاع -لشـدة فِطنتـه- مـن كل شيء لا يشـكو مـن ضعـف في التكويـن، فهـو صُلْـب البنيـان كالصخـرة القاسـية الـتي تُكـسَر بهـا الصخـور، وقـد أحاطـتْ بـه أضـلاع عِـراض كصفيـح مـن الصخـر المرصـوف بإحـكام.

اللغة:
الـمَاوِيَة: الـمِرآة. **استكنّتا:** استقرّتا. **حِجـاج:** العظْـم الـمُشْرف عـلى العـين وفيـه منبـت شـعر الحاجـب. **القَلْـت:** النقـرة في الصخـر أو الجبـل يسـتنقع فيهـا المـاء. **مَـورِد:** موضـع المـاء. **طَحُـوران:** أي ترميـان وتدفعـان، والوصـف للعينـين. **العُـوَّار:** مـا تُفـرزه العـين مـن سـائل لدفـع القـذى، **والقَـذَى:** مـا يعـتري العـين مـن رمـد أو درن أو تـراب. **كمكحولَـيَّ مذعـورةٍ:** أي كعيـني بقـرة وحشـية مذعـورة. **الفَرقـد:** ولد البقـرة الوحشـية. **صادقتـا سـمْع:** الوصـف للأذنـين. **التوجُّس:** التسـمُّع بترقُّـب وحـذَر. **السُّرى:** السـير ليـلاً. **الهَجْـس:** الحركـة الخفيفـة والصوت الخفيـض. **مُنـدَّد:** مـن التنديـد، وهـو رفْـع الصـوت. **مُؤلَّلتـان:** محدَّدتـان كتحديـد الآلـة، وهـي الـحَرية، والوصـف للأذنـين. **العِتْق:** النجابـة. **السـامِعتان:** الأُذُنان. **شـاة:** الثـور الوحـشي. المقصـود بهـا **هنـا:** **حَوْمَـل:** موضـع يقـع في عاليـة نجـد جنـوب مدينـة عفيـف. **أَرْوَع:** فـزِع لـكل شيء لفِطْنتـه وفـرط ذكائـه، والوصـف للقلـب. **نَبَّـاض:** مضطـرب كثـير الحركـة. **أَحَـذّ:** خفيـف سريـع. **مُلَمْلَـم:** صُلْـب ومُجتمِـع الخَلْـق. **الـمِرداة:** الصخـرة تُكـسَر بهـا الصخـور. **الصفيـح:** الحجَـر العريـض. **مُصمَّـد:** صُلْـب مُصْمَـت.

32. And her eyes are two mirrors
tucked in the caves
of her sockets like pools
carved in rock.

33. They shield the dust,
batting like the dark eyes
of an oryx frightened
for her fawn.

34. And two perked ears
that pick up the sounds of night,
secret whispers
and muffled echoes.

35. Keen ears and in them
you read her noble lineage
like the ears of a wild oryx
of Hawmal.

36. An alert throbbing heart,
jittery yet firm
like a great stone in a
cage of rock slabs.

الناقة / الحلم

٣٧. وأَعْلَمُ مَخْـرُوْتٌ مِن الأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيْقٌ مَتَى تَرْجُمْ بِهِ الأَرضَ تَزْدَدِ
٣٨. وإنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وإنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ مَـخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِن القِدِّ مُحْصَدِ
٣٩. وإنْ شِئْتُ سَامَى وَاسِطَ الكُوْرِ رَأْسُها وعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ
٤٠. عَلَى مِثْلِها أَمْضِي إذا قَالَ صَاحِبِي: أَلا لَيْتَنِي أَفْدِيْكَ مِنْها وأَفْتَدِي
٤١. وجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوفاً وخَالَهُ مُصَاباً ولَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرْصَدِ

يعـود طرفـة لوصـف مِشْـفر ناقتـه مـن جديـد، ويركِّـز هـذه المـرة عـلى مـا فيـه مـن شـقّ مـلازم لـكلّ مشـافر الإبـل، وهـذا الشـقّ يبـدأ مـن الأنـف نـزولاً إلى الـمِشْفر الـذي يصفـه طرفـة بأنـه ليِّن، كمـا أنـه عتيـق تتبـيّن فيـه كـرم الأصـول، وهـذه المـرة الثانيـة الـتي يشـير فيهـا طرفـة إلى كـرم الأُصـول الـتي تتحـدَّر منهـا ناقتـه.

وهـي حـين تعـدو تقـترب بمِشـفرها مـن الأرض حـتى كأنهـا ترجُـم الأرضَ بـه، لتزيـد مـن عزمهـا وسرعـة عدْوهـا، ثـم يتباهـى طرفـة بـأنّ ناقتـه طـوع أمـره، مروّضـة عـلى الاسـتجابة لرغباتـه خوفـاً مـن سـوطه شـديد الفتْـل، فـإنْ شـاء أسرعـتْ، وإنْ شـاء تهـادتْ في سـيرها، كمـا قـد يشـاء أيضـاً أن يجـذب زِمامهـا إليـه، فيرتفـع رأسـها حـتى يُحـاذي في العلـوّ عُـود الرحْـل المنصـوب عـلى ظهرهـا، بينمـا تبسُـط عضُديهـا في عـدْو رخـيّ يشـبه السـباحة، وتُقـارب بـه سرعـة ذكـر النعـام إذا أراد النجـاة بنفسـه. وهـذه أيضـاً المـرة الثانيـة الـتي يُشـبِّه طرفـة فيهـا سرعـة ناقتـه بسرعـة النعـام.

أخـيراً يقـترب طرفـة مـن نهايـة وصفـه المسترسـل لناقتـه، فيقـول: إنّ هـذه الناقـة بصفاتهـا الاسـتثنائية هـي الـتي أُعـوِّل عليهـا حـين أقطـع بهـا الفيـافي المهلِكـة مـع صاحـبي الـذي ألمـس جزعـه المضطـرب مـن غـدر الصحـراء، فمـا يـزال يتمـنى لي ولنفسـه السـلامة والأمـان، بينمـا يتصعّـد الخـوفُ في نفسـه، ويتحـيّن سـاعة هلاكـه، حـتى وإن كان في أرض بعيـدة عـن ترصُّـد المعتديـن.

أمّـا طرفـة فـإن شـجاعته الـتي يقتحـم بهـا هـذه المهالـك دون وَجَـل، ربمـا لـم تكـن لتتحقـق لـولا هـذا الخيـال الواسـع الـذي جعلـه يـرى ناقتـه كمـا أرادهـا أن تكـون: حُلُمـاً يتجـاوز حـدود الإمـكان، ورؤيـا تعلـو عـلى شروط الواقـع وضرورات الحيـاة.

اللغة:
الأعلم: مشْـفرها العلوي المشـقوق، وهـو وصـف لازم لجميـع الإبـل. **مَخْـرُوت:** مشـقوق. **مـارِن:** لـيِّن. **عتيـق:** كريـم. **ترجُـم بـه الأرض:** أي تُـدني رأسـها مـن الأرض لتزيـد مـن سرعتهـا. **الإرقـال:** أن تنفـض الناقـة رأسـها لشـدة إسراعهـا في السـير. **مَلْـوِيّ:** مفْتـول، والوصـف للسـوط. **القِـدّ:** مـا قُـدّ مـن الجِلْـد. **مُحصَـد:** مُحكَـم شـديد الفتْـل. **سـامَى:** أي عـالاه ارتفاعـاً. **واسِـط الكُـور:** العُـود الـذي يُنصَـب وسـط الرحْـل، والرحْـل هـو مـا يُوضَـع عـلى ظهـر الناقـة مـن أمتعـة. **عَامَـتْ:** سَـبَحَتْ. **بضَبْعَيهـا:** بعضُديهـا. **نَجَـاء:** سُرعة. **الخَفَيْـدَد:** ذَكَـر النعـام، ويُسـمَّى **أيضـاً:** الظَّليـم. **أفديـك منهـا:** أي مـن الفـلاة الموحشـة، فالضمـير عائـد إلى غـير مذكـور، ولكنـه مفهوم مـن السـياق. **جَاشَـتْ:** ارتفعـتْ قلقـاً واضطرابـاً. **خَـالَ:** ظـنَّ. **مَرصَـد:** مـكان يُرصَـد فيـه ليُعتـدَى عليـه مـن لصـوص أو أعـداء.

37. A slit lip, a pierced nose
and a lofty snout which she points
toward the path
and then sprints.

38. Well-tamed, she quickens,
when I wish and slows
when I wish, fearing the stings
of twisted leather.

39. If I wished, her head
would level with her back
and she'd floated, forearms
paddling like those of an ostrich.

40. On one like this
I set out when my companion says:
in this, my life for yours
and yours for mine,

41. when the soul swells
in the chest and one could see
danger looming even when
not expecting it.

قنطرة بين لوحتين

٤٢. إذا القَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتًى؟ خِلْتُ أَنَّني عُنِيْتُ فَـلَمْ أَكْسَـلْ ولَـمْ أَتَبَلَّدِ
٤٣. أَحَلْتُ عَلَيْهَا بِالقَطِيْعِ فَأَجْذَمَتْ وقَدْ خَـبَّ آلُ الأَمْعَـزِ الـمُتَوَقِّدِ
٤٤. فَذَالَـتْ كَمَا ذَالَـتْ وَلِيْـدَةُ مَجْلِسٍ تُـرِيْ رَبَّـها أَذْيَالَ سَحْـلٍ مُـمَـدَّدِ

هـذه الأبيـات الثلاثـة هـي بمثابـة القنطـرة الـتي تمـتزج فيهـا لوحـة الناقـة الـتي تصِـل هنـا إلى قرارهـا الأخـير، بلوحـة الصـورة الشـخصية الـتي تبـدأ أُولى إرهاصاتهـا في فاتحـة هـذه الأبيـات، إذْ يكشـف طرفـة عـن عنفوانـه الجامـح وجرأتـه الـتي جُبِـل عليهـا، فحـين يتسـاءل النـاس: مَـن الفـتى المِقْـدام الـذي يسـتطيع قطْـع هـذه الفـلاة الموحِشـة واقتحـام الصِّعـاب، فـإنّ أول مـا يتبـادر إلى ذهنـه أنهـم يتحدثـون عنـه ويقصدونـه دون غـيره.

ولهـذا يهـبّ لإنجـاز المهمـة دون تَـوَانٍ أو كسـل، فيمتطـي ناقتـه، ويُلهـب ظهرهـا بالسـوط، فتُـسرع بـه عـدْواً، بينمـا يـرى الـسراب يتخايـل أمامـه ويضطـرب في الهاجـرة المتوقِّـدة وسـط الصحـراء المهلِكـة، ويطيـب لطرفـة أن تكـون آخـر صـورة يرسـمها لناقتـه: هـذا المـشْي المتبخـتِر وسـط الصحـراء الممتـدة، حـتى لتبـدو غـير عابئـة بوحشـة الطريـق ومخاطـر الفلـوات، وكأنهـا جاريـة تميـس بـدلال في مجلـس القـوم، وترفُـل أمـام سـيّدها بثوبهـا الأبيـض الضـافي المتراخـي الذيـول.

ولكـنّ هـذه الصـورة الناعمـة الـتي ختـم بهـا طرفـة وصفـه للناقـة لـن تُنسـينا مـا قبلهـا، فهـذه هـي المـرة الثالثـة الـتي يشـير فيهـا طرفـة إلى شـدة سَـوقه لناقتـه المفضّلـة: زجـراً جافيـاً لهـا، وإلهابـاً بالسـوط لظهرهـا، وإنـك لتعجـب كيـف تكـون الناقـة حائـزةً لـكل تلـك الصفـات الفاخـرة الـتي أسـبغها عليهـا، ثـم يكـون هـذا نصيبَهـا مـن صُحبتـه؟ أتكـون الناقـة إذن هـي رمـز فُتوّتـه اليانعـة وصِبـاه المتدفـق الـذي يجـور عليـه باقتحـام الشـدائد ومقارعـة الأهـوال، والاسـتهانة بالمـوت في مقتبـل العمـر وشَرخ الشـباب؟

اللغة:
خِلْـتُ: ظننـتُ، والمعـنى في البيـت يتجـاوز الظـنّ إلى مـا يقـارب اليقـين. **عُنِيـتُ:** قُصِـدتُ. **أتبلّـد:** أتـوانَ غفْلةً وعجْـزاً. **أحلْـتُ عليهـا:** أقبلـتُ عليها، أي انصبـبـتُ عليهـا ضربـاً في إثْـر ضرب. **القطيـع:** السـوط. **أجْذمـتْ:** أسرعـتْ. **خَـبَّ:** جـرى واضطـرب. **الآل:** الـسراب. **الأمْعـز:** المـكان الغليـظ الكثـير الحـصى. **المتوقِّـد:** الملتهـب بالحـرّ وسـطوع الشـمس. **ذالـتْ:** ماسـتْ في مشْـيها وتبخـترتْ. **الوليـدة:** الجاريـة الصغـيرة. **رَبّـها:** سـيّدها. **سَـحْل:** ثـوب أبيـض.

42. When people ask: who
is the valiant one? I feel it is me
they call and I rush neither hesitant
nor sluggish.

43. When I waved my whip over her
she rushed forth
as mid-day mirages
fumed over the rocky terrain.

44. She strutted like a slave-girl
dancing for her master
dragging behind her
the long white train of her robe.

اللوحة الرابعة

صورة شخصية

٤٥. ولَسْتُ بِحَلّالِ التِّلاعِ مَخَافَةً ولَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ القَوْمُ أَرْفِدِ
٤٦. فإنْ تَبْغِنِي في حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي وإنْ تَقْتَنِصْنِي في الحَوَانِيْتِ تَصْطَدِ
٤٧. مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحْكَ كَأْساً رَوِيَّةً وإنْ كُنْتَ عَنْها غَانِياً فَاغْنَ وازْدَدِ
٤٨. وإنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجَمِيْعُ تُلاقِنِي إلَى ذِرْوَةِ البَيْتِ الرَّفِيْعِ المُصَمَّدِ

بعد رحلة طرفة الممتدة مع ناقته وصفاتها -وهي أطول أجزاء المعلَّقة- ينتقل هنا للحديث عن نفسه، وكان قد مهّد لهذا الحديث في ختام لوحة الناقة، حين صوّر شجاعته وإقدامه، ثم ها هو ذا يصوِّر الصفة الثانية التي طالما أحبّ العربي التمدُّح بها، وهي: الكرم وسخاء النفس بالعطاء، فهو ليس ممن يستتر في التلاع وشقوق الجبال مخافة نزول الأضياف عنده، بل يُقيم في بيته ليقصده من يريد ضيافته ويسترفد عطاءه، فيرفدهم ويُعينهم.

وهو رجل يجمع بين الجِدّ واللهْو، ولهذا تجده في مجلس القوم يُستشار كما يُستشار الأكابر، ويُستأنس برأيه في الملِمّات وتدبير شؤون الناس، كما تستطيع أن تقتنصه في أوقات فراغه ولهْوه وهو يرتاد حوانيت الخمّارين، وعندما يقصده أحد في الصباح فسيكرمه بكأس ترويه، وإنْ تمنّع على طرفة بأنه مُستغنٍ عن كأسه بما يملك، فسيلحّ عليه طرفة بأن يقبل ضيافته، فغِناه باقٍ له، وليس هناك ما يمنعه من الزيادة عليه.

ثم يفتخر طرفة بشرف نسبه وكرم مَحتِده، فعندما يجتمع القوم ويتبارون في التفاخر بأنسابهم، فإن لطرفة القِدح المعلّى بينهم، فلطالما كان بيته موئل الشرف الرفيع ومقصد أصحاب الحوائج.

اللغة:
حلّال: صيغة مبالغة من الحُلول، وهو الإقامة والنزول. **التِّلاع:** جمع تَلْعة، وهي المجرى الذي يتحدّر فيه الماء من الجبال إلى الأودية. **يسترفد:** يطلب الرِّفْد، وهو العطاء والإعانة. إن **تبْغِني:** إنْ تطلبني. **حلْقة القوم:** مكان اجتماعهم. **تقتنصني:** تتصيّدني. **الحوانيت:** جمع حانوت، وهو الحانة أو دكّان الخمّر. **أصبَحك:** أسقيك صَبوحاً، وهو شُرب أول النهار. **رَويّة:** مملوءة تروي شارِبها. **ذِروة الشيء:** أعلاه. **المصمّد:** الذي يُقصَد في الحوائج.

45. I am not one
to hide in highlands
for fear. No! When the people
ask for help, they find me there.

46. Look for me when
the tribe assembles and you'll find me.
Hunt for me in the taverns
and you will catch.

47. Come to me and, if you wish,
I'll treat you to a quenching
morning draught, if not
then as you wish.

48. When the tribe
all comes together,
you will find me at the head
of that lauded noble house.

مجلس الأُنس

٤٩. نَـدَامَايَ بِـيْضٌ كالنُّجُومِ وقَيْـنَةٌ — تَرُوْحُ عَلَيْنا بَيْـنَ بُرْدٍ ومُجْسَـدِ
٥٠. رَحِيْبٌ قِطَابُ الـجَيْبِ مِنْها رَفِيْقَةٌ — بِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ
٥١. إذا نَحْنُ قُلْنا أَسْمِعِيْنا انْبَرَتْ لَنَا — عَلَى رِسْلِها مَطْرُوْفَةً لَـمْ تَشَـدَّدِ
٥٢. إذا رَجَّعَتْ في صَوْتِها خِلْتَ صَوْتَها — تَجَـاوُبَ أَظْـآرٍ عَلَى رُبَـعٍ رَدِي

يصـوِّر طرفـة هنـا مجلـس أُنسـه الـذي اجتمعـتْ فيـه دواعـي البهجـة وضُروب المتعـة وصنـوف التلـذُّذ، فأصحابـه المنادِمـون لـه عـلى الـشراب فِتْيـان كِـرام تتـلألأ وجوههـم حُسناً وأحسـابهم نُبـلاً كما تتـلألأ النجـوم في السماء، وتـضيء ليلتَهـم مغنّيـةٌ حسناء تُمتِـع أنظارهـم وهـي تتبختـر بينهـم بملابسـها الأنيقـة، بينمـا تُلهِـب حواسّـهم بمـا تُـبرزه مـن مفاتنهـا الـمُغْوية، وتزيـد مـن جُرأتهـم عليهـا بمـا تُبديـه لهـم -وهـي الخبـيرة بفنـون الغِوايـة- مـن تلطُّـف مسـتدرِج، ورِفْـق يُطمِـع بالمزيـد.

وتكتمـل لذّتهـم حـين يطلبـون منهـا الغنـاء، فتلبّي تطلُّعهـم بتـؤدة ومهْـل، وتبـدأ بغنائهـا المسترسـل البعيـد عـن التكلُّـف، وهـي تنظـر إليهـم بطـرْف فاتـر وجفـن ناعـس، حـتى إذا طـاب لهـا مقـام الغنـاء، ومـضى صوتهـا العـذب يتحـدّر مـن وراء الأفـق، ويتنقّـل بـين سـلالم النغـم، كاشـفاً لـلأرواح عـن مكامـن الشـجن، هنـاك سـيتذكر طرفـة صوتـاً شـجيّاً آخـر: صـوت النُّـوق وهـي تتجـاوب بحنينهـا المتفجِّـع عـلى مـوت فصيلهـا الغـضّ الـذي وُلِـد في الربيـع؛ ولكنـه لـم يُمهَـل كي يعيـش ربيعـه في الحيـاة.

وسـتبقى هـذه الصـورة الشـجية للنُّـوق المتجاوبـة بالحنـين البـاكي على حُـوار الناقـة الصريـع تـتردد في مـدارج الشـعر، وتُطـوِّف حولهـا مخيّلة الشـعراء، فالشـاعر مُتمِّـم بـن نُويـرة لـم يجـد مشـهداً يسـتطيع نقـل إحساسـه الفاجـع يـوم نُعِـي إليـه أخـوه مالـك إلّا مشـهد الآظـار الثـلاث الـلاتي فُجِعـن بمـصرع حُـوار إحداهـنّ، فظللْـن يبْكينـه تجاوبـاً لا يمـلُّ مـن الترجيـع: (إذا حنّـت الأُولى سَـجَعْنَ لهـا مَعَـا)، كمـا لـم يجـد الصِّمّـة القُشَـيري مـا يُـوازي وجْـده بمحبوبتـه ريّـا غـداة دعـا داعـي الفـراق غـير وجْـد الناقـة المفجوعـة بحُوارهـا، حـتى إذا رجّعـتْ في آخـر الليـل حنينـاً لـه: (أبكـتِ الـبُزْلَ أجْمعـا).

اللغة:
نَدامـاي: جمـع نديـم، وهـو الصاحـب المشـارك في الـشُّرب. **القَيْنـة:** الجاريـة المغنّيـة. **تـروح:** تـأتي عشـيّة. **البُرْد:** الثـوب الـمُوشّى. **الـمُجْسَد:** الثـوب المصبـوغ بالزعفـران، أو هـو الثـوب الـذي يـلي الجسـد. **رَحِيـب:** واسـع. **قِطـاب الجيـب:** مخـرج الـرأس مـن الثـوب. **رفيقـة: متلطِّفـة. جَـسّ:** لَـمْس. **بَضّـة المتجـرَّد:** ناعمـة الجسـد صافيـة البـشرة. **انْبرتْ:** بـرزتْ. **عـلى رِسْـلها:** عـلى مَهْلها. **مَطْروفـة:** فاتـرة الطـرْف. **لـم تشـدَّد:** لـم تتكلّـف. **رجّعـتْ:** كـررتْ النغـم. **خِلْـت:** ظننـت. **أظْـآر:** جمـع ظِـئْر، وهـي الناقـة المرضِـع. **الرُّبَـع:** فصيـل الناقـة المولـود في الربيـع. **الـردي:** الهالـك.

Companions

49. My companions are pure
and they shine like stars.
And among us, a singing girl
in a sheer robe or a saffron tinted gown.

50. Her neckline is cut low
and, loosely dressed,
her nakedness is soft
to the drinker's touch.

51. When we say, "sing,"
she starts a song,
her eyes languid,
without strain.

52. She sings and her voice
echoes like the moans
of a mother oryx
grieving for a slain fawn.

خسارات الانهماك

٥٣. وما زَالَ تَشْرَابِـي الخُمُورَ ولَذَّتِـي ... وبَيْعِـي وإنْفَاقِـي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي
٥٤. إلَى أَنْ تَحَامَتْنِـي العَشِـيْرَةُ كُلُّها ... وأُفْـرِدْتُ إفْـرَادَ البَعِـيْرِ المُعَبَّدِ
٥٥. رَأَيْتُ بَنِـيْ غَبْرَاءَ لا يُنْكِـرُونَنِـي ... ولا أَهْـلُ هَـذَاكَ الطِّـرَافِ المُمَـدَّدِ
٥٦. ألا أَيُّهَـذَا اللائِمِـيْ أَحْـضُرَ الوَغَى ... وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هل أَنْتَ مُخْلِدِي؟
٥٧. فإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيْعُ دَفْعَ مَنِـيَّتِـي ... فَدَعْنِـي أُبَادِرْهَـا بِـمَا مَلَكَتْ يَدِي

يعـود طرفـة هنـا فيُقِـرّ بالوجـه الآخـر المـلازِم دائمـاً للانهماك السـادر في اللذائـذ والـمُتَع، فيعـدِّد بعـضَ خسـاراته جـرّاء هـذا الانهمـاك، فإنفاقـه المتهـوِّر عـلى هـذه الـمُتَع جعلـه يخسـر مـن جانـبٍ مالـه المـوروث والمكتسَـب، ويخسـر مـن جانـب آخـر مكانتـه الاجتماعيـة بـين أقاربـه ومعارفـه، فـإذا هـم ينبذونـه ويتجنّبـون الاختـلاط بـه، كمـا يُنبَـذ البعـير الأجـرب ويُعـزَل عـن الإبِـل مخافـة العـدْوى.

ويبـدو هـذا الاعـتراف بالعـزْل الاجتماعـي الـذي يحـاصر طرفـة كأنمـا يتناقـض مـع مـا سـبق أن افتخـر بـه مـن قبـل حـول منزلتـه المقـدّرة في (حلْقـة القـوم)، وربمـا لهـذا يسـتدرك عـلى نفسـه بعـد ذلـك، فيقـول: إنـه عـلى الرغـم مـن هـذا التجنُّـب، فـإنّ فقـراء قومـه وأغنياءهـم عـلى السـواء يعرفـون مقامـه ويحفظـون لـه مكانتـه، فالفقـراء ممتنّـون لكرمـه الـذي لا ينقطـع، والأغنيـاء يقـدِّرون رجاحـة رأيـه وشـجاعته ونُبْـل أصلـه.

ثـم يعـرض طرفـة فلسـفته في الحيـاة الـتي يُحاجِـج بهـا مـن يلومـه عـلى إقدامـه غـير المحسـوب عـلى المهالـك والحـروب، وعـلى إسرافـه في مطـاردة اللـذّات، فيسـأل عاذِلَـه: تُـرى لـو أحجمـتُ عـن الإقـدام عـلى المخاطـر والخـوض في الملـذّات، فهـل تضمـن لي الخُلـود في الدنيـا؟ وهـل تسـتطيع التصـدِّي للمـوت واسـتنقاذي منـه حـين يُوافيـني؟ وبمـا أن جـواب السـؤالين معـروف سـلفاً، وأن الجميـع سواسـية في حتْميـة الفنـاء وخضوعهـم لقانـون المـوت الـمُطبِق، فـإنّ طرفـة يلتمـس مـن صاحبـه أن يدعـه وشـأنه، وأن لا يُـدِّد مـا تبقّـى مـن وقتـه الثمـين بينمـا يسـابق المـوت للظفـر ببعـض مُتَـع الحيـاة، والتمكُّـن مـن إنفـاق كلّ مـا يملـك قبـل أن يغـادر الوجـود.

اللغة:
التَّشْراب: الشُّرب الكثير. **الطَّريف:** المال المحدَث الذي يكتسبه المرء بنفسه. **المُتْلَد:** المال القديم الموروث عن الآباء. **تَحامَتْني:** تجنّبتْني. **العشيرة:** الأقارب. **أُفْرِدتُ:** عُزِلتُ. **المُعَبَّد:** المذلَّل الذي عبّده الجرَب، فطُلِي ظهره بالقطران، وأُبعِد عن بقية الإبل كي لا يصيبها بالعدْوى. **الغَبراء:** من أسماء الأرض، وبنو الغَبراء هم الفقراء لالتصاقهم بالأرض وعدم امتلاكهم شيئاً غير التراب. **لا يُنكرونني:** لا يجهلون مقامي. **الطِّراف:** القُبّة من الجلد التي يقيم فيها الأغنياء وميسورو الحال. **الممدّد:** الواسع الممدود بالأطناب. **اللائمي:** الذي يلومني. **أحضرَ:** بنصب الفعل المضارع على تقدير (أنْ) قبله، أي: أن أحضرَ. **الوغَى:** الحرب. **تستطيع:** تستطيع. **مَنِيَّتي:** موتي. **أبادرها:** أُسابقها.

53. Thus, I persisted in pleasure,
drink after drink,
squandering all that I owned,
acquired and inherited.

54. Until the entire tribe
shunned me and cast
me out, like a tar-smeared
manged camel.

55. The dust-covered poor
took me in
when the dwellers
of hight tents turned their backs.

56. O you who blame me
for diving into battle
and pleasure, pray do tell,
can you make me immortal?

57. If you cannot ward off
my death then let me
face it with all
that I have.

فلسفة اللذة

٥٨. ولَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيْشَةِ الفَتَى ... وجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

٥٩. فَمِنْهُنَّ سَبْقِيْ العَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى ما تُعْلَ بِالمَاءِ تُزْبِدِ

٦٠. وكَرِّيْ إذا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّباً ... كَسِيْدِ الغَضَا، نَبَّهْتَه، المُتَوَرِّدِ

٦١. وتَقْصِيْرُيَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحتَ الخِبَاءِ المُعَمَّدِ

٦٢. كَأَنَّ البُرَيْنَ والدَّمَالِيْجَ عُلِّقَتْ ... عَلَى عُشَرٍ أو خِرْوَعٍ لَمْ يُخَضَّدِ

٦٣. كَرِيْمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ في حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إنْ مُتْنا غَداً أَيُّنا الصَّدِي

يواصل طرفة هنا بسط فلسفته في اللذة، حين يُماهي بين معنى الحياة والتلذُّذ بالمُتَع، فهو لا يخشى الموت ولا يأسف على فراق الدنيا لولا ثلاث مُتَع يتعلّل بها في حياته: أولها: شُرب الخمر، وثانيها: نجدة الملهوف في الحرب بفرسه الذي يجتاح به الأعداء كما تجتاح الذئاب المتخفّية بين أشجار الغضا الكثيفة فرائسَها على حين غِرّة، وثالثها: الاستمتاع بالمرأة الحسناء داخل خيمتها في يوم متلبّد بالغيوم والمطر.

وهو يتمهّل شيئاً ما في وصف متعته الثالثة، فيصِف جمال الزينة التي تتحلّى بها هذه المرأة المترَفة في ذراعيها وساقيها، ولكنّ ما يستوقفه أكثر هو نعومة أطرافها وامتلاؤها، ويدفعه هذا الإحساس إلى استحضار صورة برّية تصعِّد متعته، وتهيّئها للالتحام بالطبيعة من حوله، فهذه الأذرع اللدْنة والسيقان الممتلئة ليست سوى تجسُّد بشري غَضِر لنوعين ناعمين من الأشجار بفروعهما الملساء وأغصانهما الليِّنة.

تبدو المتعة الثانية بين هذه المتَع الثلاث أقربَ إلى استجابةٍ فروسية لنداء الواجب؛ ولكنّ طابع الافتراس الذئْبي الذي تُصوَّر به يجعلها ممزوجةً بالتلذُّذ الشرِس والظفر الدموي بالأعداء.

اللغة:
وجَدِّك: قَسَم بالجَدّ، وهو الحظّ، وقيل: معناه: وحقِّك. **أحفِل:** أهتمّ. **عُوَّدي:** جمع عائدة، من العيادة، وهي زيارة المريض، والمقصود **بقيامهنّ:** انصرافهنّ عنه بأنساتٍ من شفائه، ونائحاتٍ عليه. **العاذلات:** اللائمات. **كُمَيْت:** ما بين الحُمْرة والسواد، والوصف للخمر. **تُعَلَ بالماء:** يُصبّ عليها. **تُزبِد:** يعلوها الزبد أو الحَباب، وهي الدوائر في أعلى الشراب. **الكَرّ:** العطْف والرجوع. **المُضاف:** المشفِق من الهلاك والخائف المذعور. **المُحَنَّب:** الذي في عظْم ساقه انحناء، والوصف للفرس. **سِيْد:** ذئب. **الغَضا:** شجر كثيف. **نبّهتَه:** هيّجْتَه. المتورِّد: الذي يرِد الماء للشرب، وهو هنا وصف للذئب. **الدَّجْن:** تلبُّد السماء بالغيم. **البَهْكَنة:** المرأة الفتيّة التامّة الخَلْق. **الخِباء:** الخيمة الصغيرة تُنصَب على عمودين أو ثلاثة. **المعمَّد:** المرفوع بالعِماد. **البُرَين:** جمع بُرَة، وهي الخلْخال. **الدماليج:** جمع دُمْلُج، وهو السِّوار العريض. **العُشَر والخِرْوع:** نوعان من الشجر الأملس اللـيِّن العُود. لم **يُخَضَّد:** لم يُثنَ ليُكسَر. **الصَّدِي:** الظمآن.

58. If it weren't for three
that make life worth living,
on my life, I wouldn't have
cared if I were to die now.

59. One is my beating
the nay-sayers to a drink
of deep red that froths
when mixed with water.

60. And one is my rushing
to the aid of a distressed call
like a wolf startled
on its way to a waterhole.

61. And one is my shortening
a long rainy day, under
the flaps of a high tent
with my soft plump lover.

62. Her bracelets and anklets
are as if strung
on smooth and thick
tree-stems.

63. I am a generous man
and I drink life to the fullest.
You'll know when we die
which of us dies thirsty.

يلفت النظر أيضاً طابع اللهفة المتحسِّرة في تصوير هذه اللذائذ، فهي مُتَع سريعة الانقضاء، فطرفة يُسابق العاذلات على الشرب قبل أن يكدِّرن عليه متعته، لقد عرف أنهنّ سيأتين إليه يلمْنه على سُكْره في اليوم السابق؛ ولهذا يُعاجل مجيئهنّ بالمبادرة التوّاقة إلى سُكْر جديد. أمّا يومه القصير مع الحسناء والغيوم فما أسرع ما ينقضي، فالدجْن مُعجِب كما يقول، ولطالما تقضّتْ سريعاً أيامنا المعجِبة.

هذه المسابقة الدائمة والمتلهّفة إلى الارتواء من اللذات عند طرفة تبدو وكأنها عنوان حياة؛ ولهذا يقول في آخر الأبيات وبمُكابرة سادرة: إنّ هذا السلوك هو ما يجدر بالكريم أن يفعله: أن يُروّي نفسه بالخمر في حياته قبل أن يفقد هذه القدرة بعد مماته، ثم يلتفت إلى من يعذله على إسرافه فيها، فيذكِّره بأنه سيكون بعد الممات هو النادمَ الوحيد بينهما على أنه لم يروِ ظمأه في الحياة.

وكأنما يرسم طرفة بهذه المجادلة الخمْرية الخطوط الأولى لنهج شعري خاص في فنّ الخمْريات، وهو: الخمْريات التأمّلية في معنى الحياة وسؤال الفناء والمصير، سيتطور هذا النهج الشعري بعد ذلك عند اللاحقين؛ كأبي نُواس في الشعر العربي، وعمر الخيام في الشعر الفارسي.

اللوحة الخامسة
تأمُّلات في الموت والحياة

٦٤. أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ
٦٥. تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّدِ
٦٦. أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ
٦٧. أَرَى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ وما تَنْقُصِ الأَيَّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ
٦٨. لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ ما أَخْطَأَ الفَتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وِثْنَيَاهُ بِاليَدِ

هذه لوحة الرؤى، فقد ظلّ طرفة يكرر فيها قوله: (أرى)، مازجاً بين رؤيتَي: النظر، والتفكُّر، إنه الآن في مواجهة الحقيقة الكبرى: الموت الذي لا يمكن فهْم الحياة وإدراك مغزى الوجود فيها دون استحضاره، وتتبُّعِ خيوط العلاقات بينه وبين قِيَم الحياة نفسها وغاياتها.

يعجب طرفة أولاً من هذا التماثل العجيب بين القبور، مهما تباين سلوك أصحابها في حياتهم، فها هو ذا قبر البخيل الذي كان شديد الحرص على ماله ونفسه يُجاور قبر الغويّ المتهوّر الذي لم يكن يُبالي بأيّ شيء، يتجاوران الآن في هدوء دون أن تستطيع التفريق بينهما، وإنه ليتأمل فيهما فلا يرى سوى كومتين متشابهتين من التراب قد نُضدتا بالحجارة.

غير أنّ طرفة يدرك من جانب آخر أن هذه المساواة الظاهرة أمام الموت لا تنفي بُعدَ ما بين الكِرام وغيرهم في منزلتهم عند الناس وأثرهم فيهم: أحياءً، وبعد مماتهم.

نعم، يسري قانون الفناء على الجميع؛ ولكنّ طرفة لا يلحظ إلّا رحيل الكرام، حتى ليظنّ أن الموت لا يختار أحداً سواهم؛ لعِظَم الفجيعة بهم، واختلال أحوال الكثيرين بعدهم، وطرفة يمدّ تصوُّره لهذا الانتقاء الأنيق الذي يمارسه الموت مع أفراد الناس ليشمل الأموال أيضاً، فهو لا يُتلف من أموال الحريص المتشدِّد إلا أكرَمَها عليه وأقربها إلى قلبه، فلا جدوى من الحرص إذن، وكأنّ طرفة هنا يكرر الاحتجاج لمذهبه في الحياة المبني على ثلاثية: التناسي، والإقدام، والاستمتاع.

اللغة:
نَحّام: كثير النحيم، وهو السُّعال والتنحنُح، ووصف البخيل به لدلالته على اضطرابه عند السؤال وشدة جزعه على ماله. **الغَوِيّ:** الضالّ الذي يتّبع هواه. **البَطالة:** المعيشة اللاهية دون عمل. **الجُثْوة:** بضمّ الجيم وفتحها وكسْرها: الكَومة من التراب أو الحجارة. **الصفائح:** جمع صفيحة، وهي الحجَر العريض. **صُمّ:** صُلْبة. **مُنضَّد:** مرصوف بعضه فوق بعض. **يَعْتام:** يختار. **عَقِيلة المال:** أكرمه وأنفسه عند أهله، فهم يعقِلونه، أي يمنعونه عن الناس. **الفاحش:** سيّئ الخُلق. **المتشدّد:** البخيل. **ينفد:** ينقضي. **لَعَمْرُك:** قَسَم بحياة المخاطَب. **أخطأ:** ترك. **الطِّوَل:** الحبْل. **المُرخَى:** الممدود. **ثِنْياه:** طرفاه المثْنيّان.

64. I see the grave of a miser
who hoards his riches
and the grave of the reckless
who squanders his, alike.

65. All you see
are two mounds of dust
and slabs of silent stone
piled on top.

66. Death chooses
the noble and the generous
and picks at the most prized
of a miser's spoil.

67. I see life a treasure
that shrinks every night.
What time and days chip away at
will soon be gone.

68. By your life, death never
misses his mark.
A loose rope, this life,
its end in death's hand.

ثـم يكشـف طرفـة عـن امتنانـه العميـق لنعمـة العيـش في هـذه الحيـاة السـاحرة، فعمـر الإنسـان عـلى هـذه البسـيطة هـو كـنز ثمين؛ ولكـنّ مـا يثـير الأشـجان في كائـن يعشـق الخلـود أن هـذا الكـنز الـذي مُنِـح لـه محكـوم بقانـون التناقـص المسـتمر والتدريجـي مـع كل ليلـة تمـرّ عليـه، أي أنّ كلّ لحظـة تعـبُر بـه سـتهَبُ المتعـة لـه بإحـدى يديهـا، بينمـا تسرق بيدهـا الأخـرى بعـض الـلآلئ المخبّـأة في كـنز عمـره اليتيـم.

وتتضاعـف وطـأة هـذا الشـعور عنـد الإنسـان بسـبب وعيـه الحـادّ بالزمـن، فهـو -فيمـا يبـدو- الكائـن الحـي الوحيـد الـذي يتجـاوز إدراكـه حـدود اللحظـة الراهنـة الـتي يعيـش فيهـا؛ متطلعـاً إلى الزمـن الآتي والغـد المحجـوب، ومتصـوِّراً اللحظـة الرهيبـة الـتي لـن يكـون موجـوداً فيهـا عـلى هـذه الأرض، وهـي اللحظـة الـتي يعـبّر عنهـا طرفـة في البيـت نفسـه بـ(نفـاد الكـنز).

ولا يكتفـي طرفـة بهـذا الحـدّ الموجِـع في تصويـر هـذه الحقيقـة الجاثمـة عـلى الوعـي المتغافـل، بـل يُوغـل أكـثر في محاولـة إيقـاظ الشـعور الحـادّ بهـا، فالفـتى إذْ يـرى اتسـاع المـدى أمامـه وهـو يـسرح في أكنـاف الأرض، ويمـرح في أقاصيهـا يظـنّ لوهلـة أن المـوت قـد أخطـأ الطريـق إليـه، فقـد بعُـد العهـد بـه، وامتـدت المسـافة شاسـعةً بينهمـا، بينمـا يجلـس المـوت مبتسِـماً في زاويـة خفيّـة، وقـد أحكـم قبضتـه عـلى الحبـل الممتـد الموصـول بجسـد الفـتى، فمـتى ابتغـاه جذبـه إليـه دون عنـاء، فهـو كصاحـب الدابـة الـذي يُرخـي لهـا الحبـل المربـوط بهـا؛ لترعـى حولـه بنَهَـمِ مَـن يظـنّ أبديـة البقـاء في المرعـى؛ ولكـن مـتى شـاء الراعـي، جـذب الحبـل نحـوه وردّهـا إليـه.

اللوحة السادسة

معاتبة القريب

٦٩. فَمَـا لِـي أَرَانِـي وابْنَ عَمِّيَ مَالِـكاً ... مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنْـأَ عَنِّي ويَـبْـعُـدِ

٧٠. يَلُـومُ ومـا أَدْرِي عَـلامَ يَلُومُنِـي ... كَمَا لامَنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بْنُ أَعْبَدِ

٧١. وأَيْأَسَنِـي مِـنْ كُلِّ خَيْـرٍ طَلَبْتُـهُ ... كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَـى رَمْسِ مُلْحَدِ

٧٢. عَلَى غَيْـرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْـرَ أَنَّنِي ... نَـشَدْتُ فَلَمْ أُغْفِلْ حَمُوْلَةَ مَعْبَدِ

٧٣. وقَـرَّبْتُ بِالقُـرْبَى وجَدِّكَ إِنَّنِي ... مَتَى يَـكُ أَمْـرٌ لِلنَّكِيْـثَـةِ أَشْهَدِ

هـذه لوحـة لعتـابٍ ممتـد وجّهـه طرفـة لابـن عمـه مالـك الـذي كان ميسـور الحـال؛ ولكنـه لـم يسـاعد طرفـة -كمـا يقـول الـرواة - حـين قصـده ليُعينـه في طلـب نُـوقٍ كانـت لـه ولأخيـه معبـد بعدمـا ضلـتْ طريقهـا، واسـتولى عليهـا جماعـة مـن مُـضَر، فقـد صـدّه مالـك، ولامـه عـلى إهمالـه لهـا، وقـال لـه: فرّطـتَ فيهـا، ثـم أقبلـتَ تُتعِـب نفسـك في طلبهـا.

وأثّـر هـذا الصـدّ الجـافي في نفـس طرفـة، ولهـذا يتعجّـب هنـا مـن تفـاوت التعامـل بينـه وبـين ابـن عمـه، فبينمـا يجـد طرفـة حـق القرابـة بينهمـا موجِبـاً للدنـوّ والأُلفـة، والقيـام بحـقّ النـصرة، فقـد فضّـل مالـك الابتعـاد عنـه، والانـصراف عـن مسـاعدته، ولـم يكتـفِ بذلـك، بـل راح يلومـه ويقرِّعـه؛ ولكـن طرفـة لا يجـد مغـزى لهـذا اللـوم، كمـا لـم يجـد سـابقاً معـنى للـوم رجـل مـن قبيلتـه لـه، وهـو قُـرط بـن أعبَـد.

ويصـوِّر طرفـة الكَـرب الـذي حـلّ بـه بعـد لقائـه بابـن عمـه، فقـد صـدر عـن مجلسـه وهـو محبَـط منـه، ويائـس مـن أن يقـدِّم أيّ عَـون لـه؛ حـتى لكأنـه قـد دفـن كل خـير كان يأملـه منـه في قـبر محكَـم الإغـلاق، فـلا سـبيل إليـه، ولا أمـل في اسـتعادته، وهـو لا يجـد سـبباً مفهومـاً لهـذا السـلوك مـن ابـن عمـه، فهـو لـم يُذنـب في حقـه، ولـم يتعـدَّ عليـه بـأيّ قـول، وكلُّ مـا أراده هـو اسـتعادة نُـوق أخيـه مَعبـد، ثـم يذكِّـر مالـكاً مـرة أخـرى بحـق القرابـة بينهمـا، وهـو الحـق الـذي يُراعيـه طرفـة، ويُلـزم نفسـه بمسـاعدة ابـن عمـه مـتى احتـاج إليـه في أيّ خطْـب يُلـمّ بـه.

مـن التباسـات التفسـير: مرجـع الضمـير في قـول طرفـة: (كأنّـا وضعنـاه إلى رمْـسِ مُلحَـدِ)، فهـذا المدفـون في القـبر؛ لتصويـر شـدة اليـأس منـه: أهـو ابـن عـم طرفـة: مالِـك، أم هـو الخـير المأمـول منـه؟ أمَّـا معظـم الـشرّاح القدامـى فقـد فهِمـوا أن المقصـود بهـذه الصـورة هو مالِـك، أي أنّ طرفـة قـد وصـل بـه اليـأس مـن ابـن عمـه إلى أن يعـدَّه مـن الأمـوات الذيـن دفنهـم بيديـه في اللحـد، وهـي -بهـذا الفهـم-

اللغة:

مالـك: هـو ابـن عـمّ طرفـة، ولـم أجـد في المصـادر إبانـة أكـثر عـن نسـبه. **أَدْنُ، يَنْـأَ:** أصلهـا: أدنـو، ويَنْـأَى، أي: أقـترب، ويبتعـد، وإنمـا حُـذِف حرفـا العِلّـة في آخرهمـا لأنهما مجزومـان بـأداة الـشرط. **قُـرط بـن أعبَـد:** رجـل مـن قبيلـة طرفـة. **رَمْـس:** قـبر. **الـمُلْحَد:** اللحْـد، وهو الشـقّ في جانـب القـبر. **نَشَـدتُ:** طلبـتُ الـشيء المفقـود. **حَـمُولة:** الإبـل الـتي تُطيـق أن يُحمَـل عليهـا. **مَعبَـد:** أخـو طرفـة. **قرّبـتُ بالقُـربى:** أي ذكّرتُـه بقرابـتي لـه. **وجَدِّك:** قَسَـم بالجَـدّ، وهـو الحـظّ، **والمقصـود:** وحقِّك. **يـكُ:** أصلهـا يكـنْ، وحـذف النـون عنـد الجـزم شـائع في الشـعر والنـثر. **النَّكِيثـة:** الأمـر العظيـم الـذي يسـتدعي أقـصى الجهـد.

69. Why is it so then,
I and my cousin Mālik,
whenever I come close
he draws away?

70. He blames me
and I don't know why,
the way Qurt ibn Aʿbad
disparaged me in front of them all.

71. He made me despair
of every favor I asked
and bury every hope of it
as if in a deep grave.

72. All this for no fault
I committed other than
asking assistance for Maʿbad
in gathering his lost herd.

73. I had hope in our kinship
and, by your fortune,
I am one to persevere
till the very end.

صـورة بالغـة الجفـاء، ولا تتناسـب مـع روح العتـاب في الأبيـات، ولـم أجـد بـين هـؤلاء الشرّاح غـير القـاضي الـزوزني الـذي رأى أن المقصـود بهـذه الصـورة هـو الخـير المأمـول مـن مالـك، وهـذا الفهْـم الأخـير هـو الأليـق بالعتـاب، وهـو مـا اعتمدتُـه في الـشرح.

ظلم ذوي القربى

٧٤. وإنْ أُدْعَ لِـلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُـمَاتِها ... وإنْ يَأْتِكَ الأَعْداءُ بِالجَهْدِ أَجْهَدِ
٧٥. وإنْ يَقْذِفُوا بِالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهِمْ ... بِكَأْسِ حِيَاضِ المَوتِ قَبْلَ التَّهَدُّدِ
٧٦. بِلا حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وكَمُحْدِثٍ ... هِجَائِي وقَذْفِي بِالشَّكَاةِ ومُطْرَدِي
٧٧. فَلَوْ كَانَ مَوْلايَ امْرَأً هُوَ غَيْرُهُ ... لَفَرَّجَ كَرْبِي أَو لأَنْظَرَنِي غَدِي
٧٨. ولَكِنَّ مَوْلايَ امْرُؤٌ هُوَ خَانِقِي ... عَلَى الشُّكْرِ والتَّسْآلِ أو أَنا مُفْتَدِي
٧٩. وظُلْمُ ذَوِيْ القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

يسـتمر طرفـة في معاتبـة ابـن عمـه مالـك، منوّهـاً بقيامـه بحـقّ القرابـة تجاهـه، فحـين تدلهـمّ الخطـوب بهـم جميعـاً، فـإن طرفـة سـيكون أول المحامـين عـن العشـيرة وعنـه وقـت الشـدّة، وحـين يتربـص الأعداء بمالـك، ويتطاولـون عليـه بالقـول والفعـل، فسـيواجههم طرفـة بـكلّ طاقتـه، ولـن يُضيـع وقتـه وجهـده في تهديدهـم، بـل سـيبادر إلى مُنازلتهـم والقضـاء عليهـم.

ثـم يعـود طرفـة إلى التعجُّـب مـن جفـاء ابـن عمـه معـه، دون جُـرمٍ أحدثـه أو إسـاءة سـبقتْ منـه، بـل إن الإسـاءة الحقيقيـة هـي مـا يتعـرض لـه مـن هجـاء وشـكوى وطـرد، وهـو المسـتحقّ للتكريـم، ولـو كان ابـن عمـه رجـلاً آخـر غـير مالـك، لـرأى لِزامـاً عليـه أن يُفـرِّج كُربـة طرفـة، وأن يمنحـه مـا يُريـد مـن عَـون ومـال، مُفْسِـحاً لـه في الـمُهْلة بما تُوجِبـه آصرة الرحِـم بينهمـا.

ولكـنّ مالـكاً لـم يصنـع شـيئاً مـن هـذا، بـل ضيّـق عليـه إلى حـدّ الاختنـاق وانقطـاع الأنفـاس، فهـو حائـر في أمـره معـه، لأنّ كِلا حاليـه جالـبٌ للبـؤس: إنْ شـكره طالبـاً العـون منـه، أو إن انـصرف عنـه مخلِّصاً نفسـه مـن جفائـه.

ثـم يفـسِّر طرفـة سـبب هـذا الشـعور بالاختنـاق، فظلـم ذوي القُـربى بالـغُ المـرارة في النفـس؛ وكأنـك تتلقـى بـه ضربـة غائـرة مـن سـيف قاطـع؛ أولاً لأنـه يـأتي ممـن تتوقـع منهـم النـصرة والتأييـد، لا الإسـاءة والظلـم، وثانيـاً لأنـك لا تسـتطيع مُجـاراة الأقـارب في ظلمهـم لـك، رعايـةً لحـق القرابـة، فليـس أمامـك سـوى تجـرُّع الصـبر.

اللغة:
الجُـلَّى: مؤنّـث الأجـلّ، وهـي الواقعـة العظيمـة. مـن **حُماتهـا:** من المدافعـين القائمـين بهـا. **الـجَهْد:** المشـقة. **القَـذْع:** الشـتْم والفُحـش في القـول. **عِرضـك:** شرفـك. **حِيـاض المـوت:** الحِيـاض: جمـع حَـوض، وهـو مُجتمَـع المـاء، **والمقصـود:** غمـرات المـوت. **التهـدُّد:** التهديـد والتخويـف. الحـدَث: الأمـر المنكَـر. **الـمُحدِث:** مُرتكِب المنكَـر. الشَّـكاة: الشكْوى. مُطْـرَد: أي جَعْـلي طريـداً. **مـولاي:** المقصـود بـه هنـا ابـن العـم. **الكَـرْب:** الشـدّة الجالبـة للغـمّ. **أَنْظَـرني:** أمْهَلَـني. **التَّسْـآل:** السـؤال. **مُفْتَـدٍ:** مخلِّـصٌ نفـسي منـه. **مَضاضَـة:** حُرقـة ومـرارة. **وقْـع:** ضرب. **المهنّـد:** السـيف المصنـوع مـن حديـد الهنـد، وهـو مـن أقطـع السـيوف.

74. When called upon in calamity
I rise to defend
and if enemies strive to pain you,
I strive back.

75. And if they slander you
I will give them a drink
straight from death's cup.
No time lost on threats.

76. I was reviled,
scorned, cast out,
and treated as guilty,
without a crime,

77. Had my master
been another,
he would have eased
my pain and granted me hope.

78. But my master
is himself my strangler
whether I thanked and pleaded
or sought to save myself.

79. The cruelty of kin
is more biting and strikes
deeper than a sharp
Indian sword.

أحلام اليقظة

٨٠. فَذَرْنِي وخُلْقِي إنَّني لَكَ شَاكِرٌ ولَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِياً عِنْدَ ضَرْغَدِ
٨١. فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ ولَو شَاءَ ربِّي كُنْتُ عَمْرَو بنَ مَرْثَدِ
٨٢. فَأَصْبَحْتُ ذا مَالٍ كَثِيْرٍ وعادَنِي بَـنُـونَ كِـرَامٌ سَـادَةٌ لِـمُسَـوَّدِ
٨٣. أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسِ الـحَيَّةِ المُـتَوَقِّدِ

يصل اليأس بطرفة هنا إلى منتهاه، فكلُّ ما يطلبه من ابن عمّه مالك أن يدعه وشأنه، وألّا يتعرّض له بنقد أو تجريح، وسيكون هذا أكبر صنيع يشكره عليه ويحفظه له مهما ابتعد مُقامه عنه، وبضجر بالغ من الحاجة التي ألجأتْه مضطراً إلى ابن عمه يكِلُ أمر الغِنى والفقر إلى ربه، فلو شاء لجعله غنيّاً سَرِيّاً، ووهبه أبناءً سادةً يزورنه بانتظام تعظيماً له، ويُنسَبون إليه تشريفاً لهم؛ لأنه السيّد المُسَوَّد، كما هو حال هذين السيّدين الكريمين من سادات العرب وأغنيائهم: قيس بن خالد، وعمرو بن مَرثَد.

ثم لا يلبث طرفة حتى يستيقظ من أحلام اليقظة في الغِنى والجاه والولد، مُسترجِعاً مكانته التي طالما تبوّأها بين قومه بجهده الفردي وصفاته الشخصية التي لا مثيل لها عند الآخرين، فهو الرجل المعروف بينهم بخِفّة جسده وسُرعة نجْدته، ويقظته المتوقِّدة ذكاءً ومَضاءً، حتى ليذكِّرك رأسه الداهية الفطِن برأس الحيّة المتأهِّب دوماً للفتْك والانقضاض.

اللغة:
ذَرِني: اتركني. **حلَّ:** أقام. **نائياً:** بعيداً. **ضَرغَد:** اسم منطقة تشمل جبلاً، ووادياً، وحَرّة تقع غرب مدينة حائل باتجاه المدينة المنورة، وتُعرَف المنطقة الآن باسم: ضرغط؛ بإبدال الدال طاءً. **قيس بن خالد:** رجل من بني شيبان. **عمرو بن مَرثد:** ابن عمّ طرفة. وكان هذان الرجلان من سادات العرب وأغنيائهم. **عادني:** زارني. **مُسوَّد:** سيِّد أقرّ الناس له بالسيادة عليهم. **الضَّرب:** الظريف والخفيف الجسد. **الخَشّاش:** الرجل المتيقِّظ الذي ينْخشُّ في الأمور ذكاءً ومَضاءً. **المتوقِّد:** الذكي سريع الحركة.

80. So let me and my deeds be.
I'll forever be grateful
to you even if my tent is
all the way on mount Darghad.

81. If God willed, I
could've been another:
Qays ibn Khālid
or ʿAmr ibn Marthad

82. I would have had
all the riches one desires.
Lords and sons of nobles
would have flocked for my favor.

83. I am the quick one,
you know well, alert
like a serpent's
darting head.

اللوحة السابعة

أحاديث الفروسية والكرم

٨٤. فَآلَيْتُ لا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً لِعَضْبٍ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
٨٥. حُسَامٍ إذا ما قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ ليسَ بِمِعْضَدِ
٨٦. أَخِي ثِقَةٍ لا يَنْثَنِي عَنْ ضَرِيْبَةٍ إذا قِيْلَ: مَهْلاً قَالَ حَاجِزُهُ: قَدِي
٨٧. إذا ابْتَدَرَ القَوْمُ السِّلاحَ وَجَدْتَنِي مَنِيْعاً إذا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي

تنعطف المعلَّقة مع هذه اللوحة نحو تمجيد السطوة والغلبة، والاحتفاء بصفات الجرأة وقوة البأس والكرم المسرِف في شخصية طرفة، وكأنها تُعادل ما اشتملتْ عليه لوحة العتاب السابقة من تلطُّف ورقّة، وما كشفتْ عنه من احتياجٍ وضعفِ حال، فطرفة يحكي هنا بأنه قد أخذ على نفسه عهْداً بأن يكون السيف رفيقاً له ولصيقاً به؛ حتى كأنّ جنبه بِطانة دائمة له؛ لطول الملازمة بينهما، وهي صورة تذكِّرنا بصورة مقاربة عند امرئ القيس في لاميته الأخرى حين جعل السيف مُشارِكاً له في فِراش نومه: (أيقتُلني والمَشْرفيُّ مُضاجِعي).

ثم يعدِّد طرفة صفات سيفه المختار، فهو سيف قاطع بشفرتيه الحادّتين، وبراعة صقْله وصُنعه، وحين يهجم به على عدوّه منتصِراً لنفسه، فإنّ الضربة الأولى منه كافية وحدها للقضاء عليه. وفي هذه الإشارة الأخيرة وصف مزدوج لعنفوان السيف وحامِله معاً، وهو الازدواج الذي يمكن أن تتبين حضوره في كلّ صفة يُسبغها طرفة على السيف تصريحاً، وعلى نفسه إيحاءً وتلميحاً.

فهذا السيف القاطع ليس من السيوف الرديئة التي تُمتهَن في قطع الأشجار، وإنما هو للمهمّات الجليلة التي يضطلع بها فُرسان الحروب، وهو دائماً موضع الثقة عند احتدام المعركة، لشدّة مَضائه وسرعة إهلاكه للخصوم؛ دون أن ينْبو حدُّه، أو يحتاج إلى تكرار الضرب به، ويكفي أن يعزم صاحبه على قتل مَن أمامه حتى يُعدّ مقتولاً على الفور، ولو قيل لحامله في أثناء توجيه ضربته: تمهّلْ، فلن يتمكن من تدارك الأمر بعد نفاذه.

أمَّا حين يُفاجَأ القوم بالغارة المباغِتة، فيتسابقون لالتقاط سيوفهم، والاحتماء بدروعهم، فإنك ستجد طرفة أهدأ ما يكون بالاً بينهم؛ لاطمئنانه إلى حصانته المنيعة من الأعداء، وقد ظفِر بسيفه البتّار، وامتلأتْ كفُّه بمقْبضه، فلن يُقهَر، ولن يُغلَب.

اللغة:
آلَيتُ: أقسمْتُ. **لا ينْفكّ:** لا يزال. **الكَشْح:** الجَنْب، وهو ما بين الخاصرة إلى الأضلاع. **بِطانة:** مُلاصِق. **عَضْب:** قاطِع، والوصف للسيف. **الشَّفْرتان:** حَدّا السيف. **العَود:** الإعادة. **المِعْضَد:** السيف الرديء الذي يُمتهَن في قطْع الشجر. **أخي ثِقَةٍ:** موثوق به، وهو وصف للحُسام. **ينثني:** ينْبو ويرجع. **ضَرِيبة:** ما يُضرَب بالسيف. **حاجِزه:** مقْبض السيف أو حامِله. **قَدِي:** حَسْبي. **ابتدر:** تسابق. **المَنِيع:** الذي لا يُوصَل إليه. **بَلَّتْ:** ظفِرتْ. **قائم السيف:** مقْبضه.

84. I swore never to part
with my double bladed
Indian sword, forever
nestled on my side.

85. No pruning axe, is this sword
with which I seek victory.
It splits with one strike
no need for a second.

86. Trustworthy, it doesn't spare
a target. If someone cried: "easy,"
its holder would answer:
"too late."

87. When the enemy rush
to their arms, you'll find me
unyielding with that sword
in my hand.

مغامرة قصصية

٨٨. وبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارتْ مَخَافَتِي نَوَادِيَها أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
٨٩. فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلَالَةٌ عَقِيْلَةُ شَيْخٍ كَالوَبِيْلِ يَلَنْدَدِ
٩٠. يَقُولُ وقَدْ تَرَّ الوَظِيْفُ وسَاقُها: أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ
٩١. وقَالَ: ألا ماذا تَـرَونَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ
٩٢. وقَالَ: ذَرُوْهُ إِنَّما نَفْعُها لَهُ وإِلَّا تَكُفُّوا قَاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ
٩٣. فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَها وَيُسْعَى عَلَيْنا بِالسَّدِيْفِ المُسَرْهَدِ

هذه قطعة خالصة -من بين أبيات المعلَّقة- للسرد القَصَصي والمغامرة المتسلْسِلة، وهي أكثر تشعُّباً وامتداداً من القطعة التي وصف فيها مجلسه مع مُنادِميه والمغنّية المُترَفة ذات الصوت الشجيّ، وتُعيدنا أجواء هذه القطعة القَصَصية إلى مغامرات امرئ القيس في معلّقته، أمّا البيت الأخير فيها حيث يروي طرفة تفاصيل ما صنعتْه الإماء بلحم الناقة التي عقرها، فما أقربَه لأجواء البهجة المصاحِبة للطعام الوافر في يوم دارة جُلجُل، حين راحت الفتيات يتهادَين قِطَع اللحم بينهنّ، وفي هذا يقول امرؤ القيس:

ويومَ عَقَرتُ لِلعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كُورِها المُتَحَمَّلِ
فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

ومع هذا النفَس القَصَصي فإن هذه القطعة تبدو امتداداً طبيعياً للوحة الفروسية والكرم التي استهلّتْها الأبيات السابقة، فطرفة يقصُّ هنا إحدى المغامرات التي تبدّت فيها جُرأته وكرمه المسرِف غير المُبالي بالعواقب.

فكم من مرة يهتزّ لداعي السماحة والندى إكراماً لضيوفه، فيقصد إبِلاً باركة ومسترسلة في نومها الهنيء، حتى إذا أحسّت بمقدمه نحوها شاهراً سيفه الباتر، ولَّتْ سوابقُها هاربةً منه، وخائفةً من مصيرها المحتوم بين يديه، وقد عرفتْ من تجاربها السالفة معه أنه صاحبها الذي طالما نحر أطايبها، وفي حومة الفزع تلك تمرُّ من جانبه الناقة المبتغاة لإشهار كرمه، فهي أفضل تلك النُّوق: سِمَناً وعِظَماً ومَهابة، وهي لذلك أكرمُهُنّ منزلةً عند مالكها.

اللغة:

وبَـرْكٍ: الواو واو رُبّ، **أي:** ورُبّ بَرْك، **والبَرْك:** الإبل الباركة على الأرض. **هُجُود:** نِيام. **أثارتْ:** أفزعتْ. **مَخَافَتِي:** أي خوفُها مِنّي. **نَوَاديها:** أوائلها. **عضْب:** قاطِع، والوصف للسيف. **مُجرّد:** مسلول من غِمده. **كَهَاة:** ناقة ضخمة. **ذات خَيف: الخَيْف:** الجِلْد المحيط بضَرْع الناقة، والمقصود أنها ذات ضرع كبير. **جُلالة:** عظيمة وسمينة. **عَقِيْلة شيخ:** خير إبِله وأكرمها عنده. **الوَبِيْل:** العصا. **يَلَنْدد:** شديد الخصومة. **تَرَّ:** انقَطَع وسَقَط. **الوَظِيف:** عظْم الساق، وهو ما بين رُسْغ القدم إلى الركبة. **المُؤْيِد:** الداهية العظيمة الشديدة. **شارِب:** يقصد شارب خمر. **البَغْي:** التعدِّي. **متعمِّد:** قاصد للظلم. **ذَرُوه:** اتركوه. **تكُفُّوا:** تردُّوا وتمنعوا. **قاصي البَرْك:** ما شَرَد من الإبِل وتقصَّى بعيداً. **الإماء:** الجواري الخادمات. **يمْتَلِلْن:** يَشْوِين اللحم في المَلَّة، وهي الجمْر والرماد شديد الحرارة. **الحُوار:** ولد الناقة، والمقصود به هنا: ولدها الذي أُخرِج من بطنها. **يُسعَى علينا:** يُنقَل إلينا. **السَّدِيْف:** قِطَع السَّنام. **المُسَرْهَد:** المُكْتنِز السَّمِين.

88. I startled
many a slumbering herd
when I approached
with my naked blade.

89. An old majestic mare
passed by, rough and thick,
the prized property
of a withered petulant man.

90. He cried, when she fell,
her leg and shank split,
“Don’t you see what
calamity you’ve brought.”

91. “Do you see
this impetuous drunkard”
He said to his people
“Intent on doing us harm.”

92. But he then told them
“Let him have what he’s taken
but guard the rest of the herd
or he’ll keep on killing.”

93. And so, the maidens enjoyed
the roasted flesh of mother and foal
and servants continued to serve
carved cuts of the prized hump.

وطرفـة يصِـف صاحـب هـذه النُّـوق بأنـه شـيخ مُسِـنّ قـد نحـلَ جسـمه ويبِسـتْ أعضـاؤه حـتى لكأنّـه عصـا غليظـة، وهـو إلى ذلـك شـديد الخصومـة مـع طرفـة لمـا يصنعـه بنُوقـه العزيـزة عليـه؛ ولكـنّ مـا صنعـه طرفـة تلـك الليلـة قـد فـاق أسـوأ توقُّعاتـه، فقـد عمـد طرفـة إلى خـير نُوقـه وأنفسـها عنـده، فعقـر سـاقها لتسـقط باركـةً عـلى الأرض، ويتمكـن مـن نحرهـا، وهنـا يـصرخ بـه الشـيخ منـدِّداً: أتُدرِك أيّ مصيبـة عظيمـة أحدثتَهـا بعقْـرك هـذه الناقـة النجيبـة دون بقيـة النُّـوق؟

ثـم يلتفـت الشـيخ إلى مـن حوله من عشـيرته وأعوانـه، ليستشـيرهم في هـذه النازلـة الجليلـة، والشـيخ يسـتعمل في خطابـه لهـم أداة التنبيـه (ألا) بمـا تتضمّنـه مـن مشْـهدية صاخبـة، وتتضافـر كلُّ هـذه الإشـارات المتعاقبـة لإظهـار شـدّة الحـدث، ومقـدار لوعـة الشـيخ عـلى ناقتـه الأثـيرة، حـتى إنـه لا يسـتطيع أن يفهـم سـبباً معقـولاً لتعمُّـد طرفـة بـأن ينحـر أكـرم نُوقـه إلَّا أن يكـون السُّـكْر قـد خالـط عقلـه، ودفعـه إلى هـذا الاعتـداء الجسـيم الـذي يبـدو لدقّـة اسـتهدافه وكأنـه قـد قصـده عمْـداً.

ثـم تهـدأ الأجـواء بمـرور بعـض الوقـت، ويثـوب الشـيخ إلى رُشـده، وتعـود إليـه حِكْمتـه، فيسـلِّم بوقـوع الخسـارة الـتي لا يمكـن اسـترجاعها، ويطلـب مـن أعوانـه أن يَدَعـوا طرفـة وشـأنه، ويسـتفرغوا جهدهـم في اسـترداد النُّـوق النافـرة؛ حـتى لا تزيـد الخسـارة بفقدانهـا، أو يغـري ابتعادهـا طرفـة بملاحقتهـا واسـتهدافها أيضـاً، وهـو حـين يقـرر التجـاوز عـن طرفـة يلـوِّح لـه بأنـه هـو الخـاسر مـن فُقـدان هـذه الـثروة، وهـو المنتفـع بهـا لـو حافـظ عليهـا، وهـذا يسـوقُنا للتسـاؤل عـن هويـة هـذا الشـيخ الـمُسِنّ، وعـن صلـة القرابـة بينـه وبـين طرفـة؟

وقـد قـدَّم الـشرّاح القدامـى إجابـات متنوعـة عـلى هـذا السـؤال، فبعضهـم قـدَّر أن هـذا الشـيخ هـو والـد طرفـة، ويـردُّ هـذا الاحتمـالَ

أنَّ وصـف طرفـة لهـذا الشـيخ تبـدو فيـه ملامـح مـن الاسـتهانة لا تليـق بوالـد، كمـا أن الـرواة يذكـرون أن والـد طرفـة مـات عنـه وهـو صغـير.

ورأى بعـض الـشرّاح أن هـذا الشـيخ لا علاقـة لـه بطرفـة، وأنـه وقـع ضحيّـة لغـارة طرفـة عـلى نُوقـه، واقتحامـه حِمـاه، وهـذا الـرأي بعيـد أيضـاً؛ لتعارضـه مـع أخـلاق الفروسـية الـتي يتمـدّح بهـا طرفـة طـوال المعلَّقـة؛ ولأن حديـث الشـيخ عـن شُرب طرفـة هـو حديـث رجـلٍ عـارف بـه، كمـا أن تجـاوزه السريـع عمّـا صنعـه بنُوقـه، وتلويحـه بـأن نفْـع هـذه النُّـوق مَـردّه في النهايـة إلى طرفـة، كلّ هـذا يؤكـد أن العلاقـة بينهمـا هـي علاقـة قرابـة ومـيراث، فالأرجـح أنـه قريـب لـه، وقـد يكـون عمَّـه؛ كمـا ذهـب إلى ذلـك بعـض الـشرّاح القدامـى.

ويختـم طرفـة هـذا الـسرد المشْـهدي لكرمـه الجمـوح بوصـف مـا فعلتْـه الإمـاء الخادمـات مـع الناقـة المنحـورة، فقـد رُحْـن يطْهـين لحمهـا، ويشْـوين حُوارهـا -الـذي اسـتخرجْنه مـن بطنهـا- فـوق الجمـر والرمـاد المتلهّـب؛ ليقدِّمـن لطرفـة وضِيفانـه أطيـب مـا فيهـا وخـير مـا يُـؤكَل منهـا، ولا تفـوت الـزوزني إشـارة طرفـة لولـد الناقـة وشَـوْي الجـواري لـه، فيقـول: إنَّ ذِكْـر الحُـوار هنـا دالٌّ عـلى أن الناقـة كانـت حُبْـلى، وهـي مـن أنفـس الإبِل عندهـم، أي أن هـذه الإشـارة الخاطفة للحُـوار لهـا وظيفـة دلاليـة معـزِّزة لمعـنى الكـرم عنـد طرفـة، فقـد انتقـى لضيوفـه أكـرم النُّـوق وأحفلَهـا بالأطايـب.

اللوحة الثامنة

وصايا الرحيل، ورؤى الختام

٩٤. فَـإنْ مُـتُّ فَانْعَيْـنِـي بِمـا أَنَا أَهْـلُهُ وشُقِّي عَلَيَّ الجَيْبَ يا ابْنَةَ مَعْبَدِ
٩٥. ولا تَجْعَلِينِـي كَامْـرِئٍ ليسَ هَـمُّـهُ كَـهَمِّي ولا يُغْنِي غَنَائِي ومَشْهَدِي
٩٦. بَطِيْءٍ عَنِ الجُلَّى سَرِيْعٍ إلى الخَنَا ذَلُـولٍ بِأَجْـمَاعِ الـرِّجَالِ مُلَهَّدِ

مـا الـذي يدفـع شاعراً تتدفّـق في عروقـه سَـورة الصِّبـا وحُميّا الشـباب إلى أن يرسـل وصاياه الأخـيرة إلى بنـت أخيـه، وأن يُمـلي عليهـا مـا الذي ينبغـي أن تقولـه حـين تُعـدِّد مآثـره بعـد موتـه، ومـا الـذي يجـدر بهـا أن تصنعـه بنفسـها حـين يبلغهـا خـبر وفاتـه؟ هـل كان طرفـة يهجِـس باخـترام عمـره وموتـه المبكِّـر، واقـتراب رحلتـه القصـيرة في الحيـاة مـن نهايتهـا؟ لمـاذا يشـعر قـارئ معلَّقتـه بـأن روح المـوت تُظلِّلهـا في كل منعطَـف مـن منعطفاتهـا، حـتى في أكـثر صولاتهـا اندفاعـاً وشراسـة، وفي أشـد لحظاتهـا تهتُّـكاً وعَرامـة؟

برثـاء مُكابِـر للـذات يختـم طرفـة معلَّقتـه، وينسـج خيـوط آخـر لوحاتهـا التصويريـة، فيطلـب مـن ابنـة أخيـه أن تنعـاه بعـد وفاتـه بمـا يسـتحقه مـن إجـلال وتكريـم، وأن تُعـدِّد أمـام المـلأ فضائلـه الـتي لا يُدانيـه فيهـا غـيره، وأن تذكِّرهـم بمواقفـه الجليلـة ومقاماتـه السـنيّة الـتي لا يُحسِـن هَمَـلُ النـاس القيـام بهـا، فمـا أكـثر المتثاقلـين عـن أداء واجبهـم عنـد الملِمّـات، المتباطئـين عـن حضورهـا جُبْنـاً وخـوراً، بينمـا يُسـارِعون في دروب الفُحـش والنَّهَـم الخائـب، ويُهينـون أنفسـهم بإظهـار الحاجـة والإلحـاح في السـؤال، حـتى يضجـر منهـم الرجـال، ويلْكزوهـم بقبضاتهـم ليدفعوهـم بعيـداً عنهـم.

وفي أثنـاء هـذه الوصايـا لا ينـسى طرفـة أن يطلـب مـن ابنـة أخيـه إظهـار جزعهـا الشـديد عليـه، إنـه لا يوصيهـا أن تتصـبّر، وأن تتلقـى مُصابهـا الأليـم برباطـة جـأش وقـوة احتمـال؛ كمـا يُـوصي عـادةً المتأهِّبـون للرحيـل أحبابَـهم، بـل إنـه يرجوهـا أن تندبـه أحـرّ النـدب وأشـجاه، وأن تنفعـل غايـة الانفعـال، وأن تمـزّق جيـب قميصهـا أسـفاً عليـه، ولوعـةً عـلى فراقـه، وكأنّ طرفـة هنـا يجعـل مـن ابنـة أخيـه معـادلاً موضوعيـاً لحزنـه الملتـاع عـلى ذاتـه، وتحسُّره -الـذي لا سـبيل لـه إليـه- عـلى عمـره المقتطَـف وشـبابه المنهـوب.

اللغة:
النَّعْـي: إخبـار النـاس بوفـاة أحدهـم، والمـراد بـه هنـا أوسـع مـن مجـرد الإخبـار، فيشـمل ذكـر مآثـر الميّـت وتعديـد فضائلـه. **الـجَيْب:** مدخـل الـرأس مـن الثـوب. **ابنـة مَعبَـد:** هـي بنـت أخيـه مَعبَـد. **لا يُغْـني غَنـائِي:** لا يقـوم مقامـي ولا ينفـع نفعـي. **الجُـلَّى:** مؤنّـث الأجَلّ، وهـي الأمر العظيم الجليل. **الـخَنا:** الفُحْـش والسـوء. **ذَلُـول:** ذليـل مُحتقَـر. **أَجْماع:** جمـع جُـمْع، وهـو اليـد المقبوضـة بمجمـوع أصابعهـا للدفْـع بهـا. **الـمُلَهّد:** الـذي يُدفَـع ويُلكَـز بمجمـوع الكـفّ.

94. If I die, mourn me
with what I deserve
and rend your robes in lament
O daughter of Maʿbad.

95. Don’t turn me into
a man whose ambitions are less
than mine and who could never
be me or cast my shadow.

96. Slow to greatness
quick to depravity,
lowly, bullied around
by men.

الافتخار الأخير

٩٧. فَلَوْ كُنْتُ وَغْلاً فِي الرِّجَالِ لَضَرَّنِي عَدَاوةُ ذِي الأَصْحَابِ والمُتَوَحِّدِ
٩٨. ولَكِنْ نَفَى عَنِّي الأَعَادِيَ جُرْأَتِي عَلَيْهِمْ وإقْدامِي وصِدْقِي ومَحْتِدِي
٩٩. لَعَمْرُكَ ما أَمْرِي عَلَيَّ بِغُمَّةٍ نَهَارِي ولا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ
١٠٠. ويَومٍ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَاظاً عَلَى عَوْرَاتِهِ والتَّهَدُّدِ
١٠١. عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكْ فِيهِ الفَرَائِصُ تُرْعَدِ
١٠٢. وأَصْفَرَ مَضْبُوحٍ نَظَرْتُ حِوَارَهُ عَلَى النَّارِ واسْتَوْدَعْتُهُ كَفَّ مُجْمِدِ

حتى في تلويحة الوداع لا ينسى طرفة أن يُعيد التذكير بفضائله الشخصية والصفات التي ضمِنتْ له التميُّز والرفعة وسَطْوة الجانب عند قومه، فهو قويٌّ منيع لا يجرؤ أحد على الإضرار به؛ ولهذا فهو لا يحفِل بعداوة فرد أو جماعة له، فقد تجنّب هؤلاء الأعداء مُصاولته لخِلال يعلمونها فيه من الجرأة والإقدام، والثبات المشرِّف، والأصل الكريم، كما أنه ماضي العزيمة ورابط الجأش عند حلول المصائب والمِحَن، فلا يقضي نهاره حائراً مغْموماً، ولا يطول ليله من الهمّ والقلق والتلدُّد. ومن كان هذا دأبه فقمين بأن يكون موئل عشيرته: سدادَ رأيٍ ونفاذَ نظر. وهذه الصورة الوقورة لطرفة هنا تبدو وكأنها موازنة مقصودة للصورة الشخصية الجامحة التي رسمتْها اللوحة الرابعة في هذه المعلَّقة، متمثِّلة على الأخص في ثلاثية الشُّرب والفتْك واللذة.

ويزيد طرفة هذه الصورة الوقورة تفصيلاً، فيستذكر الأيام العاصفة التي تصدّى فيها لغارات الأعداء، ووطّن نفسه على الثبات أمامهم في حومة الوغى للدفاع عن شرف عشيرته، وهو يعلم أنه يرِد موطنَ هلاكٍ يتحامى الكثيرون مقاربته، حيث يصافح الفتى الجسور فيه الموتَ عِياناً، فترتعد فرائصه على الرغم منه لهول ما يرى من إحداق المخاطر به من كل جانب. ثم ينتقل طرفة من هذا المشهد المشحون بالشدة والصخب وصليل السيوف إلى مشهد آخر مُترَف الملامح ورخيّ الإيقاع، فها هو ذا يلعب بقِداح الميسر، وينفق ماله فيها من أجل الترفُّه ومتعة الترقُّب، وليس طلباً للكسب والغُنم؛ ولهذا لا يبالي

(٣٥)اللغة:
الوَغْل: الضعيف الخامل. **عداوة ذي الأصحاب:** أي عداوة من كان معه جماعة. **المُتوحِّد:** المُنفرِد. **نَفَى:** أبعَدَ ونَحَّى. **المَحْتِد:** الأصل. **لَعَمْرُك:** قَسَم بحياة المخاطَب. **الغُمَّة:** من الغَمّ، وهو التغطية، والمقصود **بها:** الأمر المبهَم الذي لا يُهتدَى له. **السَّرْمَد:** الدائم غير المنقطِع. **ويومٍ:** الواو واو رُبّ، **أي:** ورُبّ يومٍ. **العِراك:** الازدحام عند النزاع. **العَورات:** جمع عَورة، وهي ما يجب المحافظة عليه والدفاع عنه. **التهَدُّد:** تهديد الأعداء. **الردى:** الهلاك. **تعتَرِك:** تزدحم. **الفَرائص:** جمع فَرِيصة، وهي عضلة مما يلي الثدي تمتدّ صعوداً إلى الكتف ترعد عند الفزع. **تُرْعَد:** تصيبها الرِّعدة، وهي الاضطراب الشديد. **وأصفرَ:** أي ورُبّ قِدْحٍ أصفرَ، والقِدْح هو السهم قبل أن يُوضع فيه الريش والنصل، وكانوا يستعملونه في الميسر. **مَضْبُوح:** قُرِّبَ من النار فغيّرتْه وأثّرتْ فيه، وإنما يصنعون به ذلك ليصلُب. **نظرتُ:** انتظرتُ. **حِواره:** رجوعه، أي رجوع القِدح بعد الضرب به؛ ليتبين منه الفوز أو الخسارة. **المُجْمِد:** هو الذي يضمّ يديه شُحّاً، فلا يخرج منهما شيء، والمقصود به **هنا:** اللاعب الذي يخسر غالباً في الميسِر.

97. If I were a weakling, a leech,
I would have feared the enmity
of all men, the loner and the
one with friends.

98. But my valor and daring
have driven enemies away
as did my honesty
and my noble name.

99. I swear by your life,
I am not one to brood,
neither my day darkens
nor my night extends.

100. Many a times
I stood resolute in battle
to guard the weak and distressed,
true to my honor and my name.

101. I stood fast
where the bravest fear death,
where shoulders tremble
and panic strikes.

102. Many a yellow gambling arrow,
I heard crackle in the flame.
My hopes set on it, I entrusted it
to a losing hand.

أن يهَب قِدحه لرجل معروف بخسارته الدائمة في هذه اللعبة، فهو هنا يتمدّح بصفة أخرى له، وهي سخاء النفس بالبذل، واستهانتها بالمال والممتلكات، وربما قصد طرفة شيئاً أبعد من هذا كما تأوّله بعض الشرّاح، وهو أنه يتعمّد الخسارة في الميسر ليُطعِم الفقراء مما يقدّمه فيه.

تأمُّلات النهايات

١٠٣. أَرَى المَوتَ أَعْدادَ النُّفُوسِ ولا أَرَى بَعِيْداً غَداً ما أَقْرَبَ اليَومَ مِنْ غَدِ
١٠٤. سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جَاهِلاً ويَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُـزَوِّدِ
١٠٥. ويَأْتِيْكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبِعْ لَهُ بَتَاتاً ولَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

هذه رؤى الخِتام وتأمّلات النهايات، ويأبى طرفة إلّا أن يُنهي معلَّقته بما بدأها به: بروح الماء الرملية التي يتّحد عنصراها في المحو والاكتساح، فهو يذكر هنا الأعداد، ويعني بها: المياه المتدفقة التي لا يتوقف جريانها، ولا ينقطع مصبُّها، فهذه صورة مائية، ثم يرسم في البيتين اللاحقين الصورة الرملية، حين يشير إلى المسافر وزاده ومتاعه، وماذا يقطع المسافر العربي آنذاك غير الصحراء الشاسعة برمالها الممتدة المتلوّية؟

يرى طرفة الموت مثل مورِد الماء الجاري العظيم الذي لا بدّ أن ترِده نفوس البشر، فمردُّ مراكبها إليه طال سفرها ضدّ تياره أو قصُر؛ ولهذا لا يرى طرفة تلك الفجوة الزمنية التي يتوهّم الناس وجودها بين اليوم والغد، بين الحاضر والمستقبل. إنّ الزمن الكوني الذي يطوي القرون والأجيال في مسيره الهادر ليضحك مِلْءَ شِدقيه وهو يرى البشريّ يضع حواجزه الافتراضية المهلْهَلة بين الفقاعات المتناهية الصِّغَر التي تعلو أمواجه العظيمة المتدافعة.

اللغة:
أعداد: جمع عِدّ، وهو الماء الجاري الذي لا يتوقف جريانه ولا ينقطع مصدره. **ستُبدي:** ستُظهِر. **تُزوِّد:** تتكفّل بمؤونة زاده ليسافر. **تَبِعْ:** البيع هنا بمعنى الشراء. **بَتّاتاً:** هو جِهاز المسافر من كساء ومتاع. **تضرِب:** تجعل وتقدِّر.

103. I see death
the well-spring to which all men
flock, on a day not too distant,
and how close today is to that.

104. The days will reveal to you
what you know not and news
will come to you from one
you least expect.

105. News will come to you
from one you didn't furnish
and on a day for which
you haven't yet planned.

ومتدثِّراً بعباءة الشيوخ وحكمتهم يُنبئ طرفة سامعه بأن الأيام ولّادة للعجائب، وجهله بها الآن يدفعه إلى استبعاد وقوعها؛ ولكنّ ترادف الأيام سيُبدي له ما كان خافياً عنه، وستتناهى إلى أسماعه الأخبار دون أن يتقصَّى في البحث عنها، أو يتكلّف إرسال أحد ليجلبها إليه، بل سيوصلها إليه شخص عابر لم يتفق معه على موعد للّقاء، ولم يقدِّم له مؤونة لسفره أو زاداً لرحلته التي استقى الأخبار منها، وها هو ذا يُبلغه بها دون مقابل.

وكأنّ طرفة يُنبِّه على هذا المشترَك المجاني الآخر الذي يتقاسمه الناس بينهم دون حساب، وهو: تناقل الأخبار، وماذا كان يفعل طرفة على امتداد هذه المعلَّقة التراخية الذيول غير نقل أخباره إليك، وبثّ رُؤاه وهمومه بين يديك، دون أن يطلبَ منك شيئاً سوى الإصغاء الأنيق.

زهير بن أبي سلمى

Zuhayr ibn Abī Sulmā

أنشودة السلام

The Canticle of Peace

The Muʿallaqah of Zuhayr ibn Abī Sulmā
The Canticle of Peace

Introduction and Translation by: Kevin Blankinship

معلَّقة زُهير بن أبي سُلْمَى
أنشودة السلام

مقدمة وشرح: عبدالله بن سُلَيم الرُّشَيد

هـو زُهـير بـن أبي سُـلمى الـمُزَني، شـاعر جاهـلي عُـرف بالحكمـة، ولـه أبنـاء شـعراء منهـم كعـب بـن زُهـير صاحـب قصيـدة (الـبردة)، وبُجـير أخـوه، وكِلاهمـا صحـابي، ولـه بنـت شـاعرة أيضـاً، فهـو مـن بيـت شـعر.

لزُهـير منزلـة كبـيرة عنـد نقّـاد الشـعر ورواتـه، فقـد جعلـه أبـو عَمْـر بـن العـلاء في طبقـة واحـدة مـع امـرئ القيـس والنابغـة، ونقـل ابـن سـلّام الجُمحي في (طبقـات فحـول الشـعراء) أن أهـل الحجـاز والباديـة كانـوا يُفضّلـون شـعر زهـيرٍ والنابغـة عـلى شـعر غيرهمـا، وأضـاف أن نقّـاد الشـعر كانـوا يـرون أن شـعر زهيريتميّز بإحـكام الصياغـة، والبعـد عـن الإسـفاف، والقـدرة عـلى التعبـير عـن المعـاني الكثـيرة في الألفـاظ القليلـة، والمبالغـة في المـدح. وكانـت كلمـة عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه شـهادةً وضعـت زهـيراً في موضـع عـالٍ، إذ قـال: "أشـعر شـعرائكم الـذي يقـول: مَـنْ ومَـنْ"،[1] ووصفـه بأنـه "لا يمـدحُ أحـداً إلا بمـا فيـه".

كان زُهـير مشـهوراً بتنقيـح شـعره، وإطالـة النظـر فيـه، حـتى إنـه كان يُمـضي حـولاً كامـلاً (أي عامـاً) في إنشـاء القصيـدة وتنقيحهـا، فعُرفـت لـه قصائـد باسـم (الحَوليّـات)، وجمعـه أحـد النقّـاد مـع ثلاثـة مـن الكبـار، فقـال: أشـعر شـعرائكم "امـرؤ القيـس إذا رَكِـب، وزهـير إذا رغِـب، والنابغـة إذا رَهِـب، والأعـشى إذا طـرِب".[2]

ويُرجَّـح أن زهـيراً تـوفي في السـنة الثالثـة عـشرة قبـل الهجـرة، ويوافقـه بالتاريـخ الميـلادي ٦٠٩.

(١) قصـد عمـر بقولـه (مَـنْ ومَـنْ) أبيـاتَ الحكمـة الـتي تبـدأ كلهـا بقولـه (وَمَـن...)، وهـي مـن أبيـات هـذه المعلّقـة.

(٢) ويقصـد بذلـك أن امـرأ القيـس يفـوق غـيره في وصـف الفَـرَس، وزُهـير يفوقهـم إذا رغـب في مـدح مـن يسـتحق المـدح، والنابغـة إذا رهـب، أي خـاف فاعتـذر، فقـد بـرز في اعتذارياتـه، والأعـشى يتميّز بقدرتـه عـلى إنشـاء الشـعر الـمُطرِب الـذي يُغـنَّى بـه.

Just decades before the coming of Islam, two horses raced each other across a distance of one hundred bowshot lengths, their owners hoping to claim prize of one hundred camels if they won. Each racehorse came from a tribe in the larger confederation of Ghaṭafān: the stallion Dāḥis belonged to the tribe of ʿAbs, and the mare Ghabrāʾ to the tribe of Dhubyān.

According to legend, near the end of the race, some members of Dhubyān ambushed Dāḥis and spooked him off course, giving the win to Ghabrāʾ and sparking a bitter forty-year conflict known as the War of Dāḥis and Ghabrāʾ.

As reported in *Book of Songs* by Abū al-Faraj al-Iṣbahānī, the war ended after a Dhubyānī fighter named al-Ḥārith ibn ʿAwf took up a challenge.

A friend bet him that he could not convince Aws ibn Ḥārithah, whose wife was from the ʿAbs tribe, to give his daughter in marriage.

In fact, Aws had three daughters, and the first two refused to wed al-Ḥārith, leaving the youngest, Buhaysah, who agreed.

However, she would not consummate the marriage until al-Ḥārith concluded a peace between his own tribe of Dhubyān and that of Buhaysah's mother, i.e. the tribe of ʿAbs.

This he did, on the condition that the dead be counted and the side which slew more people pay reparations to the other.

Zuhayr ibn Abī Sulmā, author of this Muʿallaqah, was called "the poet's poet" by the caliph ʿUmar ibn al-Khaṭṭāb He was well to do and therefore did not have to seek patronage like Ṭarafah or Imruʾ al-Qays.

المعلَّقة

هي قصيدة ميميَّة على البحر الطويل، واختُلف في عدد أبياتها، فرُويت في اثنين وستين بيتاً، وفي تسعة وخمسين، وفي أقلّ من ذلك.

أما مناسبتها فهي مدح الحارث بن عوف وهَرِم بن سنان، اللّذَين سَعَيَا في حقن الدماء وإنهاء الحرب بين عبس وذُبيان.

وبلغ من كرم الحارث ورغبته الملِحّة في حقن دمائهم أن خيّر بعض أصحاب الدم بين أن يأخذوا مئةً من الإبل، أو يقتلوا ابنه مكان أحد القتلى الذين أرادوا الأخذ بثأره. فجاءت هذه القصيدة تُخلّد ذكر الرجلين الحارث وهرم، وتمدحهما بما استحقّا.

والقصيدة تحوي عدة أغراض ومعانٍ، أهمها الدعوة إلى السِّلم، ونبذِ الحرب، وفيها أرسل الحكم الخالدة التي نشأت عن تجربة ومشاهدات، وفي أولها مطلع غزلي، ووصف لرحيل الأحباب، وفي آخرها نفثات شيخ هرِمٍ بلغ به تأمّل الحياة أن قال أبياتاً سائرة عابرة للزمن.

The Poem

As for the poetry itself, the language is simple and avoids overweening praise, although the eighth-century philologist al-Aṣmaʿī describes Zuhayr as a "slave to poetry" (*ʿabd al-shiʿr*) because he did not compose "naturally" but rather slaved away with great care.

Above all, his verses were known, in the words of Desmond O'Grady, for their "ripe sententious wisdom and moral earnestness."

The Muʿallaqah of Zuhayr ibn Abī Sulmā celebrates the peaceful conclusion of the War of Dāḥis and Ghabrāʾ and was written in the poet's old age to stress the horrors of war and the virtues of peace.

Today, readers remember Zuhayr best for his "hanging or suspended ode" Muʿallaqah, one of ten such odes by ten different poets, each capturing the spirit of pre-Islamic Arabia and representing the best of its verbal art. In later centuries, the seven Muʿallaqāt were grouped in a single collection. Their status in Arabic is like that of Beowulf in English, a foundational work that influenced later authors for centuries. Children in the Arab world still memorize them in grade school.

Zuhayr's ode begins with a customary *nasīb* (amatory prelude, (lines 1-15) with classic images of the ruined campsite—wild deer, departing women, black cooking stones (*athāfī*), a comparison to faded tattoos, and so on.

Next, the poet praises two men sent as brokers between ʿAbs and Dhubyān and mentions the prize of one hundred camels paid as recompense (lines 16-25).

There follows a description of the fighting and a memorable portrait of War itself, which the poet compares to a blazing fire, a grinding millstone, a camel giving birth to monstrous twins, and a deadly autumn harvest (lines 26-46).

اللوحة الأولى

ذكرى الأحباب

١. أمِـنْ أمِّ أوفَى دِمنَـةٌ لم تَكَـلَّمِ ... بحَومانـةِ الـدَّرَّاجِ فالمُتَثَـلَّمِ
٢. ديارٌ لهـــا بالرَّقْمَتَـينِ كأنّهـا ... مَراجِعُ وَشْمٍ في نَواشِرِ مِعْصَمِ
٣. بها العِينُ والأرآمُ يَمشِينَ خِلْفَةً ... وأطْلاؤُها ينهضنَ من كلِّ مَجْثَمِ
٤. وقفتُ بها من بعدِ عشرينَ حِجَّةً ... فلَأْياً عرفتُ الدارَ بعدَ توهُّمِ
٥. أَثافِيَّ سُفْعاً في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... ونُؤْياً كَجِذْمِ الحوضِ لم يتثلَّمِ
٦. فلمّا عرفتُ الدارَ قلتُ لربْعِها: ... ألا انْعَمْ صباحاً أيُّها الرَّبْعُ واسْلَمِ

استهلّ زهير معلّقته بذكرى الأحباب، وخصّ أمّ أوفى، وهي امرأة قد لا تُراد حقيقتها، لأن غالب ما نجده من الغزل في مطالع القصائد الجاهلية هو رمز للمرأة مطلقاً، بوصفها هي التي تُكمّل حياة الرجل، والدليل على هذا أن بعض الشعراء يذكر في القصيدة الواحدة أسماء بضع نساء.

ويمتزج ذكر زهير للمرأة بالحنين إلى مرابعها، وذكرياته معها، ولهذا قال في البيت الثاني: ديارها التي في الرقمتين تشبه آثار وشم عميق في عروق معصم، والوشم باقٍ، وهذا يعني بقاء حبّه وحنينه لأرضه وأهلها.

ثم التفت إلى المكان، ووقف على الآثار، ورأى حياةً جديدة فيه، ولكنها تختلف عن حياة الناس الذين كانوا فيه، فالحياة الجديدة هي ظباء وبقرُ وحشٍ، رآها ترتع في المكان، وأولاد الظباء ينهضن من عدة أماكن كنَّ جاثماتٍ فيها، إنها صورة حيّة متحركة لحياة يعجّ بها ذلك المكان الذي وقف به، وحنّ إلى أهله.

وهو هنا يُلمِح إلى الحياة بعد الموت، أو السلام بعد الحرب، فهذه الحياة التي بعثها خيالُه في المكان هي حياة السلم التي يرجوها، وسيفصّل القول فيها في المقاطع اللاحقة.

اللغة:

الدِّمنة وجمعها دِمَن: ما يبقى في الأرض من آثار الناس كموقد النار والرماد ومعاطن الإبل والغنم وغيرها، **وتكلّم:** تتكلم، وقيل: المعنى لم تتبيّن، **وحَومانة الدرّاج:** موضع في نهاية الدهناء شرقاً، مما يلي القيصومة، **والمُتَثَلَّم:** موضع قريب من الصمّان، **والرَّقمتان:** أبرقان والأبرق الموضع الذي يختلط فيه الرمل بالحجارة، وأراد بهما موضعين في بلاد بني أسد (القصيم ونواحيها اليوم)، **ومراجع الوَشْم:** ما كُرِّر منه حتى صار بيِّناً، **ونواشر:** عروق ظاهرة في اليد، **والمِعصَم:** موضع السوار، **والعِين:** بقر الوحش، **والأرآم:** الظباء، **وخِلْفةً:** فوجاً بعد فوج، **والأطْلاء:** جمع طَلا، وهو ولد الظبي، **والمجْثَم:** مكان الجُثوم، أي موضع إقامة الظباء، **ولَأْياً:** جهداً، والأثافيّ: جمع أُثْفِيّة، وهي الحجارة التي توضع عليها القِدر، **والسُّفْع:** جمع سَفعاء، وهي السوداء من أثر النار، **والمُعَرّس:** الموضع الذي يُقام فيه ليلاً، **والمِرْجَل:** القدر، **والنُّؤْي:** حفرة طويلة تُحفَر حول الخيمة والخباء لتمنع ماء المطر من الدخول إليها، **وجِذْم الحوض:** بقيّته، **ويتثلّم:** يذهب أعلاه، **والرَّبْع:** المنزل الذي يحلّ به أهل البادية في الربيع، **وانْعَمْ صباحاً:** سلام ودعاء كانوا يدعون به في الجاهلية، يشبه قولنا: (صباح الخير)، ومعناه كنْ ناعم البال سعيداً.

The last section is the one best known today (lines 47-59). A series of nine verses, sounding like a chant since they all start on the pronoun “whoever” (man), offer nuggets of wisdom on integrity, courage, kindness, generosity, the certainty of death, the need for friendship, and more.

The final four lines are weary but composed: the poet, having reached his eightieth decade, knows that this life does not last, but that a person’s legacy of words and deeds—which betray their true nature—will live on.

1. Was there a mute stone at Umm Awfā’s home
in Mutathallam’s badlands, and Darrāj?

2. This faded camp of hers in Raqmatayn—
like tattoos drawn, it conjures a mirage

3. wherein white cows and wild deer do roam
and hungry calves rise out of camouflage.

4. It’s twenty summers since I came here last
and memory serves me only when I scan

5. the black stones where she hung her cooking pot,
the tent-gutter not yet obscured by sand.

6. And when I recognize her home, I cry:
Good day, dear campsite! Well may you remain.

ثم قال: وقفت بهذه الديار بعد زمن طويل من فراقي لأهلها، عشرين سنة، فأبطأتُ في التعرّف إلى المكان؛ لأن تلك المدة الطويلة كانت كفيلة بأن تغيّر الآثار، وتمحو المعالم، وزهيرٌ يقول: إنه لم يجد إلا الأثافيّ السّود، في موضع إيقاد النار، وتلك الحفرة التي كانت تحوط الخباء، وهي كبقية الحوض غير المتثلّم.

إنها صورة تنهض في وجه القارئ منبئةً إياه بمقدار ما في قلب الشاعر من الحب والحنين. إنه يتوهّم وجود تلك الآثار، ويعيش بخياله معها، ويستدعيها من ماضيه القديم، ثم يصيح بأعلى صوته: نَعِم صباحُك أيها الربع، وسلمت. إنه يدعو بالنعمة والسلامة للمكان، وتفكيرُه في الحقيقة أهل المكان.

والتَفِتْ إلى أنه ختم المقطع بقوله (اسلَم)، لأنه ممتلئٌ بفكرة السلام، رامزٌ بهذا إلى ما يريد من انطفاء الحرب، وحلول السلم.

اللوحة الثانية

وجع الرحيل

٧. تبَصَّرْ خليلي، هل ترى من ظَعائنٍ تَحَمَّلنَ بالعَلْياءِ من فوقِ جُرثُمِ؟
٨. جعلْنَ القَنانَ عن يمينٍ، وحَزْنَه وكم بالقَنانِ من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ
٩. وعَالَينَ أنماطاً عِتاقاً وكِلَّةً وِرادَ الحواشي، لونُها لونُ عَندَمِ
١٠. ظهرنَ من السُّوبانِ ثم جَزَعْنَه على كلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ ومُفْأَمِ
١١. ووَرَّكْنَ في السُّوبانِ يعلونَ مَتْنَه عليهنَّ دَلُّ الناعمِ المُتَنَعِّمِ
١٢. كأنّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ منزلٍ نزلنَ به حبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ
١٣. بكَرنَ بُكوراً واسْتَحَرْنَ بسُحْرةٍ فهنَّ ووادي الرسِّ كاليدِ للفَمِ
١٤. فلمّا وردنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُه وضَعنَ عِصِيَّ الحاضرِ المُتَخَيِّمِ
١٥. وفيهنَّ مَلْهًى للّطيفِ ومنظرٌ أَنيقٌ لعينِ الناظرِ المُتَوَسِّمِ

بعد أن وقف الشاعر بالرَّبْع وتذكر أهله والمرأة التي تعلّق قلبه بها، خَطَرت في ذهنه صورة رحيلهم عن المكان، فانساب مع خياله في بناء صورة الظعائن ومن فيهنّ، ومن أين ابتدأت الرحلة وأين انتهت، وهذا موضوع يكثر عند شعراء الجاهلية، فهم يعيشون في حَلّ وتَرحال، فيستغرق ذلك حنينهم إلى الراحلين، ويبرعون في صفته؛ لأنه يحرّك كوامن شعورهم، ويقلق أفئدتهم، ويستبكيهم.

وها هنا عمد زُهير إلى مخاطبة الخليل، وخطابه كثيرٌ أيضاً في قصائدهم؛ لأنه جزءٌ يكمّل حياة الفرد منهم، إذ لا بدّ من صفيّ صديق يسير معه، ويشاركه حلو الحياة ومُرّها.

وهنا يطلب من خليله أن يتبصّر معه، لأنه يعيش بين التصديق والتكذيب، أرحل أحبابُه أم هم باقون؟ فقال: هل ترى تلك الظعائن التي رحل أهلها من تلك الأرض العلياء من فوق جُرثم؟ إنه يتوهّم، ويريد من صاحبه أن يرى مثلَ ما يرى بعين خياله، وكيف يراهنّ وقد مضت عشرون حجّة على فراقهم؟

اللغة:
الظَّعائن: النساء في الهوادج، **والهَودَج:** مركب يُوضع على ظهر الناقة تستقر فيه المرأة فيحميها ويخفيها عن الناس، **والعلياء:** الأرض المرتفعة، **وجُرثُم:** اسم مكان في منطقة الجواء بالقصيم، يُسمى اليوم (الجُرثُمي) قُرب الفوّارة، **والقَنان:** سلسلة جبال تسمّى اليوم (المُوَسَّم) في الشمال الغربي من القصيم، **والحَزْن:** المكان الوعر الغليظ، **والمُحِلّ:** الصديق، **والمُحرِم:** العدوّ، **وعَالَيْن:** رفعن، **والأنماط:** جمع نمط، وهو ما يُبسط من صوف الثياب على ظهر الإبل أو على الأرض، **والعِتاق:** الكرام، **والكِلّة:** الستر الرقيق الشفّاف، **ووِراد:** لونها قريب من الحُمرة، **والحواشي:** الأطراف، **والعَنْدَم:** ثمر أحمر، **والسُّوبان:** اسم وادٍ في غرب منطقة القصيم، يرى بعض الباحثين أنه هو الذي يُسمّى اليوم (الفُويلق)، **وجَزَعْنه:** قَطَعنه، **والقَيْنِيّ:** هودَج منسوب إلى بني القَين وهم جماعة من العرب كانوا مشهورين بصناعته، **والقَشِيب:** الجديد، **والمُفْأَم:** الواسع، **وورّكن:** مِلْنَ كأنهنّ ولّينه أوراكَهنّ، **والمتن:** الغليظ من الأرض، **وفُتات العِهْن:** ما تناثر من الصوف، **والفَنا:** شجر، **وبكَرْن:** سِرْنَ بُكرةً أي في أول النهار، **واستَحَرْن:** سِرْن سَحَراً، **والسُّحْرة:** اسم زمان السَّحَر، **والرسّ:** وادٍ نشأت حوله مدينة بالاسم نفسه في منطقة القصيم، **والجِمام:** الماء المجتمع، وزُرقاً أي صافياً، **ووضعن العصيّ:** كناية عن النزول والإقامة، **والمُتَخَيِّم:** مبتني الخيمة. **واللطيف:** المتلطّف معهنّ، **وأَنيق:** معجِب، **والمتوَسِّم:** الذي ينظر بتفرُّس وتأمّل.

7. Look up, my friend: do you see women there
borne high on litters over Jurthum's streams?

8. They put Qanān's rough country to the right.
Qanān! Where many foes and friends have stood.

9. The ladies' howdahs? draped with cloths and veils
and fringes rosy-red like sappanwood.

10. The women come to Sūbān's Gorge, then pass
on Qaynī camels sleek and full-bodied.

11. They climb Sūbān and sit up in the saddle
with coyness like those reared in luxury.

12. The dyed-wool bits they leave behind are like
some violet nightshade berries still untouched.

13. At dawn they rose and left in early morn,
plunging into Wādī Rass like hand to mouth.

14. And when they reached the waters brimming blue,
they struck their tents in place as if to stay:

15. a joy for gentle eyes, a sight to see,
well worth the heed of those who love beauty.

إنها عين المحبّ وقلب العاشق يتضافران لاستدعاء صورة الرحيل ورسمها، بعد تلك المدة الطويلة، ويطوّح به الخيال فيمثّل له صورة الظعائن وطريق مسار رحلة القوم، فقد جعلنَ القَنان وحَزْنَه عن يمينهنّ، والقَنان موضع فيه من هو صديق لهم، ومن هو عدوّ، إنه يحبّ أن يلاقوا الصديق فيعينهم، لا أن يلاقوا العدوّ فيسيء إليهم، فقلبه معهم، وشعوره مسافر في معيّتهم، وربما أراد من هو صديق لي، ومن هو عدوّ، ويقصد بهذا أنه يحمل نفسه على شدائد في تتبّع ظعائن أحبابه، فقد يقع بين يدي عدوّ يشتدّ عليه. وماذا بعد؟

إن زهيراً يتوغّل في صفة الظعائن، فقد تبيّن له بخياله الخصب أنهنّ رفعن الأنماط الكريمة النسج، والكلّة ذات اللون الأحمر، ثم خرجن من وادي السُّوبان، وقطَعن عرضَه، على هوادج كريمة المنشأ، نَسَجها بنو القين، وفيها الجديد والواسع.

ثم مِلْن عن السُّوبان وعَلَون أرضه الغليظة، ولكنّ غِلَظ الأرض لم يؤثّر في جمال أولئك النسوة وفيهنّ محبوبته، فهنّ ذوات دلال، منعّمات متنعّمات، ثم وقف وقفة شعرية ليقتنص صورة لطيفة، لقد رأى بعين خياله فُتات الصوف وما تناثر منه في المكان الذي كانوا فيه، فإذا هو يراه مثلَ حبّ شجر الفَنا، الذي لم يتحطّم، ومراده أن شعوره بهم وحبّه إياهم باقٍ مستمرّ.

وماذا أيضاً يا زُهير؟ قال: خرجن في الصباح الباكر، ثم سرنَ في وقت السَّحَر يقصدن وادي الرسّ، فلم يخطئنَه، مثلما أن اليد لا تخطئ الفم فلا تتجاوزه.

وتستمرّ الرحلة في عيني زُهير، فيرى أولئك القوم قد وردوا ماء صافياً، فنزلوا عنده، وخيّموا، وهاهنا يبدأ وصف آخر للنساء وشعوره بهنّ، لأن نزول القوم يعني أنه وجد فرصة التأمّل، فلهذا قال: وفي أولئك النسوة مجال للّهو، ومنظر معجِب، لمن يتوسّم ويتفرّس، ولكن ليس لكلّ أحد، بل للرجل اللطيف، وقد يعني بهذا نفسه.

إن الرحلة هنا قد تُحمَل على الرمز، فهي رحلة في طلب الأمن والسلم، والراحلون إلى السلم ذوو مظهر مغرٍ بالتتبُّع والاقتداء، وقد تركوا خلفهم آثار الخراب والدمار التي خلّفتها الحرب الطويلة، رحلةٌ تنتهي عند ماء صافٍ، تحلو معه الحياة.

اللوحة الثالثة

فُرسان السّلام

١٦. سعى ساعيا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بعدما تَبَـزَّلَ ما بين العَشيرةِ بالدمِ
١٧. فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حولَه رجالٌ بَنَوهُ من قُريشٍ وجُرهُمِ
١٨. يميناً لنعمَ السيّدانِ وُجِدتُما على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ
١٩. تداركتُما عِبْساً وذُبيانَ بعدما تفانَوا ودقّوا بينَهم عِطْرَ مَنْشِمِ
٢٠. وقد قلتما: إن نُدرِكِ السِّلمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسْلَمِ
٢١. فأصبحتما منها على خيرِ موطنٍ بعيدينِ فيها عن عُقوقٍ ومَأْثَمِ
٢٢. عظيمينِ في عُليا مَعَدٍّ هُدِيتُما ومن يَستبِحْ كَنْزاً من المجْدِ يُعْظَمِ
٢٣. وأصبح يُحدَى فيهمُ من تِلادِكم مغانمُ شَتّى من إفالٍ مُزَنَّمِ
٢٤. تُعَفّى الكُلومُ بالمِئِينَ فأصبحتْ يُنَجِّمُها من ليس فيها بمُجرِمِ
٢٥. يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غَرامةً ولم يُهَرِيقوا بينَهم مِلْءَ مِحْجَمِ

في هذا المقطع يشرع زُهير في قضية السلم والحرب، وهي القضية التي شَغَلتْه، ودفعتْه إلى إنشاء هذه المعلَّقة، فقد عانى هو وقومه ويلاتِها، فكان أن انطلق لسانُه بالثناء العظيم على الرجلين اللذين سَعَيا في حقن الدماء، وهما الحارث بن عوف وهرِم بن سنان، وهما المقصودان بساعيَيْ غيظ بن مُرّة، إذْ سَعَيا في دفع الدِّيات عن القتلى من القبيلتين المتصارعتين، وكان عملها العظيم ذاك بعد أن زادت جراح القبيلتين، وهو ما عبّر عنه تعبيراً مثخناً بالألم (تبزّل ما بين العشيرة بالدم)، أي تشقّقت الجراحات ونزفت.

ثم أقسم زُهير بالبيت أي الكعبة التي طاف حولها رجال من قريش وجُرهم، بأن هذين الرجلين نعم السيدان للأمور كلها، الأمر الذي قد أبرماه وعرفاه، والأمر الذي لم يعرفاه، وما مدحُه لهما إلا لذلك العمل العظيم، أي إحلال السلم، فقد وصفهما بأنهما تداركا عبساً وذُبيان، أي عملا ما يمكن به إدراك نجاة أبنائهما، وهذا التدارك وقع بعد أن اشتدّ القتال وطال، حتى أفنت كلّ قبيلة الأخرى، وحتى صاروا كأنهم دقّوا عطر مَنْشِم، تلك المرأة التي يُتشاءم بعطرها.

اللغة:
غيظ بن مُرّة: جدٌّ لبطن من قبيلة ذُبيان من غَطَفان، **وتبزّل:** تشقّق، **وقُريش وجُرهم:** قبيلتان معروفتان، **وبيميناً:** قَسَم، **وسَحِيل:** الخيط الواحد غير المفتول مع غيره، **والمُبْرَم:** الخيط الذي فُتل مع خيط آخر، **وعبس وذُبيان:** القبيلتان المعروفتان، **وتفانَوا:** أفنى بعضُهم بعضاً بالقتال، **ومَنْشِم:** امرأة عطّارة، وقع أن تحالف قومٌ على الحرب والقتال، فغمسوا أيديَهم في عطرها، ليكون ذلك عهداً بينهم على الثبات، فصار يُضرَب المثل بعطرها في الشؤم، **والعُقوق:** قطيعة الرَّحِم، **والمَأْثَم:** ما يسبّب الإثم، **وعُليا مَعَدّ:** أعلاها، **ومَعَدّ:** جدّ جاهلي تنتسب إليه القبائل العدنانية، **ويُعْظَم:** يُعظِّمه الناس، **ويُحدَى:** يُساق، **والتِّلاد:** المال القديم الموروث، **وشتّى:** متفرّقة، **وإفال:** جمع أَفِيل، وهو الصغير من الإبل، **والمُزَنَّم:** الذي وُضِع في أُذُنه علامة، وطريقة التَّزنيم أن يُقشَّر ظاهر جلدة الأذن، فتبقى معلّقة، وهي علامة على كرم الإبل وعِتقها، **وتُعَفّى:** تُمحى، **والكُلوم:** الجراح، **والمِئين:** المئات، **وينجّمها:** يجعل لأدائها وقتاً، **وغَرامة:** أي يغرمُها ويدفع قيمتها، **ويُهَرِيقوا:** يصبّوا ويسكبوا، **والمِحْجَم:** وعاء صغير يستعمله الحجّام.

16. Two men from Ghayz ibn Murrah tried for peace
after great bloodshed split the tribes in two.

17. I swore upon the Kaʿabah—round which walk
Quraysh and Jurhum, tribes who built it true—

18. a solemn vow: what fine lords are you two!
whether the thread by one or two is struck.

19. You've healed ʿAbs and Dhubyān after long strife
and killing-oaths made over Manshim's musk.

20. You said: If we make peace that's broad and firm
through largesse and fair talks, we live secure.

21. From then on you were in the best position,
far from rebellious pride or sin impure,

22. you two chiefs, highborn stock of father Maʿadd—
who makes a prize of glory will be great.

23. Then they herded your birthright to this folk:
purebred young camels, marked by an ear-slit.

24. Those hundred beasts did heal the tribal wounds,
making their giver free of any fault.

25. A redress paid from one tribe to the next,
not spilling even a cupper's glass of blood.

إن زُهـيراً يخاطـب هذيـن السـيدين، ويراهمـا ماثلَـين تُجاهـه بعَظَمتهمـا، فيقـول: لقـد اتخذتمـا رأيـاً سـديداً، وقلتمـا: إن أمكننـا تـدارك القبيلتـين مـن الفنـاء، ولـو ببـذل المـال وطيّـب القـول نسـلمْ مـن عواقـب اسـتمرار القتـال.

فمـاذا وقـع؟ لقـد أصبحتمـا خـير رجلـين، وفي خـير موضـع عـالٍ مـن المجـد، لا يصيبُكمـا العقـوق أي التفريـط في حقـوق الأهـل، ولا تصيبُكمـا المآثـم، وصرتمـا عظيمـين في قبيلتيكمـا، ثـم أرسـل كلمـة حِكْميّـة -وهـو المشـهور بإرسـال الحكـم عـلى مـا سـيأتي- فقـال: مـن وجـد كـنزاً مـن المجـد فأخَـذَه عظّمـه النـاس. وهـذه رسـالته الأولى التـي يبعثهـا في سـبيل إحـلال السـلم وتـرك الحـرب. ومـاذا كان بعـدُ؟

لقـد صـارت الإبـل الـتي جـاد بهـا هـذان السـيّدان لحقـن الدمـاء، رابضـة في مرابـع أوليـاء المقتولـين، ولـم تكـن تلـك الإبـل إلا كراماً عتاقـاً غاليـة القيمـة. وفي هـذا مزيـد ثنـاء عـلى السـيدين إذ رضيـا التنـازل في سـبيل السـلم عـن كـرام الإبـل. ويضيـف زهـير، وهـو مشـغوفٌ بالثنـاء عليهمـا، قائـلاً: إن الـذي منحـه هـذان الرجـلان كثـير، لأن الجـراح والقتـلى كـثُر، فقـد دفعـا المئـات، والمفارقـة الـتي يشـير إليهـا أن الـذي يدفـع تلـك الدِّيـات هـو الـذي لـم يُجـرِم، ولـم يقتـل أحـداً، ولـم يُسِـلْ مـن الدمـاء قطـرة واحـدة.

إنـه يبعـث رسـالة عميقـة: مـن أراد السـيادة والمجـد، ورغـب في نفـع النـاس، وإحـلال السـلم محـلّ الحـرب، والأمـن موضـع الخـوف، فعليـه أن يكـون عظيمـاً كهذيـن الرجلـين.

لقـد وضـع زهـير بـذرة الفكـرة الـتي التقطهـا المتنـبي بعـده بثلاثـة قـرون، فقـال:

لولا المشقّةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ الجودُ يُفقِرُ، والإقدامُ قتّالُ

اللوحة الخامسة

الحرب والسّلم

٢٦. ألا أبْلِغِ الأحلافَ عني رسالةً وذُبْيانَ: هل أقسمتُمُ كلَّ مُقْسَمِ؟
٢٧. فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في نفوسِكم ليَخفَى، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
٢٨. يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليومِ الحسابِ، أو يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ
٢٩. وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقتُمُ وما هو عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ
٣٠. متى تبعثوها تبعثوها ذَميمَةً وتَضْرَ إذا ضَرَّيتُموها فتَضْرَمِ
٣١. فتعرُكُكُمُ عَرْكَ الرَّحى بثِفالِها وتَلْقَحْ كِشافاً ثمّ تُنتَجْ فتُتْئِمِ
٣٢. فتُنتَجْ لكم غلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحمرِ عادٍ، ثمّ تُرضِعْ فتَفطِمِ
٣٣. فتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهلِها قُرًى بالعراقِ من قَفِيزٍ ودرهمِ
٣٤. لحَيٍّ حِلالٍ يعصمُ الناسَ أمرُهم إذا طرقتْ إحدى الليالي بمُعظَمِ
٣٥. كرامٍ فلا ذو الضِّغْنِ يُدرِكُ تَبْلَه ولا الجارمُ الجاني عليهم بمُسلَمِ
٣٦. رعوا ما رعوا من ظِمْئِهم ثمّ أوردوا غِماراً تَفَرَّى بالسلاحِ وبالدّمِ
٣٧. فقَضَّوا منايا بينهم ثمّ أصدروا إلى كَلَأٍ مُستَوبِلٍ مُتَوَخِّمِ

اللغة:
الأحلاف: القوم المتحالفون، وقصد بهم قبيلتي أسد وغطفان ومن كان معهما، **ومُقْسَم:** إقسام، أي هو مصدر أقسم، **ويُدَّخَر:** يُحفَظ، **ويُنقَم:** يصيب بالنقمة صاحبَه، **والمُرَجَّم:** الذي يُقال فيه بالظنّ لا بالحقيقة، **وتبعثوها:** تثيروها، **وتَضْرَ:** تصبح ضارية شديدة، **وتضرم:** تشتعل، **وتعرك:** تطحن طحناً شديداً، **والرَّحى:** حجران مستديران مثقوبان من الوسط، يوضع أحدهما فوق الآخر، يُطحن بهما الحبّ ونحوه، **والثِّفال:** جلد يُوضع تحت الرَّحى، **وتلقح كِشافاً:** أي تحمل كلَّ سنة، **وتُنتَج:** تلد، **وتُتْئِم:** تلد توأماً، **وأشأم:** من الشؤم، **وأحمر عاد:** هو الذي نحر ناقة نبي الله صالح عليه السلام، وعاد هنا هي عاد الآخرة، وليست عاداً الأولى قوم هود، **وتُغِل:** تأتيكم بالغَلّة، **والقَفِيز:** مكيال، وأراد به ما يُكال فيه من الطعام، **والحيّ الحِلال:** القوم الكثيرون، **وطرَقَت:** جاءت ليلاً، **والمُعظَم:** الأمر العظيم، **والضِّغْن:** الحقد، **والتِّبْل:** الثأر، **والجارم:** من أتى بالجُرم، **ومُسْلَم:** متروك مسلَّم، **والظِّمْء:** ما بين الشربتين للإبل، إذا شربت مرة، ثم تركت الشرب، ثم رجعت تشرب، فما بينهما يُسمّى ظِمْئاً، **والغِمار:** الماء الكثير، **وتَفَرّى:** أصله تتفرّى، أي تتكشف وتتفتّح، **والكَلَأ:** العشب، **والمستوبَل:** الثقيل الذي لا يُستَحَبّ رعيُه، **والمُتَوَخِّم:** الذي يشعر آكِلُه بوَخَامة أي ثِقَل في بطنه وبعض بدنه.

بعد أن مدح زُهير السيدين اللَّذَين سعيا في الصلح، ألحّ على رسالته التي تؤرّقه، وهي إحلال السِّلم، والكفّ عن الحرب، فجعل رسالته إلى الأحلاف وخصومهم، مذكِّراً إياهم بالقسم الذي أخذوه على أنفسهم، جاهداً في نصيحتهم، بألا يكتموا ما صاروا إليه من الصلح، ويقولوا في أنفسهم: لم نكن في حاجة إليه، لأن الله يعلم ذلك، ثم يذكّرهم -وهو الرجل الحنيف الذي قيل إنه كان باقياً على دين إبراهيم- بأن ما يفعلون سوف يؤخّر إلى يوم القيامة ويُحفظ، فيُحاسبون عليه، أو تُعجَّل به النقمة عليهم في الدنيا إن لم يَصدُقوا في طلب الصلح.

وينطلق في نفَسه الحِكْميّ مذكِّراً بأن الحرب قد جُرّبت وذِيقت، وليس الحديث عن أهوالها وشدائدها بالظن، وأنهم متى دخلوا فيها مرةً أخرى جاءت ذميمةً كالعهد بها، وأنها مثل النار متى تُشعَلْ تضطرمْ على مشعِلِها، وماذا يكون منها بعد ذلك؟ إنهم يعرفون ذلك حقّ المعرفة، ولكنه عبّر عنه بلغة شعريّة، إذْ شبّه الحرب بالرَّحى، وهم يعرفون الرَّحى معرفةً وثيقة، فهي تطحن

26. You! Take this message to the allies and
Dhubyān: Did you swear every binding vow?

27. Don't keep from God what lies within your souls
thinking you'll hide—God knows what's hidden low.

28. Either it's delayed, written down and stored
for Judgment Day, or brought out and chastised.

29. War is all you've ever known and tasted;
it's not a random tale or vague surmise.

30. When you cast it from your lands, it's disgraced,
but when you kindle it, it blazes fire

31. then grinds you like a millstone on its pad,
giving birth twice a year to twins of ire

32. and bearing cursed boys all like Ahmar
of ʿĀd, then gives milk and then weans them off.

33. War's harvest yields what Iraq's towns do not
with all their silver and measured foodstuffs.

34. Tell this to a tribe lodged where they guard
from harm when dark nights bring trouble and woe.

35. They're big-hearted—no spiteful man can win,
nor do they give up outlaws to their foes.

36. Like camels did they pasture, then came down
to drink at pools gushing weapons and blood;

37. they dragged each other to their several deaths,
then went to graze on dire and noxious weeds.

ما يُجعَل فيها، والحقيقة المُرّة التي يوصِلها إليهم أنهم سوف يكونون كالحبّ في تلك الرَّحى، فتطحنهم طحناً شديداً، ولم يكتفِ بذلك التشبيه، بل جاء بصورة أخرى أقربَ إليهم وأدقّ في نقل المعنى، فقد صوّر الحرب ناقةً تُلقَح فتلد توأماً، ثم تنتَج، فيصير ما تلدُه شؤماً عليهم، ثم تستمرّ في رعاية أولادها، فترضعهم حتى يبلغوا الفطام، وهو يريدُ أنه سوف يولَد لهم في أثناء الحروب المتطاولة أولاد يكونون شؤماً عليهم؛ لأن الثأر لا ينطفئ بينهم، والتقط في داخل الصورة صورة أخرى، فجعل الأولاد المشؤومين كأحمر عاد، وهو الرجل الذي نحر ناقةَ نبي الله صالح، عليه السلام، ولم تنته صورة الحرب الكريهة التي يريد زهير إيصالها إلى القوم، فقد أضاف أن هذه الحرب سوف تأتيهم بغلّة لا تسرّ، وهي الدم.

ويرجع زهير -بعد أن صوّر الحرب تلك الصورة البغيضة المنفّرة- إلى الممدوحَين، فيقول: إن ما فعلاه كان لمصلحة ذلك الحيّ الكثير، وأن فعلهم النبيل كان لعِصْمة أمر الناس، أي حفظه، إذا توالت الشدائد، وعبّر عن هذا بتلك الصورة الموحية (إذا طرقت إحدى الليالي، أي إذا جاءت مفاجئةً بأمر عظيم)، وذلك الحيّ الكثير كرامٌ، وإنما مدحهم ليؤلّف القلوب، ويستدعي أواصر الرحم والقُربى بينهم، وهم أقوياء، إن كان لأحد ثأرٌ عندهم فلن يناله لـمَنَعَتهم، ومن أجرم بحقّهم فلن يسلَم من ثأرهم.

ومَدَحَهم بهذه الصفة لأنها مبجّلة عند العرب، الذين كان من كلامهم الشائع الذي يكاد يكون قانوناً: (من عزّ بزّ)، أي غلب غيره واستأثر بما يريد، وأن هؤلاء القوم الكرام قد تركوا الحرب مدّةً، ثم رجعوا إلى الحرب، وعبّر عن هذا بصورة مستقاة من البيئة البدوية التي تناسب أفهامهم، وتستثير استجابتَهم، إذ جعلهم كالإبل التي استقت، ثم كفّت عن الشرب، ثم وردت ماء كثيراً، لم يكن ينكشف إلا عن السلاح والدم. وقد أدرك أولئك القوم أن تلك الحرب أوصلتهم إلى عشب ثقيل وخيم على النفوس. وذكر كلّ هذا ليجعل تركهم الحربَ عن قدرة وعلوّ، لا عن ضعف وذِلّة.

اللوحة السادسة

مشهد من الحرب

٣٨. لعَمْري لنعمَ الحيُّ جَرَّ عليهمُ بما لا يُواتيهم حُصَينُ بنُ ضَمْضَمِ
٣٩. وكان طوى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ فلا هو أبداها، ولم يتقدَّمِ
٤٠. وقال: سأقضي حاجتي ثمّ أتّقي عدوّي بألفٍ من ورائي مُلجَمِ
٤١. فشَدَّ ولم يُنظِرْ بيوتاً كثيرةً لدى حيثُ ألقتْ رَحْلَها أمُّ قَشْعَمِ
٤٢. لدى أسدٍ شاكِي السلاحِ مقَاذِفٍ له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقَلَّمِ
٤٣. جريءٌ متى يُظلَمْ يعاقِبْ بظُلمِه سريعاً وإلّا يُبدَ بالظُّلمِ يَظلِمِ

بعد أن مدح زُهير أولئك القوم، التفتَ إلى قصّة أحد خصومهم، وهو حُصين بن ضَمْضَم من بني مُرّة، الذي أبى أن يدخل في الصلح الذي وصل إليه المتحاربون، فلما اجتمعوا للصلح وثب على رجل منهم فقتله، فلهذا يقول زهير: إن ما فعله حُصين لا يوافق نيّة رجال القبيلة التي يمدحها، فهم نعم الحي إذْ جنحوا للسِّلم، أما حُصين فقد أضمر الشرّ، وأخفى نيّته في أخذ الثأر من قاتل أخيه، وقال في نفسه: سأفعل فَعلتي، ثم أتقيهم وأدفعهم عني بألف فارس معهم ألف فرس ملجَم، وهاهنا يبدو زُهير في موضع من يريد تطييب خواطر القوم، فوصف فعلة حُصين بأنها هيّنة، إذْ لم يستعِن على قتل خصمه بأحد، وقتَلَه في أرضٍ خلاء، وكانت المنيّة (أمّ قشعم) مترصّدة لذلك القتيل.

ثم وصف الجيش بأنه كالأسد، أي إن ذلك القتال والقتل كانا لدى جيش كالأسد، مكتمل السلاح، يُقاذف ويرامي أعداءه، واستمرّ في استكمال صورة الأسد، فوصفه بأنه ذو لِبَد أي شعر كثيف على رأسه وكتفيه، وهو وحشي لم تُقَلّم أظفاره، وهذا الأسد (الجيش) جريءٌ، من ظَلَمه جاءه العقاب السريع، وحتى لو لم يُبدَأ بالظلم فإنه يَبدأ بالظلم.

وقيل: إنه أراد تشبيه حُصين بن ضمضم بالأسد، قاصداً بالصفات المذكورة أنه لا يعتريه ضعف، وأنه ذو سلاح استعدّ به للقتال.

اللغة:
لَعَمْري: قَسَم، **ويُواتيهم:** يوافقهم، **والكَشْح:** الجنب، وطيّ الكشْح كناية عن إسرار أمر، **والمُسْتَكِنّة:** الخافية، **ومُلجَم:** أي عليه اللِّجام، **ويُنظِر:** يؤخّر، وأمّ **قَشْعَم:** كُنية للحرب وقيل للموت، **وشاكِي السلاح:** تامّه مكتملُهُ، **ومقاذِف:** مُرامٍ من الرماية، **واللِّبَد:** جمع لِبْدة، وهي الشعر المجتمع على رأس الأسد وكاهله.

38. By my life! what a worthy tribe is this
that Husayn ibn Damdam did them wrong.

39. He kept a secret purpose in his heart,
nor telling them nor setting off headlong,

40. but said, I'll reach my goal, then will fight off
my foe with a thousand horses at my back.

41. He charged and did not wait to strike the tents
where Death, the vulture's mother, laid its pack.

42. He's like a well-armed lion, fierce in war
with lush mane and claws that are never blunt,

43. daring and swift to vengeance when attacked,
returning hurt wherever it confronts.

اللوحة السابعة

مشهد آخر من الحرب

٤٤. لعَمرُك ما جرّتْ عليهم رماحُهم دمَ ابنِ نَهيكٍ أو قتيلِ المُثلَّمِ
٤٥. ولا شاركتْ في الحربِ في دمِ نوفلٍ ولا وَهَبٍ فيها ولا ابنِ المُحزَّمِ
٤٦. فكُلّاً أراهم أصبحوا يَعْقِلونه عُلالةَ ألفٍ بعد ألفٍ مُصمَّتِمِ

بعد أن عرَض زهير لوصف فعلة حُصين ووصفَ الجيش، عاد يذكر بعضَ ويلات الحرب، وكلُّ ذلك في سبيل التخويف من عواقبها، والحضّ على السلم، فأشار إلى أن الرجال الذين ذكرهم لم يُقتَلوا في هذه الحرب، بل قبلها، ولكنّهم أدخلوا كلّ قتيل كان لهم في هذه الحرب، فطالبوا بدياتهم، ومع ذلك فقد صاروا يدفعون دية كلّ قتيل سابق، زيادةً على قتلى الحرب، بألف بعد ألف تامّة.

ولم تغِب التعبيرات المجازيّة التي ترتفع بقيمة الشعر، فإن في قوله (ولا شاركتْ) ضميراً عائداً على الرماح، فقد جعل الرماح ذات إرادة، فلم تشارك في قتل المذكورين.

إنها نفثة مصدور، رأى ما تجرّه الحرب، وما تُعْقِب من الخسائر في المال والنفس، ولهذا جعل المقطع اللاحق خالصاً لحكم متوالية توجز رأيه فيما رأى وجرّب.

اللغة:
ابن نَهيك ونوفل ووَهَب وابن المحَزَّم: أسماء رجال من قبيلة عَبْس، قُتلوا في الحرب، وكذلك قتيل المُثَلَّم، وهو اسم موضع، **ويعقلونه:** يؤدّون عَقْله، **والعَقْل:** الدّية، **والعُلالة:** الزيادة، **ومُصَتَّم:** تامّ.

44. Yet on your life, their spears did not spill blood
of Ibn Nahīk nor of Muthallam's slain,

45. nor did they share in Nawfal's blood or in
Wahab's slaughter nor in Muhazzam's ruin.

46. I saw them redress each death with a thousand
paid in blood wit, and then a thousand more.

اللوحة الثامنة

صوت الحكمة

٤٧. ومن يعصِ أطرافَ الزّجاجِ فإنّه مُطِيعُ العوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْـذَمِ
٤٨. ومن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُفضِ قلبُه إلى مُطمـئِنّ البـرِّ لا يَتَجَمْجَمِ
٤٩. ومن هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَه ولـو رام أسـبابَ السماءِ بسُـلَّمِ
٥٠. ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِه على قومِه يُستَغْنَ عنه ويُذْمَمِ
٥١. ومن لا يَزَلْ يَسترحِلُ الناسَ نفسَه ولا يُعْفِها يوماً من الذُّلِّ يندَمِ
٥٢. ومن يغترِبْ يحسِبْ عدوّاً صديقَه ومـن لا يُكـرِّمْ نفسَـه لا يُكَـرَّمِ
٥٣. ومن لا يذُدْ عن حوضِه بسلاحِه يُهَـدَّمْ ومن لا يظلِمِ الناسَ يُظلَمِ
٥٤. ومن لا يُصانِعْ في أمورٍ كثيرةٍ يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطَأْ بمَنْسِمِ
٥٥. ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرْضِه يَفِرْهُ ومن لا يتّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

انتقل زهير إلى الحكمة؛ ليشبع رغبته في إحقاق الحق، وتثبيت التجارب، ونقلها في صياغة محكَمة؛ لتُحفَظ ويُعمل بمقتضاها، والحكمة هي مجال زهير الإبداعي الذي فاق فيه غيره من شعراء زمانه.

بدأ بقوله: إن من لا يقبل الصلح فسوف يقع في الحرب، ولم يعبّر هذا التعبير المباشر، بل جاء به ممثَّلاً في صور فنية رفيعة، وكذلك فعل في الأبيات اللاحقة، وإن جنح إلى بعض التعبيرات الواضحة؛ ليستيقن من بلوغ المعاني إلى الأفهام، فقد قال: إن من يفي فلن يُذَمّ، ومن اختار البِرّ فلن يتردد في قبول الصلح، والحَظْ أنه قال (مطمَئِنّ البرّ) فعبّر تعبيراً فنيّاً، حاوياً ما يريده من تحبيب البرّ إلى النفوس.

ولأنه يعالج قضية الحرب والسلم نجد الحديث عن الموت يطغى على بعض مقاطع القصيدة، وها هنا يرسل حكمته الذائعة: من هاب الموت فلن يستطيع الفرار منه، ولو ارتقى في السماء.

اللغة:
الزُّجاج: جمع زُجّ، وهو الحديدة في طرف الرمح الأسفل، والعوالي أطراف الرماح العليا، **واللَّهْذَم:** الحادّ، **ويتجَمْجَم:** يتردد في قبول الأمر، **ورام:** حاول، **وأسباب السماء:** نواحيها، **ويسترحل:** يجعل نفسَه كالراحلة، أي البعير الذي يُرحَل عليه، **ويُعْفِها:** يُبعِدها، **ويُضَرَّس:** يُمضغ، **والمَنْسِم:** طرف خُف البعير، **ويَفِرْه:** يجعله تامّاً موفوراً.

47. Who spurns the blunted lance they gave in peace
must kneel to sharpened blades atop their spears.

48. Who keeps his word is blameless, and who sets
his heart on grace's comfort should not fear.

49. Who fears the way Death might come—yet it comes
even if he mounts a stairway to the sky.

50. Who holds back wealth and aid from his own folk,
will soon find he's dispensed with and reviled.

51. Who always makes others ride upon him
and doesn't stop doing it, will have regrets.

52. Who fares abroad thinks enemies are friends,
who values not himself, gets no respect.

53. Who doesn't shield his cistern sees it smashed,
who hesitates to strike, himself is beat.

54. Who eases not another's heart in life
is crushed by fangs and trod by camel feet.

55. Who makes goodness a shield will boost his honor,
who doesn't guard from insult is defamed.

ولا يـترك زُهـيرٌ التذكـير بالفضائـل، مضمِّنـاً أبياتـه الحـثّ عـلى التخلّـق بالأخـلاق العاليـة، فمـن كان ذا مـال، فبخـل عـلى قومـه، اسـتغنوا عنه وذمّـوه، والتذكـير بهـذا في تلـك البيئـة البدويـة مهـمٌّ؛ لأن معيشـتهم قائمـة عـلى التكاتـف والتعـاون، فهـذا تخويـف مـن الانفـراد، وتذكـير بـأن مـن أهـان نفسـه وجعلهـا كالراحلـة أي البعـير يركبـه كل أحـد، فسـوف يلقـى الـذلّ، يتبعـه النـدم.

وكأنمـا شـعر زُهـير بـأن قائـلاً سـيقول: ومـاذا في الانفـراد والبعـد عـن القـوم؟ فأجـاب: ومـن يبتعـد ويتغـرّب فسـوف تختلـف المقاييـس في عينـه، وتضطـرب رؤيتـه، فـلا يـدري عـدوّه مـن صديقـه، والمـرء الحصيـف يكـرّم نفسَـه حـتى يكرّمـه النـاس.

ويسـتمرّ في إطـلاق الحكـم، وكلّـه رغبـة في بقائهـا والعمـل بهـا، فذكّـر بـأن المـرء قـويّ بأهلـه، وأنـه معهـم في سرّائهـم وضرّائهـم، وعـبّر عـن ذلـك بقولـه: مـن لـم يدافـع عـن حوضـه تهـدَّم، ومـن لـم يكـن قويّـاً يخـشى النـاسُ ظلمَـه ظلمـوه.

وهـو لا يدعـو إلى الابتـداء بالظلـم، ولكنـه يدعـو إلى اتقـاء الظلـم بـأن يكـون المـرءُ قويّـاً، ثـم جـاء بمعـنى دقيـق، وهـو أن الحيـاة لا تسـتمر بغـير المصانعـة والمجاملـة والمـداراة والترفّـق في المعاملـة، لأن مـن لـم يجامـل لـم يصبـر النـاسُ عليـه، فكافـؤوه بمـا يسـتحق مـن المعـاداة ومـا يتبعهـا مـن إذلال واحتقـار ونحوهمـا.

ولهـذا ختـم هـذا المقطـع ناصحـاً بـأن يُسْـدِي كلّ امـرئ المعـروفَ إلى النـاس، ويجعلـه وقـاءً دون عرضـه، حـتى يظـلّ موفـوراً مصونـاً، ولأنـه إن لـم يـترك مـا يوجِـب الشـتم شـتمه النـاس.

إن زهـيراً هـو أنمـوذج الشـاعر الحكيـم الرصـين، يمثُّـل تُجاهـك، وأنـت تقـرأ حِكَمـه، في هيئـة شـيخ وقـور، هـادئ النـبرات، صـادق اللهجـة، وهـذا النفَـس الحِكْمـي المتـوالي هـو الـذي جعلـه يحظـى بصفـة (حكيـم الشـعراء في الجاهليـة).

وقـد يصـف بعـض المتلقـين حِكَـم زهـير بالسـذاجة والسـطحية، وهـو بهـذا يغفُـل عـن أن السـذاجة قـد تكـون هـي أعظـم مـا يفخـر بـه الشـاعر أحيانـاً، في تلـك المقامـات الموغلـة في البعـد، المقامـات الـتي تسـتدعي وضوحـاً وشـدّة تأثـير في عامـة متلقّـي معلّقتـه.

ولـو قُورنـت حِكمـه بمـا ورد في بعـض المسرحيـات الإغريقيـة وحكـم (إيسـوب) اليونـاني لتقاربـتْ فنيًّـا، ولـو جُمعـت مـع بعـض حكـم لافونتـين الفرنـسي لاسـتبان أن فهـم المتلقـي والتأثـير السريـع فيـه كان غايـة مشـتركة بينهـم جميعـاً.

٥٦. سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ ثمانـينَ حَـولاً لا أبا لـكَ يَسْـأَمِ
٥٧. رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ من تُصِبْ تُـمِتْـه ومـن تُـخطِئْ يُعَمَّـرْ فيَهْرَمِ
٥٨. ومهما تكنْ عند امرئٍ من خَلِيقةٍ ولو خالَها تَخفَى على الناسِ تُعْلَمِ
٥٩. وأعلَمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَه ولكنّني عن علمِ ما في غدٍ عَمي

هـا هـو زُهـير في ختـام معلقتـه يرسـل نَفَثاتِـه الأخـيرة، وهـي نَفَثـات رجـل كبـير خَـبَر الحيـاةَ، وجـرّب، وعـرف المشـاقّ والأعبـاء، وهـا هـو يعلـن أنـه سـئم الحيـاة، ومـن عـاش مثلَـه ثمانـين عامـاً فـلا بـدّ من أن يسـأم، وهـو لـم يذكـر هـذا إلا لأسـباب، منهـا أن يسـتوثق المتلقـي مـن أن مـا قالـه مـن قبـلُ في معلّقتـه مـن وصايـا وحكـم، وثنـاء عـلى رجـال السّـلم هـو نتـاج تجربـة وخـبرة طويلـة في الحيـاة.

ثـم يعلـن وجهـة نظـره في المـوت، فهـو -في نظرتـه المَشُـوبة بتفكـير جاهـلي- يـرى أن المنايـا تـأتي عَشْـوائية، تخبـطُ النـاس كمـا تخبـط الناقـة العَشْـواء في سـيرها، فهـي لا تعـرف مواضـع أخفافهـا، وليـس الأمـر عـلى مـا قـال - بتعبـير التبريـزي شـارح المعلَّقـات- "لأنهـا تـأتي بقضـاء وقـدَر".

ثـم يختـم المعلَّقـة ببيتـين حِكْميـين، فذكَّـر في الأول بـأن الخُلُـق لا بـدّ مـن أن يَظهـر، حـتى لـو ظـنّ صاحبُـه أنـه يخفـى عـن النـاس، وأرسـل في الثـاني كلمـة يعلـن فيهـا استسـلامه لضعفـه البـشري، فهـو يعلـم مـا وقـع في يومـه ومـا وقـع بالأمـس، ولكنّـه يبقـى جاهـلاً تعمـى عينـاه وقلبُـه عـن معرفـة مـا سـوف يـأتي بـه الغـد.

وهكـذا جـاءت هـذه المعلَّقـة صريخـاً يحـذِّر مـن الحـرب، ويدعـو إلى السّـلم؛ فكانـت هـي (قصيـدةَ السِّـلم) في الأدب العـربي، محشـوّةً بأشـجان مـن رأى ويـلات الحـرب، وعـرف آثارهـا الشـديدة عـلى الجماعـات والأفـراد.

56. I'm tired of life's burdens—who lives to be
eighty years old, believe me, feels the same.

57. I've seen the Fates stomp like a camel blind:
whoever they strike dies, who they miss grows old.

58. A man's nature, whatever it may be
though he thinks he can hide it, will be told.

59. Today and yesterday, I know them well
but I'm blind for tomorrow and can't behold.

اللغة:
تكاليف الحياة: مشقّاتها وأعباؤها، **والحَول:** العـام، **والخَبْـط:** ضرب اليديـن والرجلـين معـاً، **والعَشْـواء:** الناقـة الـتي لا تبـصر ليـلاً، **والخَلِيقـة:** الخُلُـق، **وخالهـا:** ظنّها.

سلسلة الصم الخوالد

لَبِيد بن رَبِيعَة

Labīd ibn Rabī‘ah

الصمّ الخوالد

The Mute Immortals

The Muʿallaqah of Labīd ibn Rabīʿah
The Mute Immortals

Introduction by Suzanne Pinckney Stetkevych
Translation by Suzanne Pinckney Stetkevych, assisted by Khalid Stetkevych

معلَّقة لَبِيْد بن رَبِيْعَة
الصُمّ الخَوالِد

مقدمة وشرح: عدي الحريش

هـو أبـو عقيـل لبيـد بـن ربيعـة بـن مالـك بـن جعفـر بـن كلاب. صحـابي جليـل، وشـاعر مخـضرم، ينتهـي بنسـبه إلى واحـد مـن أشرف بيوتـات عامـر بـن صعصعـة.

وُلـد قبـل حـرب داحـس والغـبراء،(١) ونشـأ يتيمـاً في كنـف أعمـام اعتـادوا حملـه فـوق أكتافهـم وإخبـاره أنـه حـين يكـبر سـيصبح اللسـانَ المنافـحَ عـن قبيلتـه، ولقـد تركـت قصصهـم عـن كـرم والـده وكيـف كان يطعـم المسـاكين كلّمـا هبّـت ريـاح الصَبـا أثرهـا العميـق فيـه، فأخـذ عـلى نفسـه أن يُطعـم مثـل والـده كلمـا هبّـت الصَبـا حـتى صـارت تُنسـب إليـه فيُقـال: ريـاح أبي عقيـل.(٢)

سـيرة لبيـد سـيرة قبيلتـه. شـهد مـع أعمامـه يـوم شِـعب جبلـة وهـو ابـن بضـع عـشرة سـنة. يومهـا تكالبـت قبائـل تميـم وذبيـان وأسـد وكنـدة عـلى عامـر وعبـس، وحـوصِروا في الشِّـعب، غـير أنهـم خرجـوا منتصريـن. ثـم كأنَّ الانتصـار جرّأهـم، فأخـذوا لطيمـة ملـك الحـيرة النعمـان بـن المنـذر،(٣) وعندمـا أرسـل جيشـاً يعاقبهـم هزمـوه وأسروا قائـده في يـوم السُـلّان. لـم تـدم أيـام الصفـو طويـلاً، إذ نشـب خـلاف بـين فرعـي القبيلـة نتـج عنـه جـلاء أسرة لبيـد مـن عاليـة نجـد وانتزاحهـا جنوبـاً إلى اليمـن.

تركـت هـذه الرحلـة أثرهـا في نفـس لبيـد، ورغـم رجوعهـم بعـد سـنة إلى ديارهـم بقـي طـوال عمـره يعالـج ثيمـات الـنزاع والانقسـام، فيتحـدث عـن بقـرةٍ تنشـقّ عـن قطيعهـا، وحمـار وحـش يقـود أتانـاً نـاشزة.

(١) داحس والغبراء: فَرَسـان قامت بسـببهما حـرب طويلـة بـين عبـس وذبيـان، تُقـدّر بدايتهـا عـام ٥٦٠ ميلاديـة.

(٢) عُـرف والـده بربيـع المقتريـن لكرمـه، أمـا أعمامـه فهـم: عامـر ملاعـب الأسـنة، وطفيـل فـارس قـرزل، ومعاويـة معـوذ الحكمـاء، وسـلمى نـزال المضيـف، وكلهـم مـن ذوي الـشرف والسـيادة.

(٣) لطيمة: جمال محمّلة بالمسك تُباع في الأسواق المشهورة كعكاظ.

The Muʿallaqah of Labīd ibn Rabīʿah is one of the longest and most majestic of the Muʿallaqāt and one of the most elegant examplars, due to its clarity and purity of form, of the three-part classical Arabic *qaṣīdah*.

Labīd himself is notable among the poets of the Muʿallaqāt, not only for his extraordinarily long life (he was counted among the *muʿammarūn*, those granted long life), but especially because he converted to Islam and lived well into the Islamic period.

As with other poets of this period, what is preserved of his life in the literary compendia bridges literary legend and history, in his case, Islamic history. His poetry, especially his Muʿallaqah, and life thus provide a compelling example of how Arab Islamic culture experienced and expressed the cultural transformation from the Jāhiliyyah to Islam.

As our Arab-Islamic tradition tells us, Labīd ibn Rabīʿah al-ʿĀmirī was born in 560 CE to a branch of the ʿĀmir ibn Ṣaʿṣaʿah. A poet and knight of the Jāhilī tribal aristocracy, he converted to Islam with a delegation of his tribe to the Prophet in Medina in the year 9/630.

During the caliphate of ʿUmar he settled in Kufa where he died in 40-42/660-662. Due to this long life, Labīd is counted among the master-poets of the Jāhiliyyah, but also among the Mukhaḍramūn, that is the poets who bridge the Jāhiliyyah and Islam.

However, in Labīd's case, all his significant poetry is attributed to his pre-Islamic period and he is said to have foresworn poetry upon his conversion to Islam.

In the Arabic literary tradition Labīd's life and poetry present and are presented as a moral bridge between the Jāhiliyyah and Islam. Of moral qualities, Labīd exhibits especially generosity, a virtue no doubt inherited from

References:

Suzanne Pinckney Stetkevych. *The Mute Immortals Speak: Pre-Islamic Poetry and the Poetics of Ritual.* Ithaca NY: Cornell University Press, 1993. Chapter 1: Voicing the Mute Immortals: The Muʿallaqah of Labīd and the Rite of Passage. Pp. 3-54.

Abū al-Faraj al-Iṣbahānī. *Kitāb al-Aghānī.* Ed. Ibrāhīm al-Abyārī. 32 vols. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1389H/1969CE. 9:3197-3227. 16:5718-5741.

Abū Muḥammad ʻAbd Allāh ibn Muslim ibn Qutaybah. *Kitāb al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ*. Ed. M. J. de Goeje. Leiden: E. J. Brill, 1902/1904. Pp. 148-156.

Abū Bakr Muḥammad ibn al-Qāsim al-Anbārī. *Sharḥ al-Qaṣāʾid al-Sabʿ al-Ṭiwāl al-Jāhiliyyāt.* 2nded. Ed. ʻAbdal-Salām Muḥammad Hārūn. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1969. Pp. 505-598.

أدركت بنو عامر أنّها لن تهنأ بقرار حتى تُصلِح ما أفسدته مع ملك الحيرة، فأرسلت وفداً بقيادة عامر بن مالك مُلاعِب الأسنّة يتضمّن ابن أخيه لبيد. كان النعمان متبدّياً يومها في صحراء ثيتل.

ازدحم السُرادق بوفود دارم ومعّد والعباد وطيء وكلب، وحاول زعيم عبسي يُدعى الربيع بن زياد أن يُفسِدَ المَلِك على الوفد العامري، لكنَّ لبيداً انبرى ينافح ويفاخر ضد كل هؤلاء حتى خرج بأعمامه منتصرين.

لزم لبيد عمّه ملاعب الأسنّة حتى بعد اكتهاله وانتقال الزعامة إلى ابن أخيه عامر بن الطفيل، لا نعلم أنه خرج عن كلمته سوى مرةً واحدة عندما اعتدى عمّه على رجل من بني القين استجار بلبيد، عندها ثارت ثائرة الشاعر، وأنشأ قصيدةً تذكّر ببلائه ومنافحته عن عمّه، وتهدد بالانتقال إلى أقارب آخرين.

كان لبيد من أوائل بني عامر إسلاماً، بخلاف أخيه لأمه أربد بن قيس الذي مات بصاعقة بعد محاولة اغتيال الرسول، صلى الله عليه وسلم. أنشد لبيد في أربد أعذب مراثيه، وعاش شطراً من حياته في الكوفة، إلى أن ألحَّ عليه الشوق أخيراً نحو ديار قومه، فرجع إلى بطن عاقل (وادي النسا في القصيم) حيث توفي رضي الله عنه سنة ٤١ هـ.[٤]

(٤) بخلاف ما جاء في كتاب "الأغاني" ج١٥ ص٣٦٢ عن موت لبيد في الكوفة، وهو ما يناقض صريح شعره.

his father, Rabīʿah, whose unbounded magnanimity won him the sobriquet "Rabīʿ al-Muqtirīn" (Springtime of the Destitute). The survival of this Jāhilī virtue and its transformation into an Islamic one is nowhere so well expressed as in the anecdote recorded in the classical Arabic sources, such as *Al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ* (149) and *Kitāb al-Aghānī* (16:5730).

They relate that still during the Jāhiliyyah, Labīd swore an oath that whenever the East Wind (Ṣabā) blew, he would slaughter camels to feed the poor. Even after his conversion to Islam he honored this vow.

One day, when Labīd, now reduced to poverty, was living in Kufa, the East Wind blew. So, Walīd ibn ʿUqbah, the Umayyad governor, mounted the minbar of the mosque, delivered his sermon, and said to the worshippers, "Your kinsman Labīd ibn Rabīʿah swore an oath in the Jāhiliyyah to feed the people whenever the East Wind blows, and today is one of those days when the East Wind is blowing, so help your brother! I will be the first to do so." Then he descended from the minbar and sent Labīd one hundred she-camels. Others followed, and thus Labīd's oath was fulfilled.

This anecdote demonstrates the transformation of the Jāhilī form of camel-sacrifice for the destitute, that is putting up a slaughter-camel for *maysir* gambling (see his Muʿallaqah lines 73-77), which was forbidden by Islam, to Islamically sanctioned forms of giving alms to the poor. Another celebrated anecdote offers, in a parallel manner, a way to look at Jāhilī poetry as having provided in pre-Islamic times the moral guidance now embodied in the Qurʾān. In other words, pre-Islamic poetry is not so much condemned as abrogated and replaced. Although several lines and poems are said to be "the only line" or

الحبيبة – الناقة – الصحراء

ليس في أيدينا ما يُمكِّن من تحديد عمر لبيد حين أنشأ المعلَّقة، عدا روايةٍ تزعم أنَّه كان صبياً برفقة أعمامه يوم زاروا النعمان، وأنَّ شاعر البلاط النابغة الذبياني استنشده ثلاث قصائد-بينهنَّ المعلَّقة- ثمَّ حكم أنّه أشعر العرب.(٥)

أول ما يشكك بالرواية العداء المستحكم ما بين قبيلتي عامر وذبيان، بل إنَّ هناك هجاءً مقذعاً بين الشاعرين. ثمَّ إنَّ شعر لبيد يعيّن ولادته قبل داحس والغبراء، مما يجعله في أواخر عقده الثالث حين زار النعمان على أقلِّ تقدير، وهكذا تسقط كل الروايات التي تجعله صبياً يوم لاق النعمان والنابغة أول مرّة.

إنّ من يقرأ المعلقّة يتداركه شعور طاغٍ أنهّ إزاء شاعر شاب لم تختمر تجربته بعد. فعندما يقف على الأطلال يدهشه منظر الظباء والنعام والبقر وهي ترتع بين بقايا الآدميين حتى يكاد ينسيه حبيبته. وعندما يقارب مشاعره تجاه نوار يخضع للمكابرة واللجاج ويدّعي أنهّ قادر على هجرها رغم أنهّا هي من رحلت في الظعائن. وعندما يفاخر بفروسيته يذكر كيف اختاره قومه ربيئةً لهم، ثم يسبغ على المشهد من أوصاف البطولة ما يدفعك إلى الابتسام حين تقارنه بعنترة وهو يقارع الفرسان. وعندما يحكي ما حصل في سُرادق النعمان يصف ما تلبسّه من رهبة وخوف حتىّ لكأنهّ في وادٍ من الجن.

هذه الحاجة إلى الفهم، وهذا الارتباك إزاء المشاعر، وهذا الفخر بتجاربَ سيعيش ويختبر أكبر منها، كلُّ هذا يقترح أنهّ أنشأ معلقّته في سنٍ مبكرة قد تكون أواخر العشرين.

(٥) الأغاني. ج١٥ ص٣٧٧

"only poem" from after his conversion, it is most often stressed that Labīd ceased composing poetry after his conversion to Islam. *Al-Shiʿr wa-al-Shuʿarāʾ* (149) and *Kitāb al-Aghānī* (16:5729), among other sources, report that the Caliph ʿUmar ibn al-Khaṭṭāb once wrote to the governor of Kufa, al-Mughīrah ibn Shuʿbah, asking to hear some poetry of the Islamic period from the poets of the region. So al-Mughīrah asked Labīd to recite.

"Of what has been forgiven [i.e., Jāhilī]?" the poet asked. "No, of what you have composed since the coming of Islam," al-Mughīrah replied. Labīd left, wrote down Sūrat al-Baqarah on a sheet of parchment, and then returned with it, saying, "God has given me this in place of poetry."

The Muʿallaqah of Labīd is essentially *a qaṣīdat al-fakhr*, that is an ode that boasts or celebrates the virtues and glorious deeds of the poet himself and of his tribe. Labīd has done this in such a way that his poem has become the embodiment of the moral and ethical values of the tribal warrior aristocracy of the Jāhiliyyah in their noblest expression. He does not address himself to particular inter-tribal disputes and rivalries, and therefore lacks the heated passions and recklessness that define "*jahl*." Instead, although he speaks with exuberance, the tone of his Muʿallaqah is one of dignity, self-assurance, and authority that pervades even the lyrical sections of the poem.

Labīd's Muʿallaqah exhibits the three-part *qaṣīdah* structure with an elegant balance of the parts: the elegiac prelude (*nasīb*), lines 1-21; the journey section (*raḥīl*), lines 22-54; and the personal and tribal boast (*fakhr*), lines 55-88.

تحتلُّ نوار معلَّقة لبيد كما لم تحتلْ امرأةٌ أخرى قصيدةً جاهلية؛ لا فاطمة امرئ القيس، ولا عبلة عنترة، ولا هريرة الأعشى، ولا ميّة النابغة، لكنَّ قصر نَفَس الشُّرّاح صرفهم عن ذلك، ولو كان لهم طول نَفَس لبيد لأدركوا أنَّ وصفه ناقته وتشبيهها تارةً بالأتان وتارةً بالبقرة الوحشيّة ما هو إلا خطابٌ مبطّنٌ يعالج قصته مع نوار.

إنَّ هذا التقليد القديم الذي يُشبّه الناقة بالأتان وبالبقرة ثم يحكي قصتين عنهما يتكرر كثيراً في القصائد الجاهليّة وله نظائر عند امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى وأوس بن حجر وبشر بن أبي خازم، لكنَّ المدقق في قصائد هؤلاء يكتشف أنَّ كلَّ شاعر يضيف لمسته الخاصة إلى القصتين ويدخل تفصيلاً صغيراً يجعلهما تعكسان حالته النفسيّة حين قال قصيدته.

أكثر ما يميّز معالجة لبيد أنّه جعل للأتان فحلاً وللبقرة فريراً، ثم جعل الأتان تنشقّ عن الحمير تابعةً فحلها، وجعل البقرة تغادر القطيع بحثاً عن فريرها،[٦] وهكذا تحوّل هذا التقليد العريق إلى شيء أشبه بالمناجاة الداخليّة ما بين خيار الحبيبة وخيار القبيلة.[٧]

ثمّ إنَّ المعلَّقةَ بعد ذلك كلِّه قصيدةٌ خالدةٌ عن الصحراء. لا يقتصر حضور الصحراء فيها على الموضوعات والصور، بل يتجاوز إلى أشياء أكثر خفية، كوزنها الذي يعلو ويهبط كأنّه تلعاتٌ وهضاب،[٨] ومطلعها الذي يمثّل دياراً دفنتها الرمال، فإذا بحثت عن الريح التي عفّتها وجدتها في قافيةٍ تُسلِمك هاؤها إلى ألِفٍ تمتد وتنفخ إلى أن تتلاشى كأنّها ريح السموم.[٩]

(٦) الأتان: أنثى حمار الوحش. الفحل: ذكر الأتان. البقرة الوحشية: مهاة الوضيحي. الفرير: ابن البقرة.

(٧) عالج لبيد قصة الأتان وفحلها والمهاة وفريرها في تسعة مواضع من ديوانه، لذا يُعدّ من أكثر الشعراء طرقاً لهذه الثيمة، وكأنَّ بعض هذه المعالجات مسوّدات غير مكتملة للقصتين البارعتين المستخدمتين في المعلَّقة.

(٨) المعلَّقة من بحر الكامل، تتكون تفعيلتها الواحدة (متفاعلن) من فاصلة صغرى ووتد مجموع، تتكرر ثلاثا في كل شطر، كأنها هضبات وتلاع.

(٩) تتكون قافية المعلَّقة من مجموعة أحرف هي: الروي: الميم، والصّلة: الهاء، والخروج: الألف.

1: The Elegiac Prelude (*nasīb*):

The poem opens with a description of the ruined encampment (*nasīb ṭalalī*), understood to be that of the tribe of a long-lost mistress. It is significant in terms of the tone of Labīd's Muʿallaqah that rather than engaging the theme of the turbulent passions of the abandoned lover (*nasīb ghazalī*), he calls up the profound nostalgia and contemplative mood that the ruins—the physical embodiment of the irrevocable passage of time, the changing of seasons, and the generations of new life in the gazelle and ostrich herds—evoke, even as human life has disappeared.

The permanence of the ruined traces, an emblem of mortality, carved ever deeper by annual rains, is likened to pens re-writing worn and ancient texts, or to a tattooer sprinkling lamp-black until the tattooed image appears (lines1-12).

The second major *nasīb* theme is that of the poet recalling the departure of the women of the tribe (among them the poet's beloved) (*ẓaʿn*). Here the poet reenacts his separation from the beloved as he pictures in his mind's eye the caravan of women in their howdahs gradually disappearing into the desert landscape until they arrive at last in distant lands (lines 12-19). The mood Labīd creates is one of deep loss and melancholy. The poet then signals his cutting of bonds with the irrevocable past and moving forward toward new possibilities through the image of mounting an energetic she-camel who will propel him forward—geographically, temporally, and, above all, emotionally (lines 20-22).

2. The Desert Crossing (*raḥīl*):

The central transitional passage of the *qaṣīdah* is the poet's desert crossing mounted on his noble and indefatigable camel-mare. Her instinctual sense of direction, sturdy physique, and unflagging energy serve as allegories of the poet's own sense of purpose and determination.

In keeping with the emotionally controlled tone of the poem, Labīd does not offer a gruesome physical description of the hardships of the journey, but rather, through indirection, he expresses his own inner struggle and his camel-mare's physical struggle through extended similes in which he compares his she-camel first to a pregnant she-ass struggling through the changing seasons and climes with her mate until she reaches water (lines 25-35); and then an oryx cow whose calf has been slain by wolves, and who, after suffering through a cold and rainy night, summons her determination to fight off a party of hunters and their hounds (lines 36-52).

It is such courage and determination that allows the poet to attend his "own heart's needs," tying and breaking societal bonds to preserve his honor and dignity (lines 54-56).

3. The Boast of the Warrior and His Tribe (*fakhr*):

The boast opens with a rhetorical question, "O don't you know...?" that sets the tone of the *fakhr* as one of self-defense rather than vain braggadocio. We should understand that, after the poet's sense of loss and despair in the Prelude, and hard-one sense of determination in the Desert Crossing, that the boast has a strong element of self-defense and the building of self-esteem, as well as serving as an exercise in the presentation of self and tribe to others. In sharp contrast to the poet's nostalgic despair, then lone determination, in the preceding sections, the poet is now an exhilarated participant in the communal life of the warrior aristocracy of his tribe.

Two essential principles are at work: 1) that the price of belonging and participation is the willingness to sacrifice for the group, whether of one's wealth or of one's life and limb; and 2) that the virtues of generosity and valor that this sacrifice entails, gain for the poet-warrior both status and authority in his tribe.

Thus in the self-boast the poet celebrates first his paying dearly for fine wine for himself and his comrades (the warriors of his tribe) to spend a convivial night in "wine, women, and song" (lines 57-61).

He describes his defense of his tribe with a certain indirection, not boasting of his own valor, but rather of the splendid mare on which he goes to battle (lines 63-69). After declaring the authority he is accorded among the tribes (lines 70-72), his final boast is of providing the slaughter-camel over which the men will gamble with their *maysir* arrows as a means for providing food for the starving guests and refugees, indigent women and orphans, in times of hardship (lines 73-77).

In the first passage of the boast (lines 57-77) the poet speaks in the first person singular, that is, the subject is his place in his tribe. Having secured his personal status, he then turns in the second passage (78-88), the concluding passage of the poem, to declare, and thereby pay homage and allegiance to, the unrivalled authority of his tribe.

It is in this section above all that we see the enumeration of the virtues of the tribal warrior aristocracy of the Jāhiliyyah, virtues that will inform as well the Islamic understanding of legitimate authority: the might of the tribe consists not of brute force, but of power justly employed to defend and secure men's rights and due. Munificence toward the needy is the necessary

moral corollary of the power to defeat and plunder one's enemies. Furthermore, they have an inherited ancestral law and have been empowered over others not by brute usurpation, but rather by the will of a "sovereign"/"Sovereign" who has apportioned to them the largest share not merely of wealth and power, but of virtue. The "high-roofed edifice" of line 85 should be understood more metaphorically than literally, as the God-given honor and authority of the tribe.

At the closure of the poem (lines 86-88) Labīd switches to the objectivizing third person "they" to proclaim the warrior class of his tribe as its defenders in war and peace, the protectors of the refugees and indigent, and, above all, as a band whose might derives from their unwavering group loyalty and devotion.

Labīd has thus achieved in the three-step trajectory of his poem a moral and emotional transformation from a sense of loss, despair, and passivity before the forces of nature, time, and mortality, to a compelling vision of sacrifice for and belonging to a powerful, virtuous, authoritative, divinely chosen, and deeply committed tribal warrior aristocracy.

It is not difficult to see how the transformation achieved in Labīd's Muʿallaqah could be understood, like the life story of Labīd, as an allegory of the transformation of Arab society from the Jāhiliyyah to Islam.

سيمياء الأطلال

١. عفَتِ الـدِّيارُ مَحَلّهـا فمُقامُهـا — بمِـنًى تأبّـدَ غَولُهـا فرِجامُهـا
٢. فمدافـعُ الـريّانِ عُـريَّ رسمُهـا — خَلَقـاً كما ضَمِـنَ الـوُحِيَّ سِـلامُها
٣. دِمَـنٌ تَجَـرَّمَ بعـدَ عهـدِ أنيسِهـا — حِجـجٌ خَلَـونَ حلالُهـا وحَرَامُهـا
٤. رُزِقَـتْ مرابيـعَ النجـومِ وصابَهـا — ودقُ الرَّواعـدِ جَودُهـا ورِهامُهـا
٥. مـن كلِّ سـاريةٍ وغـادٍ مُدجِـنٍ — وعشـيّةٍ مُتجـاوِبٍ إرزامُهـا
٦. فَعَـلا فـروعُ الأيهُقـانِ وأطفلـتْ — بالجَلهتـينِ ظِباؤهـا ونَعامُهـا
٧. والعِـينُ سـاكنةٌ عـلى أطلائِهـا — عُـوذاً تأجَّـلُ بالفَضـاءِ بِهامُهـا
٨. وجلا السيولُ عن الطُّلولِ كأنَّها — زُبُرٌ تُجِـدُّ متونَهـا أقلامُهـا
٩. أو رجـعُ واشمـةٍ أُسِـفَّ نَؤورُهـا — كِففـاً تَعـرَّضَ فوقهـنَّ وِشـامُها
١٠. فوقفـتُ أسـألُها وكيـف سـؤالُنا — صُمّـاً خوالـدَ مـا يُبِـينُ كَلامُهـا
١١. عَرِيـتْ وكانَ بهـا الجميعُ فأبكروا — منهـا وغُـودِرَ نُؤيُهـا وثُمامُهـا

يتوقـف لبيـد في أولّ معلّقتـه عـلى ديـارٍ قديمـة عفّتهـا الريـح، لا نـدري أهـي دياره أم ديـار حبيبتـه نـوار، ولأنَّ مـنى وغـول ورجـام والريـان داخلـة ضمـن بـلاد بـني عامـر يغلـب الظـنُّ أنّهـا دياره، وأنَّ نـوار كانـت مجـاورةً لهـم قبـل رحيلهـا وانقطـاع خبرهـا. لكـنَّ اللافـت في هـذه المقدّمـة الطللية أنَّ لبيـداً لا يسـمّي حبيبتـه إلا في البيـت السـادس عـشر، ولا يسـأل عنهـا إلا في العـاشر.

أمـا الآن فهـو مشـغولٌ بـشيء آخـر أدهشـه ومـلأ عقلـه بالأسـئلة: كيـف تغـيّرت الديـار وغـدت هكـذا؟ مـا الـذي مَحَـى الحـدود الـتي تبقـي الحبيـب في محيـط حبيبـه، وتفصـل عالـم الوحـش عـن عالـم البـشر، فـإذا بالظبـاء والنعـام والبقـر تجـول بـين الأثـافي والثمـام، وتتجـاوز الحُفـر الـتي جُعلـت حـدوداً تحمـي الأخبيـة مـن المـاء؟

لقـد امّحـت الحـدود وعفـت الديـار ولـم يبـق شيءٌ مـن محالهـا ومقاماتهـا. لكـن مـا حاجـة لبيـد إلى هـذا التفصيـل؟ أليـس في جنـس الديـار مـا يشـمل المَـحال الـتي تُـنزَل وجـيزاً والمقامـات الـتي تُسـكَن طويـلاً؟ هـذا بالضبـط مـا يريـد لبيـد أن نلتفـت إليـه، إذ لا يريـد أن

اللغة:
عفـت: زال أثرهـا. **محلّهـا:** مـا يُمكـث فيـه فـترة قصـيرة. **مقامهـا:** مـا يُقـام فيـه فـترة طويلـة. **مـنى وغـول والرجـام ومدافـع الريّـان:** جبـال متجـاورة في عاليـة نجـد تقـع جنوبـاً عـن الـرسّ وغربـاً عـن نِفـي، يمكـن زيارتهـا اليـوم وهـي عـلى التـوالي: **مـنى:** جبـل أحمـر دائري يعـرف الآن بجبـل منيـة قـرب بلـدة نِفي. **غـول:** جبـل غـال جنـوب شرق طخفـة. **رجـام:** جبـال الشـعب جنـوب طخفـة. **مدافـع الريـان:** شـعيبا هرمـول ومبهـل يجريـان أسـفل جبـل الريـان وينتهيـان إلى وادي الـداث ثـم إلى وادي الرمـة. **تأبّـد:** سـكنته الوحـوش. **رسـمها:** بقيّـة أثرهـا. **خَلَقـاً:** بـالٍ قديـم. **الوُحِـيّ:** الكتابة. **سِـلامها:** حجارتها. **دِمن:** آثـار الناس ومـا سـوّدوا. **تجـرّم:** انقـضى. **حجج:** أعـوام. **خلـون:** انقضـين. **حلالهـا:** زمـن اسـتحلال القتـال. **حرامهـا:** زمـن حرمـة القتـال. **مرابيـع النجـوم:** الأمطـار والأنـواء الربيعيـة. **ودق الرواعـد:** مطـر السـحب المرعـدة. **جودهـا:** مطرهـا التـام. **رهامهـا:** مطرهـا الخفيـف. **سـارية:** سـحابة ممطـرة ليـلاً. **غـادٍ مدجـن:** سـحاب يغطـي السـماء صباحـاً. **متجـاوب:** يجيـب بعضهـا بعضـاً. **إرزامهـا:** الإرزام صـوت الناقـة يسـتعيره للرعـد. **الأيهقـان:** جرجـير البـرّ. **أطفلـت:** ولـدت الظبـاء أطفـالاً. **بالجلهتـين:** بجانبـي الـوادي. **العِـين:** المهـا. **عـلى أطلائهـا:** عـلى أولادهـا. **عـوذا:** حديثـات النتـاج. **تأجّـل:** تسـير جماعـات. **بهامهـا:** أولادهـا. **زُبـر:** كتـب. **نؤورهـا:** مـادة الوشـم. **كففـاً:** حلقـات. **صمّـاً:** صخـوراً. **خوالـد:** بـواقٍ. **فأبكـروا:** ارتحلـوا أول الزمـان. **نؤيهـا:** النـؤي حفـرة تجعـل حـول الخبـاء ليتـسرب فيهـا المـاء. **ثمامهـا:** نبـت يُلقـى عـلى البيـوت تُسـدّ بـه خللهـا.

Part I: Prelude (*nasīb*)
Theme I: The Abandoned Campsite Where the Beloved's Tribe once Dwelt

1. Effaced are the abodes,
brief encampments and long-settled ones;
At Minā the wilderness has claimed
Mount Ghawl and Mount Rijām.

2. And the torrent channels of Wādī Rayyān,
their tracings are laid bare,
Preserved as surely as inscriptions are
preserved in rock.

3. Their grounds are now dung-darkened patches
over which, since they were peopled,
Years have elapsed, the profane and sacred months
all passed away.

4. They were watered by the rain
the spring stars bring:
Upon them rained the thunderclouds,
downpour and drizzle,

5. And every night-faring cloud,
each early morning horizon-darkener,
And evening cloud
with resounding rumble.

6. The ayhuqan thrust up its shoots and
on the two sides of the valley
Gazelles and ostriches
have borne their young.

7. Wide-eyed oryx cows, newly-calved,
stand above their newborns, motionless,
While on the plain the yearlings,
in clusters, caper.

نتمثّـل صـورةً جامـدة للديـار، بـل أن نضعهـا في إطارهـا الزمـني، فـنرى الزمـان يمـرّ بطيئـاً ليعفّـي المحـال المنصوبـة كيفمـا اتفـق، ثـم يعفّـي المقامـات الـتي بُنيـت لتـدوم، لكـن أنّى لهـا الـدوام والزمـن ناهشـها الأكـبر؟

هـا هـي الوحـوش تجـول آمنـةً بـين غـول ورجـام، وهـا هـي الميـاه تتدفـق بغـزارة أسـفل جبـل الريّـان، يحـدّق فيهـا المـرء لا يـكاد يصـدّق أنّهـا كانـت في يـومٍ ديـاراً آهلـة، كأنّهـا كتابـة مطموسـة تضمّنهـا حجـرٌ قديـم.

نعـم، إنَّـه الزمـان إذن، بأعوامـه المتصرّمـة عامـاً بعـد عـام، بأشـهره الـتي يَحُـلُّ فيهـا القتـال أو يحـرُم، تفصيـلٌ آخـرُ يـأبى إلا أن نتمثّـلَ دورة الزمـن البطيئـة ووطأتـه الثقيلـة. لكـنَّ الزمـان ليـس عامـل التغـير الأوحـد، بـل هنـاك عوامـل أخـرى، كالريـاح الـتي تعفّـي الديـار بالرمـال، وكالسـحاب الـذي يتتابـع ليـلاً ونهـاراً أو يمطـرُ جَـوداً ورُهامـاً،[10] وكجرجـير الـبرّ أخـذ يزدهـر في كل مـكان بعـد أن كانـت خطـى البـشر تحـول دون نمـوّه، وكالظبـاء والنعـام والمهـا أنتجـت أطفالهـا عـلى جانـبي الـوادي ثـم أخـذت تراقبهـا وادعـةً وهـي تمـشي عُصبـاً في الفضـاء الفسـيح.

لكـنّ قـوى الطبيعـة لا تعفّـي فقـط، بـل تجلـو أحيانـاً. تجـري السـيول فتدفـع مـا تراكـم مـن رمـل وبَعَـر لتكشـف عـن آثـار البـشر الراحلـين، كأنَّهـا صحائـفُ يمـرُّ صاحبهـا بقلمـه فـوق مـا اندثـر مـن خطوطهـا، أو وشـمٌ امّحى فغُـرِزت الإبـرة فيـه وذُرَّ فوقـه مـن دخـان الشـحم حـتى ظهـر ثانيـة طبقـةً تتلـو طبقـة.

لعلـكّ لاحظـت أنَّ لبيـداً شـبّه الديـار بالكتابـة مرتـين: مـرّة بالكتابـة فـوق الحجـارة، ومـرّة بالكتابـة فـوق الصحائـف. إن كان لا يسـتطيع مسـاءلة هـذه الصـمّ الخوالـد فـلا أقـلَّ مـن أن يقرأهـا! هـذا مـا أسـمّيه "سـيمياء الأطـلال" وهـو مـا يجعـل هـذا المطلـعَ فريـداً وواحـداً مـن أبـرع الافتتاحـات الطلـلية وأعلقهـا بالذهـن.

(١٠) هـذه النزعـة عنـد لبيـد إلى تفصيـل الأشـياء وعدّهـا، كتفصيلـه الديـار إلى محـال ومقامـات، وتفصيلـه الشـهور إلى حـلٍ وحُـرُم، وتفصيلـه الأمطـار إلى جـود ورهـام، تذكّـر بخاصيـة "الكاتالـوج" عنـد الأمريـكي والـت ويتمـان، حيـث تتـوالى عنـاصر الكتالـوج لتذكّـر بلانهائيـة الأشـياء وتزيـد الصـورة غـنى وألوانـاً، دون أن تشـترك في خطأ الإطالـة وإمـلال المتلقـي كمـا عنـد ويتمـان.

8. The torrents have exposed the ruins,
as if they were
Writings whose texts pens have
inscribed anew

9. Or as if they were tattoo marks
that emerge
As the tattooer re-applies lampblack to
patterns needle-pricked on hands.

10. Then I stopped and questioned them,
but how do we question
Mute immortals whose speech
is indistinct.

11. Stripped bare where once a tribe had dwelt
and then one morn departed;
The trench around the tents now lay abandoned
and the plugs of thumam grass that filled the holes.

انقطاعات الذاكرة

١٢. شاقتكَ ظُعنُ الحيِّ حين تحمّلوا فتكنّسوا قُطُناً تَصِرُّ خِيامُها

١٣. من كلِّ محفوفٍ يُظِلُّ عِصيَّهُ زوجٌ عليهِ كِلَّةٌ وقِرامُها

١٤. زُجُلاً كأنَّ نِعاجَ تُوضِحَ فوقَها وظِباءَ وَجرةَ عُطَّفاً أرآمُها

١٥. حُفِزتْ وزايلَها السّرابُ كأنَّها أجزاعُ بيشةَ أثلُها ورِضامُها

١٦. بل ما تذكّرُ من نوار وقد نأتْ وتقطّعتْ أسبابُها ورِمامُها

١٧. مُريّةٌ حَلّتْ بفيدَ وجاوَرَتْ أهلَ الجبالِ فأينَ منكَ مَرامُها

١٨. بمشارقِ الجبلينِ أو بمُحَجّرٍ فتضمّنتها فَردَةٌ فرُخامُها

١٩. فصوائقٌ إن أيمنتْ فمَظِنَّةٌ مِنها وِحافُ القهرِ أو طِلحامُها

بعد أن قضى لبيد وطره من الديار، وبعد أن أجاب كل ما أثارت فيه من أسئلة، التفت إلى حبيبته أخيراً، وما كاد يفعل، فسأل الأطلال عنها، لكنَّها صمٌّ خوالد لا تجيب ولا تعقل. ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى ذاكرته.

كانت حبيبته يوم الرحيل في نساء الحيّ. ركبت هودجها مثلهنّ، وأُرخيت فوقها الأنماط والسُتُر كما أرخيت فوقهن. ثم ابتعدت الهوادج بأحمالها وما تضمّنته من نساء جميلات كأنهنّ المها، أو ظباء خالصات البياض يلتفتن بحنان جهة أبنائهن.

تبتعد الهوادج أكثر حتى يكاد لا يتبيّنها، ويدفع بها السراب إلى السراب، وتتداخل الصورُ حتى لكأنّها شجرُ أثلٍ أو صخرٌ منضود مما يتراكم في أودية بيشة.

ولو اعتقدت أنّه يحدّق في الصحراء فقط كنت واهماً، بل هو يحدّق في ذاكرته أيضاً، إلى أقصى ما يستطيع أن يتبيّنه منها، حيث تتداخل الصورة بالصورة كما يتداخل السراب بالسراب، إلى أن يبتلع الأخيرُ كلَّ شيء ثم ينقطع خيط الذكرى.

اللغة:

ظعن: نساء في هوادج. **تحمّلوا:** ارتحلوا بأحمالهم. **تكنّسوا:** دخلوا في الهوادج. **قُطُناً:** أغشية وثياب قطن. **تصرّ:** تصدر صوتاً. **محفوف:** حُفّ بالثياب. **عِصيّه:** خشبه. **زوج:** نمط من الثياب يتكوّن من طبقتين. **كِلّة:** الستر الرقيق. **قرامها:** غطاؤها. **زُجُلاً:** جماعات. **توضح:** زبارة المضياح في عالية نجد وتشتهر بالمها الوضيحي. **وجرة:** رُكبة قرب الطائف تشتهر بظبائها. **عُطّفاً:** ملتفتات متحننات. **آرامها:** ظباء خالصات البياض. **حُفزت:** استُحثت في السير. **زايلها:** حرّكها. **أجزاع:** معاطف الأودية. **بيشة:** مدينة في عسير. **رضامها:** صخور عظام أمثال الإبل حجماً يقع بعضها على بعض. **نأت:** بعدت. **أسبابها:** حبال مودّتها. **رمامها:** حبال رثّة قديمة. **فيد والجبلان ومحجّر وفردة ورخام :** مواضع تحيط بحائل وهي على التوالي: **فيد:** شرق جبل سلمى، **الجبال والجبلان:** أجا وسلمى، **محجّر:** جبال المِسمى غرب حائل، **فردة:** فردة النظيم وفردة الشموس غرب حائل، **رخام :** ضلع رخام غرب حائل. **صوائق ووحاف القهر وطلحام :** مواضع في جنوب المملكة هي على التوالي: **صوائق:** أسفل الحجاز قرب نخلة، **وحاف القهر:** جنوب نجد في بلاد قحطان اليمانية، **طلحام :** شمال غرب نجران. **أيمنت:** اتجهت جنوباً نحو اليمن. **فمظنة:** موضعها الذي تُظن فيه.

Theme II: The Departure of the Women of the Clan

12. The clanswomen departing stirred your longing
when they loaded up their gear,
Then climbed inside their howdah frames
with creaking tents,

13. Each howdah's wooden frame
was shaded by a double woolen carpet
And covered by fine veil
and figured drape.

14. In clusters the women departed, as if the howdahs bore
the oryx cows of Tūdih
And the white does of Wajrah, tenderly inclining
over their young.

15. They were urged on, and the mirage
dissolved them 'til they were like
The windings of the riverbed of Bīshah
with its tamarisks and boulders.

16. What then do you remember of Nawār
when she has gone away,
And her bonds, both firm and frayed,
are cut asunder?

17. A Murrite woman who alit in Fayd
and then dwelt near the people of Hijāz—
How could you ever hope
to meet with her again?

هـذا الانقطـاع دفعـه إلى أن يسـتدرك سـائلاً: بـل مـا تذكّـر مـن نـوار وقـد ابتعـدت وتقطّعـت حبـال مودّتهـا حـتى القديمـة منهـا؟ ولعلّـه أنكـر عـلى نفسـه انشـغالها بنـوار بعـد كلِّ هـذا الزمـن الطويـل، ولعلّه أنكـر أيضـاً عجـزه عـن تمثّلهـا بعـد أن تضمّنهـا الهـودج وأُرخيت السُـتُر وابتعـدت وغابـت في الزمـان والسـراب.

لا غرابـة إذن أنّـه لـم يعـدد شـيئاً ممـا يتغـنّى بـه الشـعراء عـادة مـن صفـات جسـدية، لا عينيهـا ولا وجههـا ولا خصرهـا ولا شـعرها، لـم يذكـر سـوى انتسـابها لبـني مُـرّة، لا نـدري أهـي مُـرّة بـن عـوف بـن سـعد بـن ذبيـان -وهـو اختيـار الـشرّاح- أم مُـرّة بـن صعصعـة الذيـن كانـوا يتقاسـمون المنـازل مـع أبنـاء عمومتهـم عامـر بـن صعصعـة.

ثـم كيـف يتذكّرهـا وهـو لا يـدري أيـن اسـتقرّت وانتهـى بهـا المطـاف: أشـمالاً جهـة حائـل وأجـأ وسـلمى، أم جنوبـاً صـوب صوائـق ووحـاف القهـر وطلحـام؟ لا غرابـة إذن إن أنكـر تذكّرَهـا بعـد كلِّ هـذه المـدّة.

18. To the east of Tayyi’’s two mountains she alit
or on Muhajjar’s Mount,
Then the land of Fardah contained her,
then its nearby Mount Rijām.

19. Then in Suwāʾiq, if she headed toward the Yemen,
so that by now
She is most likely in Wihāf al-Qahr
or in Tilhām.

فوق ناقة المجاز

٢٠. فاقطعْ لُبانةَ من تَعَرّضَ وصلُهُ ولَخيرُ واصلِ خُلّةٍ صَرّامُها

٢١. واحبُ المُحامِلَ بالجزيلِ وصُرمُهُ باقٍ إذا ضَلَعَتْ وزاغ قوامُها

٢٢. بطليحِ أسفارٍ تركنَ بقيّةً منها فأحنقَ صُلبُها وسَنامُها

٢٣. فإذا تغالى لحمُها فتحسَّرتْ وتقطّعتْ بعد الكَلالِ خِدامُها

٢٤. فلها هِبابٌ في الزِّمامِ كأنَّها صهباءُ راحَ مع الجَنوبِ جَهامُها

ثم يخلص لبيد إلى بيتين لا أبالغ إن قلت إنَّ معنى المعلَّقة بالكامل يرتكز عليهما، وهو شيء لم يُعطَ حقّه من الاهتمام، ثم زاد الطين بِلّة اضطرابُ رواية البيتين، بالأخصّ الأول، رواه نفرٌ: "ولخيرُ واصل خُلّةٍ صَرّامُها". ورواه آخرون: "ولشرُّ واصلِ خُلّةٍ صرّامها"[11]. فهل أثنى لبيد على نفسه لأنّه يبادر إلى قطع حبل من تغيّر عليه، أم ذمَّ نوار لتغيّرها وهو بذمّه إياها يقوّي عزمه على جذم حبلها؟

إنَّ المعنى الأول أشبه بأخلاق لبيد، يؤيده ما جاء في بيتٍ تالٍ حين دعا إلى بذل الودّ والخُلُق الكريم لمن زاغ وتغيّر حتّى وإن كانت القطيعة قائمة، وحتى إن كانت نيّة التحوّل باقيةً تنتظر إنجازها. وسيلته إلى قطع اللبانات ووصلها ناقةٌ أهزلها السِفار حتى ضمر سنامُها وتقطّعت سيورها وسقط وَبرُها وذهب لحمُها إلّا ما بقي حول رؤوس العظام.

ولكن ما حاجته إلى ناقةٍ يتحوّل بها؟ ألم يخبرنا في أبياتٍ سابقة أنَّ نوار ظعنت فيمن ظعن، وأنّه لا يدري هل نزلت شمالاً جهة حائل أم جنوباً جهة صوائق؟ كيف يتحوّل عنها وهي من تحوّلت؟ هل ما زال يعنيها، أم شرع في معنى جديد؟

إنَّ هذا اللبس المحيط بالمعنى، وهذه الأسئلة التي يأخذ بعضها بأعجاز بعض، كل ذلك يعود -بشكلٍ كبير- إلى وقوف الشاعر في منطقة رماديّة من ذاكرته وشعوره، منطقةٍ لا يكاد يتبيّنها بعد أن

اللغة:
لُبانة: حاجة. **تعرّض:** مال يميناً وشمالاً. **خُلّة:** صداقة. **صرّامها:** قطّاعها. **احبُ:** أعطِ. **المحامل:** المكافئ. **صرمه:** قطعه. **ضلعت:** مالت وانحرفت. **قوامها:** استقامتها. **بطليح أسفار:** ناقة أهزلها السفر. **أحنق:** ضمر. **تغالى:** ذهب وارتفع. **فتحسّرت:** سقط وبرها. **خِدامها:** سيور تُشدّ على الأرساغ. **هباب:** نشاط. **صهباء:** سحابة فيها حمرة وسواد. **جهامها:** المطر لا ماء فيه.

(١١) هذا التضاد دفع محقق الديوان د. إحسان عباس إلى أن يعلّق بانزعاج: ورواية البيت على التضاد من التغييرات السيئة، فالشاعر لا بدَّ من أن يكون في هذا الموطن قال شيئاً واحداً وعناه. الديوان ص٣٠٣.

Part II: The Poet's Departure and Desert Crossing (*raḥīl*)

Theme I: The Poet Departs on his Camel-Mare

20. Cut off your love from one
whose bond is wavering,
For the best binder of affection's bond
is he who cuts it.

21. Be generous to him who treats you well,
but only the cutting of bonds remains
When affection falters
and its foundation fails.

22. And depart on a camel-mare jaded by journeys
that have reduced her to a remnant,
'Til she is emaciate
of loins and hump.

23. Even when her flesh has dwindled
and she is exhausted
And, after great fatigue, her leathern shoe straps
are cut through,

24. Still she is as nimble in the reins
as if she were a rose-hued cloud,
Rain-emptied, running with the south wind,
sprightly.

ألقى الزمانُ ظلاله عليها، ثمَّ ألقى كبرياؤه مزيداً من الظلال، ولو حدّق مليّاً لربما نكأ شيئاً من جراحه.

نعم ما زال يعني نوار، وسيمضي يتحدّث تارةً عنها وتارةً إليها حتّى البيت السابع والخمسين، لذا قلتُ إنَّ نوار احتلت المعلَّقة كما لم تحتل امرأةٌ أخرى قصيدةً جاهليّة، وما وصفُ الناقة والقصتان اللتان سيرويهما أثناء التشبيه إلا حيلٌ لجأ لبيد إليها كي يواجه مشاعره الملتبسة وكبرياءه الجريحة من وراء قناع.

يبدو أنَّ نوار المريّة جاورت حيَّ لبيد في منى وغول ورجام والريّان مدّةً من الزمان، ثمَّ حدث حادثٌ اضطرها إلى أن ترحلَ مع أهلها وتفارقَ لبيداً. قد يكون سألها البقاء والزواج منه فأبت إلا الرحيل مع أهلها، وقد تكون سألته متابعتها واللحاق بها فأصرَّ إلّا أن يلازم قومه، وهكذا افترق الحيّان، ورحلت الظعائن، وانفتح جرحٌ غائر في قلب شاعرنا، لن يداويه سوى الزمن.

ثمَّ حدث حادثٌ آخر اضطرَّ قومَ لبيدٍ إلى ترك ديارهم ثم الرجوع إليها، كالخلاف الذي نجم بينهم وبين أبناء عمِّهم بني أبي بكر بن كلاب. عندها وقف لبيد على الديار العافية وتذكّر سالف حبّه لنوار. تذكّر لجاجها وعنادها وعدم متابعتها له، فثارت كرامته، وقال مكابراً إنّه قادرٌ على التحوّل عنها رغم أنّها هي من تحوّلت.

وسيلته إلى ذلك التحول ناقةٌ تشبه سحابةً تشرّبتْ سواداً وحمرة، أمطرت سائر يومها إلى أن تخففت من مائها ثمّ دفعت بها رياح الجنوب فراحت أسرع ما يكون. نعم، إنَّ هذه الناقة وسيلةٌ إلى قطع اللُبانات ووصلها، لكنها مجازٌ أيضاً سيركبه حين يعالج الخيارات التي كانت أمامه، وهو ما سنتبينه في قصتي الأتان والعير، والبقرة والفرير.

الأتان والعير

٢٥. أو مُلمِعٌ وسَقتْ لأحقبَ لاحَهُ طردُ الفحولِ وضربُها وكِدامُها
٢٦. يعلو بها حَدَبَ الإكامِ مُسحَّجاً قد رابَهُ عِصيانُها ووِحامُها
٢٧. بأحزّةِ الثلبوتِ يرْبأُ فوقَها قفرَ المَراقِبِ خوفُها آرامُها
٢٨. حتّى إذا سلخَا جُمادَى سِتّةٍ جَزْءاً فطالَ صيامُهُ وصيامُها
٢٩. رجعَا بأمرِهما إلى ذي مِرّةٍ حَصِدٍ ونُجُحُ صَريمةٍ إبرامُها
٣٠. ورمَتْ دوابرَها السَّفا وتهيّجتْ ريحُ المصايفِ سَومُها وسَهامُها
٣١. فتنازعا سِبطاً يطيرُ ظِلالُهُ كدُخانِ مُشعَلةٍ يُشَبُّ ضِرامُها
٣٢. مشمولةٍ غُلِثتْ بنابتِ عَرفجٍ كدُخانِ نارٍ ساطعٍ إسنامُها
٣٣. فمضى وقدَّمها وكانت عادةً منهُ إذا هيَ عَرَّدتْ إقدامُها
٣٤. فرمى بها عُرْضَ السَّريّ وصدَّعا مسجورةً مُتجاوِراً قُلّامُها
٣٥. محفوفةً وسطَ اليَراعِ يُظِلُّها منهُ مُصرَّعُ غابةٍ وقيامُها

أتشبه ناقته سحابةً صهباء دفعتها رياح الجَنوب، أم أتاناً ساقها فحلها أيام الصيف والعطش إلى أن ورد بها عين ماء؟ ما الغرض من القصة الطويلة التي سيشرع في سردها عن الأتان؟ هل تزيد الوصفَ دقّةً بتفاصيلها، أم المتلقّيَ نشاطاً باستطرادها؟ أم تراه يريد شيئاً آخر بالمرّة؟ لنصغ جيداً ثم نحكم.

هل ترى تلك الأتان التي حملت وامتلأ ضرعُها لبناً؟ هل ترى كثرة الذكور المقتتلين حولها؟ تُرى أيُّهم أحبلَها؟ سرعان ما تميّز بينها عَيراً أحقبَ في وركيه بياض، لا يوجد موضع في جسده إلّا وفيه عضّة أو ضربة. عندما تلحظ هياجه وكيف يعنف بباقي الفحول ويفرّقها عن الأتان يتأكد لك أنّه المسؤول عن حملها.

لكنَّه هو أيضاً يشاركنا العجبَ والريبة، خصوصاً بعد أن لاحظ تغيّر الأتان وعصيانها وتمنّعها أثناء الجماع. أتراه الحمل والوحم؟ يفصل العَيرُ بأتانه عن باقي الحُمُر الوحشيّة، ثمّ يقطعان طريقاً طويلة ترتفع تارةً وتنخفض تارة، وتغلظ تارةً وتلين تارة. يمرّان بوادي الشعبة جنوب حائل، فيتوجّس العير خطراً حين يشاهد

اللغة:
العَير: حمار الوحش، **والأتان:** أنثى حمار الوحش. **مُلمِع:** أتان امتلأ ضرعها لبناً. **وسقت:** حملت. **أحقب:** عير في وركيه بياض. **لاحه:** غيّره. **كدامها:** عضّها. **حدب الإكام:** ما احدودب من الآكام. **مُسحّجاً:** مُعَضضاً. **وحامها:** اشتهاء الحبلى شيئاً معيناً أثناء فترة الحمل. **أحزّة الثلبوت:** ما غلظ وارتفع من الثلبوت وهو وادي الشعبة جنوب حائل يصبُّ في وادي الرمّة. **يربأ:** يتقدّم كي يتبصّر أماكن الخطر. **قفر المَراقِب:** الموضع الخالي الذي يقوم عليه الرقيب. **آرامها:** أعلام طريقها. **سلخا:** قضيا. **جمادى ستة:** ستة أشهر من الشتاء ثمّ الربيع. **جَزءاً:** الاكتفاء بالرّطب عن الماء. **ذي مرّة:** ذي قوّة في الرأي. **حصِد:** مُحكم. **صريمة:** عزيمة. **إبرامها:** إحكامها. **دوابرها:** مآخير حوافرها. **السَّفا:** شوك البُهمى. **سَومها:** مرورها. **سَهامها:** شدّة حرّها. **سِبطاً:** غباراً ممتداً طويلاً. **مُشعلة:** نار. **ضرامها:** دُقاق حطبها. **مشمولة:** هبّت عليها ريح الشمال. **غُلثت:** خُلِطت. **عرّدت:** جَبُنت وتأخرّت. **عُرض السَريّ:** ناحية النهر الصغير. **صدّعا:** شقّا. **مسجورة:** مملوءة ماءً. **قُلّامها:** قصبها. **اليَراع:** القصب.

Theme II: The Poet Compares his Camel-Mare to a Pregnant Wild Ass

25. Or is she like a she-ass, teats milk-swollen,
pregnant by a white-bellied stallion
That is gaunt from repelling rivals,
biting them and kicking.

26. Much scratched and bitten, he leads her up
the hump-backed hills,
Perplexed by his pregnant mate's
recalcitrance and cravings.

27. Above the jagged heights of Thalabūt he scouts
the empty lookout posts,
Fearful of hunters hid behind
the piles of stone.

28. Until, when Jumādā passed and winter's six months
of grazing on lush herbage,
While avoiding water-holes,
came to an end,

29. The two mates made a resolution,
twisted tight—
For the success of resolve lies in firmness—
to head for water.

30. Then the dry blades of buhma grass
pricked at her pasterns,
And the summer wind picked up
in passing gusts and fiery blasts.

31. Back and forth the asses tugged a train
of stirred-up dust
Whose shadows rose like smoke
when the tinder is lit,

32. Then fanned by the north wind,
then mixed with the ‘arfaj tree’s green wood,
Like the smoke of a mighty blaze
with leaping flames.

33. Then he kept on and drove her on before him,
for it was his custom,
When she strayed or lagged behind,
to drive her on ahead.

34. He flung her in the direction
of the stream
And they cut through to a brimming spring
grown thick with reeds,

35. Enclosed on all sides
by stands of canes
That shaded it with fallen stalks
and stalks still standing.

أعلاماً على الطريق. لا يهدأ باله إلا بعد أن يعتليَ مكاناً قفراً يطلُّ على كلِّ ما حوله ليتأكد أنَّ الأعلام لا تخفي صياداً وراءها.

تمرُّ الأيام والأشهر على هذه الحال، من محرّم إلى جُمادى الآخرة. يحلُّ الصيف بحرارته وعطشه، ويغور الماء فيطول صيام العير والأتان حتّى يبلغَ بهما العطشُ الغاية، لا يخففه سوى ما يجدان من رطوبةٍ على الأشياء. لم يعد بإمكانهما أن يختلفا، إذ يكاد العطشُ يذهلهما عن اللُجَاج. كانا بحاجة إلى قرار حاسم يختار الطريق التي يسلكان ثم يتحمّل مسؤولية القرار.

تصدّر العَير لهذه المهمة، كاشفاً عن رأيٍ حصيف وعزيمة مُحكمة لا تتم الأمور إلا بها. اختار طريقاً يتذكّرها من الماضي، لكنَّ الرياح الصيفيّة شرعت تلفحهما وترمي حوافرهما بشوك البُهمى وكأنّها بالمرصاد. يثور الغبار فجأة، ويعدوان فيرتفع الغبار أكثر حتّى يُخيّلَ لك أنّهما يتجاذبان ثوباً طويلاً يلقي بالظلال عليهما. يُخيّل لك أيضاً أنَّ الغبارَ دُخانُ نارٍ أُضرِمت بدقيق الحطب وطريّ العرفج ثمَّ هبّت الشمال عليها فارتفع دخانها إلى أن حجب الرؤية.

تتأخّر الأتان من هول ما ترى، لكنَّ العَير يأبى إلا دفعها، وقديماً كان ذلك ديدنه يدفعها كلّما جبُنت أو عرّدت. وهكذا ما زال العَير يلحُّ بأتانه ويقدّمها ويدفعها إلى الأمام إلى أن أوردها ضفّة النهر أخيراً، لتتقصف أعواد القصب تحت حوافرهما، وليخوضا ماء هذه العين الثرّة اللذيذة، فيا لها من جنّة! ويا لها من ظلال!

ماذا كان سيحدث لو أنَّ نوار تابعت لبيداً فيما اقترحه واختارته بين الرجال المتزاحمين حولها ولم تسرف في اللُجاج والعناد؟ كان حتماً سيوردها جنَّة الظِلال والقصب.

البقرة والفرير

٣٦. أفتلـكَ أم وحشـيّةٌ مسـبوعةٌ ... خَذَلـتْ وهاديـةُ الصّـوارِ قِوامُهـا
٣٧. خنسـاءُ ضيّعـتِ الفَـريرَ فلم يَرِمْ ... عُرْضَ الشّـقائقِ طوفُهـا وبُغامُهـا
٣٨. لِمُعفّـرٍ قَهْـدٍ تنـازع شِـلوَهُ ... غُبْسٌ كواسـبُ ما يُمَـنُّ طعامُهـا
٣٩. صادفـنَ منـهُ غِـرَّةً فأصبنَهـا ... إنَّ المنـايا لا تطيـشُ سِهامُهـا
٤٠. باتـتْ وأسـبلَ واكـفٌ من ديمةٍ ... يُروِي الخمائـلَ دائمـاً تَسـجامُها
٤١. يعلـو طريقـةَ متنِهـا متـواتراً ... في ليـلةٍ كفـرَ النُّجـومَ غَمامُهـا
٤٢. تجتـافُ أصـلاً قالصـاً متنبّـذاً ... بعُجـوبِ أنقـاءٍ يَميـلُ هَيَامُهـا
٤٣. وتـضيءُ في وجـهِ الظـلامِ مُنيرةً ... كجُمانـةِ البحـريّ سُـلَّ نِظامُهـا
٤٤. حتّى إذا حَسَرَ الظلامُ وأسفرتْ ... بَكَـرتْ تزِلُّ عـن الثَّرى أزلامُهـا
٤٥. عَلِهَـتْ تَبلّـدُ في شـقائقِ عـالجٍ ... سـبعاً تؤامـاً كامـلاً أيامُهـا
٤٦. حتّى إذا ذَهَلـتْ وأسحـقَ حالِـقٌ ... لم يُبـلِهِ إرضاعُهـا وفِطامُهـا
٤٧. فتسـمّعتْ رِزَّ الأنيـسِ فَراعَهـا ... عن ظهرِ غيبٍ والأنيسُ سَقامُها
٤٨. فَعَـدتْ كلا الفَرجينِ تحسِبُ أنّهُ ... مـولَى المخافـةِ خلفُهـا وأمامُهـا
٤٩. حـتّى إذا يئِسَ الرمـاةُ وأرسـلوا ... غُضُفـاً دواجـنَ قافـلاً أعصامُهـا
٥٠. فلحِقْـنَ واعتكـرتْ لهـا مَدْريّـةٌ ... كالسَّـمهريّةِ حدُّهـا وتَمامُهـا
٥١. لِتذودهـنَّ وأيقنـتْ إن لم تـذُدْ ... أن قـد أحمَّ مـع الحتـوفِ حِمامُها
٥٢. فتقصّدتْ منها كسَابٍ فَضُرِّجَتْ ... بِـدمٍ وغـودِرَ في المَكَـرِّ سُخامُهـا

أتشـبه ناقتـه تلـك الأتـان الـتي ذكرهـا آنفـاً، أم بقـرةً وحشـيّةً تركـت قطيعهـا وأخـذت تبحـث عـن ابـنٍ لهـا نهشـته السـباع؟ أتـراه يخيّرنـا بـين وصـفٍ ووصـف، أم يخـيّر نفسَـه بـين خيـارٍ وخيـار؟ لنصـغِ إلى القصّـة -كمـا فعلنـا مـع الأتـان- ثـم نحكـم.

هـل تـرى ذلـك الـسرب مـن البقـر الوحـشيّ، يتهـادى بسـلامٍ فـوق شـقائق النفـوذ الكبـير؟ نعـم، صـار يُعـرف بالمهـا الوضيحـي، وإيـاك أن تغـترَّ بوداعـة المنظـر، فبعـد قليـلٍ سـيتمخّض هـذا الهـدوء عـن أهـوالٍ ومفاجـآت تلحـق بإحـدى هـذه الأبقـار.

صعِّـد بـصرك نحـو تلكـم المهـاة الخنسـاء الـرؤوم، تعرفهـا مـن فريرهـا الـذي يمـشي خلفهـا في دعـة وغفلـة، لا يـدري مـاذا تخفـي لـه

اللغة:
مسـبوعة: افـترس السـبع ولدهـا. **خذلـت:** تركـت. **هاديـة الصـوار:** الفحل يتقدم قطيع بقر الوحش. **قِوامهـا:** قـوام أمرهـا. **خنسـاء:** في أرنبـة أنفهـا تأخّـر. **الفريـر:** ولـد البقـرة الوحشـية. **لـم يَـرِم:** لـم يـبرح. **عُـرض:** ناحيـة. **الشـقائق:** أراضٍ صلبة يحفّها الرمل. **بغامهـا:** خوارهـا. **معفّـر:** ملقى عـلى الأرض. **قهـد:** أبيـض. **تنـازع:** تجـاذب. **شـلوه:** بقيّـة جسـده. **غُبـس:** كلاب لهـا لـون الرمـاد. **كواسـب:** صوائـد. **مـا يُمَـنّ:** لا ينقطـع. **واكـف:** مطـر يقطـر. **ديمـة:** مطـرة تـدوم نصـف يـوم وليلـة عـلى أقـل تقديـر. **الخمائـل:** أراض بهـا أشـجار. **تسـجامها:** انصبابهـا. **طريقـة متنهـا:** خـط مـن ذنبهـا إلى عنقهـا. **متواتـر:** متتابـع. **كفـر:** غطّـى. **تجتـاف:** تدخـل في جـوف الـشيء. **أصـلاً:** أصـل شـجرة. **قالصـاً:** منقبـض الأعصـان. **متنبـذّاً:** متنحيـاً. **بعجـوب:** العَجـب أصـل الذنـب وهـو مؤخـرة الـشيء. **أنقـاء:** كثبـان رمـل. **هَيامهـا:** رمـل غـير متماسـك. **جمانـة:** دُرّة. **البحـري:** الصـدف أو الرجـل البحـري. **سُـلَّ نظامهـا:** نُزعـت مـن الخيـط الـذي ينظمهـا إلى أخواتهـا. **أسـفرت:** أضـاءت. **بكـرت:** خرجـت سَـحَراً. **أزلامهـا:** قوائمهـا. **علهـت:** انهمكـت جازعـة متحـيّرة. **عالـج:** صحـراء النفـوذ. سـبعاً **تؤامـاً:** سـبع ليـالٍ بأيامهـا. **أسـحق:** أخلـق. **حالـق:** ضرع ممتـلئ لبنـاً. **رِزّ:** صـوت خفـي. **الأنيـس:** إنسـان. **كلا الفرجـين:** مـا بـين اليديـن ومـا بـين الرجلـين. **مـولى المخافـة:** مـكان الخـوف ومصـدر الخطـر. **غُضُفـا:** مسـترخية الآذان. **دواجـن:** مدرّبـات. **قافـلاً أعصامهـا:** ضامـرة بطونهـا. **اعتكـرت:** عطفـت. **مدريـة:** طـرف القـرن. **السـمهريّة:** رمـاح تُنسـب إلى رجـل يُدعـى سـمهر كان يعيـش في قريـة الخـطّ في البحريـن. **أحـمَّ:** اقـترب. **حِمامهـا:** موتهـا. **تقصّـدت:** قُتلـت. **كسـابٍ:** اسـم كلبـة. **المكـرّ:** موضـع الهجـوم. **سُـخام:** اسـم كلـب.

Theme III: The Poet Compares his Camel-Mare to an Oryx Cow Bereft of her Calf

36. Is my camel mare like this or is she like the oryx cow,
her calf the wild beasts' prey,
Who, though the lead cow was her guide,
had lagged behind the herd,

37. A snub-nosed cow bereft of calf,
who amid the stony tracts between the dunes
Does not leave off
her roaming and her lowing

38. For a calf half-weaned and white,
its limbs torn back and forth
By ashen wolves,
impatient, hungry.

39. They chanced upon it unawares
and struck—
Fate's arrows never
miss their mark.

40. She spent the night beneath a cloud
that shed an unremitting rain
And let a ceaseless downpour fall
upon the dense-grown dunes.

41. All through the night, whose stars
were veiled by clouds,
Uninterrupted raindrops fell
on her spine's track.

42. She took shelter beneath the branches
of a contorted tree
Set apart upon the edges of the dunes
whose drift-sands slope

الأقـدار. يهـمُّ القطيـع بالمغـادرة، فتكتشـف المهـاة أنّهـا لـم تعـد تـرى فريرهـا. تنظـر بلهفـة إلى الفحـل الـذي يقـود السـرب مبتعـداً بـه، ثـمَّ تنظـر بجـزع إلى الشـقائق حيـث أضاعـت فريرهـا. تتخّـذ قرارهـا الأمومي بسرعـة ودون تـردد، فتـترك القائـد وتنشـق عـن القطيـع رغـم أنَّ أمرَهـا لا يسـتقيم إلّا بالمتابعـة. المسـكينة! شرعـت تبحـث عـن فريرهـا، وتصـدر خـواراً متوجِّعـاً حزينـاً، لا تـكاد تتجـاوز الشـقائق إلى الرمـال خـوف أن يعـود الفريـر لحظـة ابتعادهـا.

لكـن أيـن الفريـر؟ لقـد صـادف جماعـةً مـن الذئـاب أو الـكلاب الرماديـة الضاريـة، مـا إن رأتـه حـتى وجدتهـا فرصـةً فانقضّـت تنهـش وتمـزّق. نعـم، هكـذا هـو الأجـل، إذا جـاء لا يطيـش لـه سـهم ولا رميـة. كـم كان لبيـدٌ حنونـاً حـين حجـب المنظـر المـروّع عـن الأم، فلـم يُرِهـا الفريـر وهـو ملقًـى مُمزّقـةٌ أشـلاؤه. المسـكينة، بقيـت تبحـث سـحابة يومهـا إلى أن أجنَّهـا الليـل وأمطرتهـا السـماء وانفتحـت ديمـةٌ دائمـة التسـكاب فوقهـا، فـإذا قطـرات المطـر تتكسّـر فـوق ظهرهـا مـن ذنبهـا حـتّى عنقهـا.

يـا لهـا مـن ليلـةٍ سـوداء مكفهـرّة، زادهـا ظلامـاً هـذا الغيـم الحاجـب للنجـوم. اضطـرَّ المطـرُ المهـاةَ إلى مغـادرة منطقـة بحثهـا فلجـأت إلى كثبـان رمـلٍ غـير متماسـكة اختـارت بينهـا كثيبـاً فيـه شـجرةٌ متنبـذّة قصدتهـا فـوراً واحتمـت تحتهـا. هنـا يهدينـا لبيـد واحـدةً مـن أجمـل لوحاتـه البصريّـة وأعلقهـا بالذهـن، لوحـة جديـرة أن تُرسَـم وتُمثَّـلَ مـراراً.

تخيّـل هـذا المنظـر الفسـيح مـن الظـلام والحلكـة تـكاد عينـك تضيـع فيـه لتشـابهه واختلاطـه. ثـمّ تـرى نـوراً يلمـع وسـطه. أتـراه فنـاراً؟ تزيـده نظـراً فيزيـدك لمعانـاً. أتراهـا لؤلـؤة؟ ثـمّ يتكيّـف بـصرك مـع النـور فتميّز المصـدر. إنّهـا مهاتنـا المُتعبـة، احتمـت تحـت أصـل شـجرتها المتنبـذّ وانطـوت عـلى نفسـها ونامـت.

يـا لهـا مـن لوحـة! ويـا لبراعـة صانعهـا حـين حجـب كلَّ ضـوءٍ عداهـا -بمـا في ذلـك النجـوم- كي يزيدهـا لمعانـاً وبراعـة، كي يجعـلَ المهـاة لؤلـؤةً سُـلّت مـن نظامهـا، ليـس لأنّهـا تـضيء فقـط وإنّمـا لأنّهـا وحيـدة منفـردة.

43. And in the first watch of the night
her lustrous face
Gleamed like the diver's pearl,
its string drawn forth,

44. Until, when the dark dispelled
and dawn shone forth,
Her hoofs slipped on the early morning's
rain-soaked earth.

45. Bewildered, she wandered to and fro
among the sandy tracts of ʿĀlij
For seven full nights coupled
with their days

46. Until, hope's stores exhausted,
and udder, once milk-swollen,
Neither from suckling nor weaning
now gone dry,

47. She heard the buzz of human voices
—she could not tell from where—
That filled her with alarm—
for men to her meant death.

48. So she rushed forth,
fearing for head and tail
Dangers from in front
and from behind,

49. Until, when the hunters, despairing
of their bow and arrow,
Set on her their rawhide-collared,
flop-eared hounds.

ثـمَّ ينحـسر الظـلام، وينقطـع المطـر، فتخـرج مختـبرةً التربـة بقوائـمَ تنزلـق فـوق الطـين والمـاء. تعـاود بحثهـا الأبـديّ متحـيّرةً جازعـة لا تـكاد تغـادر الشـقائق إلى رمـال النفـوذ الكبـير. يمـرُّ أسـبوع كامـل وهـي تـدور في نفـس الأماكـن، لا تتعـب ولا تتوقـف لـولا أنَّ ضرعهـا بـدأ يجـفُّ ويَضْمُـرُ ممـا يـشي ببأسـها. ثـمَّ تسـمعُ صوتـاً مجهـول المصـدر كان مـن شـأنه أن يواسـيها في وحدتهـا لـولا أنّـه صـوتُ إنسـان، وفي هـذا الأخـير البـلاء والمـوت. يشـتدُّ الفـزع بالمهـاة حـتى يذهلهـا عـن اتجـاه الخطـر أمامهـا أم خلفهـا. تنطلـق لا تلـوي عـلى شيء، تـكاد قوائمهـا تسـدُّ مـا بـين فرجيهـا مـن الركـض. يخـرج الرمـاة مـن مخابئهـم، يحاولـون أن يسـقطوها بسـهامهم لكنّهـا تفوتهـم. عندمـا يئسـوا أطلقـوا كلابهـم المدرّبـة تجـري خلفهـا.

انطلقـت الـكلاب تعـوي ببطـونٍ ضامـرة وآذان مسـترخية تـكاد تلحـق بالطريـدة وتحيـط بهـا. تـدرك المهـاة أنَّ الهـربَ لـم يعـد مُمكنـاً، أنّهـا ميّتـة لا محالـة إن لـم تعطـف عـلى الـكلاب وتكافحهـا بقـرنٍ يشـبه الرمـاح السـمهريّة حـدّةً وطـولاً. تبـدأ المعركـة، فيخـترق قـرنُ المهـاة كلبـةً تُدعـى كسـابِ ويضرّجهـا بالدمـاء، أمـا الكلـب سُـخام فقـد غـودر جثـةً هامـدة في مكـرِّ المعركـة بعـد أن فـرّت الـكلاب منهزمـةً مسـتخذية.[١٢]

نعـم، كان بإمـكان لبيـد أن يـتركَ قومـه بـني عامـر ويخـذل عمَّـه عامر بن مالـك ويلحـق بنـوار، لكنـه سـيلقى مـن المصاعـب والأهـوال مـا لقيتـه المهـاة مـن المطـر والليـل والـكلاب والرمـاة حـين تركـت هاديـة الصـوار وانطلقـت تبحـث عـن فريرهـا. كان سـينتصر كمـا انتـصرت المهـاة عـلى الـكلاب تمامـاً، لكـن مـا فائـدة الانتصـار إن كان الغـرام شـلواً مُعفّـراً في الـتراب؟ لـو طاوعتـه نـوار لأوردهـا جنّـة المـاء والقصـب، لكنّهـا عصتـه ومضـت فمـات الغـرام، ولـو طاوعهـا لانتهـى وحيـداً مطـارداً كلؤلـؤةٍ سُـلّت مـن نظامهـا.

هـل نحـن أمـام تشـبيهين أم خيارين؟ هـل حمّلنـا القصيـدة الجاهليـة أكـثر ممـا تتحمّلـه؟ لكـنَّ المجـاز فيهـا بلـغ مـن الدقّـة والإسـماح بحيـث لا نسـتطيع الإشـاحة عنـه. ربمـا ليـس لـه مبـاشرة الرمـز وصنعتـه، لكنّـه لا يخلـو مـن هواجـسِ شـاعرٍ شـاب يغالـط نفسـه فيخبرهـا أنّـه قـادر عـلى التحـوّل رغـم أنّ الحبيبـةَ مـن تحـوّل. مـاذا بوسـعه أن يفعـل بعـد أن وقـف عـلى أطلالهـا وتذكّرهـا ونـكأ بعـض جراحـه القديمـة ثـمّ ركـب ناقتـه؟ هـل نلومـه لـو ركـب ناقـة المجـاز؟

(١٢) كـم أتمـنّى لـو أنَّ الـرواة نقلـوا أسـماء الـكلاب الـتي كانـت في حـوزة لبيـد أو ضمـن بيـت نـوار. لـو صـادف أنَّ نـوار تملـك كلبـاً اسـمه سُـخام وكلبـة اسـمهما كسـابِ لتأكّـد أنَّ هاتـين القصتـين مجـازان مبطنـان لا يفهمهمـا سـوى الحبيبة.

50. The hounds overtook her
and she returned their charge
With a horn like a Samharī spear
in point and shaft

51. To ward them off—
for she knew
If she did not repel them
she would die.

52. 'Fetch' was first to fall,
smeared all in blood,
Then 'Blackie' was left for dead
where he had charged.

رياح أبي عقيل

٥٣. فبتلكَ إذ رقصَ اللوامعُ بالضُّحى ... واجتابَ أرديةَ السَّرابِ إكامُها
٥٤. أقضي اللُّبانةَ أنْ أُفرِّطَ رِيبةً ... أو أن يلومَ بحاجةٍ لُوَّامُها
٥٥. أوَلَمْ تكنْ تدري نوار بأنّني ... وصَّالُ عقدِ حبائلٍ جَذّامُها
٥٦. تِراكُ أمكنةٍ إذا لم أرْضَها ... أو يَعتلِقْ بعضَ النّفوسِ حِمامُها
٥٧. بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ ... طَلْقٍ لذيذٍ لهوُها ونِدامُها
٥٨. قد بِتُّ سامرَها وغايةِ تاجرٍ ... وافيتُ إذ رُفِعَتْ وعزَّ مُدامُها
٥٩. أُغلي السِّباءَ بكلِّ أدكنَ عاتقٍ ... أو جَونةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها
٦٠. وصبوحِ صافيةٍ وجذبِ كَرينةٍ ... بمُوتَّرٍ تأتالُهُ إبهامُها
٦١. بادرتُ حاجتَها الدَّجاجَ بسُحرةٍ ... لِأعَلَّ منها حين هبَّ نيامُها
٦٢. وغداةِ ريحٍ قد وزعتُ وقِرَّةٍ ... إذ أصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها
٦٣. ولقد حميتُ الحيَّ تحمِلُ شِكّتي ... فُرُطٌ وشاحي إذ غدوتُ لِجامُها
٦٤. فعلوتُ مُرتَقَباً على مرهوبةٍ ... حَرَجٍ إلى أعلامِهنَّ قَتَامُها
٦٥. حتّى إذا ألقَتْ يداً في كافرٍ ... وأجنَّ عوراتِ الثّغورِ ظلامُها
٦٦. أسهلتُ وانتصبتْ كجِذْعِ مُنيفَةٍ ... جرداءَ يحصَرُ دونَها جُرّامُها
٦٧. رفَّعتُها طَرَدَ النَّعامِ وشَلَّهُ ... حتّى إذا سَخِنتْ وخفَّ عِظامُها
٦٨. قلِقتْ رِحالتُها وأسبلَ نحرُها ... وابتلَّ من زَبَدِ الحميمِ حِزامُها
٦٩. تَرْقَى وتطعنُ في العِنانِ وتنتحي ... وِرْدَ الحمامةِ إذ أجدَّ حَمامُها
٧٠. وكثيرةٍ غُرباؤها مجهولةٍ ... تُرْبَى نوافلُها ويُخشى ذامُها
٧١. غُلْبٌ تَشذَّرُ بالذُّحولِ كأنَّها ... جِنُّ البَديِّ رواسياً أقدامُها
٧٢. أنكرتُ باطلَها وبُؤتُ بحقِّها ... عندي ولم يفخرْ عليَّ كِرامُها
٧٣. وجزورِ أيسارٍ دعوتُ لحتفِها ... بمغالقٍ مُتشابهٍ أجسامُها
٧٤. أدعو بهنَّ لعاقرٍ أو مُطفِلٍ ... بُذِلتْ لجيرانِ الجميعِ لِحامُها
٧٥. فالضيفُ والجارُ الغريبُ كأنّما ... هبطَا تبالةَ مُخصِباً أهضامُها
٧٦. تأوي إلى الأطنابِ كلُّ رذيَّةٍ ... مثلِ البليّةِ قالصٍ أهدامُها
٧٧. ويُكلِّلون إذا الرياحُ تناوحتْ ... خُلُجاً تُمَدُّ شوارعاً أيتامُها

ثم يعود لبيد إلى معناه السابق، كأنَّ قدمه ما تزال في البيت العشرين لم تتزحزح أو تبرح، كأنَّ كل ما جاء بعده عن الأتان والبقرة الوحشيّة خاطرةٌ ما إن رأى السراب حتّى نفضها. نعم، إنّ ناقته التي يشبّهها بالسحابة تارة، وبالأتان تارة، وبالبقرة تارة، هي وسيلته إلى قضاء اللُّبانات وقطعها، ووصل الحبال وجذمها.

اللغة:

اللوامع: السراب. **اجتاب:** لبس. **اللُّبانة:** الحاجة. لا **أفرّط:** لا أضيّع. **جذّامها:** قطّاعها. **يعتلق:** يرتبط. **حِمامها:** موتها. **طلق:** ساكن معتدل. **سامرها:** ساهرها أحدّث ندمائي. **غاية:** راية. **تاجر:** خمّار. **عزّ:** قلّ وتعذّر. **مدامها:** خمرها. **السِباء:** شراء الخمر. **أدكن:** أغبر. **عاتق:** خالص. **جونة:** خابية سوداء مقيّرة. **قُدِحت:** اغتُرِف منها. **فُضّ:** كُسِر. **ختامها:** الطين الذي يبقيها مغلقة. **صبوح:** خمر تُشرب في الصباح. **كرينة:** جارية عوّادة. **تأتاله:** تعالجه. **باكرت:** بادرت قبل شروق الشمس. **بسحرة:** آخر الليل. **لأُعَلّ:** لأسقى مرة بعد مرة. **غداة:** ما بين الفجر وطلوع الشمس. **وزعت:** كففت. **قرّة:** برد. **الشمال:** أبرد الريح. **شكّتي:** سلاحي. فُرُط: فرس سريعة. **مرتقباً:** مكاناً مرتفعاً. **حَرَج:** ضيّقة. **أعلامهن:** جبالهن. **قتامها:** غبارها. **كافر:** ليل. **أجنّ:** ستر. **عورات الثغور:** مواضع المخافة. **منيفة:** عالية. **جرداء:** قليلة السعف. **يحصر:** يضيق صدره. **جُرّامها:** من يقطعون تمرها. **رفّعتها:** كلّفتها. **شلّه:** صيده. **قلِقت:** تحرّكت. **رحالتها:** جلد غنم يُتخذ مكان السرج لأنّه أخف في الطلب والهروب. **أسبل:** أمطر. **نحرها:** صدرها. **الحميم:** العرق. **ترقّى:** تصعد. **تطعن:** تضرب. **العنان:** سير اللجام. **تنتحي:** تعتمد. **نوافلها:** عطاياها. **ذامها:** عيبها. **غُلْب:** غلاظ الأعناق. **تشذّر:** تهدد. **الذحول:** الأحقاد. **البديّ:** وادي جهام قرب بلدة الشعراء. **بؤت:** انصرفت به. **جَزور:** ما يصلح للذبح من الإبل. **أيسار:** أصحاب ميسر. **لحتفها:** لهلاكها. **مغالق:** سهام الميسر. **عاقر:** ناقة لا تلد. **مُطفِل:** ناقة معها ولدها.

Part III: The Poet's Boast (*fakhr*)

Theme I: The Poet Buys Wine for the Drinking Party

53. On such a she-camel when the sun's shimmerings
dance in full forenoon light,
And the hillocks don the cloaks
of the mirage

54. I attend my own heart's needs,
not neglecting them for fear
That others will think ill of me
or rebukers blame me.

55. For did Nawār not know
that I am both
He who ties the knots in ropes
and he who cuts them?

56. He who leaves a place
that does not please him,
Unless his own soul's fate
overtakes him there?

57. And don't you know how many a night
mild in its weather,
Delightful in its sport
and in its revelry,

58. I spent as its convivial, and rushed
to many a merchant's banner
When it was raised
and the price of wine was high?

59. I paid a dear price for a well-aged wine,
in a darkened wineskin
Or in a pitch-lined jug, ladled into cups,
its seal broken.

60. And many a morning draught of a pure wine
and a slave girl with a lute,
Plucking with her thumb
on its taut strings,

أكانـت نـوار تظـنُّ أنّـه يبقـى عـلى الـودّ رغـم خطّـة الخسـف الـتي أذاقتـه؟ بـل هـو يصـل غيرَهـا كمـا يصلهـا، ويقـضي حاجتـه حـتّى لا يـترك موضعـاً للريبـة، وليـس أبغـض لديـه مـن الإقامـة في موضـع لا يرضـاه لشرفـه، ذلـك أمـرٌ المـوتُ أهـونُ منـه.

ثـمَّ كأنَّ كرامتـه ثـارت فـشرع يفخـر ويعـدد مناقبـه وكيـف أنّـه فـتى ليـس كالفتيـان، ونديـم ليـس كالنَدمـان، وكريـم يتفـوّق عـلى الكرمـاء، وكيـف أنَّ قومـه يرسـلونه ربيئـةً لهـم فينذرهـم بالخطـر قبـل وقوعـه، وكيـف أنّـه لسـانهم المحامـي عنهـم في مجالـس الملـوك. أكانـت نـوار تجهـل ذلـك؟ أكانـت تحسـبه يمـوتُ جزعـاً لفقدهـا؟ ليتهـا تـراه في الليـالي اللذيـذة المعتدلـة، حـين ينطلـق إلى رايـة الخمّـار ليشـتري أنفـسَ مـا لديـه وأغـلاه ثمنـاً، ثـمَّ يعـود بجـرار الخمـر وبالخابيـات المقيّرة، فيفـضُّ ختمهـا ويسـكب خمرهـا ثـمَّ تـدور الكـؤوس والأقـداح لتمـضي الليلـة في لهـو ومسـامرة.

ثـمَّ إنَّ الخمـرَ ليسـت مقصـورةً عـلى الليـل فقـط، بـل يشربهـا صبوحـاً كمـا يشربهـا غبوقـاً، عـلى أنغـام قينـةٍ عـوّادة تعالـج الأوتـار بإبهامهـا. وقـد يبـادر إلى الخمـر قبـل صيـاح الديكـة فيشربهـا المـرّة تلـو المـرّة والنـاس في مضاجعهـم لـم يسـتيقظوا بعـد. وقـد تهـبُّ الشَّـمال أبـردَ مـا يكـون، فـلا يـزع بردهـا إلا الخمـرة حـين تـسري دافئـةً في عروقـه.

لكنّـه ليـس رجـل لهـوٍ فقـط، بـل يحامـي عـن قومـه ويربـأ لهـم، فـإذا مـا تحـرّوا خطـراً أو خافـوا غـزواً انطلـق بفرسـه السريعـة ينهـب الأرض وقـد ألقـى بلجامهـا عـلى عاتقـه وأخـرج يديـه كي يكـون عـلى أهبـةٍ عنـد المفاجـأة. يختـار مكانـاً ضيّقـاً مرتفعـاً لا يفصلـه عـن العـدو إلا مراحـل، حـتّى إنَّ الغبـار يصلـه في مكانـه المُـشرِف والمَخـوف.

إنّهـا صـورةٌ تذكّـر بالعـير وهـو يـرق بأتانـه قفـر المَرَاقـب ليـشرف عـلى مـا حولـه، وسـواء أكان ذلـك مقصـوداً أم مصادفـةً لا يسـعنا إلا أن نطـرب لهـذا التـوازي الـذي يذكّـر بتشـابه قوانـين الـصراع بـين عالمـي الإنسـان والحيـوان.

يظـلُّ لبيـد في مرقبـه لا يتزحـزح ولا يعـرّد، يحـاول أن يعـرف كلَّ مـا يمكنـه عـن العـدو رغـم اقترابـه، حـتّى إذا غابـت الشـمس وألقـت يدهـا في الظـلام انحـدر بفرسـه إلى أن أوطأهـا السـهل، فشـمخت بعنـق كجـذع النخلـة ينقطـع نفـس مـن يرقاهـا خارفـاً جَناهـا. ثـمّ يكلّفهـا

تبالة: واد بـين بيشـة والباحـة يُضرب بـه المثـل لخصبـه. **أهضامهـا:** مـا اطمـأنَّ مـن الأرض منهـا. **الأظنـاب:** حبـال البيـت. **رذيّـة:** ناقـة تُخلّـف لفـرط هزالهـا اسـتعارة للفقـيرة والأرملـة. **البليّـة:** الناقـة تُشـدّ عـلى قـبر صاحبهـا حـتى تمـوت. **قالـص:** قصـير. **أهدامهـا:** ثيابهـا الرثّـة. **تناوحـت:** تقابلـت. **خُلُجـاً:** أنهـاراً.

61. My first cup I downed before the cock
could crow in daybreak,
To take a second when
its sleepers woke.

62. And many a bitter morn of wind and cold
I curbed,
When its reins were in the hand
of the north wind,

63. I defended the tribe, my battle gear borne
by a winning courser,
Her reins my sash when I
went forth at dawn.

64. Then I mounted a lookout post
on a narrow, wind-blown peak
Whose dust rose to the banners
of the foe.

65. Until when daylight dipped its hand into
the all-concealing night
And darkness veiled the crotches of
each mountain pass,

66. To the plain I descended and my mare
held erect her neck
Like the date palm's stripped trunk at which
the picker's courage fails.

67. I spurred her to a speed
fit for the ostrich chase,
Until when she was heated through
and her bones were nimble,

68. Her light leathern saddle slipped,
sweat flowed from her neck,
And her saddle girth
was soaked with froth,

69. She coursed, head held high and thrusting
in the bridle, racing headlong
Like a thirsting dove to water when
her flock beats urgent wings.

عـدواً يصلـح لاصطيـاد النعـام إن لـم يسـبقه، فـإذا بحرارتهـا تـزداد، وإذا بعظامهـا تخـفّ، وإذا بالرحالـة الـتي اتخذهـا مـكان الـسرج تهـتزّ، وإذا بصدرهـا والحـزام يسـبحان في العـرق، حـتّى تـكاد ترتفـع عـن الأرض، كأنّهـا حمامـة عطـشى رأت المـاء ثـمَّ طـارت إليـه.

ثـمَّ إنَّ لـه ذلـك الموقـف المشـهود، حـين حامـى عـن أعمامـه في سُرادق ملـك الحـيرة. كان النعمـان متبديـاً في صحـراء ثيتـل، وكان سـاخطاً منـذ أخـذت بنـو عامـر لطيمتـه ثـمّ قتلـت قائـده يـوم السُّـلان. امتـلأ الـسُرادق بوفـود دارم ومعَـدّ والعبـاد وطـيء وكلـب، وتطلّـع لبيـد في كلِّ هـؤلاء الزعمـاء غليظـي الأعنـاق، عميقـي الأحقـاد، لـكلِّ واحـدٍ ثـأرٌ يطلبـه في بـني عامـر.

كان موقفـاً مهيبـاً، زاد مـن وطأتـه أنَّ مسـتقبل القبيلـة معلّـقٌ بالكامـل عـلى عاتقـه. إنْ أحسـن المحامـاة خرجـوا بالعطايـا والحمـد، وإن أخفـق رجعـوا بالـذم والخـسران. خُيّـلَ إليـه أنّـه في وادي جهـام لا الـسُرادق، وأنّـه في محفـل مـن الجـنّ لا الرجـال. ثـمَّ حدثـت المفاجـأة، فانطلـق لسـانه يقـارع وينافـح أبـرعَ مـا يكـون. لـم تبـق تهمـة إلا فنّدهـا، ولا حـقٌّ إلا انـصرف بـه، ولـم يـترك لـكلِّ هـؤلاء مجـالاً كي يفخـروا عليـه.

أمّـا إذا جـاء الشـتاء بـبرده وتقابلـت الأريـاح مـن صَـبا ودبـور وشـمالٍ وجنـوب واحتـاج الفقـير إلى طعـام أو مـأوى فتلـك حكايـةٌ أخـرى. عندهـا يهـرع لبيـد بأصحابـه إلى ناقـة يبتاعونهـا بثمـن مؤجـل يضمنونـه لصاحبهـا، ثـمَّ يضربـون بالقـداح بعـد أن يذبحـوا الناقـة ويفرّقوهـا ثمانيـة وعشريـن سـهماً، فمـن خرجـت لـه القِـداح الفائـزة جعـل نصيبـه مـن الجـزور للفقـراء، ومـن خرجـت لـه القـداح الخـاسرة غـرم ثمـن الناقـة.[١٣]

كان لبيـد يلعـب المَيـسر بقصـد الإطعـام فقـط، فيتخـيّر الناقـة عاقـراً لتكـون أسـمن، أو يتخيّرهـا مُطفِـلاً فتكـون أنفـس، ثـم إذا فـاز جعـل نصيبـه مـن الجـزور للمحتاجـين والفقـراء، وكذلـك فعـل أصحابـه، فكأنّ الضيـوف والجـيران نزلـوا أرض تبالـة الـتي تمـلأ النخيـل والفواكـه بطـون أوديتهـا. ولا تخلـو اللعبـة مـن جمهـور مـن النسـاء ذوات الأسـمال البالـية والخلقـان القصـيرة، يلجـأن بأيتامهـن إلى أطنـاب الخيـام ينظـرن كيـف تُقسَّـم الجـزور، فمـا هـي إلّا سـاعات حـتّى يُنضـد اللحـم فـوق الجفـان، ويترقـرق المـرق وسـط الصحـاف، فكأنّهـا الأنهـار أو الخلجـان الجاريـة، ثـم يـشرع الأيتـام يأكلـون.

(١٣) هـذا هـو الميـسر الـذي حرّمـه الإسـلام والـذي فيـه إثـم كبـير ومنافـع للنـاس وإثمـه أكـبر مـن نفعـه. كانـت القِـداح أو المغاليـق عيـدان تتخـذ مـن النبـع وتكـون سـواءً في الطـول لأنهـا لـو عظمـت شـيئاً نـدرت في اليـد، لذلـك قـال لبيـد: بمغالـقٍ متشـابه أجسـامها. عـدد القـداح عـشرة، سـبعة ذات حـظ، وثلاثـة خائبـة. أمـا ذات الحـظ فهـي: الفـذ لـه سـهم مـن الجـزور، والتـوأم لـه سـهمان، والرقيـب لـه ثلاثـة، والحلـس لـه أربعـة، والنافـس لـه خمسـة، والمسـبل لـه سـتة، والمُعـلّى لـه سـبعة، أمّـا القِـداح الخـاسرة فهـي ثلاثـة وتسـمّى الأغفـال. توضـع القـداح في وعـاء جلـدي يُدعـى خريطـة، ثـم يوكلـون بهـا رجـلاً يسـمّونه الحُرضـة يجلجـل القـداح ثـم يفيضهـا، ويكـون وراءه رجـل يراقـب مـا يقـوم بـه يُدعـى رابئ الضربـاء، فمـن خرجـت لـه قـداح الحـظ أخـذ مـا يعادلهـا مـن الجـزور، ومـن خرجـت لـه القـداح الأغفـال غـرم ثمـن الناقـة (موسـوعة التفسـير الموضوعـي: مـادة الميـسر).

Theme III: The Poet's Authority and Generosity among the Tribes

70. And in many a chief's domed tent,
where unknown strangers sojourn
In hope of favor
and of displeasure fear,

71. There were men, burly-necked, lionlike,
braced for revenge,
Planting their feet in the ground
like the Jinn of Badi.

72. Their false claims I denied,
their due rights recognized,
And no nobleman among them could vaunt
his glory over me.

73. And many a gambling-camel,
its death I called for
By the fate-sealing arrows whose shafts
look all alike,

74. Summoning the arrows to gamble for a she-camel,
barren or with foal,
Whose meat we will bestow on all whom we
have granted refuge.

75. Then for the guest and for the foreign refugee
it is as if
They had descended to Tabalāh Valley,
a lowland ever green.

76. Every indigent woman, emaciated, rag-clad,
like a starved she-camel hobbled at her master's grave,
Seeks the refuge
of my tents.

77. When winter's winds wail back and forth
her orphans plunge
Into streams of flowing gravy which
my clan crowns with meat.

العودة إلى القبيلة

٧٨. إنّا إذا التقَـتِ المجامـعُ لم يزَلْ منّـا لِـزازُ عظيمـةٍ جشّـامُها
٧٩. ومُقـسِّمٌ يُعـطي العشـيرةَ حقَّهـا ومُغذمِـرٌ لحقوقِهـا هضّامُهـا
٨٠. فضلاً وذو كرمٍ يُعينُ على الندى سَمْـحٌ كسـوبُ رغائـبٍ غَنّامُهـا
٨١. مـن معـشرٍ سـنَّت لهـم آباؤهمْ ولـكلِّ قـومٍ سُـنّةٌ وإمامهـا
٨٢. لا يطبعـونَ ولا يبـورُ فعالُهـم إذ لا تميـلُ مع الهـوى أحلامُهـا
٨٣. فبنَـوا لنـا بيتـاً رفيعـاً سَمْكُـهُ فسَـمَا إليـهِ كهلُهـا وغلامُهـا
٨٤. فاقنـع بمـا قَـسَمَ المليـكُ فإنّمـا قَـسَمَ الخلائـقَ بيننـا علّامُهـا
٨٥. وإذا الأمانـةُ قُسِّـمتْ في معـشرٍ أوفى بأعظـمِ حظِّنـا قَسّـامُها
٨٦. وهمُ السُّعاةُ إذا العشيرةُ أُفْظِعتْ وهمُ فوارسُهـا وهمْ حُكّامُهـا
٨٧. وهمُ ربيـعٌ للمُجـاورِ فيهـمُ والمُرْمِـلاتِ إذا تطـاولَ عامُهـا
٨٨. وهمُ العشـيرةُ أنْ يُبـطِّئَ حاسـدٌ أو أن يلـومَ مـع العـدوِّ لِيامُهـا

ثـمَّ يعـود لبيـد إلى قبيلتـه وقـد شـارفت المعلَّقـة نهايتهـا. فبعـد أن وقـف علـى عـافي الديـار وتذكّـر قصتـه مـع نـوار، وبعـد أن ركـب ناقتـه وشرع يقلّـب الخيـارات الـتي كانـت متاحـة بـين الحبيبـة وبـين القبيلـة، وبعـد أن انتـصر لكرامتـه وعـدّد مناقبـه، هـا هـو يرجـع إلى القبيلـة أخـيراً، وهـو الـذي لـم يتركهـا أصـلاً، لقـد مـات العاشـق داخلـه، ليولـد شـاعر بـني عامـر وأفصـح سـاداتها، إنّـه واحـد مـن قوانـين الصحـراء القاسـية، حيـث كلُّ حيـاة ترتبـط بمـوت.

كيـف لا يفخـر بقومـه وهـو مـن صميـم عامـر بـن صعصعة ومـن أشرف بيوتاتهـا؟ هـذا البيـت الـتي أنجـب خالـد بـن جعفـر، والأحـوص بـن جعفـر، وشريـح بـن الأحـوص، وعامـر بـن مالـك، وطفيـل بـن مالـك، وربيعـة بـن مالـك.[١٤]

كلُّ واحـدٍ مـن هـؤلاء سـيّدٌ يُدفـع بـه الأمـر الفظيـع فيتحمّلـه ويقـوم بـه أكفـأ مـا يكـون، ثـم إذا كان في مَجْمـعٍ مـن القبائـل كانـت كلمتـه هـي الأعـلى، فـشرع يقسّـم كيـف يشـاء، يأخـذ مـن هـذا ويعطـي هـذا، ويحـرم قومـاً ويهـبُ آخريـن، دون أن يجـرؤ أحـدٌ على معارضتـه. يفعل ذلـك تفضـلاً منـه وكرمـاً، ويعـين أصحابـه عـلى النـدى حـين يعطيهـم مـا يعطونـه، وهـو فـوق ذلـك كلِّـه جـوادٌ يسـعى إلى الخصـال الشريفـة،

اللغة:
المجامـع: جماعـات القبائـل. **لـزاز عظيمـة:** مـا يُقـرن بالأمـر العظيـم ليقهره. **جشّـامها:** متكلّفها. **مغذمر:** يـضرب بعضـه ببعـض. **هضّامهـا:** ظالمها. **النّـدى:** الجـود. **رغائـب:** مـا يُرغـب فيـه مـن الخصـال الشريفـة. **لا يطبعـون:** لا تدنـس أعراضهـم. **لا يبـور:** لا يفسـد. **سـمكه:** ارتفاعـه. **أوفى:** كمّـل ووفّـر. **أُفْظِعـت:** أُصيبت بأمـر فظيـع. **المرمـلات:** النسـاء نفـدت أزوادهـن.

(١٤) خالـد بـن جعفـر والأحـوص ابـن جعفـر مـن رجـال الجيـل الأول الذيـن أزاحـوا ضيـم زهـير بـن جذيمـة العبـسي وبهـم ارتفـع عـزُّ قبيلتهـم. أمـا شريـح بـن الأحـوص وعامـر بـن مالـك وطفيـل بـن مالـك فهـم رجـال الجيـل الثـاني خاضـوا أغلـب معـارك بـني عامـر ضـد دارم وأسـد وكنـدة وضبّـة وملـك الحـيرة وغيرهـم مـن القبائـل والأعـداء. أمـا رجـال الجيـل الثالـث كعامـر بـن الطفيـل ولبيـد فليسـوا مقصوديـن هنـا لأنهـم لـم ينبهـوا زمـان المعلَّقـة.

*تابعـت الدكتـور فيصـل المنصـور في أكـثر مـا ارتـآه بخصـوص ألفـاظ المعلَّقـة والترجيـح بـين رواياتهـا، وهـو عمـلٌ جليـل تصـدّى فيـه للمعلّقـات السـبع الطـوال فأخرجهـا وضبطهـا أحسـن مـا يكـون الإخـراج والضبـط. لـم أخـرج عـن اختياراتـه إلا في مواضـع قليلـة.

Theme IV: The Poet's Tribe: Its Authority, Might, Generosity, and Loyalty

78. When tribal councils gather
there is always one of us
Who contends in grave affairs
and shoulders them,

79. A divider of spoils who gives
each clan its due,
Demanding their rights for the worthy,
the rights of the worthless refusing.

80. Out of superior virtue, he is munificent
and with his bounty succors;
Openhanded, and yet, a winner and plunderer of all
that he desires,

81. From a clan whose fathers set for them
their law —
For each tribe has its leader
and its law.

82. Their honor is not sullied, their deeds
not without issue,
For their judgment is not swayed
by passion's flights.

83. He built for us a high-roofed
edifice,
To which the tribesmen mount,
both youths and full-grown men.

84. Be then content, O enemy, with what the sovereign
allotted you,
For virtues were allotted us
by him who knows them.

كما فعل آباؤه من قبله، وآباءُ آبائه، ولكلِّ قومٍ سنّةٌ يهتدون بها وإمامٌ يتّبعون خِطّته، لا تدنس أعراضهم، ولا تفسد أفعالهم، ولا يجور بهم الهوى عن الرأي السديد.

هذا هو البناء الذي تركه آباؤهم، وحقيق بالأبناء -كهولاً وغلماناً- أن يسموا إلى ذلك البناء الرفيع.

ثمَّ يقول: اقنع بما قَسَم الله تعالى، فإنّما قسمته عن علمٍ وحكمة، وهو لا يرفع ويضع ولا يعطي ويحرم إلا ببصيرة نافذة وتقدير، وعندما قُسمت الحظوظ والأرزاق وهبنا الله أوفاها قسماً.

يذكر الشرّاح أنَّ خطابه موجهٌ لعدوٍّ، لكنّك تجهد وأنت تفلي المعلَّقة فلا تجد موضعاً آخر يذكر عدواً أو يقتضي الحديث إليه. أتراه يعزّي نفسه بعد أن اختار قبيلته على حبيبته؟ أتراه يقول إنَّ من يُولد في بيتٍ كهذا عليه واجبات وحقوق، وليس يضرب بناقته خلف داعي الهوى كيفما اتفق؟ لا أدري! لكني أجد الخطابَ الذاتيَّ أكثر اتساقاً وأحسن ملاءمة لما قبله مقارنةً بخطاب الأعداء.

ثمَّ يعود إلى عشيرته مرةً أخيرة، لا كثيمةٍ طارئة، وإنّما كعامودٍ يربط عنده ناقته، وكبناءٍ يستقرُّ تحته أخيراً بعد هذا التجوال النفسيّ الطويل.

هؤلاء هم أهلي وعشيرتي، إذا أصاب أمرٌ فظيع سعوا في دفعه وكشفه. هم فرسان العشيرة عند القتال، وحكّامها عند التخاصم، وهم ربيعٌ للأضياف، وخصبٌ للمجاورين، تقصدهم النساء المعوِزات عندما يطول العام والجوع فيُصِبن خيراً كثيراً. وهم متوافقون متعاضدون، لا يستطيع حاسدٌ أن يفسد بينهم، ولا لائم أن يثبّط هممهم.

ثمَّ تنتهي المعلَّقة، وينتهي الكلام، ولا يبقى غير الصحراء، والديار العافية، والرياح...

85. When trusts were apportioned
to the tribes,
The apportioner allotted us
the greatest share.

86. They are the first to act
when the tribe is stricken;
In war, its horsemen;
in disputes, its arbiters.

87. They are a springtime
to those that seek refuge
And to indigent women, their food stores exhausted,
when the year stretches long.

88. They form a band so tight that none of them
impedes it out of envy,
Nor, out of treachery,
leans toward the foe.

سلسلة الأعمال الكاملة

عمرو بن كلثوم

‘Amr ibn Kulthūm

التباهي وأسئلة الحرية

Boast and Questions of Freedom

The Muʿallaqah of ʿAmr ibn Kulthūm
Boast and Questions of Freedom

Introduction and Translation by: Kevin Blankinship

معلَّقة عمرو بن كلثوم
التباهي وأسئلة الحريّـة

مقدمة وشرح: صالح الزهراني

هـو أبـو الأسـود عمـرو بـن كلثـوم التغلـبيّ، شـاعرٌ جاهـليٌ مُقِـلّ، عُـرف بأنَفَتِـه، وعـزّة نفسـه، ورفضِـه مديـحَ الملـوك، لا يُعـرف لـه تاريـخ ولادة.

أبـوه كُلثـوم بـن مالـك سـيّدٌ مـن سـادات قبيلـة تغلـب، وأمّـه ليـلى بنـت مُهلهِـل بـن ربيعـة، شـقيق كليـب. تـزوّج ابنـة ثُويـر بـن هـلال النمـري، ورُزق منهـا بثلاثـة أبنـاء، هـم: الأسـود الـذي يُكـنى بـه، وعبـدالله، وعبّـاد، وبنـت واحـدة تسـمّى النّـوار.

أصبـح سـيداً لقومـه وهـو في الخامسـة عـشرة مـن عمـره، وحمـل رايتهـم في عـدد مـن حروبهـم الدّاميـة. فاتـكٌ مـن فُتّاك العـرب، ضُرب بـه المثـل، فقيـل: أفتـكُ مـن عمـرو بـن كلثـوم. قتـل عمـرو بـن هنـد ملـكَ الحـيرة، حـين أهـان أمّـه.

تذكـر بعـضُ المصـادر التاريخيـة أنـه مـات وهـو يناهـز الخمسـين ومائـة عـام (لكنهـا لا تحـدد سـنة وفاتـه)، وأنـه أحـد ثلاثـة شربـوا الخمـر حـتى ماتـوا. واختلـف المؤرخـون في سـبب اختيـاره هـذه النهايـة، فقيـل: إنـه أُسر في إحـدى غاراتـه، وقيـل بسـبب غضبـه عـلى أحـد الملـوك مـن المسـاواة في العطـاء بينـه وبـين ابنـه الأسـود الـذي سـاد قومـه في حيـاة أبيـه.

يُنسـب عمـرو بـن كلثـوم إلى قبيلـة تغلـب، إحـدى قبائـل ربيعـة العدنانيـة، الـتي عُرفـت بشـدّتها وبأسـها فعُـدّت لذلـك مـن (رَضْفـاتِ العـرب)، ولذلـك قيـل: لـو أبطـأ الإسـلام قليـلاً لأكلـت بنـو تغلـب النـاس.

One day, after a bit too much wine, the 6th century King ʿAmr ibn Hind asked his retinue, “Do you know of any Arab whose mother would stick up her nose at waiting on my mother?”

(King ʿAmr was so proud of his mother that he preferred to be called “Son of Hind” by her name than after his father, as was the custom).

A courtier spoke up and said, “I do—Laylā, mother of ʿAmr ibn Kulthūm!” Astonished, the king asked why.

“Because her father was the warrior poet al-Muhalhil, her husband is the great Kulthūm, and her son ʿAmr has been the chief of his tribe, Taghlib, since he was fifteen.”

The king, curious to test this rumor, summoned Ibn Kulthūm and his mother Laylā to dinner.

After the main meal, the king called for dessert, and his mother Hind said to Laylā, “Hand me that dish.” Laylā replied, “If you want it, then get it yourself.”

Again Hind asked for the dish, insisting that Laylā do as she was told. This insult was more than Laylā could bear, and she cried to her son, “Taghlib, help!” Following the rules of hospitality, all weapons had been put away before dinner.

Only the king’s own sword was in reach, and Ibn Kulthūm seized it and cut off King ʿAmr’s head with one stroke.

سكنت هذه القبيلةُ تِهامة، وانتقلت بعد ذلك إلى شمال الجزيرة العربية، واستمرّت في هجراتٍ متوالية، حتى استقرت بالعراق وبلاد الشام فيما عرف بديار ربيعة التي قاعدتها الموصل.

جعله ابنُ سلّام الجُمحي في الطبقة السادسة من فحول شعراء الجاهليّة، وعدّه أبوعبيدة أجود أصحاب المعلَّقات واحدةً، وكان عيسى بن عمر يقول عنه: لله درُّ عمرو بن كلثوم، أيُّ حِلْس شعرٍ (ملازم للشعر)، وأيُّ وعاء علمٍ لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه من الشعر، وإن واحدته لأجودُ سبعِهم. وقال: لو وُضعت أشعار العرب في كفّة، وقصيدة عمرو في كفّة لمالت بأكثرها.

ومع وصف القدماء له بالجودة في الشعر، فإنّ ديوانه الذي بين أيدينا ليس فيه إلا القليل من الشعر.

The story of the regicide probably has little basis in reality. Ibn Kulthūm left no *dīwān* or even rudimentary details ofhis life.

What little we know comes from his Muʿallaqah, including the link between it and two other Muʿallaqah poets: al-Ḥārith ibn Ḥillizah, with whom Ibn Kulthūm met for tribal disputations, and Ṭarafah ibn al-ʿAbd, who was murdered by King ʿAmr.

But these are the best-known anecdotes about Ibn Kulthūm, and they impart something of the intrigue, the pride of kinship, and the shifting fortunes that characterized his epoch.

So does another, probably spurious story about how he slowly took his own life by quaffing too much wine—a fitting end given that it was excess drink which first made King ʿAmr curious to test the resolve of Ibn Kulthūm and his mother Laylā.

المعلَّقة

المعلَّقة تختلف في عدد أبياتها، حيث بلغت في بعض الروايات مائة بيت، وقد شُرحت شروحاً عدّة، من أهمها شرحُ ابن الأنباري الذي بلغت المعلَّقة فيه أربعةً وتسعين بيتاً، وهو المعتمَدُ في هذا الشرح، فابن الأنباري إمامٌ في اللغة والأدب، وراويةٌ حافظٌ ثقةٌ.

تتميز هذه المعلَّقة بوضوح مفرداتها، وبُعدِها عن الغرابة اللفظية التي عُرف بها الشعر الجاهلي، كما تتميز بغرابة بِنائها، فهي تبدأ بوصف الخمرة، ثم بذكر رحيل الصاحبة ووصف ظعنها، وتتجه بعد ذلك إلى عمرو بن هند غرض القصيدة الذي قيلت من أجله.

هذا البناء دفع بعض الباحثين إلى أن يعتقد أنّ المعلَّقةَ قصيدتان جُمعتا في قصيدة واحدة بسبب مقدمة القصيدة التي تجمع بين الحديث عن الصاحبة والخمرة، وبسبب ملابسات القصيدة فقد جمعت -في نظرهم- بين حادثتين مختلفتين:حادثة الخلاف بين بكر وتغلب والصلح بينهما في مجلس عمرو بن هند، وحادثة قتله عمرو بن هند بسبب إهانته لأمّه.

فأما الخلاف بين بكر وتغلب ثم الصلح بينهما في مجلس الملك عمرو بن هند، فالقصة سببها أن قبيلة بكر منعت بعض رعاة تغلب من مورد ماء فماتوا عطشاً، وقد كانوا سبعين رجلاً، فاجتمعت تغلب لتحارب قبيلة بكر، ولكنهم كرهوا العودة إلى الحرب وقد ذاقوا من ويلاتها ما ذاقوا، فتحاكموا إلى عمرو بن هند، فترافع عن بكر بن وائل شاعرهم الحارثُ بن حلزة في معلقته، وترافع عن تغلب عمرو بن كلثوم، وبعد أن استمع الملك إلى الشاعرين حكم لبكر على تغلب، لما أبداه الحارث بن حلزة من حكمة ودهاء وقدرة على استمالة الملك، وما أظهره عمرو بن كلثوم من استعلاء وغطرسة، دفعت عمرو بن هند إلى الحقد عليه والرغبة في إذلاله.

The Poem

Speaking of alcohol, Ibn Kulthūm's Muʿallaqah begins, according to Sir William Jones, "with a strain perfectly Anacreontic."

The poet celebrates wine and women, describing each as part of the ideal warrior's zeal for both combat and pleasure (lines 1-17), then turns to a very long boast (*fakhr*) in which he recalls past victories in war (lines 18-26) and paints a vivid picture of battle tactics, weapons, and the fear felt by opponents (lines 27-43).

There follows a section addressed directly to King ʿAmr—"on what account," the poet asks, "should we be slaves?" He brags about the glorious deeds of ancestors like the warrior-poet Muhalhil and his brother Kulayb ibn Rabīʿah (lines 44- 55).

The poet extends his boasting beyond war to include generosity and just rule, while not stinting on further description of armor and horses (lines 56-72).

He describes his own tribe of Taghlib as protectors of the weak and destroyers of the enemy (lines 73-81), and, in a section that stands out among the muʿallaqāt, he glories in the tribe's strong women, who chastise their men for shirking their duties (lines 82-89).

The last four lines leave an unequivocal threat for any who dare cross the poet and his tribe, making for a felicitous end to a poem that is arrogant, full of rhetorical flourish, and, in the words of James Montgomery, "frenetic to the point of demagogism."

أما حادثة قتله الملك عمرو بن هند بسبب إهانته لأمّه، فقد ذكر المؤرخون أن عمرو بن هند سأل يوماً بعض نُدمائه، هل تعرفون من تأنف أمُّه من خدمة أميّ؟ فقالوا: نعم، أمُّ عمرو بن كلثوم؛ لأن أباها مُهلهل، وعمُّها كليب أعز العرب، وزوجها كلثوم بن مالك.

فبعث عمرو بن هند برسالة إلى عمرو بن كلثوم يطلب زيارته، على أن يصطحب معه أمَّه لزيارة والدة الملك. فأقبل عمرو بن كلثوم في وفدٍ من قومه، وجاءت أمُّه معه، وأعدّ عمرو بن هند للزائرين حفلاً بهيجاً، ودعا وجوه مملكته.

دخل عمرو بن كلثوم على الملك في رُواقه، ودخلت والدته على أم الملك في قبّة بجوار الرواق. وكان الملك قد أمر والدته أن تُبعد عنها الخدم إذا جاء وقت تناول الفاكهة، ففعلت ذلك، وطلبت من أم عمرو بن كلثوم -على خلاف عادات العرب في الضيافة- أن تُقدِّمَ لها الطبق: فرفضت ذلك أم عمرو بن كلثوم وقالت لها: لِتقُم صاحبةُ الحاجة إلى حاجتها، ولكنها ألحّت عليها، فصاحت: واذُلاّه! يا لتغلب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، ونظر إلى وجه الملك ففهم حيلة الملك وأنه أراد إذلاله وإذلال أمه، فقام إلى سيفٍ معلّقٍ بالرُّواق فضرب به رأسَ عمرو بن هند فقتله، ونادى قومَه فنهبوا محتويات الرواق، وساقوا إبل الملك معهم، واتجهوا إلى العراق.

لكن القول بأنّ المعلَّقة قصيدتان جُمعتا في قصيدة واحدة أمرٌ مستبعد، فقد أجمع المؤرخون أنه ليس له قصيدة طويلة غير هذه القصيدة، وديوانه الذي بين أيدينا دليلٌ قاطع على ذلك، فليس فيه سوى قصائد قليلة العدد، ومعدودة الأبيات، وبعض المقطعات.

والإشكال الآخر أن سبب قول القصيدة هو حادثة التحكيم، لكن القصيدة لا تدل على ذلك، فالشاعر يتبنى خطاباً ثورياً عنيفاً في مجلس ملك مستبد، عرف بطغيانه وجبروته، يتجه به إلى الملك مباشرة وكأنه خصمه الوحيد، الأمر الذي يجعلنا نتساءل لماذا نسي عمرو بن كلثوم خلافه مع أبناء عمومته، واتجه بهجومه إلى عمرو بن كلثوم؟

وهل يُعقل أن يقال هذا في مجلس جبار مستبدّ؟ وهل غيّر الشاعر القصيدة، أو زاد فيها، بعد قتله عمرو بن كلثوم؟ فقد قيل: إنه ظلّ يزيد فيها حتى بلغت ألف بيت، أم أن التغلبيين عبثوا بروايتها؛ فقد فُتنوا بها حتى قال عنها خصومهم: إنها ألهتهم عن كل مكرمة.

في شرح المعلَّقة سأتناسى كل هذه التأويلات التي ذهب إليها الدارسون، وأعتمد رواية ابن الأنباري الرواية الأشهر، وأنصت إلى ما تبوح به كلمات القصيدة، فهي الشاهد الوحيد على ذلك العصر. والمعلَّقة من البحر الوافر: مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

المشهد الأول

صناعة البهجة

١. ألا هُبّي بصحنِكِ فاصبَحِينا ولا تُبــقي خُمــورَ الأندَرينــا
٢. مُشعشــعةً كأنَّ الحُــصَّ فيهــا إذا مــا المــاءُ خالَطَهــا سَخِينــا
٣. تجــورُ بِـذي اللُّبانـةِ عـن هـواهُ إذا مــا ذاقهــا حــتّى يلينــا
٤. ترى اللّحِزَ الشحيحَ إذا أُمِرَّتْ عليــهِ لمــالِهِ فيهــا مُهينــا
٥. وإنّا ســوفَ تُدرِكُنــا المنــايا مُقــدّرةً لنــا ومُقدَّرينــا

معلَّقة عمرو بن كلثوم صرخة ثائر في وجه حاكم مستبدّ، المجد عنده للقوة، في مجتمع متنابذ لا بقاء فيه إلا للأقوى. لذلك يفتتح القصيدة بفعل الأمر هبّي، يدعو به الساقية أن تهبّ من نومها؛ لتدير كؤوس الخمر عليه وعلى أصحابه، وألا تستبقي شيئاً من تلك الخمرة الشاميّة التي يستمتع بلونها قبل أن يتمتع بمذاقها، فهي صفراء فاقعٌ لونها تسرّ الناظرين. تُشعُّ صفاءً، وكأنها من شدّة صفائها قد خُلطت بنبات الكركم الأصفر.

هذه الخمرة رافدٌ من روافد القوة في هذه القصيدة التي ألهت بني تغلب عن كلّ مكرمة كما قيل؛ فهي تصرف الرجل عن حاجته، وتُنسيه مطالبه، وتطهّره من أردانه، فتحوّله من رجل سيئ الخلق، إلى رجل سمْح النفس، طيّب المعشر، ومن بخيلٍ مُقتّر إلى كريم مفتونٍ باللذة، لا يضنّ بكريم ماله من أجل الحصول عليها.

هذه القوة تجعل منها غاية ليس بعدها غاية، ولذلك عليه أن يغرقَ في لذّتها حتى آخر قطرة، فليس بعدها إلا الموتُ المكتوب على الجميع. إن هذه الخمرة لا تسلب الشاعر وقاره، بل تحيله إلى كائن مبتهج بالحياة، مولع بالملذات، غارق فيها، لا يضنّ على نفسه بكريم ماله.

اللغة:
هُبّـي: قومي، **الصحـن:** القدح الكبير، **اصبحينـا:** اسقينا الصبوح وهو الشرب في أول النهار، **الأندريـن:** قرية ببلاد الشام اشتهرت بخمرها، **مشعشـعة:** صافية، **الحصّ:** هو الكركم نبات من الفئة الزنجبيليّة له جذور صفراء زكية الرائحة، **سخينا:** حاراً، **تجور:** تبعد، **ذو اللبانة:** صاحب الحاجة، **يلـين:** ينسى حاجته، **اللحـز:** اللئيم ذو الخلق السيئ، **البخيـل:** الحريص الشحيح، **أُمرّت:** دار بها الساقي، **مهينـاً:** باذلاً ماله بسخاء، **المنايـا:** جمع منية، والمنيّة هي الموت، **مقدّرينـا:** مقدّرين لها.

1. Get on up with your bowl, girl! Bring a drink
   and don't spare us from Andarīnā's wines,

2. sparkling wines, as if dyed with saffron pale
   when they're mixed, our largesse can't be confined!

3. It turns the lovestruck man from his lust
   after he's drunk, then back to calm constraint.

4. See the pinchfist? When the cup passes by
   he quickly holds his riches in disdain.

5. The Fates will surely take us by surprise—
   they've been foretold for us, and we for them.

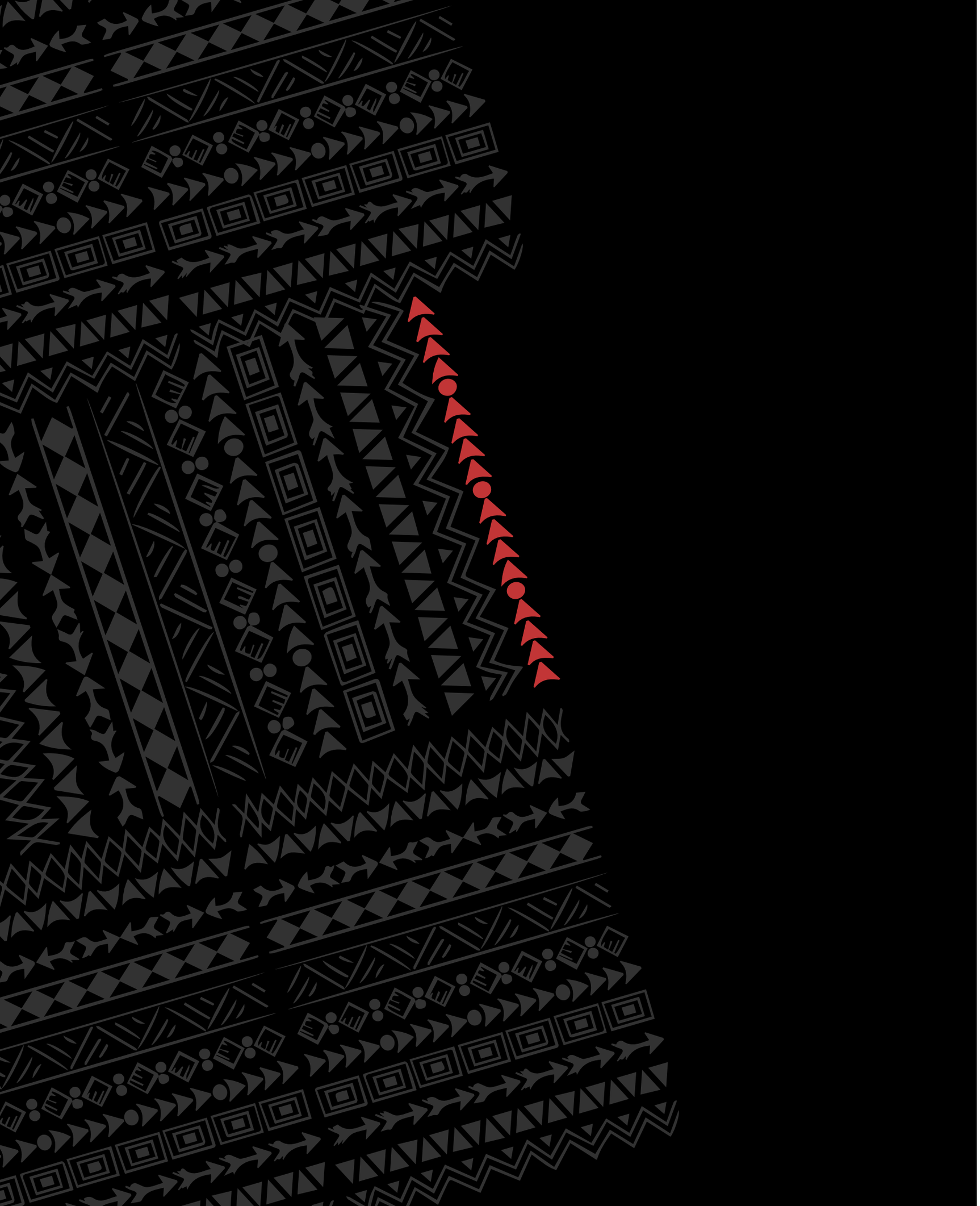

افتتاح القصيدة بالخمرة يُبطن أكثر مما يظهر، فهناك واقعٌ مؤلمٌ يريد عمرو بن كلثوم مواجهته بالقوة التي تنطوي عليها هذه الخمرة، فالخمرة ليست هروباً من مواجهة الواقع، بل وسيلة تحدٍّ وتغيير له، يبدأ من تغيير سلوك الذات، ونزع أدرانها، توقاً للحريّة، وارتقاءً بملذات النفس الإنسانيّة.

فإذا كان الموت هو قدر الجميع؛ فإن القوة هي الخيار الوحيد للحياة. وقد قيل: اطلب الموت توهب لك الحياة، كما قيل في أمثال بعض الشعوب: الألم واللذة ينامان في سرير واحد.

المشهد الثاني

سُلطة الجمال

٦. قِفي قبلَ التفرُّقِ يا ضَعِينا — نُخبّرِكِ اليقينَ وتُخبِرينا
٧. بيومٍ كَريهةٍ ضرْباً وطعْناً — أقرّ به مَوَاليكِ العُيونا
٨. قِفي نسألْكِ هل أحدثْتِ وَصْلاً — لِوشْكِ البينِ أم خُنْتِ الأمينا
٩. تُريكَ إذا دخلتَ على خَلاءٍ — وقد أمِنَتْ عُيونَ الكاشِحينا
١٠. ذِراعَي عَيطَلٍ أدْماءَ بِكْرٍ — تربّعتِ الأجارعَ والمُتونا
١١. وثَدْياً مثلَ حُقِّ العاجِ رَخْصاً — حَصاناً من أكُفِّ اللامِسينا
١٢. ومَتْنَي لدْنةٍ طالت ولانت — روادِفُها تنوءُ بما يَلِينا
١٣. تذكّرتُ الصِّبا واشتقتُ لمّا — رأيتُ حُمُولَها أُصُلاً حُدِينا
١٤. وأعرَضَت اليمامَةُ واشمَخَرّت — كأسيافٍ بأيدي مُصلِتينا
١٥. فما وَجَدت كوجْدي أُمُّ سَقْبٍ — أضلّته فرجّعَتِ الحنينا
١٦. ولا شَمْطاءَ لم يَترُكْ شقاها — لها من تسعةٍ إلا جنينا
١٧. وإنَّ غداً وإنَّ اليومَ رَهْنٌ — وبعدَ غدٍ بما لا تعلمينا

كما بدأ الشاعرُ الوحدةَ الأولى من القصيدة بأمر الساقية أن تُدير الكؤوس لتصفو النفوس، وتدور الرؤوس، يأمر الحبيبة المسافرة أن تتوقف ليخبرها الخبر اليقين قبل أن يتفرّقا، ويستعرض بطولته الخارقة في يوم من أيام حروب تغلب الكثيرة، ويكشف لها قوة القبيلة وتماسكها، ويشرح لها أسرار المعارك، التي أذاقوا أعداءهم فيها الهزائم: ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، حتى قرّت عيون أبناء عمومتها بهذا النصر المبين. وكما استوقفها ليخبرها بما فعل بأعدائه، طلب منها أن تخبره بما فعلت قُبيل رحيلها، هل أحدثت وصالاً بعاشقها الأمين، أم أنها خانت الأمانة؟

هنا تتجلى القوة مرّة أخرى في لغةٍ استعلائية ذُكورية تتحدث بضمير الجمع، لا تَليق بعاشق يُودّعُ معشوقته، ولكنه العشق المحفوف بالقوة والمكاره في شريعة عمرو بن كلثوم.

ينقطع الحوار بين العاشقين باستعراض لجسد الصاحبة، تبدو فيه امرأةً ممشوقةَ القوام ذات ذراعين طويلتين كأنهما ذراعا ناقةٍ طويلة العنق، خالصةِ البياض، بِكْرٍ، ترعى نبت الربيع.

اللغة:
الظعينة: المرأة في الهودج على ظهر البعير، **الكريهة:** الحرب، **مواليك:** أبناء عمومتك، **وأقرّ به مواليك العيونا:** فرحوا به، وشك **البين:** سرعته، **والبين:** الفراق، **والأمين:** الوفيّ بالعهد، **خلاء:** خلوة، **الكاشحون:** الأعداء، **العيطل:** الناقة طويلة العنق، **أدماء:** بيضاء اللون، **تربّعت:** رعت وقت الربيع، **الأجارع:** السهول الرمليّة، **المتون:** المرتفعات الجبليّة، **الحق:** علبة تضع فيها المرأة مساحيق الزينة، **والعاج:** عظم الفيل، **ورخصٌ:** ناعم، **وحَصانٌ:** عفيفة، **والمتن:** الظهر، **ولدنة:** ليّنة، **روادفها:** مؤخرتها، **تنوء:** تنهض بمشقة، بما **يلين:** ما يلي المؤخرة من الجسم. **الصِبا:** أيام اللهو والشباب، **والحمول:** الإبل، **أصلا:** وقت الأصيل، **حدينا:** الحادي هو الذي يغنّي للإبل لتسرع في مشيها، **أعرضت:** ظهرت، **اليمامة:** نجد حالياً، **اشمخرّت:** ارتفعت وطالت، **أسياف:** سيوف، **بأيدي مصلتينا:** رجال سالّين سيوفهم، **الوجد:** الحزن، **أم سقب:** الناقة أم المولود، **أضلّته:** فقدته، **رجّعت:** أعادت، **الشمطاء:** المرأة العجوز، **شقاها:** حظها السيئ، **إلا جنينا:** مدفوناً في قبره.

6. Lady. Stop a while before you leave
so you and I can tell the truth in sum

7. about a vile day of blows and thrusts
that cooled your cousin's eyes—they say they've won.

8. Stop, lady, and we'll ask if you dropped by
only to leave again or hurt a friend.

9. She'll show you—if you find her secretly
And while she's safe from peeking, hateful foes—

10. arms like a long-necked, snowy camel cow
that fed in sandy tracts and fields of stone

11. and two soft breasts, white like an ivory bowl
kept safeguarded from any wandering hands

12. and two thighs with a body smooth and long,
her rump toiling beneath a weight so grand.

13. My youth! I reminisced with longing when
I saw her camels driven here by night

14. and when I saw Yamāma'sh towns appear
shining like blades held by men off to fight.

15. My grief's worse than a camel cow who's lost
her calf, so she returns back crying doomed,

16. or a widow, grey-haired, whose terrible luck
has left nine sons, not one of them untombed.

17. That's fate—today, tomorrow, and thereafter
are pledged to destinies we do not know.

فتاة لها نهدان بارزان ناعمان أبيضان كعُقّي عاج، لم تلامسهما كفّ مُلامس. وقامة فارعة الطول، وأردافٌ ممتلئة. إنها فتنة مصانةٌ، وكيف بثائر يبحث عن الكرامة، أن يضع هذه الفتنة على قارعة الطريق؟ إنها العرض الذي لن يقبل المساس به، وسيسقط رأس الجبار المستبد دون الاقتراب من حرمه المصان.

هذا الشريط السينمائي يُعيد عمرو بن كلثوم إلى صباه، فيشتاق إلى أحداثه، والصاحبة على هودجها تعلن الرحيل، والحادي يحدو النياق بأغنية الفراق الأبدي.

هنا تبدو اليمامة ساعة الرحيل، وكأنها السيوف المسلولة في أيدي المحاربين الأشدّاء، ساعتها تتضعضع قوة عمرو بن كلثوم أمام سطوة الفتنة الذاهبة، فيُبدي حزنه الشديد على فراقها، الذي لا يشبهه حزنُ ناقةٍ فقدت صغيرها في الصحراء، فظلّت ترجّع حنينها، ألماً على فقده، ولا حزنُ امرأةٍ عجوز بلغت من الكبر عتيّا، أنجبت تسعة، فلم يعش لها منهم أحد.

لقد بدأ عمرو بن كلثوم في حديثه لصاحبته عارضاً سطوته الذكورية، ومستعرضاً سيرته الذاتية في الحرب، ولكنه ما لبث وهو يستعرض هذه القوة أن أحال القوة إلى المحبوبة، فأصبح هذا الفارس أسيراً في حضرة الجَمَال. وإذا كان قد فقد القوة في ذاته، فقد أحالها إلى المرأة، ولذلك بدأ وكأنه يستعطفها بحكمةٍ تطوي من الوجع أكثر مما تظهر من الوعي، وهو أن الأيام حبلى بالعجائب.

إن استحضار المرأة في سياق الحرب وعروض القوة في الشعر الجاهلي تقليدٌ من تقاليد الشعر، لكنها هنا تبدو مصدراً من مصادر القوة. إنها قوة الحياة، وقوة النسب، وقوة الفارس، فالمرأة تظهر في سياق البياض، والخصوبة، وعمارة الأرض، وأبّهة الجمال، التي تتضاءل أمامها سلطة الذكورة، ولغة البطش والعنفوان والاستعلاء.

يستوقفها سارداً عليها بطولاته، فيخبرها ولا تخبره، ويسألها ولا تجيبه. إن صمتها موقفٌ إنسانيٌّ رافض لهذا السلوك، ورحيلها احتجاجٌ على هذه الثقافة.

المشهد الثالث

نحن القوة

١٨. أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا ... وأنظِرنا نُخبِّرْكَ اليقينا
١٩. بأنّا نُوردُ الرّاياتِ بيضاً ... ونُصْدِرُهُنَّ حُمراً قد روينا
٢٠. وأيّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ ... عصينا المَلْكَ فيها أن نَدِينا
٢١. وسيّدِ معْشَرٍ قد تَوَّجُوهُ ... بتاجِ المُلكِ يحمي المُحْجَرينا
٢٢. تركنا الخيلَ عاكِفةً عليه ... مُقلّدَةً أعِنّتَها صُفُونا
٢٣. وقد هَرَّتْ كِلابُ الحيِّ مِنّا ... وشذّبْنا قتادةَ مَن يَلينا

بعد أن ودّع صاحبته، ووصف الظعائن الراحلة قبيل الأصيل، وجسد الحبيبة الفاتنة، واستعاد ليالي الأنس، داهمه حزن الفقد، ولوعة الفراق، ولاحت له جبال اليمامة كالسيوف التي سُلّت من أغمادها فبدت لامعة. والصورة حافلة بميراث الحرب، الذي يمتح منه عمرو بن كلثوم معجمه الشعري وصوره.

ينسى كل هذا ويتجه بحديثه إلى عمرو بن هند طالباً منه ألَّا يتعجل بالحكم على قومه، ويبدأ في سرد سيرة الذات المحاربة، ذات التاريخ الحافل بالنصر، فهي تورد راياتها بيضاء، وتصدرها وقد رويت من دماء الأعداء.

مجد حافل، وتاريخٌ مشرق، في العزة والأنفة، ورفض التبعية والانقياد، وضرب هامات السادة، وترك خيولهم تقف واجمة على مصارعهم، وقد وقفت على قوائم ثلاث، حزناً على فراق فرسانها الأشداء، وقد طويت أرسانها عليها.

إنهم في رباطٍ لا ينقطع، حتى إن كلاب الحيّ لم تعد تعرفهم، فقد لبسوا دروعهم واستعدوا بأسلحتهم، وكسروا شوكة عدوهم.

اللغة:
أبو هند: هو عمرو بن هند، المحرّق الذي حرّق بني تميم، **أنظرنا:** انتظرنا، **روين:** صُبغت بالدم، **غرّ:** مشهورة، **معشر:** قوم، **المحجرين:** اللاجئين، **عاكفة:** مقيمة، **مقلدة أعنتها:** طويت أرسانها عليها، **صفونا:** قائمة على ثلاث قوائم، **هرّت:** نبحت،**شذبنا:** أزلنا الشوك منها، **قتادة:** القتادشجرٌ صحراوي له أشواكٌ حادّة، **من يلينا:** يقرب منّا.

18. Father of Hind, don't rush it! Give us time
and we will tell you that it's truly so—

19. how we hoist up white banners to the fray
then bring them back all crimson-soaked with blood;

20. we'll tell of glory days splendid and long
when we defied the king and wouldn't budge.

21. We'll talk of many tribal chiefs who're crowned
with glory's crown, guarding all those who seek—

22. we killed those chiefs, their horses left nearby
with one hoof bent, the reins looped on their necks.

23. The dogs of the tribe snarled at us, and yet
we stripped our rival's weapons off like thorns.

المشهد الرابع

رحى الحرب

٢٤. متى ننقُل إلى قومٍ رَحانا — يكونوا في اللقاءِ لها طحينا
٢٥. يكونُ ثِفالَها شرقيَّ سلمى — ولُهوتُها قُضاعةَ أجمعينا
٢٦. وإنّ الضِّغنَ بعد الضِّغنِ يبدو — عليكَ ويُخرجُ الدّاءَ الدّفينا
٢٧. ورِثنا المجدَ قد علِمت معدٌّ — نُطاعِنُ دونَه حتّى يَبينا
٢٨. ونحنُ إذا عِمادُ الحيِّ خَرّتْ — على الأحفاضِ نمنعُ ما يلينا
٢٩. نُدافِعُ عنهمُ الأعداءَ قِدْماً — ونحمِلُ عنهمُ ما حمّلونا
٣٠. نُطاعِنُ ما تراخى النّاسُ عنّا — ونضرب بالسيوفِ إذا غُشينا
٣١. بِسُمْرٍ من قنا الخَطّيِّ لُدْنٍ — ذوابلَ أو بِبِيضٍ يعتلينا
٣٢. نشُقُّ بها رُؤوسَ القومِ شقّاً — ونُخليها الرّقابَ فيختلينا
٣٣. تحالُ جماجمُ الأبطالِ فيها — وُسُوقاً بالأماعزِ يرتمينا
٣٤. نَحُزُّ رُؤوسَهُم في غيرِ بِرٍّ — فما يدرونَ ماذا يتّقونا
٣٥. كأنَّ سيوفَنا فينا وفيهم — مخاريقٌ بأيدي لاعبينا
٣٦. كأنَّ ثِيابَنا منّا ومنهم — خُضِبنَ بِأُرجُوانٍ أو طُلينا
٣٧. إذا ما عيَّ بالإسنافِ حيٌّ — من الهولِ المُشبّهِ أن يكونا
٣٨. نصَبْنا مِثْلَ رَهوةَ ذاتَ حَدٍّ — مُحافَظَةً وكنّا السابقينا
٣٩. بِفِتيانٍ يرونَ القتلَ مجداً — وشِيبٍ في الحروبِ مجرَّبينا
٤٠. حُديّا الناسِ كُلِّهِمُ جميعاً — مُقارعةً بَنيهم عن بَنينا
٤١. فأمّا يومَ خَشيتِنا عليهم — فنُصبِحُ غارةً مُتلبّبينا
٤٢. وأمّا يومَ لا نخشى عليهم — فنُصبِحُ في مجالِسنا ثُبينا
٤٣. برأسٍ من بني جُشَمَ بنِ بكرٍ — نُدُقُّ به السُّهولةَ والحُزُونا

بكر وتغلب أبناء عمومة، جرت بينهما حروب مدمّرة استمرّ بعضها أربعين عاماً، بسبب رغبة كل قبيلة في بسط نفوذها على القبيلة الأخرى، وكان من أهم تلك الحروب، حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس.

في هذا المقطع من المعلَّقة يستعرض عمرو بن كلثوم قوة قبيلته تغلب عند ملك جبّار، منادياً الملك بأبي هند، ومُصدِراً

اللغة:
الرحى: الصخرة التي تطحن بها الحبوب، **ثفالها:** الثفال خرقة توضع تحت الرحى حماية للطحين، **سلمى:** جبل بحائل، **لهوتها:** اللهوة هي القبضة من الحب توضع في فتحة الرحى، **قضاعة:** قبيلة من قبائل العرب، **الضغن:** الحقد، الداء **الدفين:** المرض المستتر، **معدّ:** هو معد ابن عدنان أبو قضاعة، **يبينا:** يظهر ويكون لنا، **عماد:** العمود الذي يقوم عليه بيت الشعر، **خرت:** سقطت، **الأحفاض:** الأمتعة، **يلينا:** يوالينا أو يحالفنا، **قدما:** متقدمين، **نحمل عنهم ما حملونا:** نؤدي عنهم الدماء والديات، **غشينا:** اقتربنا من بعضنا، **بسمر:** رماح سمر، **الخطيّ:** ميناء بالبحرين تأتيه السفن بالرماح من الهند، **لدن:** لينة، **ذوابل:** ذابلة لكنها لم تجفّ، **بيض:** سيوف، **نخليها:** نقطع بها، **الوسوق:** جمع وسق، الوسق ما يحمل من متاع على البعير، **الأماعز:** الأرض كثيرة الحجارة، **نحز:** نقطع، **مخاريق:** قطع القماش المفتولة يلعب بها الصبيان، **الأرجوان:** صبغ أحمر، **عيّ:** عجز، **الإسناف:** الإقدام في الحرب، **الهول المشبّه:** الأمر المخيف الذي يعجز الإنسان عن اتخاذ القرار المناسب فيه، **نصبنا:** أعددنا، **ذات حدّ:** كتيبة مجهزة بالسلاح، **رهوة:** جبل، **محافظة:** حفاظاً على كرامتنا، **حديّا الناس:** أشرف الناس وأشجعهم، **مقارعة:** مواجهة في الحرب، **غارة متلبين:** لابسين ملابس الحرب استعداداً لها، **ثبينا:** متفرقين، **رأس:** الرأس السيد، والرأس يطلق على المفرد والجمع، والمراد به هنا الجيش، **بنو جشم بن بكر:** بطن من بطون قبيلة تغلب، **السهولة:** الأرض السهلة، **والحزون:** الأرض القاسية.

24. When we turn the mill of war onto a clan,
in that encounter they are crushed like bones.

25. That millstone’s cushion reaches east of Salmā
and all of Qudāʿah makes the grain it grinds:

26. it’s true, loathing upon loathing is spread
against you, showing us your hidden blights.

27. We claim this glory, as father Maʿad knows,
and guard it with our spears till all behold.

28. If tent-poles of the tribe are fallen in
on furnishings, we shelter their abode.

29. Longtime we’ve fought their rivals back and back
and bear them all the burdens that they load.

30. When foes stand far away, we launch our spears;
and when they get up close, we strike with swords.

31. By tawny spears from Khatt, supple and long
or white, refulgent sabers lifted high—

32. with these we split the heads of warriors true
and slit their necks just like grass with a scythe.

33. You might think that the heroes’ skulls were just
a camel’s freight that’s cast upon the rocks;

34. we hack their heads off without mercy and
they can’t tell how to deal with our attacks.

لـه عـدداً مـن الأوامـر (لا تعجـل ـ أنظرنـا)، ومذكّـراً بحروبهـم الـتي لا تنتهـي، وكأنـه يقـول للملـك: نحـن رجـالٌ فـوق القانـون، الحـق عندنـا للقـوة، وليسـت القـوة للحـق.

تغـرق لغـة القصيـدة في الـدّم، والدّمـار، والسـيوف، والرّمـاح، وشـقّ الـرؤوس، وضرب الرقـاب، وعـروض كتائـب المـوت. تمركـزٌ حـول الـذات، يجعـل مـن تغلـب (نحـن) مركـزاً للقيـم النبيلـة، فهـي مصـدر القـوة، والنخـوة، والـشرف، والسـيادة، والقيـادة، والأمـر والنهـي. وهـي قيـمٌ عشـائرية تتمركـز حـول ثقافـة المـوت، الـتي يرثهـا القـوم كابـراً عـن كابـر، في مجتمـعٍ البقـاء فيـه للأقـوى.

تتكاثـر الأفعـال في هـذا المقطـع تكاثـراً عجيبـاً، يجعـل مـن تغلـب قـوةً لا وجـودَ لهـا إلا مـع الحركـة، فهـي في غـاراتٍ متصلـة، وحـروب لا تنتهـي. رايـاتٌ غارقـة بالدمـاء، ومخيمـاتٌ مفتوحـةٌ للاجئـين، وطحـنٌ لا يتوقـف لجماجـم الأعـداء، وأحقـاد لا تُفـضي إلا إلى أحقـاد.

هـذا المجـد المضمّـخ بالـدم ثقافـةٌ يورّثهـا الجـدّ للحفيـد، فيسـعى للحفـاظ عليهـا، والإضافـةِ إليهـا، وتتحـول بفعـل الممارسـة إلى صـورةٍ ذهنيـة لـدى الأعـداء، يجـب عـلى الجميـع العمـل عـلى ترسـيخها؛ لزراعـة الرعـب في قلوبهـم، والحفـاظ عـلى السـيادة والسـؤدد.

ثقافـة تتوارثهـا الأجيـال بالإعجـاب والقبـول، فيصبـح المـوت عندهـا مجـداً، والحـرب لعبـة، وإذلال النـاس قيمـة نبيلـةً، لا يتقـاصر عنـه إلا الجبنـاء، وعُرفـاً اجتماعيـاً لا يخالفـه إلا خـارجٌ عـن النظـام.

35. It's like our swords, flashing between us all,
were ribbons tossed about in child's play,

36. or like our clothes and theirs had all been smeared
and dyed with purple pigment on that day.

37. When they grow all afraid to charge the foe
because they shrink from what might come to pass,

38. we dig in like Mount Rahwah, razor-keen,
and march out to the front in awful mass

39. with boys who think it best to die in war
and greybeards battle-hardened long ago:

40. a match for all the hosts of men together,
wagering all their sons against our own.

41. Upon the day we worry they shall die,
we charge and strike, our loins all girt with steel,

42. but on the day we do not fear for them,
our legions meet in council to appeal,

43. led by the chiefs of Jusham ibn Bakr
with whom we march all over, rough or flat.

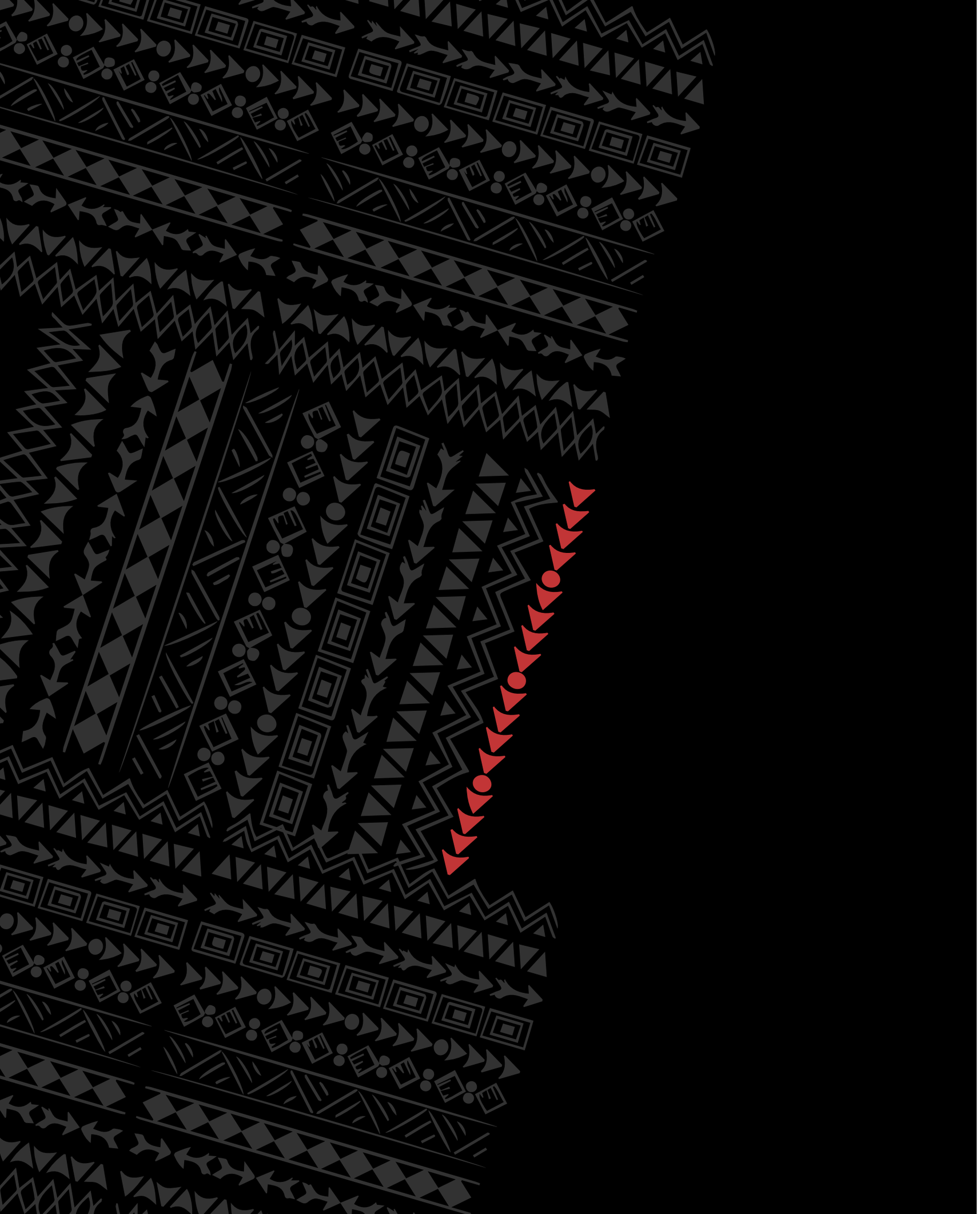

مـن يقـرأ هـذا المقطـع مـن المعلَّقـة يجـد قبيلـة تغلـب مشـغولة بالمـوت، فوعيهـا الجمعـيُّ غـارقٌ في هـذا العالـم، يمتـح منـه سـمومه القاتلـة، فرحـى حروبهـم لا تتوقـف، تطحـن الجماجـم، وتـزرع المـوت، وتسـيّر الكتائـب الحربيـة المدجّجـة بالـدروع الحصينـة، والخـوذات البيـض، والسـيوف اللامعـة، والرمـاح اللدنـة، تـدك السـهول والجبـال، بثيابهـا المخضبـة بدمـاء الأعـداء، يشـترك فيهـا شـيب تغلـب المجربـون، وشـبابها المتطلعـون للدفـاع عـن أمجـاد القبيلـة، وهـم في ربـاط دائـم، كلمـا سـمعوا صيحـة طـاروا إليهـا في ترسـانتهم الحربيـة المدمـرة، وحـين تضـع الحـرب أوزارهـا يتكتلـون في جماعـات صغـيرة، يترقبـون نـداء المنـادي، وصيحـة المسـتغيث.

تبـدو تغلـب قـوةً لا تُقهـر، ولذلـك يقـوم عمـرو بـن كلثـوم بتغييـب العـدو عـن المشـهد، وكأنـه حـين يغيّبـه، يؤكـد أنـه عـدوٌ لا يؤبـه بـه، فـلا يظهـر إلا في شـطر بيـتٍ يهـزُّ كما تهـزّ الـكلاب، فلـه القـول، ولتغلـب الفعـل، وهـذا غمـطٌ لقيمـةِ أبنـاء العُمومـة الذيـن خـاض معهـم عمـرو حروبـاً داميـة، امتـدت أكـثر مـن أربعـين عامـاً، وذاق مـن بطشـهم مـا ذاق.

هـذا موقـفٌ اسـتعلائيٌّ لا يتفـق مـع تقاليـد الشـاعر العـربي الـذي ينتصـف لخصمـه قبـل أن يُنصـف نفسـه؛ لأن الخصومـة لهـا شرفهـا الـذي يحـرص عليـه الشـاعر العـربي، ولكنّهـا أنفـة عمـرو الـتي لا تؤمـن بأحـدٍ سـواه، وثـورة الكرامـة الـتي تعصـف بـكل شيء.

المشهد الخامس

أسئلة الحرية

٤٤. بأيّ مشـيئة عمـرَو بنَ هنـدٍ نكـون لِقَيلِـكم فيهـا قطِينـا
٤٥. بأيّ مشـيئةٍ عمـرَو بنَ هنـدٍ تُطيـعُ بنـا الوُشـاةَ وتزدرِينـا
٤٦. تَهـدّدْنا وأوعِـدنا رويـداً مـتى كُنّـا لِأُمِّـكَ مَقْتَوِينـا
٤٧. فـإنَّ قناتَنـا يا عمـرو أعيـت عـلى الأعداءِ قبلكَ أن تلينا
٤٨. إذا عـضّ الثِقافُ بها اشمأزّت وولَّتهُـم عشـوزَنَةً زَبـونا
٤٩. عَشَـوزَنةٌ إذا انقلبـت أرنّـت تـدقُّ قفـا المُثقِّـفَ والجبينـا
٥٠. فهـل حُدِّثتَ في جُشَمَ بنِ بكرٍ بنقـصٍ في خُطـوبِ الأوّلينـا

سـؤال الحريـة هـو السـؤال المركـزي في المعلَّقـة. سـؤالٌ يطرحـه شـاعرٌ ثائـر عـلى ملـك مسـتبدّ، لقّـب بمـضرّط الحجـارة لقـوة ملكـه، والمحـرّق الثـاني؛ لأنـه حـرّق بـني تميـم بالنـار. لأي سـببٍ تريـد أن نكـون عبيـداً لـك وقـد خلقنـا أحـراراً؟ ولمـاذا تطيـع الواشـين بنـا وتحتقرنـا؟ ونحـن أهـل المجـد والسـؤدد، ومـتى كنّـا عبيـداً لأمّـك؟، ونحـن أبنـاء قبيلـة لـو تأخـر الإسـلام لأكلـت النـاس كمـا يذكـر المؤرخـون.

أسـئلة لـم يكـن ينتظـر لهـا عمـرو بـن كلثـوم إجابـة؛ لأن إجابتهـا معلومـة لديـه سـلفاً. إنهـا أسـئلة اسـتنكار واسـتهجان وطلـب إقـرار بفسـاد السـلطة، مـتى اسـتعبدتم النـاس وقـد ولدتهـم أمهاتهـم أحـراراً كمـا قـال الخليفـة الفـاروق رضي الله عنـه، ورفـضٌ للاسـتعباد، وإنـكارٌ للغطرسـة والجـبروت، ولـن يسـتطيع أحـدٌ أن يمتطـي ظهـرك إلَّا إذا انحنيـت لـه كمـا قـال مارتـن لوثـر.

هنـا يعلـن عمـرو بـن كلثـوم التحـدي، ويبـدأ في اسـتعراض قوتـه الـتي لا تقهـر، وقناتـه الـتي لا تلـين. إنهـا قنـاة صلبـة، ترفـض التطويـع، فكل مـن أراد تعديـل اعوجاجهـا، صرخـت في وجهـه، وضربـت وجهـه وقفـاه.

هـذه القنـاة رمـزٌ شـعريٌّ للكرامـة الـتي لا تمـسّ، والعـرض الـذي لا يُدنّـس، وهـي كرامـة متوارثـة، وعـرض مصـون، لا مجـال للتفريـط والمسـاومة فيـه.

اللغة:
قيلكم: ملوككم، **قطينا:** خدما، **الوشـاة:** النمامـون، **تزدرينـا:** تحتقرنا، **مقتوين:** خـدم، **القنـاة:** العـود الـذي تصنـع منـه الرمـاح، ويـراد بـه هنـا العزيمـة الـتي لـم تنكـسر، **الثقـاف:** الحديـدة الـتي يعـدّل لهـا اعوجـاج الرمـح، **اشـمأزت:** نفـرت، **عشـوزنة:** صلبـة، **زبونـا:** مسـتعصية، **أرنّـت:** أظهـرت رنينـاً، **تشـجّ:** تجـرح، **خطـوب الأولينـا:** أحوالهـم.

44. On what account, ʿAmr ibn Hind,
should we be slaves to your little king-brats?

45. On what account, ʿAmr ibn Hind,
do you feed us to blamers and throw shade?

46. Threaten us and frighten us—but wait!
Since when were we your mother's serving maids?

47. Mark well: before your time, our spears refused
to ease their cruelty on our rushing foes;

48. our spears, which when they're bit by other blades,
shove back just like a stubborn camel does.

49. A stiff camel! When bent, the spear snaps back
and *clank* it strikes the straightener's neck and head.

50. Have you been told that Jusham ibn Bakr
fell short in ancient battles or had fled?

المشهد السادس

وراثة المجد

٥١. وَرِثنا مجدَ علقمةَ بنِ سيفٍ — أباحَ لنا حُصونَ المجدِ دِينا
٥٢. ورثتُ مُهلهِلاً والخيرُ منه — زُهيراً نعمَ ذُخرَ الذّاخِرينا
٥٣. وعتّاباً وكُلثوماً جميعاً — بهم نِلنا تُراثَ الأكرمينا
٥٤. وذا البُرةِ الذي حُدِّثتَ عنه — به نُحمى ونَحمي المُلجَئينا
٥٥. ومِنّا قبلَهُ السّاعي كُليبٌ — فأيُّ المجدِ إلا قد وَلينا
٥٦. متى نعقِد قرينَتَنا بحبلٍ — نجُذُ الحبلَ أو نَقِصِ القرينا
٥٧. ونُوجَدُ نحن أمنعُهم ذِماراً — وأوفاهُم إذا عقدوا يَمينا
٥٨. ونحنُ غداةَ أُوقِدَ في خَزازٍ — رَفَدْنا فوق رِفْدِ الرّافِدينا
٥٩. ونحنُ الحابِسونَ بِذي أُراطَى — تَسَفُّ الجِلّةُ الخُورُ الدّرِينا
٦٠. ونحن الحاكمون إذا أُطِعنا — ونحنُ العازِمونَ إذا عُصينا
٦١. ونحن التاركون لما سَخِطنا — ونحن الآخِذونَ لِما رضينا
٦٢. وكُنّا الأيمَنِينَ إذا التقينا — وكان الأيسرينَ بنو أبينا
٦٣. فصالوا صولةً فيمن يليهم — وصُلْنا صولةً فيمن يَلينا
٦٤. فآبوا بالنِّهابِ وبالسبايا — وأُبنا بالملوكِ مُصفّدينا

مجد تغلب مضمخٌ بالدم، وكرامتهم محروسة بتاريخ من التضحيات قدمها الآباء والأجداد، وتركوها بيضاء ناصعة للأبناء والأحفاد، وهذه الحراسة هي التي أكسبت جشم بن بكر وبنيه هذا المجد الراسخ، والذكر الخالد. شرفٌ عظيمٌ مسوّر برؤوس الرماح وشفرات السيوف، وتضحيات الأبطال.

كرامة لها هذا الإرث العظيم، والتاريخ المضيء، لا مجال فيها لأنصاف المواقف، ولا أنصاف الحلول، ولذلك فهي كرامة موصولة بالنصر والتمكين.

أهلها أمنع الناس عرضاً، وأوفاهم عهداً، وأكثرهم رفداً، وأجلهم سخاءً، إذا حكموا عدلوا، وإذا عُصوا أعادوا العاصي إلى رشده، وإذا

اللغة:
قيلكم:علقمة بن سيف: سيد من سادات تغلب، **دينا:** قهرا، **مهلهل:** هو مهلهل بن ربيعة خاله، **زهير:** هو زهير بن جشم جده لأمّه، **عتاب وكلثوم:** جده وأبوه، **ذو البرة:** سيد من سادات تغلب، **الملجئينا:** اللاجئون، **كليب:** هو كليب بن وائل، **القرينة:** الناقة تربط مع ناقة أخرى في حبل واحد، **نجذّ:** نقطع، **نقص:** نكسر رقبته، **ذمار:** الذمار بمعنى الذمة والعهد، **عقدوا:** عاهدوا، **أوقد:** أعلنت الحرب، **خزاز:** يوم من أيام تغلب في الحرب، **الرفد:** الإعانة والعطاء، **حبسنا:** أوقفنا، **ذي أراطى:** اسم مكان، **تسف:** تأكل، **الجلة الخور:** الإبل القوية ذات اللبن الغزير، **الدرين:** النبت اليابس، **الحاكمون:** المانعون الناس من الاشتغال بما لا يعنيهم، **الأيمنين:** أصحاب اليمين، **الأيسرين:** أصحاب اليسار، **صال:** وثب، **النهاب:** الغنائم، **السبايا:** الأسرى.

51. We claim the pride of ʿAlqamah ibn Sayf
whose courage won us glory's manor hall,

52. and I, Muhalhil's heir and better still:
Zuhayr, a treasure cherished here by all.

53. I claim ʿAttāb and Kulthūm both together
by whom we gained the noblemen's bequest,

54. and Dhū l-Burah whose story you've been told,
in whom we and all refugees find rest,

55. and Bold Kulayb before him, one of us—
what glory is there that we didn't take?

56. When we twist up our rivals like a camel,
we either break the knot or snap the neck.

57. We shall be found the firmest in our duty
and truest to the vow that has been made,

58. and we who, the day war-fires burned Khazāz,
helped our tribe more than the others did,

طلبوا أمراً نالوه، وإذا رفضوا أمراً لم يُجبروا على قبوله. أصحاب يد طولى في اللقاء والعطاء.

كرامة عمرو بن كلثوم بدأت من داخل البيت، بحماية العرض الذي هو مركز الشرف، وعاصمة الكرامة عند العربي، وتفتحت على المجتمع وفاءً بالعهد، وإيثاراً للرعية، وقيادة للقبيلة، وحراسة لقيمها، ودفعاً للمعتدي.

لقد أصبحت هذه الكرامة ماركة مسجلة باسم تغلب، تعيها كل قبائل العرب، فلا يجرؤ أحدٌ على التعدّي عليها، ولا يقدر على حمل تبعاتها إلا أولو العزم من الكرام. هذه الكرامة ترتفع بتغلب لمعالي الأمور، فإذا التقوا بأبناء عمومتهم في معارك الكرامة، عاد الخصوم بالسبايا والأموال المنهوبة، وعادت تغلب بالملوك مقيدين بالأغلال.

هذه الاحتفاء بالكرامة لم يكن ترفاً وجدانياً يُروى. إنه تجربة تُحكى، ودعوى مصحوبة بالبرهان. لقد أراد عمرو بن هند اختبار صلابة هذه القناة، فخسر حياته، وهو الملك الجبار، فالكرامة لا تتجزأ، وليست موضعاً لاختبار القدرات، وتحديد المواقف.

59. and we, who helped by keeping to Dhū Arātā
till all our milch-herds had to eat dry shoots,

60. and we, who justly rule obedient folk,
and we, who justly punish when they revolt,

61. and we, who cast aside what roils us,
and we, who take the pleasant things we find.

62. We held the right flank in the mighty clash,
while on the left our brothers stood combined.

63. Fiercely those brothers fought the foes who came,
and no less so did we our rivals meet.

64. Our brothers brought back spoils and captives too
and we led kings with chains around their feet.

المشهد السابع

بيان ثوري

٦٥. إليكم يا بني بكرٍ إليكم ... ألّما تعرفوا منّا اليقينا
٦٦. ألّما تعرفوا منّا ومنكم ... كتائبَ يطّعِنَّ ويرتمينا
٦٧. علينا البَيضُ واليلَبُ اليماني ... وأسيافٌ يقُمنَ وينحنينا
٦٨. علينا كُلُّ سابِغةٍ دِلاصٍ ... ترى فوقَ النّجادِ لها غُضُونا
٦٩. إذا وُضِعت عن الأبطالِ يوماً ... رأيتَ لها جُلودَ القومِ جُونا
٧٠. كأنَّ مُتونَهُنَّ مُتونُ غُدْرٍ ... تُصفِّقُها الرّياحُ إذا جرينا
٧١. وتحمِلُنا غداةَ الرّوعِ جُرْدٌ ... عُرِفنَ لنا نقائذَ وافتُلينا
٧٢. ورثناهُنَّ عن آباءِ صدقٍ ... ونُورِثُها إذا مِتْنا بنينا
٧٣. وقد عَلِمَ القبائلُ من مَعدٍّ ... إذا قُبَبٌ بأبطَحِها بُنينا
٧٤. بأنّا العاصِمونَ بكُلِّ كَحْلٍ ... وأنّا الباذِلونَ لِمُجتدِينا
٧٥. وأنّا المانِعونَ لِما يلينا ... إذا ما البِيضُ فارقَتِ الجُفُونا
٧٦. وأنّا المانعونَ إذا قَدَرْنا ... وأنّا المُهلِكونَ إذا أُتِينا
٧٧. وأنّا الشّاربونَ الماءَ صفواً ... ويَشرَبُ غيرُنا كَدَراً وطِينا

اللغة:
يطعنّ: يطعنون بالسيوف، **يرتمين:** يرمون بالسهام، **البلب:** جلد يوضع تحت خوذة المقاتل، **البيض:** الخوذات، **السابغة:** الدرع، **الدلاص:** القوية المحكمة، **النجود:** حبال السيف، **غضون:** مثنية لطولها، **جون:** سوداء، **متونهن:** تدرجات النسيج، **غدر:** غدران الماء، **الجرد:** قصيرة الشعر، **النقائذ:** المأخوذات من الأعداء، **افتلين:** فطمن عن الرضاعة، **القبب:** جمع قبة وهي بناء مجوف من الجلد، **العاصمون:** المانعون، **كحل:** سنة شديدة ، **لمجتدينا:** لطالبي العطاء، **البيض:** السيوف، **الجفون:** أغماد السيوف.

كل هذه التحذيرات المتعاقبة التي يطلقها عمرو بن كلثوم كانت ردّاً على تهديدات عمرو بن هند، ووعيده، وتحولت بعد مقتله إلى نشيد لثورة إنسان الصحراء ضد الطغيان والاستبداد الذي كان عمرو بن هند رمزه الخالد.

خصم عمرو بن كلثوم هو عمرو بن هند الذي كان ينبغي أن ينسيه كل خصومه، فهو قمة الهرم الاجتماعي، ومركز القوة الذي يهابه كل الناس، لكن عمرو بن كلثوم يستحضر في تهديده للملك تاريخ تغلب في صراعها مع قبيلة إياد، التي طردتها ربيعة من جزيرة العرب وأجلتها إلى العراق، محذراً ومذكراً بكتائب الموت، وحفلات الدم، ومستعرضاً ترسانة قبيلته العسكرية، من الدروع الحديدية السابغة، التي أحكم سردها، ولوّنت أجساد أصحابها بالسواد من كثرة لبسها في معارك العزة والكرامة، وكأن تعرجات نسيجها طرائق الماء إذا هبّت عليها الرياح، والسيوف الحداد، والخوذات اللامعة، والخيول الجرد المخلصة من أيادي الأعداء، التي ورِثها الآباء، وسيورثونها الأبناء، فالخير معقود بنواصيها إلى أن تقوم الساعة.

65. So watch out, Banū Bakr! Take your guard—
haven't you figured out yet who we are?

66. Do you not know that both your troops and ours
did thrust their swords and shoot bolts in the air?

67. Helmets we wore, and shields of camel skin
Yemenī-made, and blades both curved and straight

68. and all manner of glossy coats of mail
puckered with dimpled folds above the waist

69. which, if those champions took them off one day
would show their rusty skin as if from wear,

70. like the shimmering coats of mail were a pond
rippled by zephyrs blowing here and there

71. Our crop-haired steeds do march on frightful days:
we've known them since the time that they were won,

72. bestowed upon us by our fathers true
and which we'll give, when we die, to our sons.

73. Now, all the tribes of Maʿadd surely know
when we pitched camp down in the valley-flats

74. that we are guardians in the famine years
and benefactors to all those who ask,

75. and that we stop those who attack near us
whenever blades of steel do quit their sheaths.

76. We are their staunch defenders when we can
and cruel slayers whenever we're besieged!

77. We drink the purest water, even as
the others always gulp the murky moss!

المشهد الثامن

ضيوف على مائدة الموت

٧٨. ألا سائلْ بـني الطمّـاحِ عنّـا ودُعْميّـاً فكيـفَ وجدتُمـونا
٧٩. نزلـتُم مـنزِلَ الأضيـافِ منّـا فعجّلنـا القِـرى أن تشـتُمونا
٨٠. قرينـاكُمُ فعجّلنـا قِـراكُم قُبيـلَ الصُّبـحِ مِـرداةً طَحـونا
٨١. يكـونُ ثِفالُهـا شرقيَّ نجـدٍ ولُهوتُهـا قُضاعـةُ أجمعينـا
٨٢. عـلى آثارِنا بِيـضٌ حِسـانٌ نُحـاذرُ أن تُقـسّمَ أو تهـونا
٨٣. ظعائنُ من بني جُشمَ بنِ بكرٍ خلطـنَ بِميـسَمٍ حَسَـباً ودِينـا
٨٤. أخـذنَ عـلى بُعولتِهـنّ عهـداً إذا لاقـوا كتائـبَ مُعلِمينـا
٨٥. لَيسـتلبُنَّ أبـداناً وبَيضـاً وأسرى في الحديـدِ مُقرّنينـا
٨٦. إذا مـا رُحـنَ يمشـينَ الهُوينـى كما اضطربـت متونُ الشّـارِبينا
٨٧. يقُـتنَ جِيـادَنا ويقُلـنَ لسـتُم بُعـولَتَنا إذا لم تمنـــعونا
٨٨. إذا لم نَحمِهـنّ فـلا بَقينـا لـشيءٍ بعدهِـنّ ولا حيينـا
٨٩. وما منعَ الظعائنَ مثلُ ضربٍ ترى منـه السّـواعِدَ كالقُلِينـا
٩٠. إذا ما المَلْكُ سامَ النّاسَ خسْفاً أبينـا أن يُقِـرَّ الخسـفَ فينـا
٩١. ألا لا يجهَلَـنْ أحـدٌ علينـا فنجهـلَ فـوقَ جهـلِ الجاهِلينـا
٩٢. لنـا الدّنيـا ومـا أمسى عليهـا ونبطِشُ حين نبطِشُ قادِرينا
٩٣. بُغـاةً ظالمـين ومـا ظُلِمنـا ولكـنّا سـنبدأُ ظـالمينا
٩٤. ملأنا البحرَ حتّى ضاقَ عنّا ونحـنُ البحـرَ نملـؤه سَـفينا

بـادرت تغلـب خصومهـا بحـرب ضروس، واسـتضافتهم بأسـنة الرمـاح وشـفرات السـيوف، مخافـة الهزيمـة الـتي سـتخدش تاريـخ الكرامـة الـتي كانـت مسـئولية قبيلـة تغلـب، ومحـور تاريخهـا المجيـد.

لقـد قـام بواجـب الضيافـة كتيبـة كثـيرة العـدة، ذات تدريـب عـالٍ، تطحـن العـدو طحنـاً، عـلى امتـداد الصحـراء، مسرحهـا شرقي نجـد، وقضاعـة حبهـا المطحـون.

في هـذا السـياق تظهـر المـرأة مـن جديـد، فالمـرأة جوهـرة تـاج الكرامـة، ومحـور النخـوة في معلَّقـة عمـرو بـن كلثـوم؛ لذلـك يخـوض

اللغة:
الطَّمَّـاح ودعمي: هما الطماح نمارة بـن إيـاد، و دعمـي بـن إيـاد بـن نـزار، وقـد صـارا حيـين مـن أحيـاء إيـاد. **عجلنا القرى:** بادرنا بالحرب، **مرداة طحونـا:** كتيبـة عظيمـة تطحنكـم طحـن الرحـى، **الثفـال:** الخرقـة توضـع تحت الرحى لحماية الطحين، **اللهـوة:** القبضـة مـن الحـب، بيـض **حسـان:** نسـاء جميـلات، **تقسـم أو تهـون:** بالسـي في الحـرب، **الميسـم:** الجمال، **الحسـب:** الـشرف، **معلمين:** عليهم علامات يعرفـون بهـا، **الأذدان:** الـدروع، **البيـض:** الخـوذات، **مقرنين:** مصفديـن في الأغـلال، **يمشـين الهويـنى:** يتمايلـن في مشـيتهنّ، **الشـاربين:** السـكارى، **يقتن:** يطعمن، **جيادنـا:** خيولنـا، **القلين:** عـود يلعب بـه الصبيـان، **الخسـف:** الظلـم.

78. Go ask Banū al-Tammāh and Duʿmī too
about our case: What do you think of us?

79. You came our way and stayed with us as guests.
Swiftly we met you, lest you put us down.

80. Well we received you just before the dawn
and greet you with a giant grinding stone—

81. that millstone's cushion reaches east of Najd
and all of Qudāʿah makes the grain to press!

82. Fair noble ladies follow us in war,
them do we shield from insult or duress,

83. litter-borne maids from Jusham ibn Bakr
who finely mix good breeding and good deeds.

84. They and their husbands struck a solemn vow
that if those ladies met with signal squads

85. they'd plunder coats of mail and polished blades
and captives clapped together with a chain.

معركتـه، وقلبـه معلّـق بهـذه الجوهـرة النفيسـة، والبيضـة المكنونـة، الـتي لا يقبـل المسـاس بهـا، لأن المسـاس بهـا هـدمٌ لتاريـخ طويـل معبـد بالدمـاء والتضحيـات.

لقـد أخـذ نسـاء تغلـب عـلى أزواجهـنّ عهـداً ألّـرا يتولـوا يـوم الزحـف، وأن يعـودوا برايـات النـصر، وسـلاح الأعـداء، وأسراهـم المصفّديـن بالأغـلال.

في هـذا السـياق الدامـي يظهـرن في عـرض أنثـوي لافـت، يكشـف جماليـات الجسـد ومفاتنـه، وبلغـة أنثويّـة ماكـرة، تجمـع بـين الحـب والتهديـد، قائـلات لأزواجهـن المحاربـين: لسـتنّ أزواجنـا إن لـم تمنعونـا، فتكـون الإجابـة فعـلاً لا قـولاً؛ لأن المسـألة مسـألة وجـود، فـلا معـنى للحيـاة بـلا كرامـة.

تبـدو المـرأة في ختـام القصيـدة كمـا ظهـرت في أولهـا وهـي في ظعنهـا، لكنهـا هنـاك راحلـة عاتبـة قلقـة صامتـة لا تجيـب، وهنـا مقيمـة تحفـز للحـرب، وتدفـع للـذود عـن العـرض والكرامـة، وتسـتعرض مفاتـن الجسـد.

وتختتـم القصيـدة بالتذكـير بمصـير عمـرو بـن هنـد الـذي أراد أن يمـس هـذه الكرامـة، فدفـع حياتـه ثمنـاً لمحاولتـه الانتقـاص منهـا، والمسـاس بهـا. إنهـا الحقيقـة الـتي لا ينبغـي الجهـل بهـا؛ لأن الجهـل بحقيقـة هـذه الكرامـة نتيجتـه المـوت، فالـشرف العظيـم لا يسـلم إلا بالـدم المـراق، والظلـم، والملكيـة المطلقـة، وهـي الـتي حرسـت الكرامـة، وحمـت الصحـراء، وانتهـت إلى البحـر الـذي ملأتـه بالسـفن، فـدان لهـا الكـون كلـه.

إن عمـرو بـن كلثـوم وريـث تاريـخ مجيـد للكرامـة، لكنـه بهذه الأسـئلة الشـائكة الرافضـة للاسـتكانة والـذل يؤكـد أن الكرامـة تصنـع ولا تورث، وأن المُطالِـب بالحريـة لـن يسـكت إلا إذا حصـل عليهـا؛ لأن الحريـة هـي روح الإنسـان وأنفاسـه.

86. When those ladies go out, they go with calm
and strolling in their walk like drunken men.

87. They feed our horses but say, *You are not*
our husbands if you don't keep us from harm!

88. If we defend them not, then let us die!
nor let us remain after they are gone.

89. Nothing will guard them like cutting our foes
with cuts that send forearms flying like dolls.

90. Though kings are cruel to their own nation-folk
we won't let cruelty slip between our walls.

91. Let no one act the fool on us or else
we'll top those foolish folk in all their folly.

92. The world and all therein belong to us
and when we storm, we storm with awful fury,

93. like tyrants though we haven't yet oppressed,
but soon we'll start to drive with rods and whips.

94. We filled the sea until it held no more
then filled it up some more, with all our ships.

الأعمال الكاملة

عنترة بن شداد

‘Antarah ibn Shaddād

الحبّ والحرب

Love and War

معلَّقة عَنْتَرَة بن شَدَّادٍ العَبْسِي
الحُبُّ وَالحَرْبُ

مقدمة وشرح: عبدالله بن سُلَيم الرُّشَيد

The Muʿallaqah of ʿAntarah ibn Shaddād
Love and War

Introduction and Translation by: Kevin Blankinship

عنترةُ بـن شـدّاد العَبْـسيّ، شـاعرٌ فـارسٌ عـاش في نجـد، في منطقة القصيـم اليـوم، قـرب مدينـة عيـون الجِـواء. ولـد لأمٍّ سـوداء، فجـاء مثلهـا، فاحتقـره أبـوه وقومُـه، حـتى أظهـر شـجاعته وبسـالته في بعـض المعـارك، فصـار عزيـزاً فيهـم، وأصبـح فارسَـهم الأول، وشـهد حـرب داحـس والغَـبراء، واشـتُهِر بحبـه لعَبْلـة. تـوفّي مقتـولاً نحـو ٢٢ ق.هـ، ٦٠٠م. وهـو تاريـخ تقريـبي.

ولشـهرة عنـترة بالفروسـية والحـبّ صـار أسـطورة شـعبية، تدخّـل فيهـا الخيـال الشـعبي، وامـتزج فيهـا شـعره الحقيقـي بشـعر مفتعـل، كثـير منـه ضعيـف فنيّـاً.

وعنـترة معـدود في فحـول الشـعراء، وقـد وضعـه ابـن سـلّام في الطبقـة السادسـة مـن شـعراء الجاهليـة، والموثـوق مـن شـعره الـذي حققـه محمـد سـعيد مولـوي يحـوي نفَسـاً عذبـاً، ورقّـة، مـع تمـدّح ظاهـر بالبطولـة والشـجاعة.

Before the dawn of Islam in the 7th century CE, the Arabian Peninsula was rife with turmoil. From the outside, the "great powers" of Rome and Persia fought for dominance; from the inside, Bedouin tribes struggled over territory and resources. Against this tumultuous backdrop, elite fighters on horseback created a warring culture of manly virtue, *murūʾah*, marked by love of honor and driven by a lust for glory, plunder, revenge, and tribal loyalty. As one scholar put it, "war was effectively a religion."

This combative ethos is preserved in poetry, the most celebrated art form in Arabic. Perhaps the best-known war poems are by ʿAntarah ibn Shaddād, the son of an Ethiopian slave woman and who fought in the War of Dāḥis between his own clan of ʿAbs and their rivals, Dhubyān. Most of his poems deal with this conflict or with the virtues of martial life. As a young man, ʿAntarah fell in love with his cousin, ʿAblah, but couldn't marry her due to his slave status until after he'd proven himself in combat. According to legend, his poetry and courage both so impressed ʿAblah's mother that she finally gave consent to marry her daughter.

Today, readers remember ʿAntarah best for his "hanging or suspended ode" Muʿallaqah, which in its own way captures the spirit of pre-Islamic Arabia like the other Muʿallaqāt poets. In ʿAntarah's case, a second, anonymous epic poem called Sīrat ʿAntar would later secure his legacy.

المعلَّقة

هـي قصيـدة ميمية، عـلى البحـر الكامـل، مختلَـفٌ في عـدد أبياتهـا، فقـد رُويـت في ثمانـين بيتـاً، وفي خمسـة وسـبعين، وفي غـير ذلـك. وقيـل في مناسـبة إنشـائها إنّ أحدهـم سـبّ عنـترةَ، وعـيّره سـوادَه وسـوادَ أمّـه، فهـاج عنـترةُ، وشـتمه، وأنشـأ قصيدتـه هـذه فاخـراً فيهـا بمـكارم أخلاقـه وبطولتـه.

قيـل ذلـك في سـبب إنشـائها، ولكـنّ الـذي أميـل إليـه هـو أن هـذه القصيـدة الفائقـة الروعـة لا يمكـن أن تكـون نتـاج موقـف عـرَضيّ واحـد، بـل هـي انفعـالات ومشـاعر شـتّى، كان عنـترة يحـسّ بهـا، ويغالبهـا، ويتأمّلهـا، فكانـت معانيهـا تختمـر في ذهنـه، ثـم يصوغهـا شـيئاً فشـيئاً، متّخـذاً مـن تجاربـه ومشـاهداته وقـوداً لهـا. إن القصيدة العظيمـة لا تكـون نتـاج موقـف عابـر كالـذي قيـل فيهـا.

والقصيـدة تتضمـن عـدة أفـكار، وأغـراض، منهـا الغـزل، وبـكاء الأطـلال، والفخـر، ووصـف الحـرب، ووصـف الفـرس. والرسـالة الـتي تتضمنهـا القصيـدة في محوريـن: محـور الحـبّ والحنـين والوفـاء بالعهـد، ومحـور البطولـة، وكلاهمـا مـن الشـعور الإنسـاني العـالي.

ويمكـن أن نقـول: إنهـا تضمنـت موضوعتـين (ثِيْمتـين) كبيرتـين، الأولى: موضوعـة الحيـاة (وتمثلهـا المـرأة والخمـر)، والثانيـة: موضوعـة المـوت (وتمثلهـا الحـرب)، وفكـرة القصيـدة قائمـة عـلى الـصراع بـين الحيـاة والمـوت، والغلبـة في النهايـة للمـوت. المـرأة (عبلـة) هـي الحيـاة الحلـوة الضاحكـة الواعـدة بالنمـاء. والحـرب ومـا فيهـا ومـا قبلهـا هـي المـوت الـذي يحصـد الأرواح، ويسـتمرّ في دورانـه آخـذاً الـكلّ.

The Poem

In the words of Sir William Jones, ʿAntarah's "chief object in his [Muʿallaqah] poem was to blazon his own exploits and achievements." Written as a *qaṣīdah*, the elite genre of classical Arabic poetry, the ode is framed as a journey that unfolds along a highly conventional structure, with innovations on a theme. The poet begins by reminiscing at the abandoned desert camp of his lover, ʿAblah , imagining her and the day that she left (lines 1-25). This calls the poet back to the present, and he turns his attention to his camel, describing it using a flood of images (lines 26-39); animal description is common in pre-Islamic poetry, but it can be monotonous or jarring to modern readers.

He then addresses ʿAblah directly (line 40), and, for the second half of the poem, demands that she praise him and his merits—generosity (lines 41-45), horsemanship (lines 50-51, 74-79), protection of comrades in war (lines 69-72), and so on. Battle and boasting are on full display, with graphic descriptions to rival those of Homer's Iliad. The final lines (80-85) probably refer to a real skirmish, in which ʿAntarah, having already routed three enemies (lines 47-63), claims to have killed a man named Ḍamḍam, the father of two of his opponents. The poem ends on the stark image of this Ḍamḍam's body left in the desert for the hyenas to pick apart, a fitting symbol of the horrors of war.

المشهد الأول

ذكرى المحبوبة

١. هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ أم هل عرفتَ الدارَ بعدَ توهُّمِ؟
٢. يا دارَ عَبْلةَ بالجِواءِ تكلّمي وعِمِي صباحاً دارَ عَبْلةَ واسلمي
٣. فوقفتُ فيها ناقتي وكأنّها فَدَنٌ لأقضيَ حاجةَ المُتَلَوِّمِ
٤. وتحُلُّ عَبْلةُ بالجِواءِ وأهلُنا بالحَزْنِ فالصَّمَّانِ فالمُتَثَلَّمِ
٥. حُيِّيتَ من طللٍ تقادمَ عهدُه أقوى وأقفر بعد أمّ الهيثمِ
٦. حلّتْ بأرضِ الزائرين فأصبحت عَسِراً عليَّ طلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ
٧. عُلِّقتُها عَرَضاً وأقتلُ قومَها زَعْمٌ لعَمْرُ أبيكَ ليس بمَزْعَمِ

ابتدأ عنترة قصيدته بسؤال شعري يؤرّق كلَّ الشعراء: هل ترك الشعراء قبلي مجالاً للقول؟ ثم سأل نفسه: هل عرفتَ دار محبوبتك بعد أن غلبك الشك؟ وهو بهذين السؤالين يكشف حيرته الظاهرة بين حبٍّ يريد أن يصفَه، ورغبةٍ في أن يقول شيئاً جديداً يلائم محبوبته ويرضيها. إنه يبدأ قصيدته بسؤال الشعر، ويثنّي بسؤال الحبّ، وهما متصلان اتصالاً وثيقاً، فالشعر وقوده الحبّ والحنين الظاهران في هذا المطلع.

ثم انصرف يخاطب دار محبوبته عبلة، طالباً منها أن تتكلم فتخبره عن سُكانها الذي كانوا فيها، وهو يقصد عبلة وحدها، وسلّم عليها (عِمِي صباحاً)، ودعا لها بالسلامة. ثم قال: إنه وقف ناقتَه في هذه الدار، وكأن الناقة من ضخامتها قصرٌ شامخ، ليقضي ما تستحقه دار محبوبته من المكث والتأمّل والذكرى. وأخبر أن أهل عبلة في مكان (هو الجواء)، وأن أهله هو في أماكن أخرى يطلبون الربيع.

اللغة:
المتَرَدّم: المكان الذي يُستصلح بعد خرابه، **والتوهّم:** الشكّ، **وعبْلة:** اسم المرأة المخاطبة، وهي أيضاً أم الهيثم. **والجِواء:** مكان في وسط نجد، قيل: إنه هو عين الجواء المعروف اليوم في القصيم، والأكّد أنه يُطلق على منطقة متّسعة تشمل عدة قُرى، شمال وادي الرّمّة، منها القرعاء وعيون الجواء، **وعِمي صباحاً:** تحية جاهليّة، قيل: أصلها: انْعَمي. **والفَدَن:** القصر، **والمتلوِّم:** من يُرغم نفسه على المُكْث. **والحَزْن:** معناه في الأصل المكان المرتفع الغليظ، وأراد به موضعاً قريباً من الصَّمَّان، **والصَّمّان:** هي الصحراء المعروفة اليوم بهذا الاسم، وهي في شرق نجد بينها وبين الأحساء، وتمتدّ شمالاً، **والمتثلَّم:** موضع قريب من الصمّان لا يُعرف مكانه بالتحديد في زمننا، **والطلل:** ما بقي من آثار الناس، **وأقْوى:** خلا من أهله، **والزائرين:** الأعداء، **وعُلّقتها عرَضاً:** أحببتها مصادفةً، **والزعم:** ادّعاء ما ليس بصحيح.

1. Now, have the poets left a rip unsewn?
   And did you see her old haunts, overgrown?

2. Oh tell me, ʿAblah's home! here in Jiwā';
   good day, peace and good will to ʿAblah's home.

3. Right there I propped my camel like a fort
   and scratched the itch to pause before I roam.

4. One time,ʿAblah had settled in Jiwā'
   and we in Hazn, Sammān, Mutathallam.

5. Long live you scars of sand, left long ago;
   vacant after ʿAblah, Mother of Haytham.

6. She joined our foes, who stun with lion's roar;
   hunting you is hard now, Makhram's daughter.

7. By chance, I loved her while I killed her kin,
   no idle boast—I swear—from all the slaughter.

واستمر يُحَيّي المكان الذي وقف عليه، فقال: حُييت أيها الطلل القديم الذي تغيّر بعد رحيل عبلة أم الهيثم، وهو بهذا يظلّ يراوح بين ترك المكان لأنه مقفر، وبين البقاء فيه والشعور بأنفاس محبوبته وذكراه معها. ثم يخبر عنها بأنها صارت في أرض الأعداء الذين يزأرون زئير الأُسْد، فأصبح من الصعب عليه أن يصل إليها.

إن وقوف عنترة بالمكان لم يكن سنّة شعريّة عند الشعراء فحسب، بل هو وقوف على أمل عاثر، وحبّ لم يُقدَّر له النجاح، والمكان هو الذي حوى ذكرياتِ عنترة مع عبلة وأهلها، فكان من الوفاء له أن يقف به.

المشهد الثاني
البكاء على فراق المحبوبة

٨. ولقـد نزلـتِ فـلا تظـنّي غـيرَه ... مـنّي بمَـنْزلةِ الـمُحَبِّ المُكـرَمِ
٩. كيـف المـزارُ وقـد تربّـع أهلُهـا ... بعُنَيزتَـيـنِ وأهلُنـا بالغَيـلَمِ؟
١٠. إن كنـتِ أزمعـتِ الفـراقَ فإنمـا ... زُمّـتْ ركابُـكُمُ بليـلٍ مظـلِمِ
١١. مـا راعـني إلا حَمُـولةُ أهلِهـا ... وَسْطَ الديارِ تَسُفُّ حبَّ الخِمْخِمِ
١٢. فيهـا اثْنتـانِ وأربعـونَ حَلُوبـةً ... سـوداً كخافيـةِ الغـرابِ الأَسْحَـمِ

ابتـدأ الشـاعر هنـا بمخاطبـة المحبوبـة، مطمئنـاً إياهـا أنهـا في قلبـه، مـا تـزالُ محبوبـة، مكرّمـة، وراوح بـين ضمـير غيـاب وضمـير خطـاب؛ لأنـه مدهـوشٌ خائـفٌ مـن الفـراق المسـتمر، وراغـبٌ في اللقـاء، فهـو إذا غلبـه الخـوف مـن فراقهـا اسـتعمل ضمـير الغائبـة (أهلهـا)، وإذا سـيطر عليـه الفـأل بلقائهـا اسـتعمل ضمـير المخاطبـة (نزلـتِ)، وهـو في أثنـاء ذلـك يـتردد بـين الأمريـن، فيسـأل نفسـه: كيـف ألقاهـا وأهلهـا في مـكان وأهـلي بمـكان آخـر بعيـد عنـه؟ ثـم يراهـا أمامـه وقـد أنـس بخيالهـا فيخاطبهـا: إن كنـتِ عزمـتِ عـلى الفـراق فقـد فعلـتِ ذلـك مـع أهلـك بالليـل، في غفلـة النـاس.

ثـم ينتبـه مـن خيالـه فـيرى أرض محبوبتـه خاليـة منهـا ومـن أهلهـا، فيقـول في حـزن وأسًى: روّعـني أن أرى الناقـة الـتي حملتهـا تـأكل حـبّ الخِمْخِـم، وهـو نبـات يكـون في آخـر الربيـع، فيكـون يابسـاً مؤذنـاً بـأن يرحـل أهلـه عنـه.

ولأن الشـاعر دهِـشٌ خائـف مـن الفـراق الطويـل، فقـد صـوّر نيـاق أهلهـا لمـا اسـتعدوا للرحيـل سـوداً، والمحبوبـة في أثنـاء إقامـة أهلهـا في هــذا المــكان كانــت تُدهــش الشــاعر بوضــوح أســنانها وطيــب رائحتهـا، وجمـال فمهـا.

اللغة:
تربّع: نـزل بـأرض فيهـا ربيع أي عشب، **وعُنَيزتان:** اسـم لمواضـع عـدّة، والـذي يبـدو مـن سـياق البيـت أنـه أراد مـا يُسـمّى اليـوم (الصّلفعـة) وهـي مـن بـلاد القصيـم، **والغَيلـم:** موضـع لا يُعـرف مكانـه اليـوم، ولكنـه في بـلاد بـني عبـس الـتي كانـت في منطقـة القصيـم، **وأزمعـتِ:** هممـتِ بالأمـر وعزمـتِ عليـه، **وزُمّـت:** شُـدّت بالأزمّـة، **والحَمُولـة:** الإبـل الـتي يُحمَل عليهـا، **وتَسُـفّ:** تأكل، **والخِمْخِـم:** نبـات بقـلي حبّـه أسـود ينبـت في الصحـراء، **والحَلُوبـة:** الناقـة الـتي تُحلَـب، **وخافيـة الغـراب:** الريشـة الـتي تختفـي في آخـر جناحـه ممـا يـلي الظهـر، **والأسـحم:** الشـديد السـواد.

8. You've settled in my heart (make no mistake)
where loved and honored folk can settle in.

9. But can we find you in 'Unayzatayn
when we're far off in Ghaylam for the spring?

10. When you resolved to leave, it must have been
when they packed up the mounts, in dark of night.

11. One thing upset me: pack camels distressed
and crunching prickly poppy near the site,

12. and milch-cows two and forty, black as all
a raven's hidden, ancillary plumes.

المشهد الثالث

صورة المحبوبة

١٣. إذْ تستبيكَ بذي غُروبٍ واضحٍ ... عَـذْبٍ مُقَبَّـلُه لذيـذِ المطعَـمِ
١٤. وكأن فـارةَ تاجـرٍ بقَسِـيمةٍ ... سبقتْ عوارضُها إليك من الفمِ
١٥. أو روضـةً أُنُفـاً تضمّـنَ نبتَهـا ... غيثٌ قليلُ الدِّمْنِ ليس بمَعْـلَمِ
١٦. جـادتْ عليـه كلُّ بِكْـرٍ حُـرّةٍ ... فتركـنَ كلَّ قـرارةٍ كالـدرهمِ
١٧. سَحّـا وتَسْـكاباً فـكلّ عشـيّةٍ ... يجـري عليهـا المـاءُ لم يتـصرَّمِ
١٨. وخلا الذبابُ بها فليس ببارحٍ ... غَرِداً كفعلِ الشاربِ المُتَرَنِّـمِ
١٩. هَزِجـاً يحُـكُّ ذراعَـه بذراعِـه ... قدْحَ المُكِبِّ على الزنادِ الأجـذَمِ

يبـدأ الشـاعر في هـذا المقطـع بوصـف محبوبتـه، فيذكـر طيـب رائحـة فمهـا، فهـو عنـده كرائحـة عطـر شـديدة التأثـير، تسـبق كل رائحـة أخـرى، فتسـيطر عـلى الشـعور، ثـم لا يـرضى الشـاعر بتشـبيه واحـد، بـل يضيـف تشـبيهاً آخـر؛ لأنـه مشـغوف بوصـف شـدة تعلّقـه بالمحبوبـة، فيقـول: إن رائحتهـا تشـبه رائحـة أرض معشـبة بعيـدة عـن النـاس لـم يرعهـا أحـد، وذلـك أكـثر لتأثيرهـا، لأنهـا تكـون حينئـذ نقيّـة عذبـة نظيفـة.

وهـذه الروضـة الأُنُـف سُـقيت بمـاء سـحابة غزيـرة لـم يصحبهـا بـرْد ولا ريـح، وكلّ ذلـك يـؤدي معنـاه الدقيـق؛ فهـي رخيّـة لطيفـة، وزاد أن قـال: إن مـاء السـحاب تـرك كلّ حفـرة في الروضـة شـبيهة بالدرهـم لصفـاء مائهـا واسـتدارتها. ولـم يكتـف بذلـك فوصـف اسـتمرار السـحابة في صـبّ مائهـا، وأنـه لـم ينقطـع، وهـذا يعـني عنـده أن هـذه المـرأة هـي اسـتمرار الحيـاة وهـي نقاؤهـا وصفاؤهـا الـذي يبحـث عنـه.

ولهـذا قـال أيضـاً: إن الذبـاب -وربمـا أراد بـه كلَّ مـا يدخـل في اسـم الذبـاب كالنحـل وغـيره- اطمـأنّ في هـذه الروضـة المعشـبة البعيـدة عـن النـاس، فصـار يهـزج ويترنـم، ويحـكّ ذراعـه بذراعـه الأخـرى، وشـبّه هيئتـه تلـك بفعـل رجـلٍ مقطـوع اليـد مكـبٍّ عـلى زنـاد ليشـعل النـار. وهـذه صـورة أعجبـت النقـاد، ورأوهـا مـن اختراعـات عنـترة الـتي لـم يُسـبق إليهـا، ولـم يسـتطع أحـد تقليـده فيهـا.

اللغة:
تستبيك: تأخـذ لبّـك وتُدهشـك، **والغُـروب:** جمـع غَـرْب، وهـي هنـا حـدود الأسـنان الواضحـة، **والفـارة** هنـا زجاجـة العطـر، **والقَسِـيمة:** جُونـة العطـر أي الوعـاء الـذي توضـع فيـه قواريـر العطـر، **والأُنُـف:** البعيـدة عـن النـاس فهـي معشـبة خـضراء لـم يرعهـا أحـد، **والدِّمْـن:** جمـع دِمْنـة، وهـي أرواث الأنعـام، **والمعلَـم :** العلامـة، **والبِكْـر الحُـرّة** السـحابة الغزيـرة، الخالصـة مـن الريـح والـبرْد. **والقَـرارة:** الحُفـرة، **والسَّـحُّ:** الصـبُّ، **والتَّسْـكاب:** الانسـكاب المتـوالي، **ويتـصرّم :** ينقطـع، **والشـارب:** السـكران، **والمترنّـم :** المغنّي بينـه وبـين نفسـه، **والهـزِج:** السريـع الصـوت، **والمُكِـبّ:** الـذي انكـبّ عـلى الـشيء، أي اشـتغل بـه عـن غـيره، **والزِّنـاد:** جمـع زَنْـد وزَنْـدة، والأول هـو العـود الأعـلى الـذي تُقـدح بـه النـار، والثـاني هـو العـود الأسـفل، **والأجـذم :** المقطـوع الـذراع، أو اليـد.

13. She cages you at once with ivory teeth,
sweet to the kiss, a pleasure to consume,

14. She wafts her scent, a merchant's balmy musk
that reaches you before her smiling gaze

15. or virgin fields that rainfall coaxes forth;
the land is sparsely dunged and hardly grazed,

16. where weeping clouds have kissed it all with drops
and silver coinlike pools that flash and gleam

17. deluging and decanting every night,
the water runs in one unbroken stream.

18. Look here: a fly sits singing endlessly,
squeaking like a drunk who wails in tune

19. and scratching leg on leg—out comes its chirp!
a one-armed man bent over the flintstone.

المشهد الرابع

الوجهان المتناقضان

٢٠. تمسي وتصبحُ فوق ظهرِ حَشِيَّةٍ وأبيتُ فوقَ سَراةِ أدهَمَ مُلْجَمِ
٢١. وحَشِيَّتي سرجٌ على عَبْلِ الشَّوى نهدٍ مَراكلُه نبيلِ المِحْزَمِ

يقول: إن محبوبته عبْلة تبيتُ منعّمة مستريحة، على فراش ليّن، وهو يبيتُ على فرس ضخم لأنه معتادٌ على الحرب. إنه هنا يضع حالتين متناقضتين: حالة المحبوب المنعّم الغافل عن صروف الزمان، والمحبّ العاشق الذي يكابد الأهوال، وعينه على ذلك الحبيب.

اللغة:
الحَشِيّة: الفراش المحشوّ بما يجعله ليّناً، وقد يُراد بها الوِسادة الليّنة، **وسَراة الشيء:** أعلاه، **والأدهم:** الفرس الذي لونه بين السواد والبياض أو هو الأسمر، **ومُلْجَم:** لا يستقرّ ولا يستريح، **والسَّرْج:** ما يوضع على ظهر الفرس، **وعَبْل:** ضخم، **والشَّوَى:** القوائم، **ونَهْد:** ضخم، **والمَراكل:** جمع مَرْكَل، وهو الموضع من الفرس الذي تضربه رجل الفارس إذا أراد حثّه على السير. **ونبيل المِحْزَم:** سمين موضعِ الحزام.

20. She spends her days and nights on cushioned pads;
and I, atop a black and bridled beast,

21. a saddle for my pillow, on a steed
with stout legs, rounded flanks and thickened waist.

المشهد الخامس

أمل اللقاء

٢٢. هـل تُبلغَـنّي دارَهـا شـدَنِيّةٌ ... لُعِنتْ، بمحروم الشرابِ مصرَّمِ

٢٣. خَطّـارةٌ غِـبَّ الـسُّرى زَيّافـةٌ ... تَطِسُ الإكامَ بـذاتِ خُـفٍّ مِيثَمِ

٢٤. وكأنّمـا أَقِـصُ الإكامَ عشـيّةً ... بقريـبِ بـين الـمَنْسِمَينِ مُصَلَّمِ

٢٥. تأوي له قُلُـصُ النعـامِ كما أوتْ ... حِـزَقٌ يمانيَـةٌ لأعجَـمَ طِمْطِـمِ

٢٦. يتبعـنَ قُـلّةَ رأسِـه وكأنّـه ... حـرَجٌ عـلى نعـشٍ لهـنّ مخيَّمِ

٢٧. صَعْلٍ يعودُ بذي العشيرةِ بيضَه ... كالعبد، ذي الفَرو الطويلِ الأصلمِ

٢٨. شربت بماء الدُّحْرُضَين فأصبحتْ ... زوراءَ تنفـرُ عـن حيـاضِ الدَّيـلمِ

٢٩. وكأنّمـا ينـأى بجانـبِ دفّهـا الـ ... ـوحشيِّ من هَـزِجِ العشيِّ مؤَوَّمِ

٣٠. هـزِجٌ جَنيـبٌ كلمـا عطفـتْ له ... غضـبى اتقاهـا باليـدين وبالفـمِ

٣١. أبـقى لها طـولُ السِّـفارِ مُقَرمَـداً ... سـنَداً ومثـلَ دعـائمِ الـمُتَخَيِّمِ

٣٢. بركـتْ عـلى مـاءِ الـرِّداعِ كأنّمـا ... بركتْ على قصبٍ أجشَّ مُهَضَّمِ

٣٣. وكأنّ رُبًّا أو كُحَيـلاً مُعْقَـداً ... حـشَّ الوَقـودُ بـه جوانـبَ قُمْقُـمِ

٣٤. ينباعُ من ذِفْرى غضوبِ جَسْرةٍ ... زَيّافـةٍ مثـلِ الفَنيـقِ الـمُكْدَمِ

اللقـاء بالمحبوبـة هـو غايـة الشـاعر، وذكـر النسـاء في مقدمـات قصائـد الشـعراء الجاهليـين هـو رمـز لاكتمـال الحيـاة، فالمـرأة هـي النصـف الآخـر لحيـاة الرجـل؛ ومـن أجـل هـذا نجـد عنـترة يرجـع مـرة أخـرى إلى المحبوبـة، فيقـول في شـوق ولهفـة: هـل تصـل بي إلى ديارهـا ناقـة شـديدة صبـورٌ عـلى السـفر؟

ثـم تفـنّن في وصـف الناقـة، عـلى عـادة شـعراء الجاهليـة، لأنهـا جـزء مـن عالمهـم الـذي لا ينقطعـون عنـه، فقـال: إنهـا خطّـارة أي كثـيرة الخطَـران، وهـو تحريـك الذنـب ورفعـه، ووصفهـا بالنشـاط مـع أنهـا سـارت الليـل كلّـه، وهـذا أقـوى لمدحهـا.

ثـم يقـول: إنـه يكـسر الإكام، أي يعلوهـا ويتجاوزهـا، بناقـة شـديدة سريعـة كأنهـا ذكـر نعـام، والتشـبيه بالنعـام كثـير في شـعر الجاهليـة؛ لأنـه ظاهـر لهـم في بيئتهـم، ولأن النعـام طـير عظيـم الخِلْقـة، وهـو

اللغة:

شَـدَنِيّة: ناقـة منسـوبة إلى شَـدَن وهـي أرض باليمـن، **والمـصرَّم:** المنقطـع، **وخطّـارة:** كثـيرة الخطَـران بذنبهـا أي تحريكـه، **وغِـبّ الـسُّرى:** بعـده، **والـسُّرى:** مسـير الليـل، **وزيّافـة:** سريعـة، **وتَطِـسُ:** تـضرب ضرباً شـديداً، **والإكام:** جمـع أكَمـة، وهـي التـلّ، **ومِيثَـم:** مـن الوَثْـم وهـو شـدّة الضرب، **وأَقِـص:** أكـسر وأتجـاوز، **والمنسِـمان** مثـنّى منسِـم، وهـو الظفـر المقـدَّم في خـفّ الظليـم، **ومصلّـم:** مقطّـع، **وقُلُـص:** جمـع قَلُـوص وهـي الصغـيرة مـن النَّعـام، **والجِـزَق:** الجماعـات، **وطِمْطِـم:** لا يَبِـين كلامـه، وقُلّـة رأسـه: أعـلاه، **والحـرج:** مركـب يوضـع عـلى البعـير تكـون فيـه المـرأة، كالهـودج، **ومخيـم:** مجعـول كالخيمـة، **وصَعْـل:** صغـير الـرأس، **ويعـود:** مـن العيـادة وهـي الزيـارة، **والأصلـم:** الـذي لا أذن لـه، **والدُّحْرُضـان:** أحدهمـا المـكان المسـمّى اليـوم حَـرَض، وهـو عـلى طريـق الأحسـاء للسـائر مـن مدينـة الخـرج، **والآخـر:** المـكان المسّـمّى (الوَسِـيع) عـلى الطريـق بـين الريـاض والدمّـام، **والـزوراء:** المائلـة، والحيـاض جمـع حـوض، **والدَّيْلَـم:** قـد يُـراد بـه الأعـداء، أو اسـم مـكان يسـمّى اليـوم (الدُّلَيْمِيّـة) في القصيـم، والثـاني أقـرب، **وينـأى:** يبعـد، **والـدَّفّ:** الجانـب، **والوحـشي:** الجانـب الأيمن مـن البهائم، وهـو وحـشي لأنـه لا يركـب منـه الراكـب، **والهـزج** المصـوت، **والمـؤوم:** المشـوه الخلـق، **وجنيـب:** مجنـوب إليـه أي مقـود إليـه، **والمُقَرْمَـد:** المبـنيّ بالقِرْمِيـد وهـو الآجُـرّ، **وسـنداً:** عاليـاً، والمُتَخَيِّـم: صاحـب الخيمـة، **والـرِّداع:** اسـم مـكان يُفهـم مـن تحديـد البلدانيـين لـه أنـه في غـرب القصيـم، **وأجَـشّ:** لـه صـوت، **ومهَضَّـم:** مُخَـرّق مكسَّـر، **والرُّبُّ:** نُقْـل الخمـر، **والكُحَيـل:** القطِـران، **والمُعقَّد:** الـذي أوقِـد تحتـه حـتى انعقـد وغلُـظ، **وحـشَّ:** أوقـد، **والقُمْقُـم:** وعـاء لـه عنـق شـبيه بالإبريـق، **وينبـاع:** يمرّ مروراً ليِّنـاً سريعـاً، **والذِّفْـرى:** العظـم النـاتئ خلـف الأذن، **وجَـسْرة:** قويّـة في سـيرها، **وزَيّافـة:** مسرعـة، **والفَنيـق:** الفحـل، **والـمُكْدَم:** المعضـوض.

22. I never should have made it on this cow
from Shadan: a camel cursed, its milk is gone.

23. The night's march left it twitchy-tailed and strutting,
feet like hammers smashing sand and stone,

24. as if tonight I'm grinding hillocks with
a dock-eared ostrich, feet drawn up and close,

25. and which the chicks will flock to, like a herd
of Yemen's camels chasing a garbled voice.

26. They chase the ostrich's head, draped like a berth
that lies upon a tented bier above;

27. slight-skulled, it turns around to Dhul 'Ushayrah
looking like a lop-eared, fur-decked slave.

28. My camel cow drank up at Duhrudān
then made a mad-eyed sprint from Daylam's wells,

29. as if twisting to flee a beast at night
whose trace is there, whose grumble swells and swells:

30. a tomcat at the flank! each time my mount
turns with rage, this feline bares tooth and claw.

31. The trip left my camel with strong-built back,
raised up on props, like tent-pitchers would draw,

يريد مدح الناقة بأنها نشيطة سريعة.

ولأنه شبّه الناقة بذكَر النعام (الظَّلِيم) ذهب يصف هذا الظَّليم بأنه تجتمع إليه النعام الأخرى، وكأنها جماعات يمانيّة لرجل لا يُبِين الكلام، وهنّ يتبعن وجهته، وينظرن إلى أعلى رأسه، الذي هو -أي الرأس- يُشبه مركباً للنساء على سنام ناقة كالخيمة. وهذا الظَّلِيم صغير الرأس يرجع إلى بيضِهِ، مُشبهاً العبد صاحب الفرو الطويل المقطوع الأذن، واختار التشبيه بالعبد ليبلِغ المتلقي أنه يصف جناحَي الظَّليم الأسودين.

وبعد أن فرغ من التشبيه، وأرضى قريحته بتقصّي جوانب الصورة، رجع إلى ناقته فوصفها بصفات تجعلها من خير النياق، فهي قد شربت من ماء الدُّحْرُضَين (حرَض والوسيع اليوم)، فصارت تنفر من مياه الأعداء، وهذا أدعى لنقاء أصلها، فالجاهلي يحفظ نقاء إبله، يصفها بالأصالة وحفظ العهد، كما يحفظ هو نقاءَ نسبه. وإذا أخذنا معنى (الديلم) على أنه اسم الموضع (الدّليميّة اليوم)، فالمعنى أنها شربت من ماء أعذبَ من ماءٍ عَهِدَتْه في الديلم، فصارت تنفرُ منه.

ولحرصه على وصفها بالسرعة والنشاط وصفها بأنها لشدّة حركتها كأنما تخاف من هرّ يصوّت في العشيّ مشوّه الخِلْقة، ينهش أطرافها، فهي تخافه، وتنفر منه، وهذه صورة تمتلك اللبّ، وتضع تلك الهيئة التي شهدها الشاعر بين أعيننا، وتقرّبها إلى أذهاننا.

وينبغي أن تتنبّه هنا إلى أمر طريف في هذه القصيدة، فهو يشبّه

32. then my camel knelt at Ridā''s waters, groaning
as if kneeling on deep, husky reed flutes;

33. and sweat syrupy thick, like molten pitch
that's used by smiths to heat the sides of pots,

34. flows down its neck—this riding cow, born free,
highstepping, big as a bite-scarred stud.

ثم يأخذ المشبّه به، أو بعض ما أدخله في الصورة فيفصّله؛ لأنه مأخوذٌ بإتمام الصورة الشعرية، حريصٌ على الابتكار فيها، وهنا لما قال: إن الناقة كأنما تخشى هرّاً، ذهب يصف الهرّ، فقال: إنه هرّ جَنيبٌ أي مجنوبٌ إليها مقُود إلى ناحيتها، وإنه كلما أرادت الناقة أن تصيبه اتقاها بيديه وفمه ضرباً لها وخدشاً.

ورجع مرة أخرى إلى الناقة مكمِلاً صورتها، وهي تعاني ذلك السفر الشاقّ، والطريق المتعب، فقال: إنها مع ذلك كلّه بقيت شديدة نشيطة عظيمة، فقد بقي لها سنامٌ عظيم كأنه مقرمَد أي مبنيّ بالآجُرّ لصلابته، وهو عالٍ كأنه دعائم متخيِّم أي صاحب خيمة.

واستمرّ واصفاً الناقة فقال: إنها تئنّ وكأنها حين بركت وحنّت ورَغَت، في الموضع الذي اسمه الرّداع، كأنها بركت على قصب مكسّر له صوت. ولم يكتف الشاعر بذلك في وصف الناقة، فهو يطيل لأنها -على ما قدّمنا- جزءٌ من عالمه الحيوي، وقطعة من عالمه الشعري، فماذا قال؟ لقد قال: إن الناقة لما بركت كان عرقها يسيل من الجهد والتعب، فكأن العرقَ السائلَ قطِرانٌ أوقدت تحته النار فهو يغلي، وهذا العرق يسيل من خلف أذنها -وهي قويّة سريعة شديدة- وكلّ ذلك يقدّم الصورة البدوية الموغلة في تلك البيئة الصحراوية الشديدة.

المشهد السادس

هذا أنا

٣٥. إن تُغدفي دوني القناعَ فإنني طَـبٌّ بأخـذِ الفـارسِ الـمُسْتَلْئِمِ
٣٦. أثني عليَّ بما علمتِ فإنني سهـلٌ مخالَقـتي إذا لم أُظـلَمِ
٣٧. فإذا ظُلِمتُ فإنّ ظلميَ باسلٌ مُـرٌّ مذاقتُـه كطعـمِ العلقـمِ

في هـذا المقطـع تلتهـب مشـاعر الـذات والتفـرّد عنـد الشـاعر البطـل، فيرجـع إلى مخاطبـة المحبوبـة، قائـلاً، وقـد اسـتعدّ ليتحـدّث عـن شـجاعته وبسـالته، وذلـك هـو الخلُـق الـذي عُـرف بـه واشـتُهر: إن تغطّـي وجهـك، وتعـرضي عـني، فمـا ينبغـي لـكِ أن تفعـلي هـذا، فأنـا قـادر عـلى صرْع الأقـران فكيـف أعجـز عـن لفْـت نظـرك إليّ؟ ثـم يسـألها أن تكـون معـه لا عليـه، فيقـول: امدحيـني بمـا تعرفـين مـن خُلقـي، فـإني سـمحٌ لـيّن الخلُـق إذا لـم أُظلَـم، ولكـني إذا ظُلِمـت أنتقـم مـن ظالمـي، وانتقامـي مُـرٌّ كالعلقـم.

إنـه هنـا يلتفـت إلى ذاتـه المظلومـة- وقـد مـرّ بـك أنـه كان محتَقَـراً لسـواده - فيجعـل خطـاب المحبوبـة بدايـة لإنصـاف نفسـه، والتمـدّح بالخصـال الكريمـة، وهـو مـا سـوف تقـرؤه مفصَّـلاً في المقاطـع اللاحقـة.

اللغة:
تغْـدِفي: تُرخـي، **القنـاع:** الخِمـار، **والطَّبُّ:** الحـاذق، **والمستلئم:** الـذي لبـس لأُمَّـةَ الحـرب، وهـي الـدرع، **والـمُخالقة:** مفاعلـة مـن الخُلُـق، أي معايشـتي، **وباسـل:** كريـه، **والعلقم:** كلّ شيء مُـرّ، وقيـل هـو الحنظـل.

35. ‘Ablah, if you unveil to me, what then?
I’m good at crushing armored knights in blood.

36. Admire me for what you know of me
I’m easy when I suffer no abuse,

37. but if I’m wronged, then what I give is harsh,
like vine-of-Sodom’s sharp and bitter juice.

المشهد السابع

الفخر في السِّلْم

٣٨. ولقد شربتُ من المُدامةِ بعدما ركد الهواجرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ

٣٩. بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسِرَّةٍ قُرِنتْ بأزهرَ في الشمالِ مُفَدَّمِ

٤٠. فإذا شربتُ فإنني مستهلكٌ مالي، وعِرْضي وافرٌ لم يُكلَمِ

٤١. وإذا صحوتُ فما أقصّرُ عن ندًى وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

في هذا المقطع يبدأ الشاعر بجعل نفسه هي مدار الكلام، بعد أن هيّأ المتلقي لهذا في المقطع السابق، ففخر بأنه شرب الخمر في آخر النهار بدينار أو درهم مجلوّ أي ناضر المنظر، نقيّ، منقوش عليه، وهذه الخمر مصبوبة من زجاجة ذات نقوش، وبقربها إبريق على فمه خِرقة، أي إنه محفوظ، ومدح النفس بشرب الخمر عادة جاهلية لا يُقصَد بها الخمر نفسُها، بل يُقصَد أنه يعيش كما يعيش الملوك، فهي تُهيّأ له، ويشربها غير خائف من أن تغيِّر أخلاقه، فهو إذا شرب يستهلك مالَه، ويعطي منه، ويتكرّم به، ولكنّه لا يتكرّم بعرضه لمن يريد النيل منه، وإذا صحا من سُكره فإنه يظلّ كريماً، ويختم المقطع بقوله: وذلك كله مما تعرفين من خلُقي.

اللغة:
المُدامة: الخمر، **وركد:** سكن، **والهواجر:** جمع هاجرة، وهي منتصف النهار، **والمَشوف:** المجلوّ، **والمُعْلَم:** الذي عليه علامة كالكتابة ونحوها. **والأَسِرّة:** جمع سِرّ، وهو هنا الخط المنقوش على الكأس، **والأزهر:** الإبريق، **ومفدّم:** مغطّى فمه بالفِدام، وهي الخرقة التي يُشدّ بها على رأس القارورة والإبريق ونحوهما. **والعِرْض:** ما يحميه الإنسان من أهل ومال وغيره، **والوافر:** المكتمل، **ويُكلَم:** يُجرح ويمَسّ بسوء، **والندى:** الكرم، **والشمائل:** الأخلاق.

38. How often did I drink wine in the heat
that seared into the coins I'd spent for draft,

39. from a tawny glass handpainted with lines,
paired with a jug that's sealed and on my left.

40. And when I drink, well, I recklessly spend
my substance and give my honor unasked;

41. then when I'm sober, I still don't hold back
my gifts, as you know from my noble cast.

المشهد الثامن

مشهد بطولة

٤٢. وحليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً تمْكو فَرِيصتُه كشِدْقِ الأعلمِ
٤٣. سبقتْ يدايَ له بعاجلِ ضربةٍ ورَشاشِ نافذةٍ كلونِ العنْدَمِ

ينتقي الشاعر في هذا المقطع مشهداً من مشاهد بطولته، واصفاً فروسيته، والفروسية هي عالم عنترة الذي عُرف به، وهي التي تسيطر على قصيدته، بل على أغلب ما وصلنا من شعره، وهو في هذا يذكّرنا شخصياتٍ أخرى مشابهة في بعض الآداب العالمية، مثل (سبارتاكوس) الذي كان عبداً في الإمبراطورية الرومانية، ثم قاد ثورة للعبيد، وانتصر في معارك كثيرة، وتوفي نحو ٧١ق.م. وكذلك الفارسُ الفارسي المذكور في شاهنامة الفردوسي (رستم)، الذي أحبّ امرأة أيضاً، ولم يستطع الزواج منها إلا بعد انتظار ومشقة.

وشهرة عنترة بالفروسية هي التي جعلت الخيال الشعبي يجعله شخصية أسطورية، ذات بطولات خارقة، والمهم في هذا المقطع أنه يمدح نفسه بأنه يترك الرجل الشابَّ ذا الزوجة الجميلة مصروعاً على الأرض، ولفريصته -وهي العضلة التي بين الكتف والثدي- صوت كصوت رجلِ مشقوق الشفة العليا؛ وسبب اختيار المشبَّه به أن الأعلمَ يَكثُر في كلامه الصفير.

اللغة:
الحَليل: الزوج، **والغانية:** الفتاة الجميلة التي استغنت بجمالها، **والمُجَدَّل:** المصروع على الأرض، **وتمكو:** تصفِر، أي لها صوت، **والفَريصة:** العضلة التي ترتعد عند الخوف وهي بين الكتف والثدي، **والشِّدْق:** جانب الفم مما تحت الخدّ، **والأعلم:** المشقوق الشفة العُليا، **والرَّشَاش:** ما تطاير من الدم، **والنافذة:** الضربة الشديدة التي تنفذ في الجسد، **والعندم:** نبات يسيل منه ماء أحمر.

42. How many good husbands did I lay flat,
blood shrieking like a harelip's hissing jaw;

43. my hands raced on with supple spearhead-thrust,
then sap-red fountains from the gaping maw.

المشهد التاسع

صفات بطل

٤٤. هلّا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

٤٥. إذْ لا أزالُ على رِحالةِ سابحٍ نَهْدٍ تعاورُه الكُماةُ مُكَلَّمِ

٤٦. طوراً يُجَرَّد للطعان وتارةً يأوي إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ

٤٧. يخبرْكِ من شهدَ الوقيعةَ أنني أغشى الوغى وأعِفُّ عند المَغنَمِ

في هذا المقطع تمتزج مشاعر الحبّ ومشاعر الفخر بالنفس، وهنا تظهر شخصية عنترة الممتلئة بالعزّة والأَنَفة، إذ يقول طالباً من المحبوبة أن تسأل عنه الخيل، ولن تجد هي أصدق من الخيل في وصف شجاعته، وطلبُه السؤالَ منها ليس لأنها جاهلة به، ولكنْ ليحقّق ارتواءً لشعوره النفسي، وليدخل إلى الفخر من باب واسع، ولو سألتْ عبلة الخيلَ عنه، وأصحاب الخيل، فسوف تشهد له بأنه كان على سرْج فرس شديدة سريعة مرتفعة، وهو يقصد ارتفاعه النفسي على من يحاربه، والفرس التي هو عليها تصيبها الطعنات فهي مجرّحة، فحيناً يدخل بها في صفوف الأعداء، وحيناً يرجع إلى جماعته وهم كثيرون أصحاب قَسِيّ.

إنه يقول في اعتداد شديد بالنفس، وفي رغبة عارمة في إظهار شخصيته الحقيقية: من شهد تلك الحرب، يا عبلة، يشهد أنني صاحب خلقين رفيعين: الأول الإقدام على الحرب والقتال، والثاني الإحجام عند اقتسام الغنائم. وهاتان الصفتان العاليتان أهمّ ما عُني الفرسان بالفخر بهما؛ لأن فيهما مظهر الشخصية الكاملة.

اللغة:
هلّا: كلمة تُقال للتحضيض على الشيء، **والرِّحالة:** السَّرْج، **والسابح:** الفرس، **ونَهْد:** الغليظ المرتفع، **وتعاورُه:** أصله تتعاوره، أي تأخذه من كلّ جهة، **والكُماة:** جمع كَمِيّ، وهو الشجاع، **ومكلَّم:** مجَرَّح، وطوراً: مرّة، **يُجَرّد:** يُخرَج، **وحَصِد:** قويّ مستحكم النشاط، **والقِسِيّ:** جمع قوس، **وعَرَمْرَم:** كثير، **والوَقِيعة:** المعركة، **وأغشى:** أدخل، **والوَغى:** الصوت في الحرب.

44. Why don't you, Mālik's daughter, ask the horsemen
about matters that you can scarcely know?

45. How I can stay atop a burly beast
swimming through knights who charge him blow by blow;

46. now I open my horse to spear-thrusts, now
it harvests a crop of countless cuts.

47. Those who saw the thing will tell you how
I rush into the fray and flee from loot.

المشهد العاشر

مشاهد الحرب

٤٨. ومـدجَّجٍ كـرهَ الـكُمَاةُ نزالَه ... لا مُـمْعِنٍ هـرَباً ولا مستسـلِمِ

٤٩. جادتْ يداي له بعاجلِ طعنةٍ ... بمثقَّفٍ صَـدْقِ الكُعُـوبِ مُقَوَّمِ

٥٠. برَحيبةِ الفَرْغينِ يَهدي جرسُها ... بالليـلِ مُعْتَسَّ الـذئابِ الضُّرَّمِ

٥١. فشـكَكْتُ بالـرمحِ الأصمِّ ثيابَـه ... ليـس الكريمُ على القنـا بمُحرَّمِ

٥٢. فتركتُـه جَـزَرَ السـباعِ يَنُشْـنَه ... مـا بـين قُـلّة رأسِـه والمِعْصَمِ

٥٣. ومَسَكِّ سابغةٍ هتكتُ فروجَها ... بالسيفِ عن حامي الحقيقةِ مُعلَمِ

٥٤. رَبِـذٍ يـداهُ بالقِـداحِ إذا شـتا ... هتّـاكِ غـاياتِ التِّجـارِ مُلَـوَّمِ

٥٥. لـمّا رآني قـد نزلـتُ أريـدُه ... أبـدى نواجـذَه لغـيرِ تبسُّمِ

٥٦. فطعنتُـه بالـرُمحِ ثمّ علوتُـه ... بمهنَّـدٍ صـافي الحديـدةِ مِخْـذَمِ

٥٧. عهـدي بـه مَـدَّ النهـارِ كأنّمـا ... خُضِـبَ البَنانُ ورأسُـه بالعِظْلِمِ

٥٨. بطـلٍ كأنّ ثيابَـه في سرحـةٍ ... يُحذَى نعالَ السِّـبْتِ ليس بتوأمِ

هنا لوحة ثانية يفخر فيها عنترة بموقف بطولي واجه فيه عدوّاً، ومن عادة العربي أن يمدح خصمه في الحرب بالشجاعة والرجولة وكمال الاستعداد للحرب، لأنه بهذا يزيد من فخره بنفسه، إذ هو يواجه خصماً شديداً لا ضعيفاً، فماذا قال عنه؟ لقد وصفه بأنه لبس سلاحه كلّه، وكره الرجالُ الشجعانُ منازلتَه؛ لمعرفتهم بشدّة بأسه، وهو ممّن لا يهربون ولا يستسلمون، قال: ومع ذلك فقد عاجلتُه بطعنة بالرمح المقوّم المسوّى، فمزّقت ثيابه، ثم قال: ليس الكريم على الموت بمحرّم، أي إنني قتلت رجلاً شجاعاً كريماً، ويُفهم من قوله هذا أنه لا يقتل إلا الشجعان الكرام، لا الأوغاد اللئام، وفي كل ذلك زيادة في الفخر.

ثم ماذا؟ وقع ذلك الخصم الشديد قتيلاً فتناوشته السباع، تأكله من رأسه إلى معصمه، ولم يكتف عنترة بذلك، بل زاد صورةَ شجاعتِه وإقدامِه وأفعالِه الكبيرة إيضاحاً وتفصيلاً؛ ليتمدّح بذلك كلّه أمام عبلة وقومها، فقال: إن الدرع السابغة القوية الصنع

اللغة:
مدجّج: مكتمل السلاح، **والنِّزال:** المنازلة في الحرب، **ومثقَّف:** رمح مقوّم مصلَح، وصَدْق: صُلب، **والكُعوب:** العُقد التي تكون في أنبوب الرمح، **ومقوّم:** مسوًّى قد أُعِدّ للطعن، **والرَّحيبة:** الواسعة، **والفَرغان:** مثنّى فَرْغ، وهو في الأصل مصبّ الماء من الشعاب والأودية، وأتى به هنا استعارةً، **والجَرْس:** الصوت، **والمُعتَسّ:** الطالب للصيد، **والضُّرَّم:** الجياع. **وشكَكْت:** ضربت ضرباً منتظماً، **والأصمّ:** الصُّلْب، **والقَنا:** الرماح، وجَزَر **السباع:** أي مجزوراً مقتولاً تأكله السباع، **ويَنْشْنَه:** يتناولنَه، وقُلة **الرأس:** أعلاه، **والسابغة:** الدرع، ومَسَكُّها موضع المسمار منها، **والفُروج:** أوساط الدرع، **والمُعلَم:** الذي له علامة يُعرف بها، **وزَبِذ:** سريع الضرب، **والقِداح:** جمعُ قِدْح، وهو ما يُستعمل في الميسر والقمار، وضربه هنا مثلاً على خفّته، **وشتا:** دخل في الشتاء، **وهتّاك:** شديد الهتْك، **وغايات:** علامات ورايات، **والتِّجار:** الخمّارون، **ومُلوَّم:** يُلام كثيراً على إنفاق ماله، **والنواجذ:** أواخر الأضراس، **والمهنّد:** السيف، **ومِخْذَم:** قاطع، ومدَّ **النهار:** أوله، **والبنان:** الأصابع، **والعِظْلِم:** نبات يُخضَب به، **والسَّرْحة:** شجرة عظيمة، **ويُحذَى:** يُلبَس، ونعال **السِّبْت:** مدبوغٌ جلدُها بنبات يُسمّى القَرَظ.

48. How many bristling foes shunned by all warriors,
nor quick to flee nor apt to yield in fear,

49. have my hands blessed with lunges quick and light
from a well-tempered, tall and strong-backed spear,

50. as I land two-edged gashes with a thud
that in the night makes hungry wolves advance.

51. I split both mail and frock with my great pike—
even the best are not safe from my lance!—

52. then leave him carrion for beasts to dine,
all of him, from his head down to his wrists.

53. And tight-linked armor did I rip with sword
from off the standard bearer in their midst.

54. He was lavish! Deft hands at dice in winter,
he wrecked the pub's supply and closed the inn.

55. When he saw me come down to take his life,
he flashed his teeth—only not in a grin.

56. I rammed him with my lance, then overtook
him with a shiny, keen-edged Indian blade;

57. midday I saw him caked with blood, as if
his head and hands with indigo were stained.

58. A born hero, like a Meru tree in clothes;
reared strong in leather boots, an only boy.

قد تقطّعت تحت ضربات سيفه، ولكن من كان تحت تلك الدرع؟ إنه خصمه الذي وصفه بأنه يحمي قومَه، وهو مشهور فيهم مُعلَّم بعلامة تُـمَيزه عن غيره، وهو -أي الخصم- مشهور في قومه بأنه يدخل في الميسر، ويضرب بالقداح، ويُنفق ماله، ويشرب الخمر، وكلّ تلك من صفات الكريم عندهم، فهو مشارك في العسر واليسر، كريم جواد.

وأراد عنترة أن يلتقط صورة جانبية يرى فيها متعته الفنية والنفسية، فقال: إن ذلك الخصم الشجاع لما رأى عنترة يمشي إليه، نازلاً عن فرسه، شاهراً سلاحه، ظهرت نواجذه، مكشِّراً، لأنه معتادٌ على مقارعة الأبطال، فعاجله عنترة بالرمح فطعنه، ثم زاد أن ضربه بالسيف القاطع، وهنا مشهد بطولي قد يبلغ مبلغ الأسطورة الخارقة؛ لأنه يصف نفسه بأنه كان يحمل الرمح والسيف معاً، وأنه اقتدر على ضربتين متواليتين، واحدة بالرمح، وثانية بالسيف، ثم إنه لما خرّ الخصم صريعاً في أول النهار، وتحديد أوله لمزيد من الفخر بأنه لا يعجز عن قتل الأبطال سريعاً، لما خرّ وتضرّج بدمه، صار كأن رأسه وأصابعه صُبغت بعُصارة نبات العِظْلِم.

ثم هل اكتفى عنترة بتلك الأوصاف للخصم؟ لا فقد زاد أن وصفه بضخامة الجسم، فكأن ثيابه على سرحة عظيمة، وهو ممن يُلبَس تلك النعال الكبيرة، وقد وُلِد -أي الخصم- وحيداً ليس له توأم، والتوأم -في العادة، وفي ظنّهم الغالب- يكون أضعف من غيره. فهذا الخصم لم يكن ضعيفاً.

وهذا يؤكّد ما ذُكر سابقاً من أن العربي يفخر بقتل الشجعان المشهورين، فمدحه للخصم القتيل مدح لنفسه، ثم فيه زيادة فخر بالشجاعة وشدة البأس؛ لأنه إذا كان يستطيع قتل الفارس الشجاع فهو على من دونه أقدر.

المشهد الحادي عشر
موقف مع المحبوبة

٥٩. يا شاةَ ما قَنَصٍ لمن حَلّتْ له ... حرُمت عليَّ وليتها لم تحرُمِ
٦٠. فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي ... فتجسسي أخبارها لي واعلمي
٦١. قالت: رأيتُ من الأعادي غِرّةً ... والشاةُ ممكنةٌ لمن هو مرتمي
٦٢. وكأنما التفتتْ بجِيدِ جَدايةٍ ... رشأٍ من الغِزلانِ حُرٍّ أرثَمِ

انتقل الشاعر في هذا المقطع انتقالاً مفاجئاً إلى المرأة، وهي المحبوبة عبلة التي ذكرها في أول القصيدة، رجع إليها بعد أن أدخلنا في معمعة الحرب والضرب والطعن، ومشاهد الدماء، وهو لم يفعل ذلك؛ إلّا لأنه يريد الفخر بنفسه وهي تسمع.

فقال: أحببتُ امرأة كأنها أنثى بقر الوحش صالحة للصيد، أي للتخزّل بها والتقرّب منها، قيل: وصفها بأنها محرّمة عليه، لأنها جارته، أو امرأة أبيه، والأقرب أنه أراد أنها محرّمة عليه؛ لما بين قومه وقومها من العداوة. وها هنا صورة لطيفة يضعنا الشاعر فيها، فهذا البطل الذي يقتل الشجعان ويضرب بالسيف والرمح، ضعيف تُجاه الحب، فها هو يستعين بجاريته، لتتجسس على المحبوبة وقومها، وها هي ترجع قائلة: إنه يمكنك أن تجد فرصة إن أردت صيد الغزالة.

إنه اجتماع الخصلتين اللتين يُظنّ أنهما متناقضتان، غير أن النفس البشرية يمكن أن تحويهما، خصلة الضعف تُجاه الجمال، والارتماء عنده، وخصلة الشجاعة وشدة البأس والفتك بالعدوّ؛ ولهذا رقّ عنترة رقةً شديدة فشُغِل بوصف المحبوبة بأنها كالظبية الصغيرة التي من صفاتها الرثَم وهو البياض أو السواد في الشفة العليا.

اللغة:
الشاة هنا شاة بقر الوحش، وهي من كرائم الصيد عندهم، وكنّى بها عن المرأة، **والقَنَص:** الصيد، **والتجسّس:** تعرّف الأحوال في السرّ، **والغِرّة:** الفرصة، **والمُرتمي:** الصائد، **والجَداية:** الظبية الصغيرة، وكذلك الرَّشأ، **والأرثم:** الذي في شفته العليا بياض أو سواد.

59. O fawn, why can't I hunt you, but they can?
I wished to God that I could chase this doe.

60. I sent my handmaid to her: Go and find
what news of her, then tell me. Don't you wait!

61. She said: I saw the foes were off their guard
and the fawn's there to have if you shoot straight,

62. then turned like a snub-nosed gazelle would turn,
with spotted lip, offering its tender throat.

وهـذا الأمـر، أعـني اجتمـاع الرقـة والشـدة في شـخصية واحـدة يظهـر في ثقافـات شـعوب عـدّة، وفي نتـاج أدبي متعـدد اللغـات، ففـي الأدب الفرنـسي مثـلاً نلتقـي شـخصية (سـيرانو دي برجـراك) الـذي كان بطـلاً شـاعراً، ولكـنّ دمامتـه وكـبَر أنفـه سـبّبا لـه عقـدة شـديدة، وكان فارسـاً شـديداً عـلى خصومـه، كثـير الانتصـار عليهـم، ومـات مقتـولاً كعنـترة. فصِفَتـا (الشـاعر والفـارس) تجتمعـان فيـه، وفي كلامـه تظهـر خصلتـا الحـب والبطولـة الخارقـة. فهـو شـبيه بعنـترة مـن هـذا الجانـب.

المشهد الثاني عشر
من صور البطولة

٦٣. نُبِّئتُ عَمْراً غيرَ شاكرِ نعمتي والكفرُ مَخْبَثَةٌ لنفسِ المُنعِمِ
٦٤. ولقد حفظتُ وَصاةَ عمّيَ بالضحى إذْ تقلِصُ الشفتانِ عن وَضَحِ الفمِ
٦٥. في حومةِ الموتِ التي لا تشتكي غمراتِها الأبطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ
٦٦. إذْ يتقون بي الأَسِنّةَ لم أَخِمْ عنها، ولكنّي تضايَقَ مُقدَمي
٦٧. لمّا سمعتُ نداءَ مُرّةَ قد علا وابني ربيعةَ في الغبارِ الأقتمِ
٦٨. ومحَلِّمٌ يسعون تحت لوائهم والموتُ تحت لواءِ آلِ مُحَلِّمِ
٦٩. أيقنتُ أنْ سيكونُ عند لقائهم ضربٌ يُطِيرُ عن الفراخِ الجُثَّمِ

هـا هنـا تجيـش نفـس عنـترة الفـارس المجـرّب للأهـوال، فيبـدأ مقطعـه هـذا بالإشـارة إلى مـن سـمّاه عَمْـراً، ذاكـراً أنـه لـم يشـكر نعمتـه، ثـم أطلـق حكمـةً تصلـح لـكلّ زمـان ومـكان، وهـذه الظاهـرة -أعـني إرسـال الكلمـة الحِكميـة- شـائعة في شـعر القدمـاء، بـل ربمـا تكـون مـن دلائـل براعـة الشـاعر عنـد بعـض النقـاد، لأن الحكمـة تحفـظ الشـعر، وتجعلـه سـائراً عـلى الألسـن، ومفهـوم هـذا الشـطر الـذي صـار حكمـة هـو أن مـن يقـدّم الخـير للنـاس، فـلا يشـكرونه عليـه، يجعلـه يكـفّ عـن تقديـم الخـير للنـاس، فـكأن نفسـه خبُثـت بسـبب ذلـك الكفـر.

إن الرغبـة في بقـاء الأثـر هـي الـتي جعلـت جمهـرة مـن الشـعراء يكـثرون مـن الحكمـة في قصائدهـم، كزهـير وأبي تمـام والمتنـبي، وكانـت نفوسـهم وعقولهـم مسـتعدة متهيّئـة لأن تصـوغ المعـنى العميـق، في ألفـاظ قليلـة وتراكيـب سـهلة.

ثـم يرجـع عنـترة إلى نفسـه، فيخـبر أنـه حفـظ وصيـة عمـه، وهمـا في موقـف تتقلّـص فيـه الشـفاه مـن الـروع، وهـو موقـف الحـرب، ولكنـه موقـف يكـون فيـه الأبطـال صابريـن، وإن شَـكَوْا فشـكواهم بصـوت

اللغة:
مَخْبَثَـة: يـورّث الخَبَـث، والتـاء فيـه ليسـت للتأنيـث بـل للمبالغـة، **الوَصـاة:** الوصيّـة، وتقلـص: تتشـنّج وترتفـع، **ووضّـح الفـم:** مـا يتبـيّن منه، **وحومـة المـوت:** المـكان الـذي تشـتد فيـه الحـرب، **والغَمـرات:** الشـدائد، **والتَّغَمْغُـم:** التحدث بصوت الذي لا يُفهـم، **والأسـنّة:** جمـع سـنان، وخـام عـن الـشيء **يَخِيـم:** جـبُن فتراجـع، **والمُقْـدَم:** موضـع الإقـدام. **ومُـرّة وابنـا ربيعـة ومحلِّـم** مـن الرجـال المشـاركين في الحـرب، **والأقتـم:** المائـل إلى السـواد، **والجُثَّـم:** جمـع جاثـم، أي بـاقٍ في عشّـه، وفي التركيـب مفعـول بـه محـذوف، **وتقديـره:** يُطـيرُ الهـامَ عـن الفـراخ، **والهـام:** جمـع هامـة، وهـو الـرأس.

63. I was warned: ʻAmr didn't care for my gifts,
which carelessness can sink a giver's heart.

64. Well did I keep my uncle's words at morn
as his lips curled back from clear white teeth,

65. grimacing in pangs of death, which true heroes
do not deplore except with muffled breath.

66. My battlemates pressed me into the pikes:
though trapped, I held on fast and didn't run.

67. When in the battle's dust I heard the cry
of Murra go up; and Rabīʻa's sons

68. with Muhallim they strove below their banner,
while death itself stood near Muhallim's flag,

69. I knew that meeting them would bring a clash
so strong, it could drive a bird from her eggs.

يُسمع ولا يُفهم، وليس كتصويت الجبناء أو الضعفاء. ثم يقول، ونفسه تجيش أنفةً واعتداداً: في موقف الحرب كان الناس يتقون بي الأسنّة، أي يجعلونني بينهم وبينها، وهذا أعظم مظاهر الفخر، فهو قطب قومه، وغوثهم الذي إليه يفزعون، ولكنه هنا يصرّح بأنه في ذلك الموقف لم يجبن وإن لم يستطع التقدّم.

ثم يدخل عنترة في بعض تفاصيل الحرب، فيذكر أنه رأى وسمع بعض من سمّاهم من الأبطال الذين اشتركوا في الحرب، موقناً أنه سيقع قتال شديد، تطير بسببه الرؤوس عن الأعناق، وفي التعبير مجاز ظاهر، فقد عبّر بالفراخ، وهو يريد الرجال، وكأنه سيُثكِل الأمهات بقتل أولادهنّ.

المشهد الثالث عشر
في معمعة الحرب

٧٠. لما رأيت القوم أقبل جمعُهم ... يتذامرون كررتُ غيرَ مُذَمَّمِ
٧١. يدعون عنترَ والرماحُ كأنّها ... أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الأدهمِ
٧٢. ما زلتُ أرميهم بغُرّةِ وجهه ... ولَبانِه حتى تَسَرْبَلَ بالدمِ
٧٣. وازْوَرّ من وقعِ القنا بلَبانِه ... وشكا إليَّ بعَبْرةٍ وتحَمْحُمِ
٧٤. لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ... ولَكان لو علم الكلامَ مُكلّمِي
٧٥. والخيلُ تقتحمُ الخَبارَ عوابساً ... من بين شَيظَمةٍ وأجردَ شيظمِ
٧٦. ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمَها ... قِيلُ الفوارسِ: وَيكَ عنترَ أقدمِ
٧٧. ذُلُلٌ ركابي، حيثُ شئتُ مُشايعي ... قلبي، وأحفِزُه بأمرٍ مُبرَمِ
٧٨. ولقد خشِيتُ بأن أموتَ ولم تدُرْ ... للحربِ دائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَمِ
٧٩. الشاتمَيْ عِرضي ولم أشتِمهما ... والناذِرَين إذا لم ألْقَهما دمي
٨٠. إن يفعلا فلقد تركتُ أباهما ... جزَرَ السباعِ وكلِّ نسرٍ قَشْعَمِ

في هذا المقطع دخل الشاعر إلى تفصيل بعض ما وقع في الحرب، فقد كان واقفاً يستعد لخوض غمارها، فرأى جمع الأعداء يحضّ بعضُهم بعضاً على القتال، فكرّ عليهم، أي هجم، ودخل غمار الحرب، وهو في أثناء ذلك يسمع أصحابه ينادونه: يا عنترة، وكانت الرماح قد بدأت تسقط على جواده ومن حوله، حتى صارت وهي منغرزة في صدره كحبال بئر، ومع ذلك فقد تابع القتال، وأقدم عليهم يتقدّمه صدر جواده ووجهه، حتى اكتسى الجواد دماً.

وها هنا تقتحم القريحة الشعرية الموقف، وإذا بالجواد يميل برأسه إلى عنترة، ويشكو إليه بدمعة وصوت أقل من الصهيل، قال: ولو كان هذا الجواد يعقل ويتكلم لقال ما لم يقله بالدمع والصوت الخفيّ.

وفي أثناء ذلك كان وطيس المعركة حامياً، فالخيل بذكورها الطوال وإناثها تقتحم الأرض الليّنة، ولم يجد ما يشفي نفسَه في ذلك

اللغة:
يتذامرون: يحضّ بعضهم بعضاً على القتال والثبات في الحرب، **والأشطان:** الحبال التي تُمدّ في البئر، **واللَّبان:** الصدر، **والأدهم:** الفرس ذات اللون الذي بين البياض والسواد، أو هو الأسمر، **وغُرّة الوجه:** مقدَّمه، **وتسربل:** اكتسى، **وازْوَرّ:** انعطف مائلاً، **والقنا:** الرماح، **والعَبْرة:** الدمعة، **والتَّحَمْحُم:** صوت متقطّع أقلّ من الصهيل، **والخَبار:** الأرض اللّيّنة، **والشيظمة:** الفرس الطويلة، **والأجرد:** القصير الشعر، **والشَّيظم:** الجواد الطويل، و **وَيْكَ:** مكوّنة من كلمتين، وَي: وهي كلمة تُقال للتنديم إن لم يفعل المخاطَبُ ما يُؤمر به، والكاف للخطاب، وقيل: هي مخففة من (ويلك). **وذُلُل:** جمع ذَلُول، **والرِّكاب:** الإبل، **ومشايعي:** مصاحبي، **وأحفزه:** أدفعه، **والمُبْرَم:** المُحكَم. وابنا ضَمْضَم هما هَرِم وحُصين المُرّيان، **ونذر دمَه:** أي توعَّده بالقتل، وكافأ من يقتله، **وجزّر السِّباع:** مجزوراً مقتولاً تأكله السباع، **والقَشْعَم:** النسر الكبير.

70. When I saw the nemesis charge en mass
and goad each other, flawlessly I pressed.

71. ‘Antarah! they taunted, with taut spears
like pulley-ropes dug into my stallion’s chest.

72. And on and on I charged the steed at them,
withers and throat, till all in blood was dyed.

73. My horse pulled back from lances at its front
and whimpering, it protested and cried;

74. had it the gift of gab, it would complain,
and could it speak at all, would vex my ears.

75. Baying, the horses dove into the earth,
whether long-bodied stallions or giant mares;

76. my soul was sick and cursed, but all was healed
when my comrades cried out, Go ‘Antarah!

77. My camels all submit. Wherever I go,
there goes my heart, alive with anima.

78. I’d hate to die before the Wheel of Death
has ground these boys of Damdam into rot,

79. who mocked my honor when I hadn’t theirs
and craved my blood before we’d even fought.

80. And if they act? Well, I left their father dead,
a dinner for hyenas lame and stout!

الموقـف سـوى سـماعه أصـوات الفـوارس الأبطـال مـن قومـه يقولـون لـه: أقْـدِم يـا عنـترة. إنـه الارتـواء النفـسي الـذي كان يبحـثُ عنـه، بـأن يكـون كهـفَ قومـه في هـذه الحـرب، وملاذَهـم، وأن يُنـادى ولا يُنـادى سـواه في هـذا الموقـف العصيـب.

ولمـاذا لا يكـون كذلـك وإبلـه الـتي يحـارب بهـا مـع قومـه مذَلّـلَة سـمحة مطواعـة لأيـدي رُكّابهـا؟ وكيـف لا يكـون كذلـك ولـه قلـب يسـايره ويصاحبـه في هـذا الموقـف، وهـو قلـب الشـجاع الفـارس البطـل، الـذي يدفعـه إلى الحـرب بأمـر محكـم قـد استعدّ لـه وتهيّـأ؟

لقـد امتـلأت قصيـدة عنـترة بهـذه المشـاهد الحركيـة الحيّـة الـتي تشـخّص تلـك المواقـف المهُولـة تُجـاه أعيننـا، وهـذه مـن خصائـص هـذه المعلَّقـة الخالـدة.

وكان عنـترة قـد قتـل ضمضماً الـمُرّي، فتوعّـده ابنـاه هـرِم وحُصـين، ولهـذا قـال: إنهمـا يشـتمانه، ويتوعّدانـه بالانتقـام، ويُهـدران دمـه، ولكنهمـا -عـلى مـا يقـول- أجـبنُ مـن لقائـه، ولهـذا فهمـا نـذرا دمَـه إذا لـم يلقَهمـا، أمـا إذا لقيهمـا فهمـا يخشـيانه ولا يُقدِمـان عليـه في الحـرب. وهـا هـو عنـترة يختـم قصيدتـه ببيـت يجعلـه يمـلأ نفسـه فخـراً، ونفـوسَ أعدائـه وجَـلاً، إذ قـال: إنْ يفعـل ذانـك الرجـلان مـا فعـلا مـن الشـتم وإهـدار الـدم، فقـد قتلـت أباهمـا ضمضماً شرّ قِتْلـة لـه، وأكـرم قتلـة لي؛ إذ قتلتُـه في الحـرب، فأكلتـه السـباع والنسـور.

لقـد أرضى عنـترة نفسـه الطامحـة إلى الإنصـاف، الراغبـة في إظهـار تفرّدهـا، بهـذا النشـيد البطـولي المحتـدم، الـذي ابتـدأه بذكـر المـرأة، ولـم يتركهـا في تضاعيـف القصيـدة، ومـلأه بالفخـر ببطولتـه وفروسـيته الـتي صـارت مـضرب الأمثـال، ومـع ذلـك تظـل القصيـدة جـزءاً مـن شـعره كلـه، فهـي لـم تنتـه، بـل تجـدُ صداهـا في قصائـده الثابتـة الأخـرى، فمـا فصّلـه هنـا تجـده مجمـلاً في قصيـدة أخـرى، ومـا أجملـه فصّلـه هنـاك، فـكأن ديـوان شـعره قصيـدة خالـدة في الفروسـية والحـب والشـجاعة..

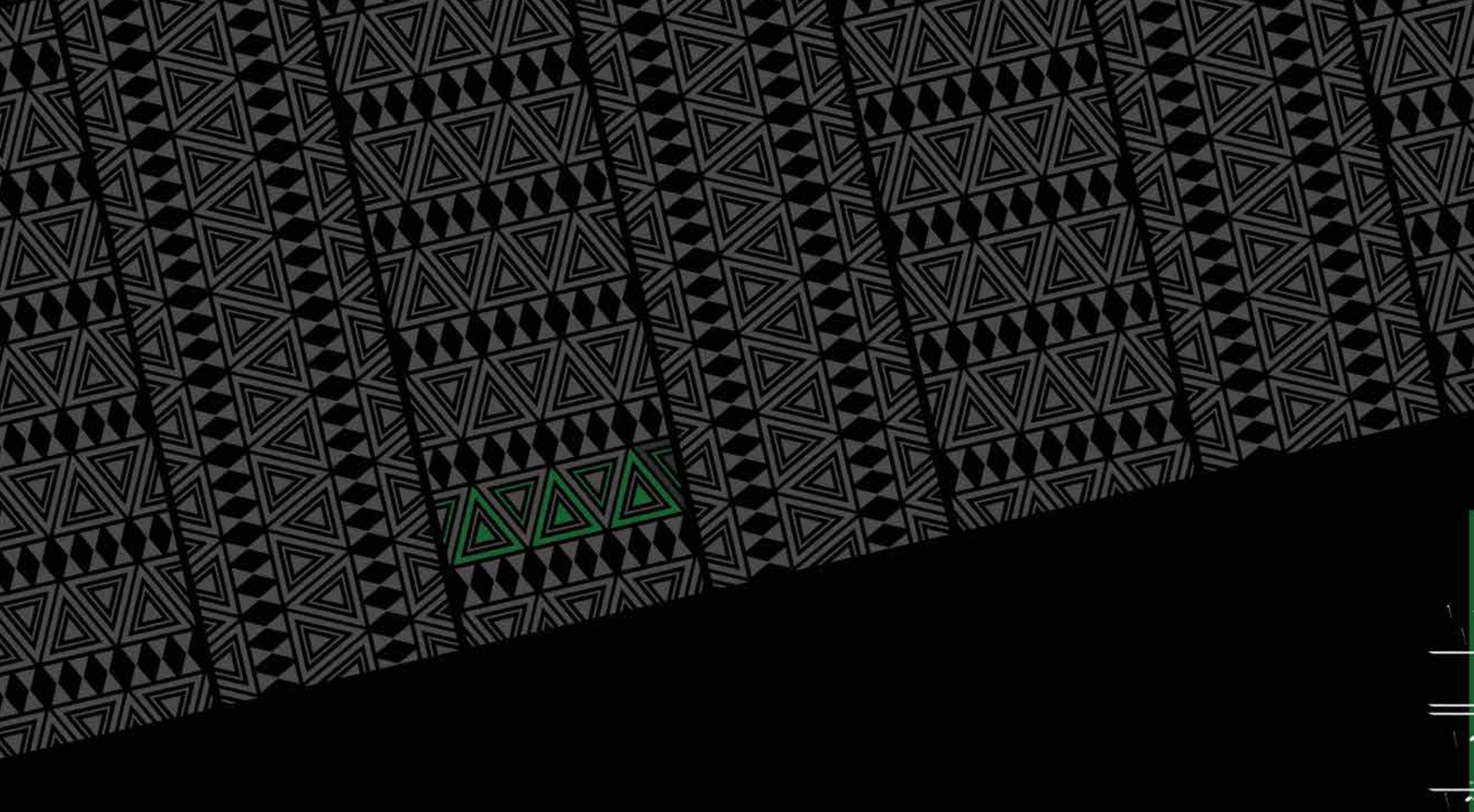

الحارث بن حلزة

Al-Ḥārith ibn Ḥillizah

من دفاتر الانتصار

From the Records of Victory

The Muʿallaqah of Al-Ḥārith ibn Ḥillizah
From the Records of Victory

Introduction and Translation by: Kevin Blankinship

معلَّقة الحارث بن حِلّــزة اليَـشْـكـُري
من دفاتر الانتصار

مقدمة وشرح: صالح الزهراني

هـو الحـارث بـن حِلّـزة اليشـكُري، مـن أشراف بـني يشـكر مـن قبيلـة بكـر بـن وائـل وحكمائهـا، الذيـن يُلجـأُ إليهـم في أوقـات المحـن والشـدائد. لا نجـد عنـه في كتـب الـتراث مـن الأخبـار مـا يكشـف معالـم شـخصيته، سـوى أنـه كان مصابـاً بالـبرص، وأنّـه كان شـديد الفخـر بقبيلتـه حـتى قيـل في المثـل: أفخـر مـن الحـارث بـن حلّـزة.

اختلـف المؤرخـون في عـدد أبنائـه، فقـد ذكـر ابـن قتيبـة أنّ لـه ولـداً اسـمه مذعـور، وقـال الميـداني: إنّ لـه ولـداً آخـر اسـمه عمـرو. أدرك في آخـر حياتـه عمـرو بـن هنـد ملـك الحـيرة، وأنشـد معلقتـه أمامـه وعمـره مئـة وخمـس وثلاثـون سـنة، عـلى مـا يذكـر ابـن الأنبـاري. قيـل إن ديانتـه كانـت النصرانيـة؛ وهـي الديانـة الـتي كانـت تديـن بهـا قبيلـة بكـر بـن وائـل في جاهليتهـا.

سـكنت قبيلـة بكـر بـن وائـل الجزيـرة العربيـة وبـلاد البحريـن، وانتقلـت بعـد ذلـك إلى العـراق وبـلاد الشـام، واسـتوطنت فيمـا يعـرف الآن بديـار بكـر جنـوب تركيـا. تـوفي عـام ٥٨٠م عـلى وجـه التقريـب.

Sometime in the middle of the 6th century AD, the mighty Arabian tribes of Bakr and Taghlib were, like so many other tribes, at war with each other.

To restrain the violence, ʿAmr ibn Hind, son of a powerful king, took 100 hostages from each side and made them go with him on military raids.

One day, according to reports, all the hostages from Taghlib died in a deadly sandstorm, which outraged Taghlib's leaders and led to demands for recompense.

King ʿAmr gathered envoys from Bakr and Taghlib for disputations and truce making. Each tribe's spokesman gave his speech as an ode recited before the king, thus entering them in the canon of pre-Islamic poets.

The representative from Taghlib was ʿAmr ibn Kulthūm, author of one of the other ten Muʿallaqāt; for Bakr, the spokesman was al-Ḥārith ibn Ḥillizah, author of the present poem.

We know less about al-Ḥārith than any other Muʿallaqah poet. Accounts differ on the details of his disputation with ʿAmr ibn Kulthūm. In one retelling, King ʿAmr takes 80 hostages, not 100, and they die in battle rather than a blazing desert simoom.

All versions have al-Ḥārith, already in his hundredth year and stricken with leprosy, composing his Muʿallaqah on the spot.

Because his skin was spotted with disease, al-Ḥārith recited from behind a veil, but he so impressed the king that he had the veil removed and said, "Let him come nearer, let him come nearer." As to the poem itself, many have rejected al-Ḥārith's Muʿallaqah as inferior.

المعلَّقة

الحـارث شـاعرٌ مقـلّ، جعلـه ابـن سـلّام صاحـب طبقـات فحـول الشـعراء مـن الطبقـة السادسـة مـن شـعراء الجاهليـة، وعـدّه أبـو عبيـدة أجـود الشـعراء الذيـن قالـوا قصيـدة واحـدة جيـدة طويلـة. وديوانـه الـذي بـين أيدينـا يـدل عـلى ذلـك، فليـس لـه فيـه إلا قصائـد قليلـة العـدد والأبيـات، وبعـض المقطعـات.

لـم يشـتهر للحـارث إلا معلقتـه هـذه الـتي أنشـدها في مجلـس الملـك عمـرو بـن هنـد في مجلـس صلـح بـين بكـر وتغلـب، فقـد ذكـر ابـن الأنبـاري أن عمـرو بـن هنـد أصلـح بـين القبيلتـين في بعـض حروبهـا، وأخـذ مـن كل قبيلـة مائـة غـلام رهنـاً لديـه؛ ليضمـن اسـتتباب الأمـن، وكان يصطحبهـم معـه في غزواتـه، ورحلاتـه.

وفي يـوم مـن الأيـام أصابـت النـاس سـمومٌ مـات بسـببها أبنـاء تغلـب، فطلـب التغلبيـون ديـات أبنائهـم مـن البكريـين، فأبـت قبيلـة بكـر، فاحتكمـوا إلى عمـرو بـن هنـد.

وقيـل: إن سـبب مـوت أبنـاء تغلـب أنهـم كانـوا رعـاة، فـوردوا عـلى مـورد مـاء فمنعهـم البكريـون فماتـوا ظمـأً في الصحـراء، فطالبوهـم بدياتهـم فأبـوا، فاحتكمـوا إلى الملـك في خصومتهـم.

وللصلـح بـين القبيلتـين رشـحت قبيلـة بكـر شـاعرها النعمـان بـن هـرم متحدثـاً رسـمياً باسـمها، فالتقـى بـه شـاعر قبيلـة تغلـب عمـرو بـن كلثـوم (وهـو أحـد شـعراء المعلَّقـات)، فقـال لـه -وقـد كان ثقيـل السـمع-: يـا أصـمّ، جـاء بـك أولاد ثعلبـة تدافـع عنهـم وهـم يفخـرون عليـك، فاشـتدّت الخصومـة بـين الشـاعرين، فتكلـم النعمـان بـكلام لا يليـق في حـضرة الملـك حـتى اشـتد غضـب الملـك منـه ، وهـمّ بقتلـه.

هنـا قـام الحـارث بـن حلّـزة وكان بـه بـرص، وكان عمـرو بـن هنـد لا ينظـر إلى أحـد بـه سـوء، فارتجـل قصيدتـه ارتجـالاً متكئـاً بقـوة

The Poem

Premodern Arab critics like al-Marzubānī and Abū ʿAmr al-Shaybānī say that the poet omitted words or let the rhyme pattern break down, although Ibn Qutaybah excused al-Ḥārith for this on the grounds that it was composed and recited on the spot.

It is true that the poem, in the words of A. J. Arberry, "is almost unadorned with those wild natural descriptions of beast and bird and tree, which make the chief charm of the others." Still, it remains a compelling record of classical Arabic literature and culture.

al-Ḥārith opens with the conventional amatory prelude (*nasīb*) as a compliment to ʿAmr's queen, Asmāʾ (lines 1-8), followed by a brief camel description (lines 9-15).

But the bulk of the poem stands, in the words of James Montgomery, as a "masterly piece of oratory, alternating encomium and braggadocio, chronicle and paraenesis, transforming the *qaṣīda* into a poetic annals of Bakr and Taghlib."

The poet calls out those who slander his people, vaunting his own tribe and demanding resolution through a council (lines 15-31).

He then gives details about the brave deeds of Bakr, mentioning the return of Mundhir III, who in Ibn al-Kalbī's report is the king who mediates between Bakr and Taghlib rather than ʿAmr ibn Hind (lines 32-40). There follows a litany of crimes against Taghlib by other individuals and tribes, always with the refrain, "Are their

على قوسه من غضبه وشدّة حميّته، فجرح القوس يده، وكان ينشد من وراء سبعة ستور، وكانت أم عمرو بن هند تستمع إلى الحارث، وتتعجب من جزالة شعره، فظل الملك يطالب برفع الستور حتى ظهر له الحارث، فدعاه حتى أجلسه بجواره، وأشركه في طعامه، وجزّ له شعور أبناء تغلب المرتهنين عنده إعجاباً بما قال، فظلت هذه الواقعة مصدر فخر لبكر ولشاعرها العظيم.

بنى الحارث معلقته وفق تقاليد القصيدة المادحة في الشعر الجاهلي، حيث بدأها بالحديث عن الصاحبة التي رحلت عن المكان، فأصبح قفراً لا حياة فيه، فركب ناقته مبدداً همومه، ليصل بعد ذلك إلى مواجهة المصيبة التي حلت بقومه. فالقصيدة تتكون من ثلاثة موضوعات: (الوقوف على الطلل، وصف الناقة، المرافعة في مجلس الملك).

وقد كشف فيها عن قدرة كبيرة على تطويع اللغة لقضيته، كما كشف عن قدرة حجاجية فذة تمكن من خلالها من تحقيق النصر على خصمه العنيد عمرو بن كلثوم.

والقصيدة تتكون من ٨٣ بيتاً، وهي من البحر الخفيف: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.

crimes on us?" (*a-ʿalaynā jarrā*) (lines 41-65).

The poet then appeals to ʿAmr as a just king who recognizes Bakr's many acts of good service and their bravery in battle (lines 66-83).

While it can be difficult to hold together the many obscure places and events to which al-Ḥārith refers, the main thrust is clear: that Bakr should not be blamed for the many calamities endured by Taghlib.

المشهد الأول

عاشقٌ بين نارين

١. آذَنَـتْـنا بِبَـينِهـا أسمـاءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَـلُّ منـهُ الثَّـواءُ
٢. بعـدَ عهْـدٍ لهـا ببُرقـةِ شمّـا ... ءَ فأدنـى دِيارِهـا الخَلْصـاءُ
٣. فَمُحيّـاةُ فالصِّفـاحُ فأعلـى ... ذي فِتـاقٍ فعـاذِبٌ فالوفـاءُ
٤. فـرياضُ القَطـا فأوْدِيـةُ الشُّـر ... بُـبِ فالشُّـعبَتانِ فالأبْـلاءُ
٥. لا أرى من عَهِدتُ فيها فأبكي الـ ... يـومَ دَلْهـاً ومـا يَرُدُّ البُـكاءُ
٦. وبعينيـكَ أوقـدتْ هِنـدٌ النّـ ... ـارَ أخيراً تُلوي بهـا العليـاءُ
٧. أوقَدتْهـا بـين العقيـقِ فشخصيـ ... ـنِ بِعُـودٍ كما يلـوحُ الضّيـاءُ
٨. فتَنـوّرتُ نارَهـا مـن بعيـدٍ ... بخَـزازٍ هيهـاتَ مِنـكَ الصِّـلاءُ

بعـد علاقـة متينـةٍ، وأيّـامٍ عامـرة بالأُنـس بـين الحـارث وصاحبتـه أسـماء، قـررت الرحيـل عـن المـكان، وأعلمتـه بنيّتهـا، فـكان خـبر الرحيـل فاتحـة القصيـدة، الـذي لفـت مـن خلالـه ذهـن المخاطـب إلى أن الرحيـل قـد يكـون راحـةً للراحـل والمرتحَـل عنـه، فكثيـر مـن النـاس يبعـث مكوثـه الملـل حـين يطـول. لكـن مـع أسـماء الأمـر مختلـف؛ فإنهـا حـين قـررت الرحيـل زرعـت الخـوف في نفـس المحـبّ، وتركـت الجـدب يحيـط بالمـكان، فبـدأ الحـارث يوقـظ الصحـراء مـن غفوتهـا لمواجهـة الفاجعـة، ويلملـم الأمكنـة ويحشـدها في تتابـع مثـير، وكأنـه الطبيـب الـذي يحـاول إنعـاش قلـب المريـض، للحفـاظ عـلى حيـاة الذكريـات الجميلـة.

يتفقـد الأمكنـة مكانـاً تلـو آخـر بحثـاً عـن المحبوبـة الراحلـة وذكرياتهـا النابضـة بالسـعادة والأمـن والأمـل، وحـين يفقـد الأمـل ينهـار باكيـاً بـكاء مـن فقـد عقلـه. وهـل للعاقـل أن يعـي بـأن البـكاء لا يـرد حبيبـاً، ولا يحـل إشـكالاً فيكـفّ عـن بكائـه؟

في هـذا الفـراغ العاطفـي القاتـل الـذي يـزرع المـوت في كل زوايـا الصحـراء، يلتفـت الشـاعر مـن الحديـث بضمـير المتكلـم إلى التعبـير بضمـير المخاطـب، وفي هـذا الالتفـات رغبـة في التحـول مـن حـال إلى حـال.

اللغة:
آذنتـا: أخبرتنـا، **بينهـا:** فراقهـا، **ثـاوٍ:** مقيـم، **الثـواء:** الإقامـة، **برقـة شـمّاء:** البرقـة هـي المـكان المرتفـع مـن الطـين والرمـل، **وشـماء:** هضبـة، **والخلصـاء، محيـاة، الصفـاح، ذو فتـاق، عـاذب، الوفـاء:** كلهـا أسـماء مواضـع بصحـراء الدهنـاء، **ريـاض القطـا:** الريـاض جمـع روضـة وهـي الأماكـن الـتي يكـثر فيهـا النبـت عنـد نـزول المطـر، **والقطـا:** طـير بـري يشـبه الحمـام، **وادي الشربـب والشـعبتان والأبـلاء:** أسـماء مواضـع بالدهنـاء. **مـن عهـدت فيهـا:** مـن اعتـدت أن أرى فيهـا يعـني أسـماء، **دلهـاً:** بـلا عقـل، **بعينيـك:** عـلى مـرأى منـك، **هنـد:** صاحبـة مـن صاحباتـه. **تلـوي بهـا العليـاء:** أي تحـرك شـعلتها الريـح في مـكان عـال، **العقيـق، شـخصين:** موضعـان. **العـود:** هـو الطيـب الـذي يوضـع عـلى النـار، **تنـورت:** رأيـت ضوءهـا، **خـزاز:** جبـل بالدهنـاء، **الصـلاء:** النـار.

1. Asmāʾ called out: Now, soon I will depart!
   How many lodgers bored me with their stay

2. after Asmāʾ had left from Shammāʾs dunes
   and then at Khalṣāʾ, near her hideaway,

3. then at Muhayyāt, then Ṣifāḥ, then the heights
   of Dhūl-Fitāq and ʿAdhib, then Wafāʾ,

4. the gardens of Qaṭā, and then the vales
   of Shurbub and Shuʿbatān and Ablāʾ.

5. I see no more the girl I dwelt with there.
   I madly weep, but that brings only shame.

6. Before your eyes, Hind lit the fire at night
   and then the highlands coaxed it to a flame;

7. she kindled it near ʿAqīq and Shakhṣān,
   bright as the noonday sun, with aloeswood.

8. I saw it from far off in old Khazāz,
   but how distant its warmth from where you stood!

هنـا يبـصر الشـاعر نـار هنـد الـتي أوقدتهـا عـن بعـد، في رابيـة مرتفعـة، فبـدأت تلـوح كمـا يلـوح الضيـاء، مـع أن الريـاح تلـوي بشـعلتها يمنـة ويـسرة، وتبعـث رائحتهـا الزكيّـة في الفضـاء المفتـوح، فيشـتاق الشـاعر لدفئهـا، ولكنهـا بعيـدة لا يمكـن الوصـول إليهـا.

النـار تلـوح مـن خـزازى، وهـو مـكان شـهد يومـاً مـن أيـام الـصراع بـين بكـر وتغلـب، فيهـرب مـن نـار إلى نـار، فنـار الفـراق الـتي أشـعلتها أسـماء بفراقهـا، أفضـت بـه إلى نـار هنـد، فهـو بـين نارين، لا يـدري عـلى أي جانبيـه يميـل.

توقـد هنـد نارهـا بعـود، وأيّـاً كان العـود للطيـب أو للإشـعال؛ فـإن دلالـة العـود في هـذا السـياق ترتبـط ارتباطـاً وثيقـاً بالحـرب، وكمـا قـال نـصر بـن سـيّار:

فإن النارَ بالعودين تُذكى وإن الحربَ أوّلُها كلامُ

مـن بـين نـاري أسـماء وهنـد ينسـلّ إلى النـار الموقـدة بـين بكـر وتغلـب، مسـتعيناً بعمـرو بـن هنـد لإطفـاء لهبهـا المشـتعل.

إن فقـدان الأحبـة، والشـعور بالوحـدة، وعـدم القـدرة عـلى التماسـك، وذهـاب العقـل أمـام الفاجعـة في مقدمـة القصيـدة جمـرة مـن نـار الصحـراء الموقـدة بـين أبنـاء العمومـة، الـتي أهلكـت الحـرث والنسـل، ولا سـبيل للخـروج منهـا إلا بمجابهتهـا، وتجفيـف منابـع موقديهـا.

النـار محـور هـذه المقدمـة، فهـي شـغل الحـارث الشـاغل، لـذا فرضـت حضورهـا عليـه، فحـين تحـدّث عـن لواعـج الحـب، ولوعـة الفـراق، لـم يجـد لهـا شـبيهاً إلا لهـب النـار، الـتي تلـوح لـه مـن كل مـكان، فتفقـده عقلـه، وتجـبره عـلى الرحيـل عـن المـكان.

إن رحيـل أسـماء عـن المـكان احتجـاجٌ مبطـن عـلى هـذا الواقـع المـزري، وتحفـيز للحـارث إلى تغيـيره، وهـو مـا يدفـع الحـارث إلى ركـوب ناقتـه لمواجهـة الكارثـة.

المشهد الثاني

الناقةُ الطائر

٩. غيرَ أنّي قد أستعينُ على الهَـ ـمِّ إذا خَفَّ بالثَّويّ النّجاءُ
١٠. بِزَفُوفٍ كأنّها هِقْلَةٌ أُ مُّ رِئالٍ دَوّيَّةٌ سقفاءُ
١١. آنَسَتْ نَبْأَةً وأفزَعها القنّـ ـاصُ عصراً وقد دنا الإمساءُ
١٢. فنرى خلْفَها من الرّجْعِ والوَقـ ـعِ مَنيناً كأنّه إهباءُ
١٣. وطِراقاً من خَلفِهِنَّ طِراقٌ ساقِطاتٌ تُلوي بها الصَّحراءُ
١٤. أتَلَهَّى بها الهَواجِرَ إذ كُـ ـلُّ ابنِ هَمٍّ بَلِيّةٌ عمياءُ

ترحل أسماء، فيركب الحارث ناقته مستعيناً بها على همومه وأحزانه، خارجاً بها مسرعاً من عالم الوحشة الذي يحيط به من كل جانب، فتبدو الناقة في سرعتها براكبها وكأنها النعامة التي فجأتها العاصفة والمطر في رحلة بحثها عن الطعام، فتذكرت صغارها، فاندفعت نحوهم في الصحراء بقوائمها الطويلة المنحنية لتحميهم من الأعداء المتربصين.

لقد سمعتْ صوتاً لا تدري ما مصدره؟ وأفزعها الصياد المترصد لها، وأسدل الليل على الصحراء جلبابه، فزادت من سرعتها، ومن عادة الشعراء الجاهليين إذا شبهوا نياقهم بالنعام أن يصفوا بيضها، أو صغارها الذين تركتهم وخرجت بحثاً لهم عن الطعام، وقد أخذ منهم الجوع كل مأخذ. لكن الحارث يكتفي بمشهد سرعة النعامة، ويطوي بقية المشاهد، ليدع النهاية مفتوحة، وكأن رحلة النعامة هي رحلته للصلح مع خصومه لا يدري إلى ماذا تؤول؟

تنطلق الناقة بسرعة لافتة من عوالم الخوف والهموم والظلمة مهتديةً بنار هند التي لاح ضوؤها بخزازى، فتثير الغبار بأخفافها، وينعقد وراءها وكأنه سحابة من الدخان الشفيف، وهنا تظهر النار مرة أخرى من وراء حجب اللغة، ويظهر الخوف من فشل

اللغة:
الثوي: الثاوي هو المقيم، **النجاء:** السير السريع، **زفوف:** ناقةٌ مسرعة، **هقلة:** نعامة، **أم رئال:** أم فراخ، **دويّة:** تعيش في صحراء واسعة، **سقفاء:** ذات رجلين طويلتين فيهما انحناء، **نبأة:** صوت خفي لا يدرى ما مصدره، **أفزعها القناص:** أخافها الصياد، **الرجع والوقع:** وقوع أرجلها على الأرض وارتفاعها عنها، **المنين:** الغبار الخفيف الذي تثيره بقوائمها، **إهباء:** الهباء المنبث الذي يشبه الدخان، **الطراق:** نعال تصنع للإبل من الجلد، **تلوي بها:** تمزقها، **أتلهى بها:** ألهو بها مستمتعاً بركوبها، **الهواجر:** جمع هاجرة، وهي الحر الشديد في منتصف النهار، **بلية عمياء:** البليّة هي الناقة التي إذا مات صاحبها عقلت عند قبره وتركت حتى تموت، **عمياء:** عاجزة لا تستطيع التخلص مما هي فيه.

9. When sorrow comes, and swift escape makes off
with camp dwellers—in those times I rely

10. on a quick camel, tall like an ostrich
who mothers her chicks in the desert dry;

11. an ostrich, frightened by a hunter's step,
past mid-afternoon as the night draws near.

12. You see back where this bird has stepped and strode—
a dustcloud, little sand-specks there and here,

13. and footprints, then more footprints falling close
that soon the wasteland all but hides from view.

14. On this cow, I romp in the noonday heat
while others, care-worn, are like blind camels too.

المسعى، فهو لا يريد أن يكون سعيه وسعي ناقته هباءً منثوراً، كذلك الهباء المنعقد من وراء ناقته الراكضة في هجير الصحراء.

تبدأ نعال الجلد التي تحمي أخفاف الناقة تتساقط من سيرها السريع في شدة الهاجرة، وهي تندفع خارجة من هذا المدار الموحش، ومع كل هذا الخوف فإن الحارث يلاعب بها الهاجرة، ويستمتع بسرعتها ونشاطها في هذا الحرّ اللاهب، ويتناسى بها همومه، في لحظات يفقد فيها صاحب الهمّ بصيرته وقدرته على بلوغ غايته، فيصبح مثل الناقة المربوطة عند قبر صاحبها، وقد عُكِس رأسها إلى ذنبها، وحُرِمَتْ الطعام والشراب حتى تموت، فلا تهتدي إلى الخروج من هذه المحنة سبيلاً.

لقد بدأ هنا الحارث يخرج من دائرة الخوف والهموم والظلمة التي كانت تحيط به عندما تركته أسماء ورحلت، وأصبح يلاعب بناقته الهواجر، ويهتدي إلى غايته، وهي غاية شاقّة، ستظهر عبقريته في تخطي عقباتها في المقطع القادم من المعلَّقة.

المشهد الثالث: رسالة السلام .. مرافعة في مجلس الملك

خبر وعتاب

١٥. وأتانا عــن الأراقِــمِ أنبــا ... ءٌ وخَطْبٌ نُعنى بها ونُســاءُ
١٦. أنَّ إخوانَنــا الأراقِمَ يَغْــلُــو ... نَ علينــا في قَولِهــم إحفــاءُ
١٧. يَخلِطُونَ البريءَ مِنّا بِذي الذَّ ... نْبِ ولا ينفَعُ الخَليَّ الخَلاءُ
١٨. زَعَموا أنّ كُلَّ من ضَربَ العَيْـ ... ـرَ مُوالٍ لنا وأنّى الولاءُ
١٩. أَجْمَعــوا أمــرَهُم بِليــلٍ فلمّـ ... ـا أصبَحُوا أصبَحَتْ لَهُم ضوضاءُ
٢٠. مِن مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تَصـ ... ـهالِ خيلٍ خِلالَ ذاكَ رُغاءُ

بدأ الحارث مرافعته في مجلس عمرو بن هند باستيائه من الأنباء التي تتوالى عليه من غضب أبناء عمومته بني الأراقم من تغلب مما جرى لأبنائهم الذين منعهم البكريون من الورود على الماء فماتوا عطشاً في الصحراء.

هذا النبأ الفاجع يقع على الحارث بن حلّزة وقوع المصاب الجلل، فالجُرمُ كبير، وفقدان أبناء العمومة مؤلم، وزاد الشعور بالمصيبة الاتهام الذي لا يستثني أحداً من بكر، فهم كلهم مجرمون في نظر التغلبيين، وهذا اتهامٌ لا يقلّ في ألمه عن ألم الفقد، فهم يُجحفون في خصومتهم، ويخلطون البريء بالمذنب، ولا يقبلون من أحد اعتراضاً، ولا رفضاً للتهمة، فالجميع في نظرهم مذنب، لا تنفع البريء براءتُه، ولا المفارق لهم بُعده.

لقد أسرفوا في اتهامهم حين جعلوا كل من ضرب وتده في الصحراء من أبناء عمومتنا فحمّلونا جُرمه، وأشركونا في ذنبه. لقد حمّلونا جميعاً مسئولية الجريمة، وأصدروا قرار الاتهام ضدنا بالإجماع، وقرروا الأخذ بالثأر من المذنب والبريء، فما أصبح الصبح حتى علا صراخ الناس، وصهيل الخيول، ورغاء الإبل في حربٍ شاملة لا تستثني أحداً.

اللغة:
الخطب: الأمر العظيم، **الأراقم:** حيّ من تغلب، **نعنى به:** نهتم به، **يغلون:** يظلمون، **الإحفاء:** الإلحاح الشديد، **الخليّ:** البريء من الذنب، **الخلاء:** البراءة، **من ضرب العير:** إشارة إلى كليب، والعير أفضل الصيد وقيل العير هو الوتد، **ضوضاء:** أصوات مرتفعة، **تصهال:** صهيل وهو صوت الخيل، **الرغاء:** صوت الإبل.

15. News came about Arāqim's tribe, and what we heard troubled us, causing worry and grief:

16. our brothers Arāqim have gone too far, harassing us and offering no relief,

17. confusing guilty and guiltless in our ranks— as if innocence helps us not a bit!

18. They claim that those who drive the wild asses are clients to us, and we their respite.

19. Arāqim planned by night, and with the dawn they rose and filled the air with cries and yells,

20. some calling, some responding, all mixed in with neighing horses and foaming camels.

نبش التاريخ

٢١. أيُّهـا النّاطِـقُ المُرقِّـشُ عَنّـا عندَ عَمـرٍو وهـل لِذاكَ بَقـاءُ
٢٢. لا تَخَلْنـا عـلى غَـرائِكَ إنّا قبـلُ ما قَد وشَـى بِنا الأعداءُ
٢٣. فبقينـا عـلى الشَّـناءةِ تَنمِيـ ـنا حُصُـونٌ وعِـزّةٌ قعسـاءُ
٢٤. قَبْـلَ ما اليـومِ بيّضَت بِعُيونِ الـ ـنّاسِ فيهـا تعيُّـطٌ وإِبـاءُ
٢٥. وكأنَّ المَنـونَ تَردي بنـا أر عَـنَ جَوناً ينجابُ عنهُ العَماءُ
٢٦. مُكْفَهِـرّاً على الحـوادثِ لا تَـرْ تُـوهُ للدّهـرِ مُؤيِـدٌ صَمّـاءُ
٢٧. أيَّمـا خُطّـةٍ أردتُم فـأدّو هـا إلينـا تمشي بهـا الأمـلاءُ
٢٨. إن نَبْشُـتُم ما بينَ مِلْحـةَ فالصّـا قِـبِ فيـهِ الأمـواتُ والأحيـاءُ
٢٩. أو نَقَشْـتُم فالنَّقْـشُ تَجشَـمُه النّـ ـاسُ وفيـهِ الصّـلاحُ والإبـراءُ
٣٠. أو سَـكَتُّم عَنّـا فَكُنّـا كمَـنَ أغـ ـمَضَ عيناً في جَفنِهـا أقـذاءُ
٣١. أو مَنعتُم ما تسألـونَ فمَـن حُدِّ تُمُـوهُ له علينـا العِـلاءُ
٣٢. هـل علِمـتُم أيّامَ ينتَهِـبُ النّـ ـاسُ غِـواراً لـكل حيٍّ عُـواءُ
٣٣. إذ رفعنا الجمالَ من سَعَفِ البحـ ـرينِ سيراً حتّى نهاها الحِسـاءُ
٣٤. ثمّ مِلنـا عـلى تميمَ فأحرمْـ ـنا وفينـا بنـاتُ مُـرٍّ إمـاءُ
٣٥. لا يُقيمُ العـزيزُ بالبلـدِ السّهـ ـلِ ولا ينفعُ الذليـلَ النِّجـاءُ
٣٦. ليسَ يُنجي مُوائِلاً مـن حِـذارٍ رأسُ طَـودٍ وحَـرّةٌ رَجـلاءُ

الادعـاء الـكاذب، والظـنّ السيئ، والحقـد الأعمى، والوشـاية إلى عمرو بـن هنـد، واسـتعداء السـلطة بحاجـة إلى برهـانٍ يفضحـه، فلـم يجـد حجـة أبلـغ في نقـض الادعـاء مـن تاريـخ مـضيء، وصمـود لا ينكـسر، يسـتعيده ليسـتمد منـه القـوة، فالدهـر مـا زال يرمي الحـارث وقومـه برزايـاه وهـم ثابتـون عـلى مواقفهـم لا يتزعزعـون، ثبـات الجبـل الشـامخ الـذي لا تزيـده الأحـداث إلا شـموخاً. وادعـاءات الخصـوم، وأكاذيـب الوشـاة، واسـتعداء الملـك، لـن تخيـف الحـارث وقومـه، لأنهـا لعبـة خـاسرة جربهـا أقـوامٌ سـواهم فلـم تجدهـم نفعـاً.

اللغة:
الناطـق: عمـرو بن كلثـوم، **المرقّش:** المزيـن الـكلام بالباطـل، **عمـرو:** عمـرو بـن هنـد، **وهـل لـذاك بقـاء:** لا بقـاء لمـا قلـت مـن كـذب علينـا عنـد الملـك، **تخلنـا:** تظننـا، **غرائـك:** اسـتعدائك الملـك علينـا، **إنـا قبـل مـا قـد وشى بنـا:** مـا أكـثر مـا وشى بنـا الأعـداء فلـم يضرونـا، **الشـناءة:** الكراهيـة، **تنمينـا:** ترفـع قدرنا وتحفظ كرامتنـا، **حصـون:** قـلاع، **قعسـاء:** ثابتـة لا تـزول، **قبـل مـا اليـوم:** قبـل هـذا اليـوم، **بيّضـت بعيـون النـاس:** أعمتهـم، **تعيّـط:** منعـة وارتفـاع، **إبـاء:** رفـض للـذل، **المنون:** المـوت، **تـردي:** تهلـك، **أرعـن:** جبل، **جـون:** أسـود اللـون وتـأتي بمعـنى أبيـض، أي الضـد، **ينجـاب:** يـزول، **العمـاء:** السـحاب، **مكفهـر:** قـوي لا يلـين، **الحـوادث:** المصائـب، **لا ترتـوه:** لا تنقـص منـه، **المؤيـد:** الداهيـة، **صمـاء:** لا تسـمع، وبمعـنى الداهيـة أو المصيبـة الشـديدة، **خطـة:** أمـر عظيـم، **أدوهـا إلينـا:** أبلغونـا بهـا عـبر سـفرائكم، **الأمـلاء:** أشراف النـاس، **نبشـتم:** أثرتـم مـا بيننـا مـن خلافـات وحـروب سـابقة، **ملحـة والصاقـب:** موضعـان والمـراد أهـل ملحـة والصاقـب ومـا جـرى بينهمـا مـن حـروب، **فيـه الأمـوات والأحيـاء:** الأمـوات منكـم والأحيـاء منـا، **نقشـتم:** بحثتـم في التفاصيـل، فالنقـش يعـني البحـث في التفاصيـل، **تجشـمه النـاس:** تحملـوه عـلى كـره ومشـقة، **السـقام:** المـرض، **الإبـراء:** الصحـة والسـلامة مـن المـرض، **القـذى:** مـا يدخـل في العـين مـن حـصى وتـراب، **منعتـم مـا تُسـألون:** رفضتـم إنصافنـا، **مـن حُدثتُمـوه:** مـن حدثكـم أنـه انتـصر علينـا، **العـلاء:** العـزة والنـصر والمنعـة.

21. Hey big mouth! You who spin your web of lies
to ʿAmr—you think these fibs will last a day?

22. Do not suppose your smears will stick to us!
You're not the first to slander in this way.

23. We're here despite the hatreds that we faced,
upheld by noble birth and strength unswayed.

24. Times past, our frantic shouts have daubed the eyes
of people blind with envy, scorn, and pride.

25. Fate batters us, as if stoning a black
mountain, its peak with clouds disguised,

26. shored up against misfortune, not reduced
by destiny's unceasing hammer thuds.

27. Whatever ill designs you have, commit
them to us, and let tribal councils judge.

28. If you search Milhah and Sāqib where we fought,
you'll find the dead, avenged and unavenged;

29. or probe deep—which people take pains to do—
then you'll find sickness, while we're on the mend.

30. But if you quit your slander, then we'll be
just like a man who shuts his mote-filled eyes.

31. If you refuse our questions, who can then
claim to be higher than us, high as the sky?

لفضح هذا الادعاء الزائف يدعو الحارث تغلب إلى أن يقدموا خطتهم للسلام، ويخيرهم بين نبش التاريخ المثقل بالخسائر، وتذكر القتلى الذين أُخذ بثأرهم، والذين لم يؤخذ، أو السكوت عن الماضي، وطي صفحاته، ونسيان أخطائه، وإن لم يقبلوا فعليهم أن يخبروه، هل هناك من هم أشرف منه ومن قومه؟ ومن هم أنصع تاريخاً في سجلات الحروب.

في مقابل اعتزازه بتاريخ قومه، يذكّر تغلب بتاريخهم الأسود، وهزائمهم المدوّية، وينصحهم بطيّ صفحة هذا التاريخ، فالسكوتُ خير من الإفصاح. ويدعوهم لإنصاف خصومهم، فمن شيم الكريم أن ينصف خصمه؛ لأنه حين يفعل ذلك ينتصف لنفسه، ويعلن شرف خصومته.

هنا يُشرع الحارث في نشر تاريخ قومه، مذكّراً خُصومه ببعض بطولات البكريين، الذين يُقدمون حين يجبن الناس، ففي أيام السلْب والنهب، وصراخ الخائفين، يدفعون كتائبهم من نخيل البحرين إلى عدوهم، فلا يوقف زحفها إلا شطّ البحر، ويميلون على تميم، فيقتلون رجالهم، ويسبون نساءهم، ولكن لأنهم كرام لا يمسُّون أعراض خصومهم بسوء، وهذه خصومة شريفة يفخر بها الحارث، وكأنه يدعو تغلب لتبني هذا السلوك الإنساني، الذي رسّخ استقرار ملك قومه، وأكسبهم أخلاق الفرسان، وخلد ذكرهم على صفحات التاريخ.

استعادة التاريخ ليس من باب الاستعلاء، وإثارة نار الفتنة، وإنما من باب التغني بأخلاق الفروسية، التي تنصف الخصم، وتحفظ له كرامته، فالبكريون قوة القطب الواحد في الجزيرة العربية، لكن مع كل هذه القوة، لم يهينوا خصومهم، ولم يخدشوا كرامتهم، ومن هذا تاريخه فهو جديرٌ بقبول نصحه، والتفاوض معه، فالذات البكرية ذاتٌ إيجابية، لا تقبل الذل، ولا تتعطش للانتقام، قوتها في إيثارها للتسامح وليس في محبتها للانتقام.

اللغة:
غواراً: في الغارات، **عواء:** صياح، **رفعنا:** ركبنا، **سعف البحرين:** نخل البحرين، والبحرين إقليم جغرافي كان يشمل غالب المنطقة الشرقية المطلة على الخليج العربي،[ويمتد من جنوب البصرة على طول ساحل الخليج العربي وقد شمل دولة الكويت والأحساء والقطيف ودولة قطر بالإضافة إلى أوال (مملكة البحرين حالياً) وهو أحد مساكن قبيلة الشاعر]، **نهاها:** أوقف سيرها، **الحساء:** ماء البحر، **ملنا على تميم:** أغرنا عليهم، **أحرمنا:** جعلنا الأمر محرماً علينا، **بنات مر:** بنات تميم بن مرّ، **إماء:** سبايا، **العزيز:** الشجاع، **البلد السهل:** الذي ليس فيه مكان يحتمى به، **النجاء:** الهرب، **الموائل:** الخائف الذي يطلب النجاة، **طود:** جبل، **الحرة:** الأرض ذات الحجارة السوداء، **رجلاء:** قاسية.

32. Don’t you know of days when people were sacked
and raided, every quarter filled with screams?

33. It was then we drove our camels from Bahrayn
till they were stopped at the seawater's foam.

34. then swerved upon Tamīm until the month
of truce, with Murr’s daughters to serve us well.

35. The mighty stayed no more in smooth terrain
nor did escape give profit to the frail,

36. nor could it rescue those who fled in fright
to seek the mountain head or rocky tract.

المنذر بن ماء السّماء

٣٧. فَمَلَكْنـا بذلـكَ النّـاسَ حـتّى مَلَـكَ المُنـذِرُ بنُ مـاءِ الـسّماءِ
٣٨. وهـو الرّبُّ والشّهيدُ على يـو مِ الحِيـارينِ والبـلاءُ بَـلاءُ
٣٩. مَلِـكٌ أضلَـعُ البريَّـةِ لا يُـو جَـدُ فيهـا لِمـا لديـهِ كِفـاءُ

لقد ملك البكريون الناس، فدانوا لملكهم، حتى جاء المنذر بن ماء السماء، والد عمرو بن هند، فملك من بعدهم. هنا يقوم الحارث بذكاء باستدراج عمرو بن هند إلى صفّه من خلال الثناء على والده المنذر، فهو السيّد العظيم، والملك المبجّل، وأعرف الناس بمآثر بكر وبطولاتهم حين غزا أهل الحيارين، فقد كان فرسانُ بكر جنوده في جيشه المظفر الذي لا يقهر.

إنه رجل المرحلة الذي يحتمل ما لا يحتمله أحد، ويتصدى لملمّاتٍ لا يتصدى لها إلا من كان مثله في قوة العزم والحزم، وليس مثله أحد في ذلك. لقد كان ضليعاً في أمور السياسة، وحين يشير الحارث إلى هذا الفكر السياسي للمنذر؛ فإنه يذكّر عمرو بن هند بمسؤولية الحكم، وعبء التاريخ الذي يحمله.

إن الحارث وعمرو بن هند ورثا تاريخاً حافلاً بالمشاركة وبالنصر، والوفاء لذلك التاريخ يوحدهما أمام العاصفة الجديدة.

اللغة:

المنذر بن ماء السماء: هو المنذر الثالث، والد الملك عمرو ابن هند، [وهذا البيت الوحيد في المعلَّقة الذي ينتهي بالكسر "السماءِ" لأنها مضاف إليه مجرور، وحين يكون في القصيدة بيت شعري لا تنسجم حركة الرويّ فيه، أي آخر البيت، مع باقي الأبيات فهذه ظاهرة تسمّى "الإقواء، وقد تناولها نقّاد الشعر القديم بالدراسة والتقييم]، **الربّ:** السيّد، **يوم الحيارين:** يوم من أيام العرب غزا فيه المنذر ومعه بنو يشكر قبيلة الحارث الحيارين فأبلوا بلاء حسناً، **البلاء بلاء:** أي البلاء شديد جداً. **أضلع البرية:** أعظمهم احتمالاً للأمور العظيمة، **كفاء:** نظير.

المنذر بن ماء السّماء

37. We reigned till Mundhir ibn Mā' al-Samā' returned as king to rule and take it back.

38. He, the lord who saw the battle day of Hiyārayn, that true and awful test;

39. he, a king and the bravest mortal—there is none like him who'd hope to the best.

٤٠. فاترُكوا البَغـيَ والتّعـدّي وإمّـا ... تتعاشَوا ففي التّعاشِي الدّاءُ

٤١. واذكُروا حِلفَ ذي المجازِ وما قَـ ... ـدّمَ فيـه العُهـودُ والكُفـلاءُ

٤٢. حـذَرَ الخونِ والتّعـدّي وهل ينـ ... ـقُـضُ ما فـي المَهارِقِ الأهواءُ

٤٣. واعلمـوا أنّنـا وإيّاكُمُ فيـ ... ـما اشترطنا يومَ اختلفنا سواءُ

٤٤. أعلينـا جُنـاحُ كِنـدةَ أن يَغنـ ... ـمَ غازِيهُـمُ ومِنّـا الجَـزاءُ

٤٥. أم علينـا جـرّى حنيفـةَ أو مـا ... جمّعَـت مـن مُحـارِبٍ غـبراءُ

٤٦. أم جَنـايا بـني عتيـقٍ فمَـن يَغـ ... ـدِرْ فـإنّا مـن حربِهـم بُرآءُ

٤٧. أم علينـا جـرّى العِبـادِ كما نِيـ ... ـطَ بجـوزِ المُحمّـلِ الأعبـاءُ

٤٨. أم علينـا جـرّى قُضاعـةَ أم لـيـ ... ـسَ علينـا ممّـا جَنَـوا أنـداءُ

٤٩. ليـسَ مِنّـا المُضرّبُـونَ ولا قيـ ... ـسٌ ولا جنـدلٌ ولا الحَـدّاءُ

٥٠. أم علينـا جـرّى إيادٍ كما قيـ ... ـلَ لِطـسْمٍ : أخـوكُمُ الأبُـاءُ

٥١. عَنَنـاً باطِـلاً وظُلمـاً كما تُعـ ... ـتَرُ عن حَجرةِ الرّبيضِ الظِّباءُ

بعـد أن أثـنى عـلى المنـذر بـن مـاء السـماء وحنكتـه السياسـية، عـاد إلى خصومـه داعيـاً إلى نبـذ ثقافـة الكراهيـة، وسـلوك العنـف، وطمـس حقائـق التاريـخ، مسـتعرضاً بطـولات قومـه، ومذكّـراً تغلـب بالعهـود والمواثيـق الـتي قطعوهـا عـلى أنفسـهم، وأشـهدوا عليهـا عمـرو بـن هنـد في ذي المجـاز.

لقـد اتفـق الجميـع عـلى شروطٍ ـ والنـاس عنـد شروطهـم ـ لا يجـوز الإخـلال بهـا، منهـا: وجـوب التيقّـن مـن المعتـدي، والوقـوف صفـاً واحـداً ضـدّه، فكيـف أخلـت تغلـب بهـذه الـشروط؟ هنـا يسـألهم الحـارث موبخـاً لمـاذا تقتلكـم كنـدة، وتأسركـم، وتعجـزون عـن مقاومتهـم، وتحملوننـا جرائمهـم؟ وهـل يصـح أن نؤخـذ بجرائـم الآخريـن: حنيفـة، ولصـوص محـارب، وغـارات صعاليـك العـرب؟ وجنايـات بـني عتيـق، والعباديـن؟ وهـل علينـا أن نكـون الضحيـة الذيـن يدفعـون الثمـن، وتكـون قضاعـة المجـرم؟ إننـا لـم نقتـل لكـم قتيـلاً، ولـم ننهـب منكـم مـالاً، ولـم نسـب مـن نسـائكم امـرأة.

اللغة:

التعـاشي: التعامـي عـن الحـق، **الـداء:** الهـلاك، **ذو المجـاز:** وادٍ مـن أوديـة مكـة يقـع شـمال شرق عرفـة يبعـد عنهـا ٥كـم، وقـد كان أحـد أسـواق العـرب في الجاهليـة، وفيـه أصلـح عمـرو بـن هنـد بـين بكـر وتغلـب، **الخـون:** الخيانـة، **المهـارق:** الصحـف، **الأهـواء:** ميـول النفـس إلى مـا تحـب، **فيمـا اشـترطنا:** في مـا اتفقنـا عليـه مـن شروط في الصلـح، **الجنـاح:** الإثـم، **كنـدة:** قبيلـة مـن قبائـل العـرب منعـت الملـك خراجهـا، فبعـث إليها رجـالاً مـن تغلـب فهزمتهـم كنـدة، **جـرّى:** ذنـوب، **حنيفـة:** قبيلـة مـن قبائـل بكـر بـن وائـل كانـت تقطـن اليمامـة (الريـاض حاليـاً)، **غـبراء:** الصعاليـك، **جنايـا:** جرائـم، **العبـاد:** هـم العباديـون ولعلهـم معتنقـو النصرانيـة مـن العـرب في عـصر ملوك الحـيرة الوثنيـين، **نيـط:** عُلّـق، **جـوز المحمّـل:** وسـط البعـير، **الأعبـاء:** الأثقـال، **قضاعـة:** قبيلـة مـن قبائـل العـرب، **أنـداء:** جمـع نـدى وهـو البلـل، والمـراد ليـس علينـا مـن جنايتهـم شيء، **المضرّبـون، قيـس، جنـدل، الحـدّاء:** قـوم مـن تغلـب يعـيّر عمـرو بـن كلثـوم بهـم، **إيـاد:** هـي إيـاد بـن نـزار، قبيلـة عربيـة دخلـت مـع مـضر وربيعـة في حـروب فهاجـرت إلى العـراق، **طسـم :** قبيلـة مـن القبائـل العربيـة البائـدة، **الأبّـاء:** صيغـة مبالغـة مـن أبى، ومعنـاه كثير الرفـض، وهـو جديـس أخـو طسـم الـذي قيـل إنـه أخـذ خـراج الملـك وهـرب بـه، فأخـذ الملـك أخـاه طسـماً بذنبه، **عنـاً:** اعتراضـاً، **تعتر:** تذبـح، **والعتـيرة:** الذبيحـة الـتي كان يقدمهـا الجاهليـون في شـهر رجـب لآلهتهـم، **الحجـرة:** حظـيرة الغنـم، **الربيـض:** الغنـم، **الظبـاء:** جمـع ظـبي وهـو نـوع مـن الغـزلان.

40. So stop this folly and aggression now!
Your blindness has in it a kind of plague.

41. Recall the oath at Dhūl-Majāz! and how
we made a promise there and struck a pledge,

42. against betrayal and hostility—
can whims alone rub out what's in the scrolls?

43. Know well! that you and we, touching the terms
made on the day of truce, are both equal.

44. Are Kindah's misdeeds on us if they raid
your cattle? And then must we pay the fine?

45. Or Hanīfah's crimes? Or what the famine years
have done to make Muhārib flee decline?

46. Or Banū ʿAtīq's sins? For those who broke
the truce, their wars are not on our account.

47. Or ʿIbād's trespasses—are they on us
like burdens on the backs of camel mounts?

48. Or Qudāʿah's offenses, when there is
no mark against us for their many scandals?

49. These sword-hacked soldiers are not ours, nor still
is Qays nor al-Haddāʾ, nor yet is Jandal.

50. Is Iyād's crime on us? as once was said
to Tism, "Your tribe-brother's a rebel now"?

51. False conflict! Oppression! Just like gazelles
slaughtered instead of sheep, to make a vow.

وهـل علينـا أن نؤاخـذ بمـا فعلـت إيـاد، فنكـون كالبعـير الـذي حُمّـل فـوق طاقته؟ويُفعـل بنـا مـا فُعِـل بطسـمٍ عندمـا أُخـذ بجريـرة أخيـه جديـس؟

بعـد هـذا الاسـتعراض التاريخي، والأسـئلة الحارقـة، يقـدّم براهينـه عـلى أن تغلـب رجـالٌ خارجـون عـن القانـون، ومعـادون للسـلطة، فيذكّرهـم بممارسـاتهم الخاطئـة، وسـلوكياتهم المنحرفـة، وإثارتهـم للفـتن، ودعوتهـم للاحـتراب الداخـلي، ويـبرئ قومـه مـن أفعالهـم، فالمضرّبـون، وقيـس، وجنـدل، والحـدّاء، الذيـن عُرفـوا بإثـارة الفـتن، ونـشر الكراهيـة، كلهـم مـن تغلـب.

إن اعتراضكـم اعـتراضٌ باطـل، وفعلكـم فعـلٌ ظالـم، فأنتـم تريدون أن تقدمونـنـا قرابـين في حرويكـم الخـاسرة، ويقـرن هـذا السـلوك بسـلوك الرجـل البخيـل الـذي ينـذر بتقديـم شـاة قربانـاً للآلهـة إذا بلغـت غنمـه مائـة، وحـين تبلـغ هـذا العـدد يقـوم بتقديـم ظـبي بديـلاً لشـاته، ليفـي بنـذره الـذي قطعـه عـلى نفسـه.

صفحة جديدة من دفتر الهزيمة

٥٢. وثمانــونَ مــن تمــيمٍ بأيديـ ـهِمْ رِمــاحٌ صُدورُهُــنَّ القضــاءُ
٥٣. لم يُخلّــوا بــني رِزاحٍ ببرقـ ـــاءِ نِطــاعٍ لهــم عليهــم دُعــاءُ
٥٤. تركُــوهم مُلحّبِــينَ فآبُــوا بِنِهــابٍ يَــصَمُّ فيــه الحُــداءُ
٥٥. وأتــوهم يســترجِعونَ فــلم تــر جِــعْ لهُــم شَــامَةٌ ولا زَهــراءُ
٥٦. ثُمَّ فــاءوا منهــم بقاصمــةِ الـ ـظّهرِ ولا يَــبرُدُ الغليــلَ المــاءُ
٥٧. ثُمَّ خيــلٌ من بعدِ ذاكَ مع الـ غــلاّقِ لا رافــةٌ ولا إبقــاءُ
٥٨. مــا أصابــوا مــن تغلبــيٍّ فمطلـ ـلٌ عليــه إذا تولــى العَفــاءُ
٥٩. كتكاليــفِ قومِنــا إذ غــزا المُنـ ـذِرُ هــل نحــنُ لابنِ هندٍ رِعاءُ
٦٠. إذ أحــلَّ العَــلاةَ قُبّــةَ ميســ ونَ فأدنــى ديارِهــا العوصــاءُ
٦١. فتــأوّت لهــم قَراضِبَــةٌ مــن كُــلِّ حيٍّ كأنّهــم ألقــاءُ
٦٢. فهــداهُم بالأســودينِ وأمــرُ اللـ ـــهِ بِلْــغٌ يشــقى بــه الأشــقياءُ
٦٣. إذ تَمَنّونَهــم غُــروراً فســاقت ـــهُمْ إليــكم أُمنيّــةٌ أشراءُ
٦٤. لم يَغُــرُّوكُمُ غُــروراً ولكــن يرفــعُ الآلُ جمعَهــم والضّحــاءُ

اللغة:
صدورهن: صــدور الرماح، رؤوســها، **القضــاء:** المــوت، **بنــو رزاح:** قــوم مــن تغلــب، **برقــاء نطــاع:** موضــع يقــع الآن شرق الســعودية عــلى بعــد ٣٠ كــم مــن النعيريــة، **لهــم عليهــم دعــاء:** يدعــون عليهــم، **ملحبــين:** مقطعــين بالســيوف، **آبــوا:** عــادوا، **بنهــاب:** غنائــم وهــي مجموعــة مــن الإبــل والمــواشي، **يصــم فيهــا الحــداء:** لا يســمع صــوت الحــادي بســبب أصــوات الحيوانــات، **يســترجعون:** يطلبونهــم إرجــاع مــا نهبــوا، **شــامة:** ســوداء، **زهــراء:** بيضــاء، **فــاؤوا:** رجعــوا، **بقاصمــة الظهر:** بالخيبــة والخســران، **الغليل:** مــا في الصــدر مــن الحــزن، **الغــلاق:** رجــل مــن بــني تميــم، **مطلــول:** مهــدور الــدم، **عليه إذا تــولى العفاء:** دعــاء عليــه معنــاه "لا رده الله"، **تكاليــف:** متاعــب، **رعــاء:** رعــاة غنــم، **ميســون:** هــي ميســون بنــت الحــارث الغســاني، **العليــاء والعوصاء:** أســماء مواضــع شرق الجزيــرة العربية موضع ديــار بكــر وتغلــب، **تــأوّت:** اجتمعت، **قراضبــة:** صعاليــك، **ألقــاء:** عقبــان، جمــع عقــاب، والعقــاب طــير جــارح يفــوق الصقــر في الحجــم والقــوة، **الأســودان:** التمــر والمــاء، **بلــغ:** بالــغ، **الأشــر:** الاســتكبار، **لــم يغروكــم:** لم يفاجئوكــم، **الآل:** الســراب، **الضحاء:** وســط النهــار.

تاريــخ تغلــب في ســرديــة الحــارث حافــلٌ بالهزائــم، وهــذا فصــل جديــد مــن فصــول النكبــة، فقــد ذُكــر أن ثمانــين رجــلاً مــن بــني تميــم أغــاروا عــلى بــني رزاح مــن تغلــب، فقتلــوا منهــم مــن قتلــوا، وتركوهــم مقطعــين بالســيوف، ونهبــوا إبلهــم ومواشــيهم، وعندمــا جــاء مــن بقــي منهــم يطالبــون بأموالهــم المنهوبــة، وأســلحتهم المســلوبة، لــم يعــودوا ببيضــاء ولا ســوداء، بــل عــادوا بالخــزي والعــار.

وغزاهــم الغــلّاق اليربوعــي، فأثخــن فيهــم القتــل، ولــم يرحــم كبيرهــم، ولــم يعطــف عــلى صغيرهــم، لعلمــه أن كل تغلبــيّ يقــع في يديــه مهــدور الــدم، لــن يأخــذ بثــأره أحــد، فليــس لهــم معــين ولا نــاصر.

وبعــد أن هــدم تاريــخ تغلــب أقــام عــلى أنقاضــه مجــد بكــر، الذيــن

52. Eighty men from Tamīm—who in their hands
had spears with points that held a fate much worse—

53. did not leave Banū Rizāh in the wilds
of Nitāʿ with so much as breath to curse.

54. They hacked them all to pieces, then returned
with spoils enough to mute the drivers’ cries;

55. and then came for their own camels again,
but neither black nor white camels would ride,

56. so the men left from there with shattered backs
and no water could cool their raging chase.

57. Then came a band of horseman with Ghallāq
riding against you, without mercy or grace.

58. Each Taghlabī they slew, his blood was left
unpunished, while his death was seen by Ruin.

59. Just like the pains brought on by Mundhir’s blitz—
are they like saying, “Are we shepherds to Hind’s son?”

60. When he pitched Maysūn’s tent in al-ʿAlāt,
and ʿAwsāʾ was the nearest home of theirs,

61. the poor and pinched of every tribe came out
to him, like eagles flapping in the air.

62. He gave them dates and water—Allah’s law
prevails, and gathers wretches with their like.

63. When in conceit you wished they’d come to blows,
and cocky pride did drive them out to strike,

64. then no surprise they fell upon you there,
while in mirage and morn-light they did hang.

نـصروا عمـرو بـن هنـد كما نـصروا أبـاه قبل ذلـك، وهـذا اسـتدراجٌ ذكي للملـك ليوغـر صـدره عـلى تغلـب، ويكسـبه إلى صفـه ضـد خصومـه، ويعـرّض بهـم في تراخيهـم عـن الملـك عندمـا اسـتنجد بهـم في حربـه عـلى الحـارث الغسـاني، فاعتـذروا بأنهـم ليسـوا مـن رعايـاه، فجمـع صعاليـك العـرب، وخامـلي الذكـر وضرب بهـم الحـارث الغسـاني، وقتلـه، وسـبى ابنتـه ميسـون.

بهـذه الحجـج والبراهـين يكشـف كـذب الشـانئين وزيفهـم، ويعـرّي تاريخهـم الحافـل بالبهتـان، والكراهيـة، والهزائـم، والتـولي يـوم الزحـف، وإثـارة الفـتن، والخـروج عـلى السـلطة، وتفتيـت النسـيج الاجتماعي، فـلا يبقي لهـم في الجـدل حجـة، ولا عنـد الملـك منزلـة، ولا في سـجلات التاريـخ صفحـة ناصعـة.

الفخرُ في حضرة الملك

٦٥. أيُّهـا الشّانـــئُ المُبلِّـغُ عنّـــا عند عمـرٍو وهـل لذاكَ انتهاءُ
٦٦. مَلِـكٌ مُقسِـطٌ وأكمـلُ مَـن يَمْـ ـشي ومن دونِ ما لديهِ الثّناءُ
٦٧. إرَميٌّ بمثـلِه جالـتِ الجِـ ـنُّ فآبت لِخصمِها الأجلاءُ
٦٨. مَـن لنـا عنـده مـن الخيرِ آيا تٌ ثـلاثٌ في كُلِّهِـنَّ القضـاءُ
٦٩. آيـةٌ: شـارقُ الشّـقيقةِ إذ جـا ءوا جميعـاً لِـكُلِّ حيٍّ لِـواءُ
٧٠. حولَ قيسٍ مُستلئِمينَ بِكبشٍ قَرَظِـيٍّ كأنَّـهُ عَبـلاءُ
٧١. وصَتيتٍ من العَواتِكِ ما تنـ ـهاهُ إلا مُبَيْضَـةٌ رَعـلاءُ
٧٢. فَجَبَهْنـاهُمُ بِـضربٍ كمـا يخـ رجُ مـن خُربَـةِ المـزادِ المـاءُ
٧٣. وحملنـاهُمُ عـلى حـزْمِ ثَهـلا نَ شِـلالاً ودُمِّـيَ الأنسـاءُ
٧٤. وفعلنـا بهـم كما عـلِمَ اللـ ـهُ ومـا إنْ للحائِنـينَ دِمـاءُ
٧٥. ثُمَّ مُجـراً أعـني ابنَ أُمِّ قَطـامٍ وله فارسـيّةٌ خضـراءُ
٧٦. أسَـدٌ في اللّقـاءِ وَردٌ هَمـوسٌ وربيـعٌ إن شـنّعَت غَـبراءُ
٧٧. وفَككنـا غِـلَّ امرئِ القيسِ عنهُ بعدما طـالَ حَبسُـه والعنـاءُ
٧٨. وأقـدْناهُ ربَّ غسّـانَ بالمُنـ ـذِرِ كَرْهاً إذ لا تُكالُ الدِّماءُ
٧٩. وفدينـاهُمُ بِتسـعةِ أمـلا كٍ ندامـى أسـلابُهُم أغـلاءُ
٨٠. ومـع الجُـونِ جَـونِ بـني الأو سِ عَنـودٌ كأنّهـا دَفـواءُ
٨١. ما جَزِعنا تحتَ العجاجةِ إذ وَ لّـت بأقفائِهـا وحَـرَّ الصِّـلاءُ
٨٢. وولـدنا عمـرَو بنَ أُمِّ أُناسٍ مـن قريـبٍ لمّـا أتانا الحِبـاءُ
٨٣. مِثْلَمـا تُخـرِجُ النّصيحـةَ للقـو مِ فـلاةٌ مـن دونِهـا أفـلاءُ

هنا يتجه بخطابه إلى الملك عمرو بن هند، فيضفي عليه الكثير من صفات الجلال والمهابة، فهو ملك عادل، كريم، يوجب فضله الذكر والشكر، مع أنه أعلى من كل شكر، وأسمى من كل ثناء.

وبعد أن يستدرجه بهذا المديح، يذكر منزلة قبيلة بكر عنده، فهم أنصح الناس له، وأكرمهم عليه، وأقربهم منزلة لديه.

اللغة:
الشـانئ: الكاره لنا، **مقسـط:** عادل، **إرميٌّ:** نسبة إلى إرم بن عاد، ويقصد أن ملكه قديم، **جالـت:** بارزت، **الجـن:** دهاة الناس، **الأجـلاء:** المكاشفة والمبارزة، **آيـات ثـلاث:** ثلاث دلائل من الماضي على شجاعتنا في الأوقات الصعبة. **آيـة:** علامة، **شـارق:** من الجانب الشرقي، **وبنـو الشـقيقة:** هم قوم من بني شيبان أغاروا على إبل لعمرو بن هند فردهم بنو يشكر، **قيـس:** هو قيس بن معد يكرب أحد ملوك كندة، **مسـتلئمين:** يلبسون الدروع، **كبـش:** قائد الكتيبة، **قرظـي:** يمني، **عبـلاء:** صخرة بيضاء، **صتيـت:** جماعة، **العواتـك:** نساء كندة، والعاتكة المرأة المضمخة بالعطر والصافية الحمراء، **مبيضـة رعـلاء:** ضربة تقطع اللحم وتكشف العظم، **جبهناهـم:** ردعناهم بقوة، **خربـة المـزاد:** فوهة قربة الماء وهي وعاء من الجلد يحفظ فيه الماء، **حـزم:** الحزم الأرض الصلبة، **ثهـلان:** جبل في قرية الشعراء تبعد عن محافظة الدوادمي ٣٥كم تقريباً، **شـلالاً:** مطرودين، **دمـي الأنسـاء:** سال دم أفخاذهم من الضرب، **الحائنين:** الهالكين، **دماء:** ثأر، **حجـر:** ملك من ملوك كندة، **فارسـية:** كتيبة سلاحها من فارس، **خـضراء:** كثيرة السلاح، **ورد:** لونه يميل إلى الحمرة، **همـوس:** مختال، **شـنّعت:** أجدبت، **غـبراء:** سنةٌ قليلة المطر، **غـلّ:** قيد، **امـرئ القيـس:** ابن المنذر بن ماء السماء أخو عمرو بن هند من أبيه، **أقدنـاه:** قتلناه به، **رَبّ غسـان:** ملكها، **لا تـكال الدمـاء:** لا تحسب لكثرتها، **العجاجـة:** الغبار، **ولّـت بأقفائهـا:** هربت، **حـرّ الصـلاء:** اشتد لهيب المعركة، **عمـرو بـن أم أنـاس:** عمرو بن حجر الكندي جد عمرو بن هند، **الحبـاء:** المهر، **مثلهـا:** مثل القرابة، **فـلاة:** أرض واسعة، **أفـلاء:** أراض واسعة يتصل بعضها ببعض.

65. You spiteful man! Lying on us to ʿAmr—
will you ever stop this phony harangue?

66. A just king, ʿAmr, best of all who walk
on earth—his virtues outstrip any praise;

67. of Iram's stock, he's famed among the jinn,
and even all his rivals stand amazed!

68. Three times he's seen the signs of our good deeds,
and every time the proof did speak for us.

69. One of these signs was east in Shaqīqa
when every tribe came bearing its colors

70. round Qays, all armor-clad and with a chief
of Karaz and a white stone of renown,

71. and a band of noble champions who are stopped
only by thrusts that pierce down to the bone.

72. We struck their brows so hard, the gore flowed out
like water spurting from a drinking-skin.

73. We drove them to the boulders of Thahlān,
all in a heap and with gushing thigh-veins,

74. and did God knows what to them, all without
recompense for the blood of those destroyed.

75. Then we fought Hujr, son of Umm Qatām,
with his Persian phalanx in green arrayed,

جـاءه بنـو شـيبان في دروعهـم الحصينـة فكـسروا شـوكتهم، وقتلـوا منهـم مـن قتلـوا، وتركـوا مـن هـرب غارقـاً في ذلـه ودمائـه، وغـزا حجـر بـن أم قطـام الكنـدي أسـد الحـرب وفارسـها المغـوار، امـرأ القيـس بـن المنـذر شـقيق الملـك فوقفـت بكـر معـه وردت حجـراً، وقتلـت جنـوده.

وهاجمـت غسـان المنـذر بـن مـاء السـماء فقتلتـه، وأسرت ابنـه امـرأ القيـس، فهبّـت بكـر لنصرتـه، ففكـت أسره، وقتلـت ملـك غسـان. وقُتـل حجـر بـن عمـرو- آكل المـرار- جـدّ عمـرو بـن هنـد لأمـه، فبعـث المنـذر بـن مـاء السـماء والـد عمـرو بن هنـد خيلاً مـن بكـر، فأدركتهم عـلى مشـارف اليمـن، فـأسرت تسـعة مـن أشرافهـم، وأحضرتهـم إلى المنـذر فقـام بإعدامهـم في الحـيرة. وعندمـا جـاء الجـون ـ ملـك مـن ملـوك كنـدة ـ ليمنـع بـني عمـرو بـن الحجـر، هزمتـه قبيلـة بكـر وأسرت ابنـه الجـون وسـلمته المنـذر بـن مـاء السـماء. وفـوق هـذه الوقفـات العظيمـة فهـم أخـوال الملـك عمـرو بـن هنـد، لأن عمـرو بـن حجـر جـد الملـك، تـزوج مـن بكـر.

المواقـف النبيلـة، وصلـة القرابـة توجـب النصـح للملـك، وإذا أوجبتـه للملـك، فـإن القرابـة توجـب لأبنـاء العمومـة النصـح الصريـح الـذي لا يحجبـه شيء، ليكفـوا عـن غيهـم، وأحـوج النـاس للنصيحـة هـم أكـثر النـاس تأففـاً منهـا، كمـا يقـول المثـل الأندنـوسي.

بهـذا العـرض الهـادئ، والحجـج الدامغـة، نجـح الحـارث في إقنـاع الملـك بعدالـة قضيتـه، فرفعـت لـه السـتور السـبعة، وجلـس بجـوار الملـك، وشـاركه طعامـه، وجـزّ لـه نـواصي التغلبيـين.

76. a lion in the fight, tawny and sly,
yet kind as the spring rain in years of lack.

77. We loosed the shackles from Imruʾ al-Qays
after long years of bondage and attack,

78. and forced the lord of Ghassān to repay
for Mundhir's sake, when boundless blood was shed,

79. and with nine princes we did ransom them,
noble princes whose costly spoils were had.

80. And with Jawn from the tribe of Banū Aws,
came soldiers swooping in like eagles' flight.

81. We didn't flinch under the dust-cloud when
they turned, as fires of war waxed hot and bright.

82. ʿAmr, son of Umm Anās, is like our son
or near-kinsmen after the wedding meal;

83. such kinship must bring fealty from the tribe,
and vast meadows of favor and goodwill.

صانعو الشعر العربي

الأعشى ميمون القيسي

al-Aʿshā al-Qaysī

درس في الإبصار

A Lesson in Insight

The Muʿallaqah of al-Aʿshā al-Qaysī
A Lesson in Insight

Introduction and Translation by: Huda J. Fakhreddine

معلَّقة الأَعْشَى القَيْسِي
دَرْسٌ فِيْ الإبصار

مقدمة وشرح: عدي الحريش

هـو أبـو بصـير ميمـون بـن قيـس البكـري، ينتهـي نسـبه إلى قيـس بـن ثعلبـة، الـتي تنتهـي بدورهـا إلى قبيلـة بكـر بـن وائـل. يُعـرف بالأعـشى الكبـير تميـيزاً لـه عـن شـعراء آخريـن عُرفـوا بنفـس اللقـب،[1] وقـد انتهـى ضعـف بـصره إلى العمـى آخـر حياتـه.

يُعـرف أيضـاً بصنّاجـة العـرب، لطبيعـة شـعره الغنائيـة المُطربـة، ولأنـه ذكـر الصنـج وغيـره مـن آلات الطـرب في قصائـده. هـو مـن أكـبر الشـعراء الفحـول ديوانـاً، وممـن أدرك الإسـلام دون أن يسـلم.

نزحـت قبيلتـه بنـو قيـس بـن ثعلبـة مـن الحجـاز إلى حَجـر اليمامـة تابعـين خُطـى أبنـاء عمومتهـم مـن بـني حنيفـة، وعندمـا طلبـوا الجوار نفحهـم عبيـد بـن ثعلبـة الحنفـي جـزءاً مـن الأرض فسُـميت منفوحـة (الحـيّ الموجـود جنـوب الريـاض حاليـاً، حيـث قـصر الأعـشى وقـبره وبـئره).[2]

طـوّف شـاعرنا في الآفـاق، فـزار نجـران وحضرمـوت وأورشـليم وحمـص والعـراق وفـارس والحبشـة كمـا يخبرنـا شـعره، ومـدح ملـوكاً وأعيانـاً كالنعمـان بـن المنـذر ملـك الحـيرة، وهـوذة بـن عـلي ملـك اليمامـة، وقيـس بـن معديكـرب ملـك كنـدة.

كان شـعره عظيـم الأثـر، يرفـع أقوامـاً ويضـع آخريـن، لـذا سـعى الأشراف إلى إكرامـه كي يذكرهـم فيُعرفـوا بذلـك بـين العـرب، كمـا في قصـة المحلَّـق الـكلابي الـذي زوّج بناتـه جميعـاً بعـد أن شـهُرَ بمديـح الأعـشى.

كان شـاعرنا مولعـاً باللهـو، لا يـكاد يخلـو شـعره مـن ذكـر الخمـر أو المـرأة، يصـف الخمـر ومجالـس شربهـا فيجيـد، ويصـف المـرأة ومفاتنهـا فيبـدع، لكنـك لا تجـد في شـعره مـا يذكـره الشـعراء مـن

(١) الأعـشى: الرجـل الـذي لا يبـصر ليـلاً.

(٢) أزيـل قـصر الأعـشى في أواخـر الثمانينـات الهجريـة وأصبـح مبـاني سـكنية.

Al-Aʿshā is al-Maymūn b. Qays al-Bakrī known as al-Aʿshā al-Kabīr (the great or the first) to distinguish him from other poets with the same nickname.

Aʿshā means dim-sighted, an affliction from which the poet suffered, causing him to eventually lose his sight entirely near the end of his life.

He is also known by the epithet, *Sannājat al-ʿArab*. *Sannāja* is a reference to musical instruments, drum-like or string instruments, which he often mentioned in his poetry. He is one of the greatest poets of the Arabic tradition. He lived to witness the advent of Islam but did not convert.

Al-Aʿshā's Muʿallaqah is a poem about visions of the self: the self in solitude, the self in pleasure, the self in the company of others, the self in disappointment, the self at war in all of its forms, and the self in confrontation with time.

As the Arabic commentator Adi AlHerbish notes, it is profoundly apt that the poet struggled with his dimming sight when he is said to have composed the poem.

He accounts for this loss of sight in the poem through vivid and extremely nuanced imagery. He also compensates for it with deep insights into the self and its changing seasons.

Al-Aʿshā composed his poem upon a dispute over blood vengeance between his tribe and their kin. The poet is enraged by Yazīd of Banī Shaybān's interference and accuses him of stoking the fires of war and egging others against the poet's tribe.

حرقـة وحـسرة، إنمـا هـي شـهوة محضـة وتبتـلٌ صِرف أمـام الجسـد الأنثـوي، لـذا يكـثر في شـعره ذكـر القيـان كقتيلـة وجبـيرة وهريـرة، والأخيرة تباين الرأي في هويّتها، وهي التي استفتح المعلَّقة بذكرها.

قيـل إن الأعـشى عندمـا سُـئل عنهـا قـال: لا أعرفهـا، إنمـا هـو اسـمٌ أُلقـي في لسـاني مـن حيـث لا أدري، بينمـا ذكـر أبـو عبيـدة أنّ قتيلـة وجبـيرة وهُريـرة قيـانٌ لآل عمـرو بـن مَرثـد ، ونقـل المـبرّد عـن مشـائخ بـني قيـس بـن ثعلبـة أنّ هريـرة كانـت أمـةً سـوداء لحسـان بـن عمـرو بـن مرثـد.[٣]

وكمـا للهـو سـاعات، كذلـك للجـدّ سـاعات في شـعر الأعـشى. هـو شـاعر الغـزل والفخـر بامتيـاز، يقـضي أوقـات الهنـاءة بـين الـزِقّ والقينـة والكـران والصنـج[٤]، لكـن مـا إن يتهـدد أحدهـم شرف قبيلتـه حـتى ينـبري الأعـشى مدافعـاً منافحـاً، فيتحـول شـعره الرقـراق إلى صخـرٍ يخـدش هامـة العـدو.

(٣) أسرة ثريّة عرفت بالسَراء وكرم المحتـد، ذكـر طرفـة بـن العبـد أباهـم عمرو بـن مرثـد في معلّقتـه.

(٤) الـزق: وعـاء الخمـر، **القينـة:** الأمـة المغنيّـة. **الكـران:** العـود. **الصنـج:** آلـة موسـيقية، تشـبه آلـة القانـون.

However, before arriving at the moment of confrontation with the adversaries, the poet journeys through phases of the self just as he journeys through the ritual landscape of the *qaṣīdah* from the opening elegiac stance (1-32), to the desert journey (33-44) and finally arriving at the moment of boast (45-64).

However, these section divisions are not clear-cut, for al-Aʿshā delays and disrupts what we think of as the archetypal structure through beautiful personal and meditative sections.

المعلَّقة

معلَّقة الأعشى معلَّقة حرب وسلام، أو بالأحرى -إذا اتّبعنا ترتيب موضوعاتها- معلَّقة سلام وحرب، فبعد أن نشبت خصومةٌ بين أحياء قيس بن ثعلبة وشيبان[٥]، صار لزاماً على الشاعر أن يودّع أوقات الهناءة، وأن يتركَ هريرة خلفه، وأن يمضي فيمن مضى ضمن الركب ساعياً للإصلاح بين الفريقين.

وكان سبب الخصومة أنّ رجلاً يُقال له ضبيع، من بني كهف بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة (قبيلة الأعشى)، قتل رجلاً من شيبان يُقال له زاهر بن سيّار، يُعرف بابن الجاشرية نسبةً إلى أمه.

وكان ضُبيع خاملاً ضعيف العقل، فلما أراد أبناء الجاشرية أن يأخذوه بدم زاهر، نهاهم يزيد بن مُسهِر الشيباني -وكان أحد رؤساء شيبان- وقال: اقتلوا به سيداً من سعد بن مالك بن ضُبيعة، فلمّا بلغ ذلك بني قيس قال الأعشى المعلّقة يأمره أن يدع بني كهف وأبناء الجاشرية يسوون الخلاف دون أن يفسِدَ بينهم.[٦]

لا يمكن النظر إلى المعلَّقة وتذوّقها -كما ينبغي لها أن تُتذوق- دون ربطها بالعلّة التي تفاقمت على بصر الشاعر، بل إنَّ المعلّقة يمكن أن تُعدَّ دراسةً رائعة في مفهوم الإبصار، ولعلّه ليس من قبيل المصادفة أن يُدعى الشاعر "أبا بصير".

العشى ضعف في حدة الإبصار عندما تنخفض الإضاءة، ومن المثير أنّ الأوصاف في أول المعلَّقة غاية في الدقّة بصرياً، فهو يصف لمعان أسنان هريرة واهتزاز أردافها وتكسّر مشيتها، ثم يغشى السحاب جوّ القصيدة، وتنخفض الرؤية، فيلجأ الشاعر إلى حواسه الأخرى مستعيناً براحتيه ولسانه وأنفه، وهو شيء ساحر لو فُطِن له.

(٥) ينتهي حيّا قيس بن ثعلبة وشيبان إلى جدٍّ مشترك هو صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٦) البغدادي. خزانة الأدب. ج٨ ص٣٩٧

The Poem

The poem opens with a *nasīb* (1-32) an amatory elegiac prelude, in which the poet laments his beloved Hurayrah'sdeparture.

However, he soon adopts a sarcastic tone, which allows him to expand and vary on the amatory prelude, comment on and undermine it as happens in comical scenes of not just a love triangle, but a big seven-way knot of misdirected affection in line 18:

> Each longing for another, delirious and stricken
> approaching and retreating,
> confounding and crazed

The prelude of al-Aʿshā's poem is expanded and his transition to the journey is delayed with a meditation on his dimming sight (19-20), followed by compensation for the onset of old age with a recollection of youth and recklessness (22-32).

In line 33, he dissociates from the beloved and recollection of the past, setting off on a journey in "a barren land…where only the jinn hum in its desolate corners."

The journey section is also interrupted by an unconventional scene (36-43) in which the poet and his drunk companions track a rain cloud in a place called Durna.

They spot the rain cloud drift over the landscape and then overwhelm it with rain. And thus, the poem transitions to the moment of confrontation in the last section, the boast (44-64). The poet leaves his old self, licks his wounds in love, and stands for the honor of his tribe.

> To Yazīd of Banī Shaybān,
> this word: Stop eating your heart out
> Abū Thūbayt!
>
> Stop taking jabs at our noble roots
> that nothing can mar
> as long as burdened mounts moan.

يكتشف القارئ فيما بعد أنّ السبب الحقيقي لانفصام العلاقة ما بين الشاعر وهريرة ليس سفره، وإنّما العلّة التي ما فتئت تأخذ من بصره حتى اضطرته أن يتلمّس دارها متعثراً مصطدماً بما حوله، فكأنّ ذلك أسقطه من عين هريرة شيئاً، مما جعله ينتصر لكرامته المجروحة، ويندفع معدداً مغامراته السابقة وكيف كان يزجّي أيامه باللهو والشرب وقطع الفيافي المخوفة والقفار الطويلة دون أن يكون مستطيعاً بغيره، ثمّ كأنّه استنكر على نفسه هذا التبرير، وكيف نزل على حكم هريرة حين احتقرته لعشى بصره، فشحذ قوة خياله، وتحدّى ندماءه في دُرنا أن يشيموا السحابة التي أخذت تتكوَّن تحت بصره، حتى إذا ثقلت وصار لها برق وحجم، غمرت ديار هريرة باليمامة فأجرت المياه في أوديتها.

ثم يستغل مشهد السحاب كي ينتقل برشاقة من اللهو إلى الجد، ومن السلم إلى الحرب، دون أن يفسد هذا التبدلُ المفاجئ في مزاج القصيدة تدفقَ أبياتها.

فبعد أن كان المشهد ينطوي على ندماء يتنازعون قُضُب الريحان ويشيمون السحاب، إذا بالسماء تكفهر، وإذا بالسحابة تبرق وترمجر وتغرق ما حولها، ليندفع الأعشى مثلها مهدداً منذراً، تكاد كلماته المجلجلة تأخذ بخناق يزيد بن مُسهِر الشيباني.

On Reading and translating al-Aʿshā:

While translating al-Aʿshā's Muʿallaqah, I put myself in conversation with existing translation. My goal was to benefit from them but also to go in a different direction when possible and as the original poem allows it.

I have adopted the three-line stanza, the tercet, instead of the couplet or the quatrain adopted by previous translators. It is true that the poem's meter, *al-Baṣīt*, is a long meter but here al-Aʿshā's tone is at times playful and at times sarcastic, and thus I thought the shorter stanza is more fitting.

The tercet also creates a different rhythm for the poem in English, distinguishing it from the available translations. It is an abrupt stanza, which allows for the change in tone and mood, the shift from meandering to rage, which occurs later in the poem.

One example of the variance in tone I was aiming for exists in the very first line. I decided to delay "Bid Hurayrah farewell" to the end of the tercet, thus making it the punchline of the stanza, a position of emphasis equivalent to but varying from all the openings adopted by other translations. I tried throughout the translation to recreate that effect of emphatically ending the stanzas where possible.

I have always been intrigued by al-Aʿshā's use of the word *rajulu* (man) in the opening line. To me, it rings as a timeless, intimate, and urgent self-address. It also carries al-Aʿshā's signature sarcastic tone, especially in accounting for the shortcomings and victories of the self.

However, the sarcasm develops as the poem progresses into a profoundly devastating realization of responsibility and its consequences, and with it, *ayyuhā al-rajulu* acquires a tragic tone in retrospect.

The self-address, which was earlier playful and merry, takes on an urgent and tragic tone after the poem completes its circle. In the scene of wine and song, the self-address *"ayyuhā al-rajulu"* takes on the air of boast and then turns meditative in the mesmerizing scene at Durna where the poet and his companions, in their drunkenness and blurred vision, track the lightning cloud as it hovers and sweeps over the landscape, taking us from one season of life into another.

AlHerbish captures the movement of the poem when he labels it as a poem of peace and war. It is a poem that dallies and meanders, indulges and exalts in itself, and then arrives with force at a sobering moment, the moment of responsibility and its consequences.

However, peace and war are not opposites in the poem, but rather the first flows into the other as a drifting white cloud turns dark and starts thundering. The days of youth and abandon remain a resonant undertone punctuating the sobriety of the moment of war.

The mature righteously enraged persona cannot but be read in light of its past carefree self. And thus, the poet triumphs in his ability to capture the self as it reflects upon its seasons and stands witness to its own losses, turns, and trails. And, at the core of the poem's ability to capture the movement of time is the Durna section.

> So I said to my drunk companions in Durna:
> "Track it with me. Look!" And what can
> the drunk see?
> …
> It continued to target these abodes
> with its waters, until it drove the cattle
> and herds out.

The dim-sighted poet calls upon his drunken companions to witness how the sky and land change and with them how time, with it the self, take on different forms.

And they do…The companions follow the lighting cloud as it scans over the landscape and finally overwhelms it with rain just as the poet promises to overwhelm his enemies and drive them out when the fire of war blazes.

The tracking of the lightening cloud serves as an ingenious transition from one season of life to the other, from peace to war. And thus, al-Aʿshā leaves us with a deeply resonant question that transcends its moment; an invitation to contemplate the self as it contends with time and is constantly reshaped by it. And so, *ayyuhā al-rajulu,* as you think of yourself, "Look! And what can you see?"

المحبوبة في الشمس

١. ودّع هـريرة إنَّ الركـبَ مُرتحـلُ ... وهل تطيقُ وداعاً أيّها الرجلُ
٢. غـرّاءُ فرعـاءُ مصقـولٌ عوارضهـا ... تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحِلُ
٣. كأنّ مِشـيتها مـن بيـت جارتهـا ... مـرّ السـحابةِ لا ريـثٌ ولا عجـلُ
٤. تسمعُ للحَلي وسواساً إذا انصرفت ... كما اسـتعان بريحٍ عـشرِقٌ زجِـلُ
٥. ليست كمن يكرهُ الجيرانُ طلعتَها ... ولا تراهـا لـسرِّ الجـارِ تختتِـلُ
٦. يـكادُ يصرعُهـا لـولا تشـدّدها ... إذا تقـومُ إلى جاراتِهـا الكسـلُ (٧)
٧. إذا تعـالجُ قـرناً سـاعةً فـترت ... واهتزّ منها ذنوبُ المتنِ والكفلُ
٨. صفرُ الوشاحِ وملءُ الدرعِ بهكنةٌ ... إذا تأتّى يـكادُ الخـصرُ ينخـزلُ

يفتتح الأعشى معلقته بمشهد وداع: ركبٌ يتأهب للرحيل، وشاعرٌ يُسائِل نفسه إن كان يطيق وداع هريرة أم لا يطيقه. ولعلّ هذه الافتتاحية كافية كي تجذب انتباه القارئ إلى ما يميّز المعلَّقة عن غيرها من المعلَّقات، إذ جرت العادة أن يستفتح الشاعر بالوقوف على الأطلال، حيث زمن الحب زمن فائت، والقصيدة حنينٌ صِرف إلى الماضي، أما في معلَّقة الأعشى فالأمر مختلف: زمن الحب راهنٌ أبداً، والجزع الذي يعتريه حذَرَ الفراق لا جرّاء٥.

لكن هل هو الحب فعلاً، أم اللذاذة واللهو؟ ومن الراحل في الركب، هو أم هريرة؟ مهما قلّب القارئ المَطْلَعَ لن يقع على إجابة، لكنه سيصادف الأعشى جالساً في إحدى حانات دُرنا (٨) في منتصف المعلَّقة، مما يعني أنه ترك اليمامة، كما أنّ قصائد أخرى في ديوانه تؤيد أنه الراحل لا هريرة.(٩)

إن كان لا يستطيع أن يصطحب هريرة معه في الركب، فلا أقلَّ من أن يصطحب صورتها ويمثّلها أمامه. ها هي تلوح، بيضاء الجبين واسعته، طويلة الشَّعَر فاحمته، نقيّة الأسنان لامعتها (لاحظ دقّة التصوير!) وهي عندما تتكسر في مشيتها متباطئةً متثاقلةً لكأنّها شخصٌ حافٍ يشتكي ألم القدم، وفوق ذلك يخوض في وحل، فهو ينتزع قدميه انتزاعاً.

اللغة:
غرّاء: بيضاء الجبين. **فرعاء:** كثيرة الشعر. **مصقول عوارضها:** نقية الرباعيات والأنياب من الأسنان. **الهوينا:** على مهلها. **الوَجِي:** الذي حفى واشتكى ألم القدم. **الوحِل:** العالق في الوَحل. **ريث:** بطء. **الحَلي:** ما تتزين به المرأة من ذهب وفضة. **وسواساً:** خشخشة. **عِشرق:** شجيرة فيها حبّ إذا جفّ ومرّت به الريح تحرّك وأحدث خشخشةً. **زِجل:** مُطرِب. **قِرناً:** صاحباً. **ذنوب المتن:** لحم المعاكن. **الكفل:** العجيزة. **الوشاح:** نسيج داخلي مرصع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها. **الدرع:** ثوب تجوب المرأة وسطه تجعل له يدين. **بهكنة:** مكتنزة. **تأتّى:** تتثني. **ينخزل:** ينقطع.

(٧) تضيف بعض الروايات بيتين في هذا الموضع:

لم تمشِ ميلاً ولم تركبْ على قَتَبٍ
ولم ترَ الشمسَ إلّا دونَها الكُلَلُ
تمشي الهوينا كأنّ الريحَ تُرجِعُها
مشيَ اليعافيرِ في حيئاتِها الوَهَلُ

(٨) دُرنا: قرية في سماوة العراق، عُرفت بمعاصر الخمر، تقطن فيها قبائل شيبان وعجل.

(٩) كقوله:
كانت وصاة وحاجات لنا كَفَفٌ
لو أنَّ صحبكَ إذ ناديتهم وقفوا
على هريرةَ إذ قامت تودّعنا
وقد أتى من إطارٍ دونَها شَرَفُ

إذ يُفهم من ندائه صحبه كي يقفوا، أنه هو الراحل في الركب.

1. The caravan is departing,
and man, if you can bear it,
bid Hurayrah farewell.

2. Her face glows, her hair flows,
and her smile glints. She walks in grace,
a gazelle tiptoeing over soft soil.

3. To her neighbor's she walks
like a cloud floating,
neither heavy nor rushed.

4. You can hear her bracelets tinkle
when she retreats like the wind
rustling through acacia beads.

5. She is not one her neighbors avoid.
You will find her aloof
not eager for their chatter.

6. She rises to meet them listless,
if she didn't push herself, she'd
be held back.

7. She spends an hour with a friend,
but soon tires and returns, her full hips
and behind quivering.

8. Her shoulders wide, her waist not even there.
When this beauty walks towards you
you'd think she might break in two.

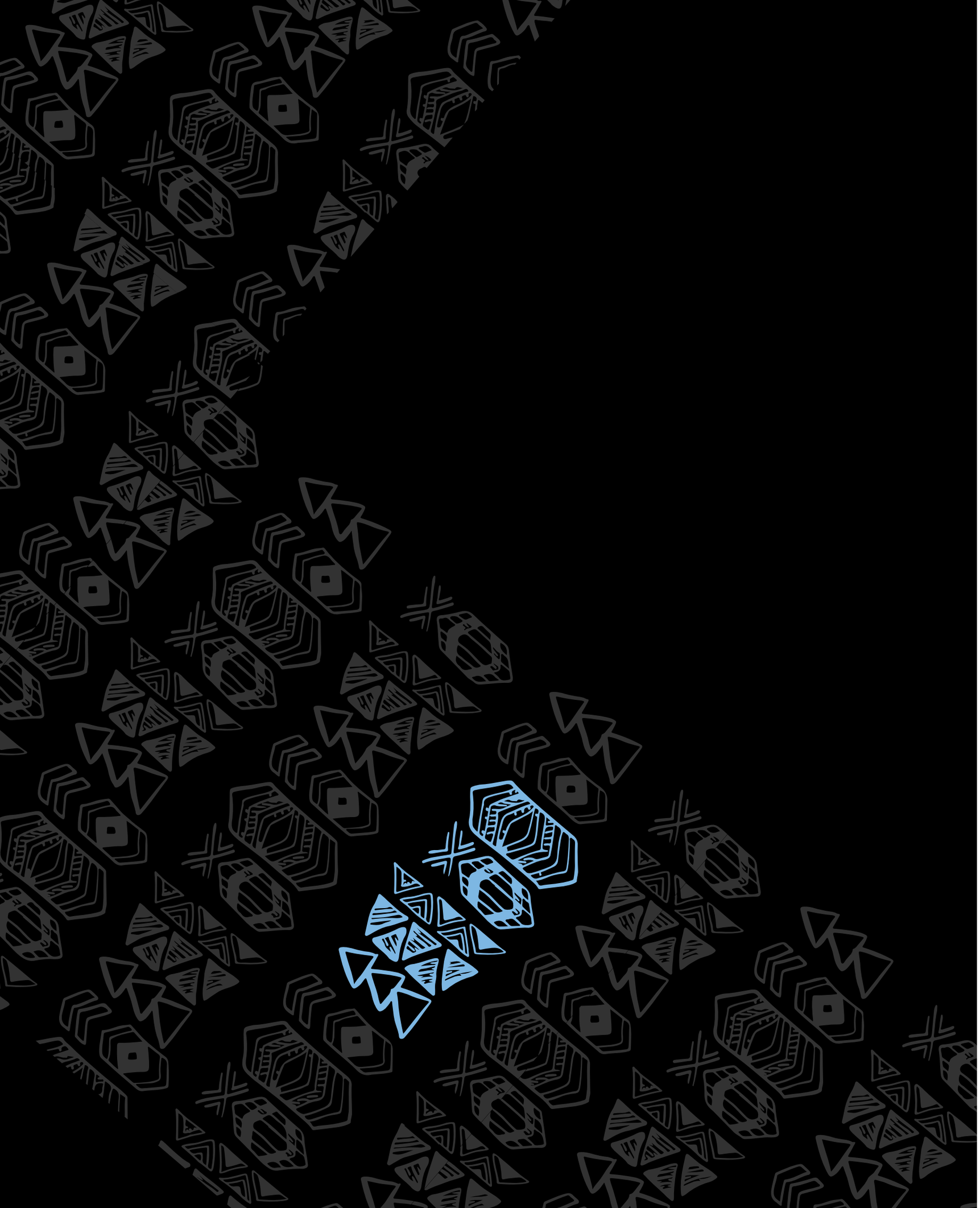

ثـمّ كأنّ هـذه الصـورة البارعـة لـم تشـف ولعـه بمشـيتها، فأتبعهـا صـورةً أخـرى لا تقـلّ براعـة، حـين جعلهـا سـحابةً تمـرُّ مـراً، لا بطيئـةً ولا سريعـة، فـكأنّ الهـواء هـو مـا يحرّكهـا إلى الأمـام لتكاسـلها وفتورهـا.

ثـمّ إنّهـا حـين تمـشي يصـوّت كلّ مـا عليهـا مـن قلائـد وأسـاور، ذلـك أنهـا مترفـة تتقلـب في النعمـة، فـكأنّ ريحـاً سرت في شـجيرة عـشرق فحرّكـت مـا فيهـا مـن يابـس الحـبّ والأغصـان فأحدثـت أصواتـاً وخشخشـةً.

وهـي فـوق ذلـك كلـه، حلـوة المعـشر، قليلـة الفضـول، لا تتنصّـت عـلى جيرانهـا ولا تتتبـع عوراتهـم، إذا قامـت تقصدهـم يـكاد يصرعهـا كسـلها، وإذا دخلـت دارهـم هشّـوا لمرآهـا.

ثـمّ يتمـادى الأعـشى في جرأتـه، فيصورهـا وهـي تصـارع صاحـبَ لذتهـا، فـإذا بعجيزتهـا وأعكانهـا تهـتزّ، وإذا بأنفاسـها تتقطـع مـن الجهـد. وحـذار أن تنسـبها إلى السُـمنة والإفـراط في الشـحم، فهـي وإن كانـت مكتـنزةً يغـصّ درعهـا بعجيزتهـا، إلا أنَّ خصرهـا يجـوبُ حـراً وسـط وشـاحها، وعندمـا تتثـني يـكاد ذلـك الخـصر ينفصـل لدقّتـه.

المحبوبة في الدجن

٩. نِعمَ الضجيعُ غداةَ الدجنِ تصرعهُ ... للـذةِ المـرءِ لا جـافٍ ولا تَفِـلُ[١٠]

١٠. هركولةٌ فُنُقٌ دُزْمٌ مرافقُها ... كأنَّ أخمصَهـا بالشـوكِ مُنتعِـلُ

١١. إذا تقومُ يضوعُ المِسكُ أصورةً ... والزنبقُ الوردُ من أردانِها شَمِلُ

١٢. ما روضةٌ من رياضِ الحَزنِ مُعشبةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مُسبِلٌ هَطِلُ

١٣. يضاحكُ الشمسُ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُـؤزّرٌ بعميمِ النبتِ مكتهِـلُ

١٤. يوماً بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ

ثـمّ يحـدث شيء سـاحر في القصيـدة، إذ يصـفُ الأعـشى هريـرة وقـد خلـت في خدرهـا بصاحـب لذتهـا تلاعبـه في يـوم غائـم، فـإذا بالرؤيـة تنخفـض، وكأنّ الغيـم غـشّى القصيـدة أيضـاً.

فبعـد أن كانـت هريـرة تتنقـل إلى بيـوت جاراتهـا تحـت رائعـة الشـمس، إذا بالغيـم يحجـب النـور، ثـم تتكفـئ إلى خدرهـا فتنخفـض الرؤيـة أكـثر. نعلـم أنّ العـشى نقـص في حـدّة الإبصـار حـين تنخفـض الإضـاءة، وهـذا مـا يحـدث فعـلا ليـس عـلى مسـتوى الشـاعر فقـط، بـل عـلى مسـتوى القصيـدة أيضـاً.

فبعـد أن وصـف الأعـشى لمعـان أسـنانها، وكيـف تهـتزّ أردافهـا، وتتكسر مشـيتها، وذلـك يتطلـب بـصراً حـاداً، إذا بـه يعـزف عـن اسـتخدام عينيـه ويسـتعين عِوضـاً عنهمـا بحواسـه الأخـرى.

فحـين يُقبّلهـا يجـد لريقهـا طعـم الخمـرة المشـوبة بالعسـل، وحـين يتلمّسـها لا يجـد لمرفقيهـا حجمـاً بخـلاف وركيهـا الكبيريـن، وهـي لفـرط كسـلها تـكاد لا تتحـرك كأنّ شـوكاً في باطـن قدميهـا، لكنهـا حـين تتحامـل عـلى نفسـها وتقـوم إذا بنوافـج المسـك تعبـق بالمـكان، وإذا برائحـة الزنبـق تتصاعـد مـن كمّيهـا.

ثـمّ تأخـذه بعيـداً هـذه الرائحـة -ولا شيء أعمـل بالخيـال مـن الرائحـة- فيُشـبّهها روضـةً خـضراء مرتفعـة، تتـنزل عليهـا الأمطـار فتزيدهـا اخـضراراً ومـاءً، لكأنّهـا تضاحـك الشـمس وهـي تـدور حولهـا لفـرط بهجتهـا، أو كأنّهـا اتّخـذت مـن النباتـات الخـضراء إزاراً تتزيّـن بـه. أمـا عندمـا تغيـب الشـمس ويبـوح النبـتُ بضَوعـه فلـن تجـد مـا يفـوق الروضـة نَـشراً سـوى هريـرة.

اللغة:

الدجـن: اليوم الغائم، **جـافٍ:** غليظ. **تَفِـل:** لا يتطيّـب. **هركولة:** عظيمـة الوركين. **فُنُـق:** حسـنة الجسـم. **دزمٌ مرافقهـا:** ليـس لمرفقيهـا حجـم. **أخمصهـا:** باطـن قدمهـا. **أصـورة:** نفحـات، وقيـل: تـارات. **أردانها:** جمع ردن وهـو مخـرج اليـد مـن الثـوب. **شـمِلُ:** منتـشر. **الحَـزن:** المـكان المرتفـع، ويقصـد حـزن بـني يربـوع حيـث ترعـى إبـل الملـوك. **مُسـبِل:** متـزّل. **هطِـل:** هاطـل. **يضاحـك الشـمس:** يـدور مـع الشـمس. **كوكب المـاء:** بريقـه. **شرِق:** زاهٍ. **مؤزّر:** يلبس إزاراً. **عميـم:** مرتفـع. **مكتهـل:** بلـغ وتـمّ. **نَـشْر:** رائحـة طيبـة. **الأُصُـل:** جمـع أصيـل وهـو وقـت الغـروب.

(١٠) تضيف بعـض الروايـات بيتـاً في هـذا الموضـع:

كأنَّ فاها إذا ما ذقتَ نكهتهُ
خمرٌ يخالطهُ بعد الكرى عسلُ

9. Nothing is sweeter than to lie with her
on a cloudy morning,
a pleasure not for the uncouth.

10. Her hips round and her arms slender,
she treads softly as if on heals
of thorns.

11. The scent of musk trails her when she rises,
the air of roses and lilies,
from her sleeves, overflows.

12. No garden lush and verdant
on a difficult hillside, quenched
by heavy relentless rain,

13. where the sun flirts with
bright bobbing blossoms
wrapped in cloaks of green,

14. is ever more fragrant or overwhelming
in beauty than she in the early
evening light.

ملهاة الحبّ

١٥. عُلّقتُهـا عَرَضـاً وعُلّقـت رجـلاً غيري وعُلِّق أخرى غيرَها الرجلُ
١٦. وعُلِّقتــهُ فتــاةٌ مــا يحاولهــا من أهلِها ميّتٌ يهذي بها وَهِلُ
١٧. وعُلِّقتــني أخــيرى مــا تلائمــني فاجتمع الحـبُّ حُباً كلّهُ تَبِلُ
١٨. فكلنــا مغــرمٌ يهــذي بصاحبــهِ ناءٍ ودانٍ ومحبــولٌ ومُحتبَــلُ
١٩. صـدّت هـريرة عنّـا مـا تكلمنـا جهلاً بأمّ خليدٍ حبلَ من تصلُ؟
٢٠. أَأَنْ رأت رجـلاً أعـشى أضرَّ بـهِ ريبُ المنونِ ودهرٌ مُفنِدٌ خَبِلُ
٢١. قالـت هـريرةُ لمّـا جئـتُ زائرَهـا ويلي عليكَ وويلي منك يا رجلُ

كتـب شكسـبير في بدايـة مشـواره مسرحيتـين ناجحتـين عـن الحـبّ، الأولى مأسـاة بعنـوان (روميـو وجوليـت) تـدور حـول عاشـقين مـن فيرونـا وتنتهي بموتهما، والأخـرى ملهـاة بعنـوان (حلـم منتصف ليلة صيـف) تـدور حـول أربعـة عشـاق مـن أثينـا ولا تنتهـي إلا بعـد أن تتبـدل أدوار الحـبّ أكـثر مـن مـرة بينهـم.

كل مـا احتاجـه شكسـبير كي يحـوّل الحـبَّ مـن تراجيديـا إلى كوميديـا زيـادة عـدد الأحبـاب مـن اثنـين إلى أربعـة، فـإذا بعـذاب الفقـد يُسـتبدل بارتبـاك أطـراف الحـبّ، وإذا بالفـراق والدمـوع يُسـتبدلان بالفـوضى والضحـكات.

حقـق الأعـشى في بيـتٍ واحـد مـا اجترحـه شكسـبير في مسرحيـة كاملـة. ثـمّ كأنَّ ذلـك لـم يشـبع حسّـه الهـزليّ، فأتبـع بيتـه بيتـين إضافيـين كي يزيـد الفـوضى فـوضى، والتشـويش تشويشـاً.

إنّ هريـرة هـذه الـتي أحبهـا عـلى غـير قصـد، تحـبُّ رجـلاً آخـر غـيره، وهـذا الآخـر يحـبُّ فتـاةً أخـرى. هـل شـعرت بالـدوار والربكـة؟ لـم تـر شيئـاً بعـد! هـذا الرجـل الـذي تحبـه هريـرة تحبـه فتـاة أخـرى، وهـذه الفتـاة الأخـرى يحبهـا قريـبٌ يهـذي بهـا وهـي لا تـدري، وحـتى الأعـشى الـذي بـدأ هـذه السلسـلة غـير النهائيـة مـن الحـب والخَبـل

اللغة:
عُلّقتهـا: أحببتهـا. **عَرَضـاً:** عـلى غـير تعمّـد. **وهِـل:** ذاهـبٌ عقلـه. **تبِـل:** مخبـول. **نـاءٍ:** بعيـد. **دانٍ:** قريـب. **محبـول:** مأخـوذ في حبالـة الصيـد. **مُحتبِـل:** صائـد. **صـدّت:** أعرضـت. **جهـلاً بـأمّ خليـد حبـل مـن تصـل؟** اسـتفهام تعجـبي بمعـنى: حبـل مـن تصـل إذا لـم تصلنـا؟ **أم خليـد:** كنيـة هريـرة. **أعـشى:** لا يبـصر بالليـل. **ريـب المنـون:** فجائع الدهـر. **مفنِـد:** مفسِـد. **خبِـل:** خابـل، يذهـب بالمـال والولـد.

15. I fell for her and she for a man
other than me and for yet another woman
that man fell.

16. And still another whom he didn't want,
fell for him, and she, that other,
had a cousin mad in love for her.

17. And yet another, whom I didn't fancy,
fell for me and thus all tangled up
in love we all wasted and pined.

18. Each longing for another, delirious and stricken
approaching and retreating,
confounding and crazed.

19. Hurayrah shunned me without a word.
Oblivious, that Umm Khulayd,
of the promises she had made.

20. Didn't she see me, an old dim-sighted man,
afflicted by treacherous Fate
and by Time, the senile and precarious.

21. When I came visiting,
Hurayra said: "woe to you
and woe to me because of you"

تحبه فتاة أخرى ليست ملائمةً له. يالـه من كرنفال! يا لها من فوضى! حيث العاشق معشوق، والصائد مصيود.

إنها فعلا ملهاة عجيبة!

لكن لماذا تغيّرت هريرة فجأة؟ ما بالها لا تكلمه؟ ألم يقضِ معها حولاً كاملاً في لهو ولذة كما أخبر في قصيدةٍ أخرى[11].

لماذا استبدلته برجل آخر؟ هنا يكشف الأعشى عن جرح غائر، ويبوح بسرٍ أحسن إخفاءه طيلة العشرين بيتاً.

إنّها هذه العلّة الكريهة التي ما فتئت تأخذ من بصره شيئاً فشيئاً، حتى صار لا يهتدي بدون دليل يقوده في الليل، والليل -كما هو معلومٌ بين الفتّاك- وقت تجاوز الحرّاس واقتحام الستور والأخبية.

لكأني أرى الأعشى وهو يتخبّط في طريقه بعد أن أجنّه الظلام، يحاول الوصول إلى أبيات آل عمرو بن مرثد فيخطئها، حتى إذا اقتحم على هريرة سترها، رأته وهو يتلمّس طريقه محاذراً الوقوع، فيسقط من عينها شيئاً، وتهتف قائلة: "ويلي عليك وويلي منك يا رجلُ!" وقد فهم القدماء هذا البيت بطريقة مخالفة فجعلوا لهذه الويلات معنى مُريباً، والأسوغ أنّها ويلات امرأةٍ في ورطة، لا تريد إبقاء هذا الأعمى في خدرها ولا تستطيع إخراجه دون فضيحة.

(١١) يقول الأعشى:

هريرةَ ودّعها وإن لام لائمُ غَداةَ
غدٍ أم أنتَ للبينِ واجِمُ
لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويتهُ
تَقَضّي لُبانات ويسأمُ سائمُ

زمان اللهو

٢٢. إمّـا تريـنـا حفـاةً لا نِعـالَ لنـا ... إنّا كذلـكَ مـا نحـفى وننتعِـلُ
٢٣. فقد أخالسُ ربَّ البيتِ غفلتَهُ ... وقـد يحـاذرُ مـني ثمّ مـا يئـلُ
٢٤. وقـد أقـودُ الصِبـا يوماً فيتبعـني ... وقد يصاحبـني ذو الـشِرّةِ الغَـزِلُ
٢٥. وقد غدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني ... شـاوٍ مشـلٌّ شلـولٌ شلشـلٌ شَـولُ
٢٦. في فتيـةٍ كسيوفِ الهندِ قد علموا ... أن ليسَ يدفعُ عن ذي الحيلةِ الحِيَلُ
٢٧. نازعتهـم قُضـبَ الريحـانِ متكئـاً ... وقهـوةً مُـزّةً راووقهـا خضِـلُ
٢٨. لا يسـتفيقون منهـا وهي راهنـةٌ ... إلا بهاتٍ وإن علّوا وإن نهلوا
٢٩. يسعى بها ذو زُجاجاتٍ له نُطفٌ ... مُقلِّصٌ أسفلَ السربالِ مُعتمِلُ
٣٠. ومستجيبٍ تخالُ الصنجَ يسمعهُ ... إذا ترجّـعُ فيـهِ القينـةُ الفُضُـلُ
٣١. والسـاحباتُ ذيـولَ الخَـزِّ آونـةً ... والرافلاتُ على أعجازِها العِجَلُ
٣٢. مـن كلِّ ذلك يومٌ قد لهوتُ بـهِ ... وفي التجاربِ طولُ الهمِّ والغزلُ
٣٣. وبلدةٍ مثل ظهرِ التُّرسِ موحشةٍ ... للجـنِّ بالليـلِ في حافاتِهـا زَجَـلُ
٣٤. لا يتنـمّى لهـا بالقيـظِ يركبُهـا ... إلا الذين لهم فيما أتوا مَهَلُ
٣٥. جاوزتهـا بطليـحٍ جَـسرةٍ سُرُحٍ ... في مرفقيها إذا استعرضتها فَتَلُ

بعـد أن تلقّـى الأعـشى طعنـةً في كرامتـه، وبعـد أن تيقّـن مـن تغـيّر هريـرة عليـه بسبب اعتـلال بـصره وضيـق ذات يـده، ذكّرهـا أنّ الدهـر لا يبقـى عـلى حـال واحـدة، وأنّ كلَّ امـرئ يتقلـب بـين حـالي الفقـر والغـنى.

ثـمّ اندفـع يعـدد فتوحاتـه الجنسـية ومغامراتـه السـابقة، يـومَ كان مسـتطيعاً ببـصره، مسـتغنياً عـن غـيره، لكأنّـه بهـذا التعـداد يثـأر لكرامتـه! كان يقتحـم البيـوت ويلهـو بالنسـاء، يساعده في غيّـه أصدقـاء مـن ذوي الطيـش والـنزق، ويجـرّ عنـان الصبـا حيثمـا شـاء.

ثـم إنـه كان يطـرق أبـواب الخمَّـارات وقـد اسـتكمل أدوات اللهـو والمنادمـة، يتبعـه فـتى حـاذق لا يتـوانى عـن الخدمـة، يشـوي اللحـم، وينظمـه في السـفّود، وينتشـله مـن القـدر.

وقـد عِيب عـلى الأعـشى هـذه الشـينات المتتابعـة في قولـه (شـاوٍ مشـلٌّ شـلولٌ شلشـلٌ شـولُ)، خصوصـاً أنّ أربعـة ألفـاظ منهـا تجـيء في معـنى

اللغة:
نحفى وننتعـل: كنايـة عـن الفقـر والغـنى. **مـا يئـل:** مـا ينجـو. **الـشِرّة:** الطيـش والنشـاط. **الغـزِل:** المحـبّ لمحادثـة النسـاء. **غـدوت:** ذهبـت غـدوة مـا بـين صلاة الصبـح وطلـوع الشـمس. **الحانـوت:** بيـت الخمّـار. **شـاوٍ:** الـذي يشـوي اللحـم. **مشـلّ:** مسـتحث جيـد السّـوق. **شـلول وشَلشَـل:** خفيـف اليـد في العمـل. **شَـول:** الـذي عادتـه العمـل. **قهـوة:** خمـر. **راووقهـا:** إناؤهـا. **خضِـل:** دائـم الامتـلاء. **علّـوا:** مـن العَلـل، وهـو الـشرب الثـاني. **نهلـوا:** مـن النهـل، وهـو الـشرب الأول. **نُطَـفٌ:** النطفـة اللؤلـؤة الكبـيرة، تُتخـذ في الأقـراط. **معتمـل:** مجتهـد في الخدمـة. **مسـتجيب:** العـود، إذ إنـه يجيـب الصنـج. **الصنـج:** آلـة موسـيقية فارسـية تُدعـى الجَنْـك، أشـبه شيء بالقانـون. **القينـة:** المغنيـة. **الفُضُـل:** المتبذلـة في ثياب قليلـة. **العِجَـل:** مفـردة عِجلـة، وهـي قريـة المـاء. **زَجَـل:** أصـوات مختلطـة. **يتنمّـى:** يسـمو إلى ركوبهـا. **مَهَـل:** عـدّة وقـوة. **طليـح:** ناقـة أهزلهـا السـفر. **جَـسرة:** ضخمـة. **سُرُح:** سـهلة السـير. **فتَـل:** تباعـد مرفقيهـا عـن جنبيهـا.

22. If you see me barefoot,
that's the way it is. One day in shoes
and one day without.

23. I steal by the master of the house,
unaware. No matter how wary he may be,
I'll catch him off guard

24. One day I might lead youth by its horns
and it will follow. My companion will be
a handsome hot-blooded flirt.

25. Many a time, I set out to the tavern
at daybreak, followed by a sharp shrewd
swift skewering meat handler,

26. in a crew of men like Indian swords who know
well that, shoed or shoeless, we will
all perish.

27. We kick back sharing sweet words
and a tangy wine that flowed from
a moist clay jug.

28. After a round or two it overwhelms them
and they only come
to ask for more.

29. A Saqi, agile and quick, serves it,
running back and forth with his shirt
tucked in.

واحـد[١٢]، لكنَّنـا لا نملـك إلا أن نبتسـم لهـذا العربيـد وهـو في طريقـه إلى الحانـوت وقـد لعبـت فكـرة الخمـر المُرتقَبـة في رأسـه، لا أقـلَّ مـن أن يلهـو بالحـروف والكلمـات كأنهـا فقاقيـعُ تتفجـرّ في رأسـه.

ثـمّ يصـف ندمـاءه، فيشـبههم بالسـيوف الهنديـة مَضـاءً وصباحـة وجـوه، يعلمـون أنّ مـا قـدّر الله لا بـدّ كائـن، وأنّ الفـتى لـن يجـني مـن عنـاء الأقـدار غـير الهـمّ والشـقاء، لـذا فـلا أقـلَّ مـن أن يـأتي المـرء إلى الـشرب ناعـمَ البـال خلـواً مـن الهمـوم، هـذا هـو شرط الجلـوس إلى مائـدة الأعـشى، حيـث لا مـكان للأتـراح والهـم.

ثـمّ يـدور الحديـث وكاسـات الـشراب، ومـا أجمـل تمثيـل الأعـشى حـين جعـل أطـراف الحديـث قُضـبَ ريحـانٍ يتنازعونهـا بينهـم! دنّ الخمـر ممتـلئ أبـداً، وكلمـا اسـتفاقوا مـن سكرة صرخـوا بالسـاقي: هـاتِ كأسـاً أخـرى، فيبادرهـم وقـد شـمّر عـن سـاعد الجـد، وطـوى أسـفل سروالـه، وأخـذ يسـعى بينهـم بأقراطـه اللامعـة في أذنيـه.

لا يكتمـل مجلـس الـشراب إلا بـآلات الطـرب والنسـاء. هـا هنـا صنـج وعـود يتبـادلان الحـوار بينهمـا، كلمـا صـوّت أحدهمـا أجابـه الآخـر. وهـا هنـا قينـة تـضرب بالصنـج، فتنقلـه مـن طبقـةٍ إلى أخـرى، ومـن نغمـة إلى نغمـة. وهـا هنـا قيـانٌ حسـان، يملأن العـين بهجـةً، والقلـب انشراحـاً، يسـحبن الأذيـال خلفهـن، ويتمايلـن بـأرداف تترجـرج كأنّهـا مـزادات المـاء.

إنّـه يـوم واحـد فقـط مـن أيـام لهـوه، فمـا بالـك بحيـاةٍ يتنازعهـا الهـمّ والغزل!

ثـمّ كيـف تحتقـره هريـرة لاعتـلال بـصره، وهـو لـم يـترك مفـازةً لـم يقطعهـا، ولا بلـدةً لـم يجاوزهـا، لـكأنّ تلـك البلـدة في اسـتوائها وترامي أطرافهـا ظهـر تُـرس، إذا اشـتملها الليـل سـمع الراكـب فيهـا أصواتـاً تصـدر عـن الجـنّ، وعندمـا يشـتدّ قيظهـا يتحاماهـا أشـجع الرجـال، إلا أولئـك الذيـن يمتـازون بالقـوّة ويعـدّون العـدّة مـن زادٍ ومـاء.

مطيّتـه ناقـة ضخمـة الهيـكل، سـهلة السـير، مرفقاهـا متباعـدان ممـا يزيدهـا سرعـةً واندفاعـاً، وهـي رغـم ضخامتهـا أهزلهـا السِـفار، وهـا هـو يقطـع فوقهـا هـذه البريّـة الموحشـة في طريقـه إلى بـلاد شـيبان حيـث يزيـد بـن مُسـهِر الشـيباني.

(١٢) ابـن قتيبـة. الشـعر والشـعراء. ج١ ص٢٥٦

30. And when the singing girl, lounging,
sings a tune, you'd think the 'ud speaking
to the Persian harp.

31. How many a beauty trailing her silk gown
and many a girl lifting the heavy wine flask
on her curvy hips

32. have I enjoyed in the midst of all this
and the more one indulges, the more
pleasure and love.

33. And many a barren land
like the back of a shield where only the jinn hum
in its desolate corners.

34. Only the persistent and unrushed
dare venture on its treacherous terrain
in the heat.

35. Yet, I have crossed it on a travel-worn,
gaunt, and swift mare whose well-parted elbows
easily show.

في ربوع دُرنا

٣٦. يا من يرى عارضاً قد بتُّ أرمقهُ ... كأنّما البرقُ في حافاتِه الشُعَلُ

٣٧. له رِدافٌ وجَوزٌ مُفأمٌ عَمِلٌ ... مُنطّقٌ بسجالِ الماءِ مُتصِلُ

٣٨. لم يلهني اللهوُ عنهُ حين أرقبُهُ ... ولا اللذاذةُ في كأسٍ ولا الكسلُ

٣٩. فقلتُ للشَّربِ في دُرنى وقد ثَمِلوا ... شيموا وكيف يشيمُ الشاربُ الثمِلُ[١٣]

٤٠. قالوا نُمارٌ فبطنُ الخالِ جادهما ... فالعسجديةُ فالأبلاءُ فالرَّجَلُ

٤١. فالسفحُ يجري فخنزيرٌ فبرقتهُ ... حتى تدافعَ منه الوَترُ فالحُبَلُ

٤٢. حتى تحمّلَ منه الماءَ تكلِفةً ... روضُ القطا فكثيبُ الغِينةِ السَهِلُ

٤٣. يسقي دياراً لها قد أصبحت غَرَضاً ... زوراً تجانفَ عنها القَودُ والرَّسَلُ

ثمّ كأنَّ الأعشى أنكر على نفسه نزولها على حكم هريرة، وكيف أخذ يبرر ويذكر شواهدَ من ماضي نشاطه وقوّته، وكأنَّ علّة بصره عيبٌ يستحق الاعتذار، فأراد أن يريها معنى الإبصار الحقيقي.

هنا نصل إلى دُرنا، حيث جلس الأعشى للشراب وطلب من ندمائه أن يشيموا البرق أين يقع. اختلف الشرّاح والبلدانيون في تحديد موقعها، فقال بعضهم إنّها في اليمامة وفيها قبر الأعشى،[١٤] وقال آخرون إنّها في سماوة العراق قرب الحيرة،[١٥] وقال فريق ثالث إنّها أثافت التي في اليمن،[١٦] لكنّ نظرةً فاحصة في الشعر الجاهلي، خصوصاً الأشعار التي قيلت يوم ذي طلوح[١٧] كفيلة بحسم موقعها وتحديده في سماوة العراق، حيث كانت قبائل شيبان وعجل، وحيث تزدهر معاصر الخمور، ولمّا كان الأعشى في طريقه إلى شيبان كي ينظر في مقتل زاهر بن سيّار، لا بدّ أنّه توقف فيها وشرب في أحد حوانيتها الشهيرة.

لكن هل يمكن لجالسٍ في العراق أن يشيمَ برقاً تمطرُ سحابته في أودية اليمامة؟ ثم يزيد من صعوبة المهمّة أنَّ الشائم أعشى لا يبصر جيداً، وأنَّ ندماءه الذين يطلبهم المساعدة سكارى.

اللغة:
عارضاً: سحابا معترضاً. **أرمقه:** أرقبه. **ردافٌ:** سحاب خلف سحاب. **جوز:** وسط. **مُفأم:** عظيم. **عَمِل:** دائم البرق. **منطّق:** أحاط به كالمنطقة. **سجال:** دلاء ماء. **الشَّرب:** جمع شارب. **دُرنا:** قرية في سواد العراق. **ثملوا:** سكروا. **شيموا:** انظروا. **نُمار وبطن الخال والعسجدية والأبلاء وخنزير والوتر والحُبَل وروض القطا وكثيب الغِينة:** مواضع في اليمامة حيث ديار قيس بن ثعلبة، يمكن التعرّف على كثير منها في الرياض رغم تغيّر أسمائها، **وهي على التوالي: نُمار:** وادٍ يصب في الجانب الغربي من وادي حنيفة. **بطن الخال:** يُعرف الآن بوادي لبن، ويصبّ في وادي حنيفة شمالاً عن نُمار. **العسجدية:** بطن السليّ. **الأبلاء:** أبلى قريب من قرّان شمال منفوحة. وبلو وبلي من مياه العرمة، قريبان من روض القطا. **الرَّجَل:** ما اطمأنّ من الأرض. **خنزير:** خشم العان. **برقة خنزير:** شمال خشم العان. **الوتر:** وادي البطحاء. **الحُبَل:** المُغرّزات. **روض القطا:** الجنادرية. **كثيب الغينة:** نفود بنبان. **تكلفةً:** على مشقّة. **غرضاً:** موضعاً للأمطار والرياح. **زوراً:** بعيدة. **تجانف:** ابتعد. **القَود:** الخيل. **الرَسَل:** الإبل.

(١٣) تضيف بعض الروايات بيتاً في هذا الموضع:
برقاً يضيء على الأجزاعِ مسقطُهُ
وبالخبيّةِ منهُ عارضٌ هَطِلُ

(١٤) قال بذلك الهمداني وتابعه ياقوت وابن بليهد وابن جنيدل.

(١٥) قال بذلك الأصمعي وحمد الجاسر وتؤيده أشعار الجاهليين كعميرة بن طارق ومالك بن نويرة.

(١٦) نقله الهمداني عن الرئيس الكباري في صفة جزيرة العرب. وكان للأعشى معصرة خمر في أثافت ذكرها في شعره.

(١٧) يوم من أيام العرب في الجاهلية، كان لبني يربوع على قبائل شيبان وعجل. راجع: النقائض ج١ ص٥٣.

36. Do you see that cloud I've been tracking,
as if the lightning lines its edges with
flaming sparks?

37. It looms with more clouds rising behind it.
Its dense center stretches, enveloped by the unceasing
downpour.

38. I spotted it and nothing could distract me
neither occupation nor pleasure
in a cup.

39. So I said to my drunk companions in Durna:
"Track it with me. Look!" And what can
the drunk see?

40. They said there over Numār, then Khal,
it has drenched them both.
Then Asjadiyyah and Ablā' then Rijal.

41. It rose over the slopes of Khanzīr
then its Burqa then pushed on over Watr
and Hubal,

42. Until it overwhelmed with water
the grouse gardens and the lush slopes of Ghīnah
beyond their fill.

43. It continued to target these abodes
with its waters, until it drove the cattle
and herds out.

إنّها نقطة أراد الأعشى أن نتوقف عندها حين أكّد حالة السُكر: شيموا وكيف يشيم الشاربُ الثملُ؟ إننا أمام نوع جديد من الإبصار، لا يوهنه مرض ولا تعوقه مسافة، وإياك أن تُخدع بحيلة الأعشى حين أراك الأماكن التي أمطرتها السحابة على لسان ندمائه، فهو الذي أنطقهم، وهو الذي صنعهم من مادة خياله، وهو الذي تمثّل السحابة وهي تكبر وتبرق ويتداخل بعضها في بعض حتى لكأنّها محمّلةٌ بدلاء ماءٍ لا حصر لها.

ثم تمطر السحابة فيتابع الأعشى حركتها، ويتتبع السيول وهي تجري في مناطق تقع ضمن مدينة الرياض الحديثة، من غربها إلى شرقها، ومن جنوبها إلى شمالها، فيرى واديي نُمار ولبن يتدفقان في وادي حنيفة الكبير، ويرى ما أصبح أحياءً سكنيّة كالسلي والبطحاء والمغرّزات تفيض بالماء والسيول إلى أن تصل خشم العان شرقاً، وأخيراً ينتهي السيل شمالاً في نفود بنبان.

ما نزل المطر مرةً في الرياض إلا وتخيّلتُ الأعشى جالساً في دُرنا، فتجري على لساني تلك الأسماء الرائعة التي سمّاها منذ أكثر من ألف سنة: نُمار، بطن الخال، العسجدية، الأبلاء، برقة خنزير، الحُبَل، روض القطا، كثيب الغِينة.

إنّها تعويذة سحريّة -هذا الشعر!- تنتقل عبر الأزمنة والأمكنة لتزرع في نفوس حافظيها حبَّ الديار والوطن.

هل تعوزك البصيرة يا أبا بصير؟ إطلاقاً!

الوعل والصخرة

٤٤. أبلِغْ يزيدَ بني شيبانَ مألُكةً ... أبا ثُبيتٍ أما تنفكُّ تأتكِلُ

٤٥. ألستَ منتهياً عن نحتِ أثلتِنا ... ولستَ ضائرَها ما أطّت الإبِلُ

٤٦. تُغري بنا رهطَ مسعودٍ وإخوتِهِ ... عند اللقاءِ فتُردِي ثمّ تعتزِلُ

٤٧. كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقَها ... فلم يضِرها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ[18]

٤٨. لأعرفنّكَ إن جدّت عداوتُنا ... والتُمِسَ النصرُ منكم عوضُ تحتمِلُ

٤٩. تُلزِمُ أرماحَ ذي الجدّينِ سَورتَنا ... عند اللقاءِ فتُرديهم وتعتزِلُ

٥٠. لا تقعُدنَّ وقد أكّلتها حَطَباً ... تعوذُ من شرّها يوماً وتبتهِلُ[19]

٥١. سائِلْ بني أسدٍ عنّا فقد علِموا ... أن سوفَ يأتيكَ من أنبائِنا شَكَلُ

٥٢. واسأل قُشيراً وعبدَ اللهِ كلَّهمُ ... واسألْ ربيعةَ عنّا كيف نفتعِلُ

٥٣. إنّا نقاتلُهم حتّى نقتّلهم ... عند اللقاءِ وإن جاروا وإن جهِلوا

٥٤. قد كان في أهل كهفٍ إن همُ قعدوا ... والجاشريّةِ من يسعى وينتضلُ

إذا كان ما مضى الشطر المخصص للسلم، فها نحن نستقبل شطر الحرب، ولقد أحسن الأعشى حين استعّل مشهد السحابة للانتقال من الحال الأولى إلى الثانية، فلا شيء أشبه بالبرق والرعد والسيل الجارف من هذه التهديدات التي تبعتها، وهذه القوافي التي بدأت تهدر وتجلجل.

لا يمهّد الأعشى لما يريد من نذير ووعيد، بل يندفع فيه اندفاعاً، فيلقي برسالته إلى يزيد بن مُسهِر الشيباني، هذا الساعي بالفتنة بين فرعي القبيلة، ويتعمّد أن يصغّر كنيته إمعاناً في امتهانه وتحقيره، ثمّ يسأله: إلى متى وأنت تتحكّكُ غيظاً، وتلتهب حقداً، وتسعى بالشرّ ضدنا؟

لكأنّك وَكَّلتَ نفسك باجتثاث أصلنا واقتلاع أثلتنا، لكن هيهات، لن تُوفّق ما دامت هناك إبلٌ تحنّ وتصدر رغاءً. إنَّ مَثَلك وأنت تحاول ضرّنا كمَثَل وعلٍ رأى صخرة فغاظته، فهجم يريد أن يفلقها، فما كان إلا أن أوهن قرنه وأضرّ بنفسِه.

اللغة:
مألكة: رسالة. **أبا ثُبيت:** أبا ثابت، كنيّة يزيد بن مسهر الشيباني. **تأتكل:** تلتهب غضباً وتسعى بالشر. **أثلتنا:** أصلنا. **أطّت:** حنّت. **رهط:** قوم. **تردي:** تهلك. **ليفلقها:** ليكسرها. **الوعل:** الأيّل. **لأعرفنك:** أستطيع رؤيتك. **عوض:** دهرك وأبدَك. **تحتمل:** ترحل. **ذوالجدّين:** قيس بن مسعود سيد شيبان. **سورتنا:** غضبتنا. **فترديهم:** فتهلكهم. **أكّلتها:** هيّجتها. **شَكَل:** خبر بعد خبر. **جاروا:** ظلموا. **أهل كهف:** أهل القاتل ضبيع. **الجاشرية:** أهل القتيل زاهر بن سيّار. **ينتضل:** يتصدّى للنضال.

(١٨) تضيف بعض الروايات بيتاً في هذا الموضع:

لأعرِفَنّكَ إن جدَّ النفيرُ بنا
وشُبّت الحربُ بالطوّافِ واحتملوا

(١٩) تضيف بعض الروايات بيتاً في هذا الموضع:

حتّى تصيبُكَ منها فرطُ سابقةٍ
أنتَ المُهابُ وأنتَ الخائفُ الوَجِلُ

44. To Yazīd of Banī Shaybān,
this word: Stop eating your heart out
Abū Thubayt!

45. Stop taking jabs at our noble roots
that nothing can mar
as long as burdened mounts moan.

46. You egg Masʿud's kin and brothers against us.
When we meet, you throw a spark
and retreat.

47. You are like a mountain goat butting
against a rock to split it: the rock unharmed,
yet the horn cracked.

48. I know you well and know that
when war blazes nothing can be hoped from you
but forsaking.

49. You feed the rage of Dhi al-Jaddayn's sons
our spears but when you have to face them
you withdraw.

ثم يستأنف تهديده فيقول: أكاد أراك حين تتجدد العداوة ويطلب بنو شيبان منك نصرتهم، ستشدّ رحلك وتنأى بأهلك وتظل أبد الدهر في احتمالٍ وترحال.

إن كنتَ تجهل بأسنا فاسأل قبائل أسد وقشير وعبد الله، لا بدّ أن تنتهي إليك أخبارنا دفعةً بعد دفعة، كيف أثخنّا فيهم، وكيف إذا قاتلنا قوماً لا نتركهم حتى نأتي عليهم قتلاً وتشريداً.

ثمّ أيّها الشقيّ، ما شأنك بأهل القاتل والقتيل إن قرروا القعود عن الثأر أو القيام به، وفيهم من يُغْني في المجالس ويكفي عند القتال والنضال؟

50. No don't retreat when you have fed this fire.
You will soon be pleading and seeking
refuge from its scorch.

51. Ask the sons of Asad of us, for they know well
that you will soon receive wonderous news
of our deeds.

52. And ask the tribes of Qushayr, Abdullah
and Rabīʿah, all. Let them tell you
what we can do.

53. No matter how mighty and impetuous,
will fight them when the day comes
and crush them.

54. There were among the people of Kahf
When they fought and the Jāshiriyyah
arbiters and contenders.

فرسان فُطيمة

٥٥. إنّي لَعَمرُ الذي خطّت مناسمُها ... تخدي وسيق إليهِ الباقِرُ الغُيُلُ
٥٦. لئن قتلتم عميداً لم يكن صَدداً ... لنقتلنْ مثلَهُ منكم فنمتثلُ
٥٧. لئن مُنيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ ... لم تُلفِنا من دماءِ القومِ ننتفِلُ
٥٨. هل تنتهونَ؟ ولن ينهى ذوي شططٍ ... كالطعنِ يذهبُ فيهِ الزيتُ والفُتُلُ
٥٩. حتّى يظلَّ عميدُ القومِ متكئاً ... يدفعُ بالراحِ عنهُ نسوةٌ عُجُلُ
٦٠. أصابهُ هندوانيٌّ فأقصدهُ ... أو ذابلٌ من رماحِ الخطِّ مُعتدِلُ
٦١. كلّا زعمتم بأنّا لا نقاتلكم ... إنّا لأمثالكم يا قومَنا قُتُلُ
٦٢. نحنُ الفوارسُ يومَ العينِ ضاحيةً ... جنبي فُطيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ
٦٣. قالوا الركوبَ فقلنا تلك عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ
٦٤. قد نخضِبُ العَيْرَ من مكنونِ فائلِهِ ... وقد يشيطُ على أرماحِنا البطلُ

ثمّ يحلف الأعشى بربّ البيت الحرام، وما يُساق إليه من ذبائح وقرابين، لئن تابعت بنوشيبان يزيد بن مُسهر في حضّه لهم كي يقتلوا بزاهرٍ رجلاً آخر من الأعيان، لن يهدأ لقيس بن ثعلبة بالٌ حتى ينتصفوا منهم ويقتلوا به سيداً كفؤاً، ولئن اندلعت الحرب لن ينتهوا حتى يسفكوا دم شيبان كلّه، ولا شيء يردع الجاهلَ المجانب للصواب مثل الطعنة تنفذ عميقاً في جسده، حتى إذا جاء المداوي يفحصها غاب الفتيل فيها لعمقها، ونضب الزيت قبل الفراغ من معاينتها.

لا تقتصر بصيرة الأعشى -بشقّيها البصريّ والتخييلي- على اختراق المسافة فقط، وإنّما الزمان أيضاً، تقدماً وتقهقراً، فهو قادرٌ على تمثيل المستقبل أمام سامعيه، يخبرهم كيف ستؤول الأمور إن لم يأخذوا بنصحه، حتّى لكأنّها تتكشّف أمامهم، وهو قادرٌ على عرض الماضي وتمثيله لهم حتى لكأنهم يعيشونه ثانية.

هذا ما يحصل عندما يصوّر الأعشى ليزيد بن مُسهِر ما يمكن حدوثه إن لم ينتهِ واستمرّ يطالب بقتل أعيان قيس، عندها سيسقط أبطال شيبان ذات اليمين وذات الشمال، وستملأ جثثهم أرض المعركة، وسيجتمع النساء حول زعيم شيبان يحاولن الذبّ عنه بأيديهن، ما فيهنّ إلا ثاكلٌ فقدت زوجاً أو ابناً أو أخاً أو أباً،

اللغة:
لَعَمرُ: كلمة تُقال للقسم. **مناسمها:** جمع منسم وهو طرف خفّ البعير. **تخدي:** تسرع. **الباقر:** البقر. **الغُيُل:** الكثير. **عميداً:** رئيساً. **صدداً:** مقارباً. **فنمتثل:** نقتل الأماثل منكم. **مُنيت:** ابتُليت. **غِبّ:** عاقبة. **تلفنا:** تلقنا. **ننتفل:** ننتفي. **شططاً:** خروجاً عن الصواب. **الفُتُل:** الفتائل. **عُجُل:** جمع عجلى وهي الثكلى. **هندواني:** سيف. **فأقصده:** قتله. **ذابل:** دقيق. **الخطّ:** مرفأ في البحرين، حيث تباع أجود الرماح. **يوم العين:** يوم عين محلم وسيأتي خبره في الشرح. **ضاحية:** علانية. **فطيمة:** فطيمة بنت شرحبيل، وقيل فاطمة بنت حبيب، وهي امرأة من قيس بن ثعلبة قبيلة الأعشى. **ميل:** جبناء. **عُزُل:** لا سلاح معنا. **نخضب:** نطعن. **العير:** حمار الوحش. **مكنون:** دم. **فائله:** عرقه العميق في الفخذ. **يشيط:** يهلك.

55. By the life of the one
to whom camels plod and horned
butting cattle are led,

56. if you were to kill a chief who
didn't stand in your way, we'll kill one of yours,
his equal.

57. When you are afflicted by us on the battle day,
you'll find that we are not ones to turn away
from the tribe's blood right.

58. You will not desist and nothing but
a stabbing onslaught will stay the
transgressor's hand.

59. Until the chief of your tribe
collapses and lies only protected
by failing bereft women,

60. struck by an Indian sword
that got him or by a Khattian spear
straight and supple.

لـم يبـق مـن بعولتهـنّ سـوى هـذا الكهـل الجريـح، وهـو مُلقًـى عـلى الأرض أثخنتـه السـيوف وأسـقطته الرمـاح ووطأتـه الخيـل.

مهمـا بحثـت في المعلَّقـات وشـعر المعـارك لـن تجـد صـورةً أكـثر إلحاحـاً وحـرارةً وإفزاعـاً مـن هـذه الصـورة، لكأنّـك تراهـا فـوق شاشـة.

ثـمّ يرجـع الأعـشى ببصيرتـه القهقـرى، فيمثّـل ليزيـد مشـهداً مـن المـاضي، عندمـا نشـب خـلافٌ مشـابهٌ بـين أبنـاء العـمّ في عـين مُحلَـم، وكان مـن خـبر ذلـك أنَّ امـرأةً مـن قيـس بـن ثعلبـة تُدعـى فُطيمـة تعرّضـت للظلـم في بـني سـيّار، وقـد اختُلـف في طبيعـة ذلـك الظلـم: قيـل إنَّ سـيّاريةً حلقـت ظفائرهـا، وقيـل إنَّ شـيبانياً ارتهـن ابنيهـا بعـد أن قمـر[٢٠] زوجهـا عـلى بسـتان، فمـا هـو إلا أن اشـتملت عـلى ابنيهـا بثوبهـا، ونـادت تسـتنجد قومهـا، فلمـا جـاؤوا دفعـوا عنهـا وعـن ابنيهـا حـتى ولّـت فرسـان سـيّار منهزمـة.[٢١]

لا يذكـر الأعـشى هـذا اليـوم فقـط، بـل يمثّلـه أمـام يزيـد، وينتقـي ألفاظـاً لهـا قـدرة عجيبـة عـلى التصويـر، حـتى لكأنّـك تـرى الأبطـال عـن يمـين وشـمال فُطيمـة.

ثـم يختـم ببيتـين مُجلجلين،أضافـا إلى المعلّقـة طابعهـا الملحمـيّ: نحـن فـوارس فُطيمـة، تجدنـا عنـد اللقـاء مُتلببـين[٢٢] مسـتعدين، لا جبنـاء خـوّارون ولا يعوزنـا السـلاح، وأيـاً كانـت طريقـة القتـال الـتي تختـارون نحـن أهلهـا: إن كان طعانـاً بالرمـاح طاعنّاكـم عـلى أفراسـنا، وإن كان نـزالاً بالسـيوف ترجّلنـا وجالدناكـم، وليـس أبـصر بمواضـع الطعـن منّـا، نطعـن حمـار الوحـش فننفـذ إلى عـرق الفخـذ مبـاشرة، ويهجـم علينـا البطـل فنرفعـه جثـةً فـوق أرماحنـا.

وهكـذا، لـم تنتـهِ المعلّقـة إلا بعـد أن اسـتعرض الأعـشى -أمـام هريـرة وسـامعيه- قدراتـه العجيبـة عـلى شـيم السـحاب ورؤيـة البعيـد وإبصار المـاضي واسـتشراف المسـتقبل، وهـذه -لعَمـري- البصـيرة في أغـنى صورهـا.

(٢٠) غلبه في القمار.

(٢١) البغـدادي. خزانـة الأدب. ج٨ ص٣٩٧.

(٢٢) مُتلببين: متحزّمين للقتال.

61. You claimed that we wouldn't fight you
Lo! We are for the likes of you
killers.

62. We are the riders at high noon
on the day of al-ʿAyn, near Futaymah,
no wavering, no turning back.

63. If you mount for the battle,
that is what we do and if you say on foot,
then we are the ones to dismount.

64. We will stab a chief in the hollow
of his thigh and a champion's blood, unavenged,
on our spears will spill.

النابغة الذبياني

al-Nābighah al-Dhubyānī

مرافعة متهم

Plea of the Accused

The Muʿallaqah of al-Nābighah al-Dhubyānī
Plea of the Accused

Introduction by Suzanne Pinckney Stetkevych
Translation by Suzanne Pinckney Stetkevych, assisted by Khalid Stetkevych

معلَّقة النّابغة الذُّبياني
مرافعة متهم

مقدمة وشرح: صالح الزهراني

"النّابغة الذُّبياني" لقبٌ أُطلق على الشاعر زياد بن معاوية بن ضباب الذّبياني بسبب نبوغه في شعره. ينتمي النابغة إلى قبيلة ذُبيان[1] التي امتدت منازلها ما بين اليمامة (نجد حالياً) إلى جبال أجأ وسلمى (حائل حالياً)، مروراً بوادي القُرى بالمدينة المنورة.

لا يوجد في كتب التاريخ ما يقدّم صورةً واضحةً عن نشأة النابغة. سوى أنّه كان يتنقّل بين قصور المناذرة والغساسنة[2] مادحاً ملوكها، النعمان بن المنذر والحارث بن عمرو، طالباً للمال، وسفيراً للنوايا الحسنة، يُنشِد للسلام، ويمجّد الحكمة، ويدعو إلى نبذ ثقافة العنف.

شهد النابغة بداية حرب داحس والغبراء، الحرب الكبرى التي جرت في الجاهلية بين قبيلتي عبس وذبيان، بسبب رهانٍ على سباقٍ بين جوادين. وقد قدم خيرة شباب غطفان حطباً لحرب خاسرة امتدت أربعين عاماً بين عبس وذبيان. ويبدو أن النابغة لم يشهد نهاية هذه الحرب، لأنه ليس في شعره ما يدلّ على ذلك، فقد انتهت الحرب وفق ما يذكر المؤرخون سنة ٦٠٨م، بينما كانت وفاته تقريباً في ٦٠٥م.

قال النابغة الشعر بعدما أصبح كبيراً في السن (وهذا من أسباب تلقيبه بالنابغة، ومع ذلك كان من أشعر الشعراء كما تقول كتب النقد الأدبي الكلاسيكية.

الناقد ابن سلام الجمحي[3] الذي قسم الشعراء الجاهليين في كتابه "طبقات فحول الشعراء" عشر طبقات بحسب جودة أشعارهم، وتنوع أغراضهم الشعرية وكثرة قصائدهم.

عدّ النابغة الذبياني من شعراء الطبقة الأولى.

(١) قبيلة ذبيان هي بطنٌ من بطون غطَفان، القبيلة القيسيّة المُضريّة العدنانيّة.

(٢) مملكة المناذرة كانت في العراق ومملكة الغساسنة كانت في الشام.

(٣) (توفي ٢٣٢ هـ/ ٨٤٥ م).

References:

Suzanne Pinckney Stetkevych. *The Poetics of Islamic Legitimacy: Myth, Gender, and Ceremony in the* Classical Arabic Ode. Bloomington & Indianapolis: Indiana University Press, 2002.
Chapter 1: Transgression and Redemption: Cuckolding the King: Al-Nābighah al-Dhubyānī and the Pre-Islamic Royal Ode. Pp. 1- 47.

Albert Arazi. "al-Nābigha al-Dhubyānī." *Encyclopaedia of Islam*. New Edition. Leiden: E. J. Brill, 1954 - 2007.

Abū al-Faraj al-Iṣbahānī *Kitāb al-Aghānī*. Ed. Ibrāhīm al-Abyārī. 32 vols. Cairo: Dār al-Maʿārif, 1389/1969. 11:3789 - 3827. P.

Al-Nābighah al-Dhubyānī (active 570-600 CE) was one of the most renowned court poets of the Jāhiliyyah, composing odes of praise at both the Lakhmid and Ghassānid royal courts.

His most celebrated poem, included in many of the Muʿallaqah collections, is his poem of apology (*iʿtidhāriyyah*) presented to the Lakhmid king al-Nuʿmān ibn al-Mundhir Abū Qābūs (r. 580-602) at his capital in al-Ḥīrah in Iraq.

As with other pre-Islamic poets, the materials that have come down to us concerning al-Nābighah—and thus the composition of this poem—straddle history and legend.

From a purely political-historical vantage point, the Muʿallaqah reads as the exiled poet's defense or apology for words—political intrigue?—against the king that, the poet claims, were falsely attributed to him by his enemies. The context provided by the literary lore is much more specific, and lively.

The Arabic literary tradition assigns this poem to the period when al-Nābighah was the poet laureate and boon companion (*nadīm*) of King al-Nuʿmān.

The most widely accepted explanation for al-Nābighah's flight from the court of al-Nuʿmān to that of his Ghassānid rivals in Syria revolves around al-Nuʿmān beautiful and promiscuous wife, al-Mutajarridah.

It alleges that the poet composed verses that include an erotic description of the king's wife so explicit as to suggest—or rather confirm—a sexual relationship between the two.

جمع شعر النابغة بين عمق التصوّر وبساطة التصوير، وقوة الصياغة، وسيولة النغم، والاحتفاء بالقيم النبيلة، الأمر الذي جعل لشعره سيرورة بين الناس، وأكسبه منزلةً عاليةً عند الشعراء جعلتهم يحرصون على الالتقاء به في سوق عكاظ(٤) ليعرضوا عليه أشعارهم. لكن هذه المنزلة العالية أثارت عليه الوشاة والحُسّاد وألّبت عليه الذين لا يبدعون ويسوؤهم أن يبدع الآخرون.

في النقد الأدبي العربي القديم، كان يُقال: "أشعرُ الشعراء النابغةُ إذا رهب". ومعنى ذلك أن شعر النابغة في لحظات الخوف والرهبة كان من أروع الشعر.

شعر النابغة حافلٌ بالمخاوف الإنسانيّة، فهو شاعرٌ حمل هموم قبيلته في مجتمع متناحر، فرض على الشاعر الحكيم أن يعي توازنات الصراع، ويسخّر شعره للدفاع عن نفسه في وجه التُهم التي اتُهم بها، ولمناصرة قبيلته التي كانت ضحيةً من ضحايا ذلك الصراع.

ومعلَّقةُ النابغة التي بين أيدينا هنا شهادةٌ على ذلك العصر؛ فقد قالها مدافعاً عن نفسه بعد أن وضع بعض خصومه من بني قُريع شعراً خادشاً للحياء في المتجردة زوجة النعمان بن المنذر ونسبوه إليه.

تتكون المعلَّقة من تسعةٍ وأربعين بيتاً، وهي من البحر الشعري المعروف ببحر البسيط. بدأها الشاعر بالوقوف على أطلال الصاحبة كعادة الشاعر الجاهلي في مدائحه، ثمّ وصف الناقة، واعتذر في ختامها إلى النُّعمان من وشاية الوشاة التي باعدتْ بينه وبين بلاط الملك.

(٤) سوق تجاري ثقافي كان يقام قبل الإسلام في منطقة عكاظ (الطائف حالياً) في شهر ذي القعدة، وكان من أهم فعالياته تنافس الشعراء على إلقاء القصائد الجميلة. أعيد إحياء السوق قبل سنوات، وأصبح يقام فيه مهرجان ثقافي صيفي سنوي تستلهم فيه المعلَّقات وتوزع فيه جوائز على الشعراء والفنانين.

Muhammad Abū al-Fadl Ibrāhīm, ed. *Dīwān al-Nābighah al-Dhubyānī.* 3rd ed. Cairo: Dār al-Ma'ārif, 1990. Pp. 14-28.

al-A'lam al-Shantamarī, Yūsuf ibn Sulaymān ibn 'Īsā. *Ash'ār al-Shu'arā' al-Sittah al-Jāhiliyyīn.* Ed. and cmt. Muhammad 'Abd al-Mun'im al-Khafājī. 3rd ed. 2 vols. Cairo: 'Abd al-Majīd Hamad Hanafī, 1382/1963. 1:188-197.

al-Khatīb Abū Zakariyyā Yahyā ibn 'Alī al- Tibrīzī. *Sharh al-Qasā'id al-'Ashr.* Ed. 'Abd al-Salām al-Hūfī. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1405/1985. Pp. 512-534.

According to one version of events, recounted in al-Iṣbahānī's *Kitāb al-Aghānī* (Book of Songs) on the authority of such illustrious scholars as Ibn Sallām al-Jumaḥī, Abū ʿAmr ibn al-ʿAlāʾ, and Ibn Qutaybah:

The reason that al-Nābighah fled from al-Nuʿmān was this: One day he and the poet al-Munakhkhal... al-Yashkurī were sitting before the king. Now al-Nuʿmān was misshapen, leprous, and ugly, whereas al-Munakhkhal... was one of the most handsome of the Arabs, and al-Mutajarridah, al-Nuʿmān's wife, had had her eye on him.

Indeed, the Arabs used to say that al-Nuʿmān's two sons by her were actually al-Munakhkhal's. Then al-Nuʿmān said to al-Nābighah: "O Abū Umāmah, describe al-Mutajarridah in your poetry." So he composed his *qaṣīdah* in which he described her: her abdomen, her buttocks, and her private parts. This roused al-Munakhkhal's jealousy, so he said to al-Nuʿmān, "No one could compose such a poem unless he had tried her!" Al-Nuʿmān took this to heart and when news of this reached al-Nābighah, he feared for his life and fled to the Ghassānids. *(11:3799-800)*

Al-Nābighah's notorious poem describing the king's wife, his *dāliyyah* that opens 'Are you leaving Mayyah's people tonight or on the morrow?' (*a-min ʾāli Mayyata rāʾiḥun ʾaw mughtadi*), was thus the occasion for the poet's flight, under a death threat, from the Lakhmid court at al-Ḥīrah and his taking refuge at the rival Ghassānid court of ʿAmr ibn al-Ḥārith at Jābiyah.

It was apparently there that al-Nābighah composed his three celebrated poems of apology (*iʿtidhāriyyāt*) to his erstwhile patron al-Nuʿmān, and the third of these, the Muʿallaqah, that ultimately succeeded in procuring the king's forgiveness and the poet's reinstatement in the Lakhmid court.

Al-Nuʿmān's reception of al-Nābighah's poem of apology is recounted by none other than the future poet of the Prophet Muḥammad, Ḥassān ibn Thābit.

Kitāb al-Aghānī records that Ḥassān was vying for a position at the court of al-Nuʿmān when, much to his chagrin, al-Nābighah, under the protection of two Fazārī tribesmen, returned and presented his poem of apology to the king.

Ḥassān's hopes were dashed, and he declared: "I begrudged al-Nābighah three things, and I don't know which I envied the most: al-Nuʿmān bringing him close again after his estrangement, sitting up at night conversing with him, and listening to him, or the excellence of his poetry, or the hundred pure-bred royal camels that the king bestowed on him." (3814-11:3813).

The Poem as Rhetorical Strategy

In his poetic masterpiece, al-Nābighah has achieved a perfect union of rhetorical strategy and poetic structure. Given the poet's precarious situation—whether we read it as the result of merely political or also sexual intrigue—the performative or purposive aspect of al-Nābighah's poem of apology—to reestablish relations between al-Nābighah and al-Nuʿmān and to negotiate the poet's reentry into the king's court—determines the poet's rhetorical strategy. In this respect the *qaṣīdah* constitutes a ritual of (re)incorporation.

The Qaṣīdah Structure

Al-Nābighah executes his rhetorical strategy through his employ of the full traditional three-part structure of the classical Arabic courtly ode of praise (*qaṣīdat al-madḥ*): (1) The poem opens with an elegiac prelude (*nasīb ṭalalī*), lines 1-6, that features the conventional theme of the poet stopping at the ruins (*aṭlāl*) of the abandoned encampment of the poet's former mistress, here named Mayyah, and his nostalgic reminiscence of its habitation and desertion.

(2) There follows the desert journey (*raḥīl*) section, lines 7-20, in which the poet describes the mount that will carry him to his patron, the sturdy and determined she-camel, which, again according to convention, he compares at length to an oryx bull attacked by a hunter and his hounds.

(3) The poem concludes with a praise (*madīḥ*) section, lines 21-49, in which the patron, al-Nuʿmān, is compared with Solomon (Arabic, Sulaymān) (lines 21-26); praised for his generosity and discernment (lines 27-36); asked for forgiveness (lines 37-43); and finally compared to the mighty river Euphrates (lines 44-47), before the poet presents his closing plea (lines 48-49).

The Poetic Strategy

Beneath the surface structure of the three-part *qasīdah*, we find the poet carefully selecting and calibrating of the traditional themes and motifs to construct an argument that has both affective and political force.

اللوحة الأولى منازل الأحبّة

جغرافيا الخراب

١. يا دارَ ميّـةَ بالعليـاءِ فالسّنَـدِ أقوت، وطال عليها سالفُ الأمَدِ
٢. وقفـتُ فيهـا أُصيـلاناً أُسـائلُها عيّتْ جواباً، وما بالرّبعِ من أحدِ
٣. إلا الأواريَّ لأياً مـا أبيّنُهـا والنُّؤيُ كالحَوضِ بالمظلُومةِ الجَلَدِ
٤. ردّت عليـه أقاصِيـهِ ولبّـدَهُ ضربُ الوليدةِ بالمِسحاةِ في الثّأدِ
٥. خلّـتْ سـبيلَ أتـيٍّ كان يحبِسُـهُ ورفّعتهُ إلى السّجفينِ فالنَّضَدِ
٦. أمسَتخلاءًوأمسىأهلُهااحتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

الـدّارة هـي بيـت العُشّـاق المفتـوح في رحابـة الصحـراء؛ فعنـد نـزول المطـر تتوافـد القبائـل عـلى مـورد المـاء، وعـلى تلـك الضفـاف تنشـأ علاقـات عاطفيّـة بـين أبنـاء وبنـات تلـك القبائـل، فيلتقـي العاشـق والمعشـوق تحـت ضـوء القمـر، يتبـادلان أحاديـث الغـرام، وسـيَر المحبّـين، ويقـوم الشـاعر بـسرد تلـك الحكايـات الجميلـة، فتكـون أغنيـة مـن أغـاني الصحـراء المتداولـة الـتي لا يجـد أقـرب النـاس ممـن عاشـها حرجـاً مـن ترادهـا.

لكـن ليـالي الأنـس لا تـدوم، فـييبس النبـت، ويقـل الماء تحت شـمس الصحـراء الحارقـة، وسـاعتها ترحـل الصاحبـة مـع القبيلـة بحثـاً عـن المـاء والعشـب، فيـأتي العاشـق قبيـل غـروب الشـمس باحثـاً عـن بقايا الذكريـات، وعطـر المـكان، فـلا يجـد سـوى آثـار الحبيبـة الرّاحلـة، فيسـأل الديـار الـتي ارتفعـت مكانـاً ومكانـة، في الجغرافيـا وفي القلـب، عـن ميّـة، الحبيبـة الراحلـة. ولكـن الديـار لا تجيـب، فهـي في صمـتٍ مطبـق، وكأنهـا تشـاركه الشـعور بفاجعـة الرحيـل، وتقاسـمه لوعـة الفـراق.

مرابـط الخيـل، وحواجـز المـاء الـتي وضعـت حـول الخيـام والأخبيـة هـي كلّ مـا تبقـى مـن آثـار ميّـة. والنابغـة حـين جـاء ذكـر المـاء في

اللغة:
ميّـة: صاحبـة الشـاعر وحبيبتـه، **العليـاء:** المـكان المرتفـع مـن الأرض، **السّـند:** سـند الجبـل بمعـنى الجـزء المرتفـع فيـه، **أقوت:** خلـت مـن النـاس، **سـالف الأبـد:** ما مـضى مـن الزمـن، **أُصيلانـاً:** وقـت العـشيّ، **عيّـت جوابـاً:** لـم تجـب عنـد ندائهـا، **الربـع:** منـازل القبيلة، **الأواريّ:** مرابـط الخيـل، **لأيـاً مـا أبيّنهـا:** لا أسـتطيع أن أعرفهـا إلا ببـطء شـديد، **النـؤي:** حاجـز تـرابي يوضـع حـول الخيمـة لمنـع دخـول المـاء إليهـا، **المظلومـة الجلـد:** الأرض الصلبـة الـتي ملأهـا المطـر، **ردّت عليـه أقاصيـه:** أصلحتـه ليمنـع دخـول المـاء، **لبّـده:** راكمـه: **الوليـدة:** الفتـاة الشّـابة، **الثـأد:** المكان النـدي، **الأيّ:** مجـرى المـاء، **رفّعتـه إلى السـجفين:** قدّمـت الحاجـز الـترابي إلى السـترين اللذيـن في مقدمـة الخيمـة ليتسـع المجـرى وينفـذ المـاء، **والنضـد:** الأوعيـة، **أخـنى:** أفسـد، **لُبـد:** هـو آخـر نسـور لقمـان بـن عـاد الـذي قيـل: إنـه عـاش أربعمائـة عـام، ولقمـان بهـذه الصـورة أقـرب إلى الشـخصية الأسـطورية.

I. The Desolate Campsite of the Lost Beloved (*nasīb*)

1. O abode of Mayyah on rise and slope!
It lies abandoned,
And so long a time
has passed it by!

2. I stopped there in the evening
to question it;
It could not answer, for in the vernal camp
no one remained—

3. Nothing but tethering pegs
that I made out only slowly
And the tent trench, like a trough
newly dug in the hard ground.

4. A slave-girl had repaired
the caved-in sides
Packing down the moist dirt
with her hoe.

5. She cleared the blocked
drain channel
Until it reached the tent's two curtains
and the piled-up gear.

6. By evening, the abode lay empty,
by evening, its people had packed up and left;
Time overtook it
as it overtook Lubad.

مطلـع القصيـدة، أغـرق في الحديـث عـن تفاصيلـه، فالمـاء سر الحيـاة، وهـو سـبب حضـور ميّـة ورحيلها المفاجئ، وبقايـا آثـاره هـي البقيـة الباقيـة مـن ذكراهـا الجميلـة، فلـم يبـق مـن آثارهـا سـوى تلـك المصـدّات الترابيـة الـتي وضعتهـا حـول بيـت الشـعر كي لا تغمـره الميـاه.

المـاء هـو إكسـير الحيـاة الـذي أحبّتـه، وخافـت منـه في آنٍ واحـد. وحـين يضيـق المـكان بالعاشـق، ويسـيطر المـوت عـلى منـازل الأحبـة يبـدأ الشـاعر بالتفكـير في الهـرب مـن الفاجعـة، والبحـث عـن الحيـاة الجديـدة، فيفـك أغـلال الزمـان والمـكان بالناقـة الـتي يخـترق بهـا آفـاق الصحـراء في محاولـة يائسـة للبحـث عـن لؤلـؤة المسـتحيل الـتي غـادرت المـكان فسـلبت منـه كل مقومـات الحيـاة، وفرضـت عـلى عاشـقها الرحيـل بحثـاً عنهـا.

In the *nasīb* (lines 1-6), the lyrical and nostalgic evocation of the ruins and the irretrievable past expresses with great subtlety the poet's recognition of his own loss, failure, and despair as he sets the stage to submit to the king and throw himself at his mercy.

In line 6 the poet names Lubad, the last of the seven vultures whose life-spans measured out the lifetime of the pre-Islamic sage, Luqmān ibn ʿĀd.

In doing so he evokes the old Arab adage, 'Time outlasted Lubad' (*Ṭāl al-ʾabad ʿalā Lubad*), that is, the passage of times obliterates everything.

Here, it seems, the poet also intimates that, whatever his mistake was, it is now irrevocably in the past.

اللوحة الثانية الناقة ومعركة الحياة

الناقة - البطل التراجيدي

٧. فعـدِّ عمّـا ترى إذ لا ارتجـاعَ له وانمِ القُتُـودَ عـلى عَيرانَـةٍ أُجُـدِ
٨. مقذوفةٍ بدخيسِ النّحضِ بازِلُها له صريفٌ صريفُ القَعوِ بالمسدِ

حين وقف النابغة على جغرافيا الخراب بعد رحيل صاحبته ميّة، لم يجد بُدّاً من كسر العزلة بركوب ناقته. والشاعر العربي لا يكاد يرحل إلا على ناقة، يتفنّن في وصف قوتها، وشدّة احتمالها، ويشبهها بكائنات كثيرة منها: الثور والحمار الوحشي، والصقر والقطاة، والظليم (ذكر النعام)، ويدخلها في صراعٍ دامٍ.

في الغالب، تنتصر الناقة في هذا الصراع حين تكون القصيدة مديحاً، وتفقد حياتها حين تكون القصيدة رثاءً، وفق ما أدركه الناقد المعروف الجاحظ، وصدّقه استقراء النصوص.

هنا يحدّث النابغة نفسه بوجوب نسيان الماضي الأليم؛ لأنه مضى وانقضى، والتفكير في المستقبل، والبحث عن وسيلة للخروج من عالم يحيط به الموت من كل مكان، فلا سبيل له إلى تحقيق ذلك إلا بركوب الناقة، التي تشبه في نشاطها الحمار والثور الوحشيين. الحمار الذي يرد عرضاً من خلال تشبيه الناقة به (عيرانة) والثور الذي يخوض معركة دامية مع الصياد وكلابه الضارية.

اللغة:
انِمِ: ارفع، **القتود:** الخشب الذي توضع عليه أمتعة الرحلة، **عيرانة:** ناقة تشبه في نشاطها العير وهو الحمار، **أُجُد:** تامة الخلق، صلبة الأعضاء، **مقذوفة بدخيس النحض:** ذات لحم وافر، **بازلها:** نابها، **صريفٌ:** صوت، **القعو:** البَكَرة، **المسد:** الحبل.

II. Setting out by She-Camel on a Journey to the King (*raḥīl*)

7. Turn away from what you see,
for there is no returning to it
And raise the saddle-rods on the back
of a she-camel,
like an onager, sturdy and brisk,

8. Piled high with compact flesh,
with teeth that creak
Like a pulley
when the rope runs through it.

The medial and transitional *rahīl* section (lines 7-19) presents the journey by she-camel to the patron's court as a psychological transformation from the sense of loss and despair of the *nasīb* to a sense of purpose and direction embodied in the robust and energetic she-camel.

In the comparison of his she-camel to the Oryx bull that fights off the hunter and his hounds, we can detect the fierce determination of the poet himself to overcome the difficulties that beset him, and also the sense of danger—that the poet, in returning to the court of al-Nuʿmān, is risking his life.

معركة الثور والكلاب

٩. كأنَّ رحلي وقد زال النّهارُ بنا ... يومَ الجليلِ على مُستأنِسٍ وحَدِ
١٠. من وحشِ وجرةَ موشيٍّ أكارِعُه ... طاوي المصيرِ كسيفِ الصيقلِ الفَرِدِ
١١. أسرَتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ ... تُزجي الشمالَ عليه جامدَ البَرَدِ
١٢. فارتاعَ من صوتِ كَلّابٍ فباتَ لهُ ... طوعَ الشوامتِ من خوفٍ ومن صَرَدِ
١٣. فبتّهُنَّ عليهِ واستمرَّ به ... صُمْعَ الكعوبِ بريئاتٍ من الحَرَدِ
١٤. وكان ضُمرانُ منه حيثُ يُوزِعُه ... طعنُ المُعارِكِ عند المُحجَرِ النَّجُدِ
١٥. شكَّ الفريصةَ بالمِدرى فأنْفَذَها ... طعنَ المُبيطِرِ إذ يَشفي من العضَدِ
١٦. كأنّه خارجاً من جنبِ صفحتِه ... سفّودُ شَرْبٍ نسوهُ عند مُفتأدِ
١٧. فظلَّ يعجُمُ أعلى الرّوقِ مُنقبضاً ... في حالكِ اللونِ صَدْقٍ غيرِ ذي أوَدِ
١٨. لمّا رأى واشِقٌ إقعاصَ صاحِبِه ... ولا سبيلَ إلى عقلٍ ولا قَوَدِ
١٩. قالت له النّفسُ: إنّي لا أرى طمعاً ... وإنّ مولاكَ لم يسلَم ولم يَصِدِ

شبّه النابغة ناقته بثورٍ وحشي وحيد من وحوش منطقة وجْرَة المعروفة بقوتها وجمالها وشدّة توحشها. الثور أبيض اللون ذو قوائم فيها نقطٌ وخطوط سوداء اللون. يلوح ناصع البياض كأنه السيف اللامع، ضامر البطن من شدّة الجوع.

يدنو الليل بهمومه، فينهال عليه المطر في ليلة شديدة البرد، فيلجأُ إلى الثور إلى شجرة يستظل بها من المطر، وفي العادة تكون شجرة الأرطى، ويقضي ليله خائفاً متوجساً، يعاني من الخوف والبرد الشديد والمطر المنهمر.

في الصباح الباكر يأتي صيّاد فيخيف هذا الثور الوحشيَ بكلابه، وهنا يجتمع له الخوف من المطر والبرد الشديد في الليل، والخوف من العدو في الصباح، وكأن الخوف يحيط به في كل زمانٍ ومكان، كما أحاط الخوف بالنابغة بسبب صاحبته ميّة ووشايات الوشاة التي لا تتوقف.

اللغة:
الجليل: شجر الثمام، ويوم **الجليل:** يوم مررنا بهذا المكان الذي ينبت فيه شجر الثمام، **مستأنس:** يخاف الأُنس، **فرد:** مفرد، **وَجْرة:** اسم موضع يقع في طريق الحاج العراقي إلى مكة، تبعد عن الطائف ١٢٠كم تقريباً، وقد بنت فيها زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد بركة ماء لسقيا الحجيج، **موشيّ أكارعه:** قوائمه فيها نقط وخطوط سوداء، **طاوي المصير:** ضامر البطن، **كسيف الصيقل:** أبيض اللون، **الفرد:** الخارج من غمده، **أسرت عليه:** جاءت إليه ليلاً، **سارية:** سحابة، **تزجي: تسوق، الشمال:** الريح الشاميّة ذات البرد الشديد، **جامد البرد:** صلب البرد، فالريح تسوق إليه المطر المصحوب بالبرد الصلب، **فارتاع:** خاف، **كَلّاب:** الصياد صاحب الكلاب، **طوع:** مطيعاً، **الشوامت: قيل:** قوائم الثور، فهو بات قائماً، وقيل: المراد: إنه بات مبيت سوء بسبب البرد والجوع، **بتّهنّ:** أطلقهنّ، **استمرّ به:** نهض به، **صمع الكعوب:** مفاصل شديدة حادة الكعوب، **حرد:** استرخاء، **ضمران:** الكلب، **يوزعه:** يغريه، **المُعارك:** المقاتل، **المحجر:** المدرك، **النجد:** الشجاع. **شك:** طعن، **الفريصة:** عضلة الكتف، **المدرى:** القرن، **المبيطر:** الطبيب البيطري، **العضد:** ألم العضد. **سفود شرب:** السفود هي الحديدة التي يُشوى بها اللحم، **نسوه:** تركوه، **عند مفتأد:** عند موضع الشواء. **يعجم:** يعض، **الروق:** القرن، **صدق:** صُلب، **غير ذي أود:** مستقيم لا اعوجاج فيه. **واشق:** اسم كلب من كلاب الصيد، **إقعاص صاحبه:** موته السريع، **العقل:** الدية، **القوَد:** القصاص.

9. At high noon, when we passed by al-Jalīl,
where the panic grass grows,
It seemed as if my saddle were mounted
on a lone and cautious bull

10. From the oryx of Wajrah,
with black-spotted legs, as though painted,
And a belly slender and gleaming
like a sword polisher's matchless blade.

11. At night in the rising of Orion
a rain cloud overtook him,
And over him the north wind
drove freezing hail.

12. The voice of the hunter calling his hounds
alarmed him,
So he stood awake through the night,
beset by fear and bitter cold.

13. When the hunter set
his hounds on him,
The bull kicked violently
with sharp-hoofed, hard-sinewed feet.

14. 'Slim', when the hunter
sicced him on the bull,
Lunged like a brave warrior
thrusting his spear.

يدفـع النابغـة ناقتـه في الصحـراء بحثـاً عـن أمـلٍ جديـد، لحيـاة سـعيدة. ولكـن الشـاعر وناقتـه وجـدا مـا هربـا منـه ماثـلاً أمامهمـا، "فهـل يأبـقُ الإنسـانُ مـن مُلْـكِ ربِّـهِ ... فيهـرب مـن أرضٍ لـهُ وسـماءِ"، كمـا قـال أبـو العـلاء المعـرّي.

أطلـق الصيـادُ كِـلابه عـلى الثـور فبـدأت المعركـة، فاعتمـد الثـور عـلى قوائـم صلبـه، وبـدأ يرفـس بهـا الـكلاب، والصيـاد يحـثّ الـكلاب عـلى اللحـاق بـه.

هنـا يقـترب منـه أحـد الـكلاب (ضمـران)، فينهـال الثـور عليـه بقـرونٍ سـوداء مسـتقيمة حـادة، لا عـوج فيهـا، فيغـرس قرنـه في كتـف الكلـب، وينفـذ طعنتـه فيـه كمـا ينفـذ الطبيـب البيطـري مشرطـه في جسـد البعـير لاسـتئصال ورمـه مـن جهـة كتفـه.

هنـا يعلـق الكلـب في قـرن الثـور، وينطـوي عـلى نفسـه مـن شـدة الألـم، ويظـلّ يعـضّ أعـلى القـرن محـاولاً الإفـلات منـه، ولكنـه لا ينجـح، فيبـدو وكأنـه اللحمـة المشـويّة عـلى حديـدة شـواء تركهـا أصحابهـا في موضـع الشـواء.

بعـد تجـاوز العقبـات الـتي مـرت بالنابغـة وناقتـه، ينجـح الشـاعر في الخـروج مـن دائـرة العزلـة، وجغرافيـا الخـراب، ومعركـة المـوت الـتي خاضهـا الثـور منفـرداً مـع جمـع مـن الـكلاب الضاريـة؛ ليصـل بناقتـه إلى الغايـة الـتي ليـس بعدهـا غايـة، الممـدوح المتفضـل عـلى النـاس النعمـان بـن المنـذر.

فهل سينتهي الخوف، ويشعر بالأمان في ظل البلاط؟

15. Then the bull pierced the hound beneath the shoulder with his horn,
And drove it through, like a farrier
lancing a camel's abscessed leg.

16. The horn protruding
from the dog's side
Looked like a meat-skewer that drinkers forgot
on the fire.

17. The dog kept chewing at the horn's protruding tip, contracted in pain
And biting at the hard, blood-blackened,
unbent horn.

18. When 'Shredder' saw his comrade
killed on the spot,
And no means of bloodwite
or revenge,

19. The dog said to himself:
I have lost my taste for meat:
My friend is dead;
the hunt is over.

اللوحة الثالثة مرافعة متهم في بلاط ملك

النعمان بن المنذر

٢٠. فتلـك تُبلِغُـني النُّعمـانَ إنّ لهُ ... فضلاً على الناس في الأدنى وفي البَعَدِ
٢١. ولا أرى فاعلاً في النـاس يُشبهه ... ولا أُحـاشي من الأقـوام من أحدِ
٢٢. إلا سـليمانَ إذ قـال الإلهُ له ... قُم في البريّـةِ فاحدُدْها عـن الفَنَـدِ
٢٣. وخيّـسِ الجـنَّ إنّي قـد أذِنتُ لهم ... يبنـونَ تدمُـرَ بالصُفّـاحِ والعَمَـدِ
٢٤. فمـن أطاعـكَ فانفعـهُ بطاعتـه ... كما أطاعـك وادلُلْـهُ عـلى الرّشَـدِ
٢٥. ومـن عصـاكَ فعاقِبْـهُ مُعاقبَـةً ... تَـنهى الظَّلومَ ولا تقعُـد على ضَمَدِ
٢٦. إلا لِمثلِـكَ أو مـن أنـتَ سـابقُهُ ... سبقَ الجوادِ إذا استولى على الأمَدِ
٢٧. أعـطى لفارهـةٍ حُلـوٍ توابعُهـا ... مـن المواهـب لا تُعـطى عـلى نكدِ
٢٨. الواهـبَ المائـة المِعـكاءَ زيّنَهـا ... سـعدانُ تُوضِحَ في أوبارِها اللِّبَـدِ
٢٩. والأُدْمُ قـد خَيّسَـت فُتْـلاً مَرافِقُهـا ... مشـدودةٍ برحـالِ الحِيرةِ الجُـدُدِ
٣٠. والراكضاتِ ذيولَ الرّيْـطِ فانَقَها ... بردُ الهواجـرِ كالغِـزلانِ بالجَـرَدِ
٣١. والخيـلَ تمـزعُ غـرْباً في أعنّتِهـا ... كالطيرتنجو من الشُؤبوبِ ذي البرَدِ

بعـد أن كـسر النابغـة دائـرة العزلـة، وتجـاوز ضيـق الزمـان والمـكان بناقتـه الـتي ظهـرت في قوتهـا وكأنهـا الثـور الوحـشي الأبيـض الـذي يـبرق كالسـيف، ويخـوض منفـرداً معركـة الحيـاة، وينتـصر عـلى الصيـاد وكلابـه، الذيـن أرادوا أن يقيمـوا وجودهـم عـلى رفاتـه، بلـغ بتلـك الناقـة غايتـه، ووصـل إلى مأمنـه، النعمـان بـن المنـذر.

لكـنّ الخـوف ظـلّ ملازمـاً لـه، فهـو يهـرب مـن خـوف إلى خـوف، خـاف مـن فـراق الصاحبـة، فركـب ناقتـه القويـة الـتي تشـبه في قوتهـا الثـور الوحـشي، وخـلال الرحلـة يظهـر الخـوف في معركـة الثـور مـع الصيـاد وكلابـه الـتي ينتـصر فيهـا الثـور منفـرداً عـلى جماعـة الأعـداء.

وهنـا يصـل أخـيراً إلى النعمـان، وهـو الملجـأ والمـلاذ، ولكـنّ الخـوف يترصـده، فـكأن معركـة الثـور المنفـرد مـع الصيـاد وكلابـه هـي معركـة النابغـة مـع الوشـاة وأحقادهـم الدفينـة، ووشـاياتهم الخـاسرة. ولكـن كمـا انتـصر الثـور سـينتصر النابغـة عـلى الوشـايات والأكاذيـب.

اللغة:

في الأدنى وفي البعـد: القريـب والبعيـد، **لا أحـاشي:** لا أسـتثني، **سـليمان:** النـبي سـليمان عليـه السـلام، **احددهـا عـن الفنـد:** امنعهـا عـن الوقـوع في الخطـأ، **خيّـس الجـنّ:** اسـتثمر طاقتهـا في العمـل، **الصفّـاح:** الحجـارة العريضـة، **العمـد:** أعمـدة الرخام، **تنهـى الظلـوم:** تمنعـه وتمنـع سـواه، **الضمـد:** الغيـظ والحقـد، **اسـتولى عـلى الأمـد:** فـاز في السـباق، **الفارهـة:** الناقـة الكريمـة، **توابعهـا:** مـا يتبعهـا مـن المطايـا، **لا تعطـى عـلى نكـد:** لا يجـود بهـا صاحبهـا وهـو كاره، **المعـكاء:** السـمينة، **سـعدان توضـح:** نبـتٌ ترعـاه إبـل الملـوك يورثهـا السـمن، وتوضـح اسـم المـكان، **في أوبارهـا اللبـد:** كثـيرة الوبـر لأنهـا لـم تركـب ولـم يحمـل عليهـا، **الأدم:** البيـض مـن الإبـل، **خيّسـت :** دُرّبـت عـلى الركـوب، **فتـلٌ مرافقهـا:** قويـة متباعـدة عـن آباطهـا، سـليمة مـن الجـراح، رحـال **الحـيرة:** الرحـل مـا يوضـع عـلى الناقـة، **والحـيرة:** مدينـة النعمـان الـتي تشـتهر بصناعـة الرّحـال، **الراكضـات ذيـول الريـط:** هـن الجـواري يدعسـن عـلى أطـراف الملاحـف البيـض الـتي يلبسـنها تبخـتراً، **فانقهـا:** أطيـب عيشـها، **بـرد الهواجـر:** المـكان البـارد في الحـر الشـديد، **الجـرد:** المـكان الـذي لا نبـت فيـه. **تمـزع:** تعـدو بسرعـة، **غربـاً:** قـوة ونشـاط، **الشـؤبوب:** المطـر الشـديد.

III. Arrival at the Court of King Nuʿmān Praise (*madīḥ*) and Apology (iʿtidhār)

20. This she-camel
conveys me to Nuʿmān,
Whose beneficence to mankind,
both kin and stranger,
is unsurpassed.

21. I see no one among the people
who resembles him
—And I make no exception
from among the tribes—

22. Except for Solomon,
when Allah said to him:
Take charge of my creatures
and restrain them from sin.

23. And subdue the Jinn,
for I have allowed them
To build you the palace of Tadmur
With stone slabs and marble columns.

24. So, whoever obeys you,
reward his obedience
In due measure and guide him
on righteousness' path.

25. And whoever defies you,
chastise him with a chastisement
That will deter the evildoer—
but do not harbor rancor,

26. Except toward him who is your equal
or whom you outstrip
Only as a winning steed outstrips
the runner-up.

لقد وشى به رجال من بني قريع إلى النعمان بن المنذر، ودسّوا عليه شعراً فاحشاً في المتجرّدة زوجة النعمان، لا يليق بالنابغة، ولا بزوجة ملك من ملوك العرب، [وفي ذلك أقوال كثيرة عند رواة الشعر وأخبار الشعراء].

لذلك بدأ النابغة مدحه بالارتفاع بالنعمان عن النقائص، ورفعه إلى درجة من الكمال البشري لا يبلغها إلا الأنبياء، وإنما فعل ذلك، ليستلّ غضبه، ويأمن عقوبته، فمن كان بهذه المنزلة، لن ينحطّ في سلوكه، فيدين متهماً بريئاً.

إن منزلة النعمان بن المنذر التي بلغها، كما يصوّرها النابغة هنا، لم يبلغها أحدٌ إلا سليمان بن داوود عليه السلام، الذي أرسله الله ليرسي قواعد العدل، فآتاه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسخرّ له ملوك الجنّ، يبنون له مدينة تدمر، بالحجارة العريضة، وأعمدة الرخام، وأمره أن ينفع من أطاعه، ويضرّ من عصاه ضرراً، يرتدع به من تسوّل له نفسه بالظلم والعدوان.

هذا الملك العادل، ملكٌ كريم، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، بنفسٍ راضية. إنه يهب خيار الإبل البيض بالمئات، محملة بالرزق الوفير، ومصحوبة بالجواري اللائي يتبخترن في ملابسهنّ البيضاء، كأنهنّ في جمالهنّ الغزلان التي تظهر في أرضٍ منبسطة، لا يحول بينهنّ وبين الناظر إليهنّ حائل، والخيل التي تعدو مسرعة تحت وابل المطر المصحوب بالبرد.

لقد أغدق النعمان على النابغة المال، حتى قيل: إن النابغة كانت أوانيه من الذهب والفضة، وهذا النعيم الذي عاشه في كنف الملوك، أغاظ الحسّاد وألّبهم عليه، فتجنّوا عليه ورموه بما رموه من التهم.

27. I see no one more generous
in bestowing a gift,
Followed by more gifts and sweeter,
ungrudgingly given. He is:

28. The giver of a hundred
bulky she-camels,
Fattened on the Saʿdān leaves of Tūdih,
with thick and matted fur,

29. And white camels with wide-set legs,
already broken in,
On which fine new Hiran saddles
have been strapped,

30. And slave girls kicking up the trains
of trailing mantles,
Like desert gazelles pampered
by cool shade in midday heat.

31. And steeds that gallop briskly
in their reins
Like a flock of birds fleeing
a cloudburst of hail.

The poet's arrival at the court of al-Nuʿmān marks the poem's arrival at the *madīḥ* (praise) section (lines 20-49). The *madīḥ* cannot be dismissed as mere 'praise', much less flattery, but rather it is a finely wrought rite of submission and apology in which elements of praise are carefully honed to achieve the poet's purpose.

By praising the king's generosity—whether to kinsman or stranger (line 20), whether in pure-bred camels (al-Nuʿmān had his private breed, known as ʿAṣāfīr al-Nuʿmān, Nuʿmān's sleek steeds, or delicate slave-girls (lines 27-31)—the poet is enforcing the moral precept that it is through magnanimity, not cruelty, that the powerful achieve immortal renown.

زرقاء اليمامة

٣٢. احكم كحكمِ فتاةِ الحيِّ إذ نظرت — إلى حمامِ شراعٍ واردِ الثّمَدِ
٣٣. يحُفُّه جانبا نِيقٍ ويتبعُهُ — مثلَ الزُّجاجةِ لم تُكْحَل من الرّمدِ
٣٤. قالت: ألا ليتَما هذا الحمامُ لنا — إلى حمامتنا ونصفُه فَقَدِ
٣٥. فحسّبوه فألفوه كما حسَبَت — تسعاً وتسعين لم تَنقُص ولم تَزِدِ
٣٦. فكمّلت مائةً فيها حمامتُها — وأسرعت حِسبةً في ذلك العدَدِ

مع ثقة النابغة بعدالة النعمان، فإنه يكرر الطلب له أن يحكم فيه حكماً عادلاً، وأن يكون بعيد النظر، وهنا يستحضر قصة زرقاء اليمامة التي كانت نموذجاً في الفراسة وبعُد النظر، فيذكر قصة الحمام (رمز السلام) الذي مرّ بها، وكان لها قطاة (والعرب تسمي القطاة حمامة في الشعر الجاهلي) فقالت: ليت لي مثل هذا الحمام، ونصفه، إلى حمامتي، فيكون معي مائة حمامة، فشاء الله أن يقع هذا القطا في شَرَك صياد، فيعدّه فيجده ستاً وستين قطاة.

إن استحضار زرقاء اليمامة لا يتوقف عند قصتها مع الحمام، فقد كانت تحذر قومها من العدو، فقد جمعت بين قوة البصر والبصيرة، وهو ما يريد النابغةُ أن يُذكّرَ به النعمانَ، فهو يحذره من العدو المتربص، وهم بنو قريع، الذين وشوا به إلى النعمان، ووضعوا الشعر الفاحش على لسانه.

اللغة:
احكم: كن حكيماً في رأيك تضع الأمر في موضعه، **فتاة الحيّ:** زرقاء اليمامة، **شراع:** تريد الوصول إلى الماء، **الثمد:** الماء القليل، **يحفّه جانبا نِيقٍ:** الحمام يحيط به جانباً جبل ليظهر مجتمعاً، **مثل الزجاجة:** عين زرقاء اليمامة في صفائها كالزجاجة، **لم تكحل:** لم تكتحل، **الرمد:** مرض يصيب العين. والنابغة يشير إلى قصة زرقاء اليمامة التي اشتهرت بحدة بصرها، كان لها قطاة فمرّ بها سربٌ من القطا، فقالت: ليت لي مثل هذا القطا ونصفه، ليكون عندي مائة قطاة، فوقع القطا في شرك صياد فعدّه فوجده ستا وستين قطاة كما ذكرت.

32. Be discerning in your judgment
like the keen-eyed girl of the tribe:
When she looked at a flock of doves
hastening to drink at a drying puddle.

33. As they flew between two mountain-sides
she followed them with eyes,
Not red, inflamed, or lined with kohl,
but clear as glass.

34. She said: If only we had
these doves
And half again their number
together with our single dove!

35. So they counted
and found them as she had counted
Ninety-nine,
no more, no less.

36. Together with her dove
that made a hundred—
She had counted them quickly
to precisely that number.

In comparing the king with Solomon, the prototypical ancient Near Eastern magician-king (lines 21-26), the poet is also challenging al-Nuʿmān to measure up to and obey Allah's admonitions to Solomon: especially, 'Do not persist in anger'.

In bidding the king to follow the example of the keen-eyed Cassandra-like Zarqāʾ al-Yamāmah in her visual discernment (lines 32-36), he is calling upon al-Nuʿmān to exercise moral discernment in passing judgment on the poet.

الوشاية

٣٧. فلا لعمرُ الذي مسّحتُ كعبَتَه ... وما هُريقَ على الأنصابِ من جسَدِ

٣٨. والمؤمن العائذاتِ الطيرِ يمسحُها ... رُكبانُ مكةَ بين الغَيلِ والسعَدِ

٣٩. ما قلتُ من سيءٍ مما أُتيتُ به ... إذاً فلا رفعت سوطي إليّ يدي

٤٠. إلا مقالةَ أقوامٍ شَقيتُ بها ... كانت مقالتُهم قرعاً على الكبِدِ

٤١. أُنبئتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدني ... ولا قرارَ على زأرٍ من الأسدِ

٤٢. مَهلاً فداءً لك الأقوامُ كُلُّهُمُ ... وما أُثيرُ من مالٍ ولا ولدِ

٤٣. لا تقذِفَنّي بِرُكنٍ لا كِفاءَ له ... وإن تأثّفَكَ الأعداءُ بالرّفَدِ

٤٤. فما الفُراتُ إذا هبَّ الرياحُ له ... ترمي غوارِبَه العِبْرَينِ بالزّبَدِ

٤٥. يمُدُّهُ كُلُّ وادٍ مُترَعٍ لَجِبٍ ... فيه رُكامٌ من الينبوتِ والخَضَدِ

٤٦. يظلُّ من خوفِه المَلّاحُ مُعتصِماً ... بالخيزُرانةِ بعد الأينِ والنَّجَدِ

٤٧. يوماً بأجودَ منه سيبَ نافلةٍ ... ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دونَ غدِ

٤٨. هذا الثناءُ فإن تسمعْ به حسَناً ... فلم أُعرِّضْ ـ أبيتَ اللعنَ ـ بالصّفَدِ

٤٩. ها إنّ ذي عِذرَةٌ إلا تكُن نفعَتْ ... فإنّ صاحبَها مُشارِكُ النّكَدِ

بعد أن وقف مادحاً النعمان، ومسبغاً عليه الكثير من صفات النبل والفروسية، وطالباً منه العدالة، والحذر من كيد الأعداء، يختم النابغة القصيدة مقسماً بالله، وبما أُريق على الأنصاب من نُسك، وبمن أمَّن الطير في مكة من الخوف، أنّ ما بلغ النعمان عنه كذب وبهتان، ويدعو على نفسه إن كان كاذباً بشلل يده.

وهنا يظهر الأثر النفسي الذي أحدثته هذه الفرية عليه، ويعترف بخوفه مما وصل إليه من أنباء عن وعيد النعمان له، ويكرر طلبه للنعمان ألّا يبتليه بنفسه، وألّا يستمع إلى الوشاة الذين التفوا حوله.

ويعود إلى عالم النعمان الوارف بالمروءة والكرم، فيعقد بينه وبين نهر الفرات مشابهة يظهر فيها النعمان أكثر جوداً من هذا النهر العظيم، الذي تتلاطم أمواجه، فيظهر الزبد على ضفتيه

اللغة:

مسحت كعبته: طفت بها ومسحت بأركانها، **هريق:** أُريق بمعنى صُبَّ، **الأنصاب :** حجارة ينصبها الجاهليون لذبح نسكهم عليها، **جسد:** دم، **المؤمن العائذات:** الله عز وجل الذي أمّن الطير بمكة، **تمسحها:** تلمسها، **الغيل والسعد:** قيل: هما مكانان بين مكة ومنى، وقيل: شجر ملتف، وقيل: نبع ماء، **سيء:** كلام الوشاة ، **أُنبيت به:** اتهمت به، **فلا رفعت سوطي إليّ يدي:** يدعو على نفسه بشلل يده إن كان كاذباً فيما يقول، **قرعاً على الكبد:** شديدة التأثير عليّ، **أبو قابوس:** النعمان بن المنذر، **أوعدني:** هددني، **قرار:** اطمئنان، **مهلاً:** تثبت من التهمة، **أُثمِّر:** أستثمر وأُكثِّر، **لا تقذفني بركن لا كفاء له:** لا تبتليني بنفسك العظيمة التي لست كفؤاً لها، **تأثّفك:** اجتمعوا حولك، **بالرفد:** بالاجتماع عليّ، **غواربه:** أمواجه، **العبرين:** ضفتا النهر، **الزبد:** رغوة بيضاء تظهر عند ارتطام الماء بالشاطئ. **مترع:** مملوء، **لجب:** شديد الصوت، **الينبوت:** قيل شجر الخروب وقيل الخشخاش، **والخضد:** ما تكسر من الشجر، **الخيزرانة:** مقود السفينة، **الأين:** التعب، **النجد:** الهمّ، **السيب:** العطاء، **النافلة:** الفضل وليس الواجب، **لم أعرّض:** لم أمدحك طلباً للمال، **أبيت اللعن:** تحية الملوك ومعناها: تأبى أن تأتي من الأمور ما تذم به، **الصفد:** الجزاء، عذرة: اعتذار.

37. No—I swear by the life of Him whose Kaʿba
I have stroked
And by the blood I have spilled
on stone altars,

38. And by the Protector of the birds
who seek refuge in the sanctuary,
Unharmed by the riders of Mecca
between the spring of Ghayl and Saʿad thicket—

39. I never said an evil word
of those reported to you!
If I did, let my hand wither
till I cannot raise my whip!

40. It was nothing but the calumny of enemies,
for which I suffered;
Their lies were like a stab
that pierced my liver.

41. I was told Abū Qabūs
has threatened me—
And no one can withstand the lion
when it roars.

42. Don’t rush to judge me! May all the tribes
be your ransom,
And all my increase
both of herds and progeny!

43. Don’t throw at me the full weight
of your unequaled might,
Even though my foes should rally
to support you,

44. Not even the Euphrates,
when the winds blow over it,
'Til its waves cast up foam
on its two banks,

45. And every wadi pours rushing into it,
overflowing and tumultuous,
Sweeping down heaps of thorny carob bush
and broken boughs,

46. And the terrified sailor clings
to the rudder,
Weak from exhaustion
and soaked in sweat,

47. Not even the Euphrates is more generous
than he is in bestowing gifts,
Nor does a gift today preclude
a gift tomorrow.

48. This is my praise:
I hope that it sounds good to you,
But—May you never be cursed—I have alluded
to no recompense.

49. For it is an apology:
If it has done no good,
Its author has at last
run out of luck.

It is only at this point (lines 37-43)—when al-Nuʿmān's carrying out his death-threat against the cowering, submissive poet would negate all the virtues that the poet has just ascribed to him—that the poet throws himself on the king's mercy.

The final comparison of al-Nuʿmān to the mighty Euphrates at flood-season (lines 44-47) once more confirms the king's might, but also directs him how to use it.

من مدّ أمواجه، والأودية تمدّه بالماء، فيظلّ قائد السفينة فيه خائفاً يترقب، معتصماً بمِقْوَدِ السفينة، يبحث عن النجاة في هذا اليمّ العاصف.

ويؤكد النابغة أن هذه القصيدة المادحة ليست تكسُّبَ مادحٍ يريد المقابل المادي، ولكنها مرافعة مظلوم، يأمل أن يكون قد نجح في مرافعته، فأقنعت حججه النعمان، وألَّا يكون محامياً فاشلاً لقضية عادلة.

النابغة مفتونٌ بالبياض الذي يحيط بالكائنات منذ أن ركب ناقته؛ فالثور أبيض كالسيف اللامع، والإبل بيضاء في قمة الحيوية والنشاط، والجواري يتبخترن في ملاحفهنّ البيضاء، والخيل تعدو تحت المطر وحبات البرد البيضاء، والحمام أبيض، والفرات يقذف بالزبد الأبيض، وكأن النابغة من وراء هذا البياض يرفع راية السلام، أو كأنه يعبّر عن نقاء سريرته، وبياض سيرته، ووضوح براءته ويريد من النعمان أن يتبين هذا الوضوح من وراء كلمات اللغة.

في رحلة النابغة في هذا العالم الذي يلفه الخوف، لا تكشف القصيدة عن نهايتها، فهي نهاية مفتوحة. إنها رحلة الإنسان في هذه الحياة خلف أمانيه، مصحوباً بالخوف والأمل، وفي هذا التدافع تكمن لذة الحياة، فلا الإنسان بلغ مأمنه، ولا أراح نفسه من عناء الرحيل.

بهذه الشاعرية الرائعة نجح النابغة في تحويل الموقف الخاص بينه وبين النعمان إلى موقف إنساني عام، يتكرر كل يوم بين الصديق وصديقه بسبب وشايات الحساد، ولأننا نجد في هذا الشعر ما نشعر به من مكابدات فإنه يظل حيّاً في القلوب وعلى الألسنة لغةً لا تموت.

Just as the mighty river brings both destruction and fertility, the king too has power over life and death.

The poet then ingeniously pivots from destruction to generosity (line 47), before presenting his final plea (lines 48-49). In closing, al-Nābighah steps back from the praise poem of lines 1-47, as if to formally present his poem to the king. Although it consists of praise that the poet hopes the king will find worthy—that is, worthy of the customary prize patrons award a great poem, al-Nābighah insists that he has not presented it for material recompense. Rather, as he concludes in the final line (49), it is an apology. All that he is asking for is the king's forgiveness. Otherwise, for the poet, all is lost.

The poet's poetic performance of submission, praise, and plea for forgiveness leaves the king little choice: he can kill the poet and thereby undo all his praise, or he can forgive the poet and thereby confirm for all time his embodiment of the model virtues of divinely appointed kingship that al-Nābighah's poem has set forth.

The immortality of al-Nābighah's poem of apology, as witnessed by its inclusion in the Muʿallaqāt, thus derives from the lyrical-elegiac delicacy of its *nasīb*; the *raḥīl's* majestic and powerful imagery of the oryx bull's fighting for its life as an expression of the she-camel's—but also the poet's own—sense of purpose and determination; and the morally compelling vision of the virtues of the just and divinely sanctioned ruler: might, moral discernment, generosity, and mercy.

It is not surprising then that we find much the same poetic structure and themes of the *qaṣīdah* employed in the same rhetorical strategy in Kaʿb ibn Zuhayr's celebrated poem of submission and apology to the Prophet Muhammad, Bānat Suʿād (Suʿād Has Departed).

تأملات في الحياة

عبيد بن الأبرص

'Abīd ibn al-Abraṣ

Meditations on Life

The Muʿallaqah of ʿAbīd ibn al-Abraṣ
Meditations of Life

Introduction and Translation by: David Larsen

معلَّقة عَبِيْدُ بنُ الأَبْرَص
تَأَمُّلَاتٌ فِيْ الحياة

مقدمة وشرح: صالح الزهراني

هـو عَـبيد بـن الأبـرص بـن عـوف بـن جُشَـم الأسـدي، كُنيتـه أبـو زيـاد، وأمُّـه أُمامـة، ولا يُعـرف تاريـخ ولادتـه. ينتسـب عَـبيد إلى قبيلـة بـني أسـد، القبيلـة العربيـة المـُـضريّة العدنانيـة الـتي سـكنت منطقـة نجـد، وامتـدت منازلهـا مـن غـرب القصيـم إلى شرق جبـلي أجـا وسـلمى بحائـل.

تذكـر كتـب التاريـخ أنّ عبيـداً كان فقـيراً محتاجـاً، ومـع ذلـك فقـد كان فارسـاً شـجاعاً، وسـيّداً مـن سـادات قومـه. كان مـن ندمـاء الملـك حُجْـر بـن الحـارث والـد الشـاعر امـرئ القيـس، لكـنَّ شـيئاً مـن النفـور والجفـاء حصـل بينهمـا بعـد أن نقـل بعضهـم إلى الملـك كلامـاً مسـيئاً واتهـم عَبيـداً بقولـه، فتوعّـده الملـك، ولكـنّ الأمـور عـادت بعـد ذلـك إلى مـا كانـت عليـه مـن المـودّة والصفـاء.

كان الملـك حُجـر يفـرض الضرائـب عـلى بـني أسـد، فامتنعـت القبيلـة عـن أدائهـا، وقتلـت جامعـي الضرائـب، فسـار إليهـم بجيشـه، وقتـل رجـال القبيلـة وأسر سـادتها، وقـام بتهجيرهـم إلى تِهامـة.

ولأنّ شـاعرنا عبيـد بـن الأبـرص كان مـن أولئـك الأسرى، فقد اسـتعطف الملـك بقصيـدة جميلـة، فـرقّ قلبـه وطالـب بـني أسـد بالعـودة مـن المنفـى إلى ديارهـم. بعـد ذلـك لـم يمـض وقـتٌ طويـل حـتى ثـاروا عليـه فقتلـوه.

مـات عبيـد بـن الأبـرص مقتـولاً عـلى يـد المنـذر بـن مـاء السـماء، وتتـداول كتـب الأخبـار الأدبيـة قصـةً لقتلـه وكأنهـا مسـلّمة لا تقبـل الجـدل. قيـل: كان للمنـذر صديقـان مقربّـان همـا خالـد بـن نضلـة، وعمـرو بـن مسـعود. ولكنهمـا في يـوم مـن الأيـام قـالا بعـض الـكلام الـذي أغضـب المنـذر، فأمـر أن تُحفـرَ لهمـا حُفرتـان، وأن يُوضعـا في تابوتـين ويُدفنـا فيهمـا.

اللغة:

ندمـاء: جمـع كلمـة نديـم، والنديم هـو الصديـق والصاحـب الـذي يحـضر مجالـس السـمر والغنـاء، خصوصـاً مـع نخبـة المجتمـع كالملـوك والأمـراء والـوزراء. كانـت منادمـة النخبـة الاجتماعيـة مـن الوسـائل المهمـة في نـشر الشـعر وتطويـره.

To belong to the generation before Imruʾ al-Qays is to be old indeed. The figure of ʿAbīd ibn al-Abraṣ is defined by his seniority, always in the shadow of the "Errant King" who died young. Consequently, ʿAbīd is most ancient of the poets assembled here.

His patronym, "Son of al-Abraṣ," is not well understood. *Abraṣ* is a word for someone who suffers from a skin disease, whether scabies, vitiligo, or Hansen's disease (which is the meaning of *abraṣ* in the Qur'ān). It is also an epithet of the moon, due to its pale color. In any case, ʿAbīd's father is an unknown person, scarcely mentioned in his poems, nor appearing in legends of the poet's life.

Of the poet's youth, we are mostly told that it was in the remote past. Grey hair and the nearness of death are frequent themes in his verse, taken up with the mordant humor that is ʿAbīd's signature.

But there is a tale of how he was initiated into poetry, and it goes like this. Māwiyyah and her brother ʿAbīd were leading goats to water when their way was barred by a man from the clan of Mālik ibn Thaʿlabah. He refused them access to the water, and mocked ʿAbīd in verse, calling him "son of an *abraṣ*" for perhaps the first time. The young ʿAbīd raised his hand to the sky and said: "God, allow me a response to this man who wrongs me in deed and word!" Then, in his sleep, he was visited by a figure with a ball of hair, who forced it into his mouth and told him: "Stand up!" ʿAbīd did so, and out of his mouth came a rhyming couplet in dispraise of Mālik ibn Thaʿlabah. It was his first utterance in verse.

بعد ذلك ندم المنذرُ على صنيعه هذا، فأمر بإقامة بناءين على قبريهما يقال لهما: (الغَرِيّان) قرب مدينة الحيرة، وأقرَّ لنفسه الخروج إلى مكان القبرين في يومين من أيام السنة، يوم سَعْد ويوم بؤس؛ فأول من يلقاه في يوم السّعْد يمنحه مائة من الإبل، وأول من يلقاه في يوم البؤس يعطيه رأس حيوان الظِرْبان ويأمر بقتله.

تقول القصة إن المنذر بن ماء السماء لقي الشاعر عَبيد بن الأبرص في يوم بؤسه، وعمره أكثر من ثلاثمائة سنة، فقال له: "هلَّا كان هذا لغيرك يا عبيد" أي أنه لم يكن يتمنّى أن يخرج عليه عَبيد في يوم بؤسه فيأمر بقتله.

ثم طلبه أن ينشد شيئاً من شعره وقال: "أنشدني فربّما أعجبني شعرك"؛ والمعنى أن المنذر ربما يستحسن ما سيسمع من شعر عبيد فيلغي فكرة قتله. ولكن ماذا قال عبيد؟ قال: "حال الجريض دون القريض" ـ أي أن الموت يمنع عنه قول الشعر. قال المنذر: أنشدني "أقفر من أهله ملحوبُ"، وهذا هو الشطر الأول في معلقته، فأنشده عَبيد قصيدة أخرى من قصائده تبدأ ببيت مشابه: "أقفر من أهله عبيدُ"، وكأنّ عبيداً يرفض أن ينشد الشعر تحت التهديد.

هنا قال له المنذر: اختر الطريقة التي تريد أن تموت بها، فطلب عبيد أن يُسقى من الخمر حتى يثمل ويذهب عقله ثم يشق عرقه الأكحل، الذي كانت العرب تسميه "نهر الحياة".

ففعل به المنذر ذلك، ولطّخ بدمه الغَرِيّيْن.

اللغة:

الحيرة: مدينة تاريخية كانت عاصمة لمملكة المناذرة التي كان المنذر بن ماء السماء أحد ملوكها. تقع الحيرة في جنوب وسط العراق، بالقرب من مدينتي النجف والكوفة حالياً، **الظربان:** حيوان بريّ في حجم القط ذو رائحة كريهة تشبه رائحة البيض الفاسد.

Two main events are commemorated in ʿAbīd's poems. One is the killing of Ḥujr ibn al-Ḥārith by a detachment from the tribe of Asad, who were ʿAbīd's tribe. Ḥujr was the father of Imruʾ al-Qays, and preceded him on the throne of Kinda. The two poets are linked in other ways, including the tradition of a riddle-contest between them, and a poem attributed to Imruʾ al-Qays that is an undisguised pastiche of ʿAbīd's Muʿallaqah. As for Asad's aggression against the father of Imruʾ al-Qays, it was famously avenged, but in that heroic legend ʿAbīd does not figure.

The other event is the seeming annihilation of ʿAbīd's clan of Saʿd ibn Thaʿlabah, and their dispersal from the West Arabian uplands they called home. The details are hazy, and ʿAbīd never names those responsible, but early commentary suggests that the action was carried out by the northern tribal federation of Ghassān (and that Imruʾ al-Qays had nothing to do with it).

For this reason, ʿAbīd's Muʿallaqah stands out against the other nine, which begin with amatory preludes. ʿAbīd's prelude is an elegy for the fallen, and there is nothing amatory about it. The places named in his *nasīb* are the onetime abodes of his extinct community.

فيما يتعلق بشعر عبيد بن الأبرص، مع أنّ الذي وصل إلينا من شعره قليل، إلَّا أن الناقد ابن سلام الجُمحي وضعه في الطبقة الرابعة من الشعراء الجاهليين.

ومع ذلك فقد وصف شعره بأنه مضطربٌ، وأنه لا يُعرف من شعره إلا المعلّقة. أمّا أبو زيد القرشي صاحب كتاب "جمهرة أشعار العرب" فلم يدرجه ضمن أصحاب المعلقات، وإنما جعل قصيدته من "المجمهرات" التي هي أقلّ درجة من المعلقات.

هذه المعلَّقة وضعت عبيداً في منزلة الشعراء الفحول، أي كبار الشعراء، وهو أمرٌ لم يُعجب الجاحظ، الناقد والأديب المشهور جداً في التراث العربي، وغيره من النقاد الذين رأوا بأن شعر عبيد أقل قيمةً مما يقال عنه.

وبشكلٍ عام، فقد كان رواة الشعر، الذين ينقلون الشعر نقلاً شفهياً من جيلٍ إلى جيلٍ قبل مجيء عصر التدوين الكتابي، ينسبون إلى عبيد، كغيره من شعراء الجاهلية، الكثير من الشعر الغثّ الذي لا قيمة له.

وحتى المعلَّقة لم تسلم من النقد، خاصةً فيما يتعلق بوزنها الموسيقي؛ فقال بعض النقاد القدماء إنها قصيدة مليئة بعيوب الوزن، بل ذهب البعض إلى أن بعض أبياتها تخرج عن الأوزان المعروفة تماماً، وهذا الخروج دفع البعض الآخر إلى القول بإن معلَّقة عبيد من عجائب الدنيا في اختلاف الوزن، ورأى أن إلحاقها بالخطب أولى.

Single verses of the poem appeared in manuscript before the poem was recorded in its entirety. Its first verse was the only one that Muḥammad ibn Sallām al-Jumaḥī of Basra (d. 232/845) could attest for ʿAbīd in his *Rankings of the Master Poets,* saying: "The fame of ʿAbīd ibn al-Abraṣ is great and ancient, but his work is in a disordered state, and has all but vanished. I know just this one verse of his."

Some time before this, its climactic final verse was quoted in the first dictionary of the Arabic language, which is the *Book of the Letter ʿAyn* brought to completion by Layth ibn al-Muẓaffar (d. ca. 187/803). And there is a report that the poet al-Ḥutayʾah (who died during the caliphate of Muʿāwiyah, r. 41-60/661-680) was asked: "Who is the most poetic person who ever lived?" In answer, he recited verse 18—one of ʿAbīd's monotheist admonitions—and said: "The poet who composed this line."

Around the time of Ibn Sallām's death, the poems of ʿAbīd were gathered with commentary by an unknown scholar in Kufa. In this collection, the Muʿallaqah of ʿAbīd is number one, and within the canon of classical Arabic poetry it is a rarity in its inadherence to a fixed metrical pattern. Scholars are in disagreement whether to call it a shortened form of *baṣīt*, or outright *rajaz*. In manuscript, one would expect irregularities of meter to be smoothed away by correction-minded copyists over the years, but these irregularities seem to have been retained as features of the poem's early provenance, as if it spoke from a period when the norms of Arabic poetry had not yet stabilized.

أما في النقد الحديث، فهناك نظرة إيجابية إلى الوزن الموسيقي لهذه القصيدة. فقد رأى البعض أن القصيدة بهذا الاختلاف في وزنها يصح أن تُعدُّ أساساً للتجديد في الشعر العربي الحديث الذي يمكن أن تتعدد فيه الأوزان في القصيدة الواحدة؛ بينما يُرجّح البعض أن المعلَّقة كانت كلها موزونة عندما سمعتها العرب، وأن ما نُسب إليها من خلل كان بسبب الرواة، وقد قيل "ويلٌ للشعر من راوية السوء."

تتكوّن المعلَّقة من ثلاثة مقاطع رئيسة: الوقوف على الطلل، وتأملاتٌ في الحياة، والناقة والفرس. وسيعتمد هذا الشرح للمعلَّقة على رواية أحمد بن علي المعروف بابن السّمين، وشرح الخطيب التبريزي لهذه الرواية.

Questions of the poem's authenticity are beside the point. There is no poem attributed to ʿAbīd that can be soundly authenticated. One in particular that editors flag is his poem rhymed in *ṣād*. It includes a nine-verse boast of ʿAbīd's ability as a poet and performer, which he likens to the agility of a fish (meter: *wāfir)*:

Ask the poets: Have they swum the seas
of poetry and braved its depths like I have?

In versecraft solemn and satiric,
my tongue is nimbler than a fish under

the water, expertly plying the surging billow
of the sea whose billows are in violent commotion.

Whether in pursuit or flight, the fish's sides
flash brilliantly with every whip of its tail,

dodging along a slippery path while its spawn
take shelter amid the pallid rubble of the sea.

For "daughters of water," life is over when you take them
out of their slippery element—but no sooner

does a hand try to seize one than the fish
dodges, no matter how quick the grab,

with a whip and a skip and a viscous getaway. The fish
of the sea is black in color with streaks of pallor,

the sea's own very black hue, and its scales are knit
together like slick armor of glimmering chain.

Elsewhere in pre-Islamic poetry, there is no description quite like this. Does that indicate it was pawned onto ʿAbīd by a latter-day rhapsode? I don't see why it should. Early Arabic poets were perfectly capable of representing underwater scenes (as when Musayyab ibn ʿAlas and others describe the pearl divers of Bahrain). One might even see a parallel between the watery element described here and the airy element of the eagle

described in ʿAbīd's Muʿallaqah, and conclude that the poet was gifted with a visionary talent for representing non-terrestrial life.

The Muʿallaqah is divided into three sections. These are, in the classical terms of Arabic poetry criticism, *nasīb* (1-11), *ḥikma* (12-26), and *raḥīl* (27-48).

As discussed above, ʿAbīd's prelude is more in the spirit of elegy (*rithāʾ*) than amatory dalliance (*ghazal*). All the same, it has the form and content of *nasīb*. The abandoned halting-stations of the tribe are named and wept over, and the poet's tears are variously described. No individuals are named, nor are any groups of people, and in that sense it is not truly *rithāʾ*.

The wise sayings of the *ḥikma* section are in three short suites on the following themes: Transience of Capital and Land Tenure (12-17), Monotheist Admonitions (18-20), and the Wisdom of the Weak and the Stranger (21-25).

The monotheist verses are athetized by some. Others find them integral to the poem. While verse 18's assertion that "one who asks of God is never failed" seems out of character, the other admonitions are compatible with the resolute fatalism pervading ʿAbīd's oeuvre.

The Wisdom of the Weak and the Stranger is the ethical heart of the poem. Its message to marginalized people is one of hope. It extends no promises, only the possibility that skilled people might yet be outmaneuvered, and the weak might find a way to thrive. For the skilled and the strong, it is a gentle threat. ʿAbīd's advice for the stranger to lend a hand is high morality and clever pragmatism at the same time. In ethical terms, it is the inverse of line 57 of Zuhayr's Muʿallaqah, which declares the stranger incapable of telling friend from foe (as translated by Kevin Blankinship):

Who fares abroad thinks enemies are friends,
who values not himself, gets no respect.

As if in answer, ʿAbīd reminds us that blood ties are as transient as anything else, and that newcomers can establish themselves by being useful. Here again there is a double message. To those who presume on ties of kinship, clan and tribe, it is a warning, but to the immigrant, and to anyone estranged from their community of origin, it gives encouragement. Then, in verse 26, the wisdom section closes with a pessimistic bang.

The travel section is in two pieces, first for ʿAbīd's camel (27-33) and then his horse (34-48). The latter attracts all the attention, but the camel description is finely done. It is standard to liken the poet's camel to some herd animal of the wild, and ʿAbīd would be forgiven a prolonged simile. Instead, he raps out two short, fast ones before moving on to the horse and its comparison to the mightiest hunter of the sky, which is the eagle. And with a narration of the eagle's kill the poem concludes.

اللوحة الأولى كتاب الموت

منازل الأحبة

١. أقفَرَ مِن أهلِه مَلحُوبُ — فالقُطبِيّاتُ فالذَّنُوبُ
٢. فَراكِسٌ فَثُعالِباتٌ — فذاتُ فِرقَينِ فالقَليبُ
٣. فَعَرْدَةٌ فقفا حِبَرٍ — ليسَ بِها مِنهُمُ عَريبُ
٤. وبُدِّلَت مِنهُمُ وُحُوشاً — وغَيَّرَت حالَها الخُطوبُ
٥. أرضٌ توارَثَها شَعُوبٌ — وكُلُّ مَن حَلَّها مَحرُوبُ
٦. إمّا قَتيلٌ وإمّا هالِكٌ — والشَّيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ
٧. عيناكَ دَمعُهُما سَروبُ — كَأَنَّ شأنَيهِما شَعِيبُ
٨. واهِيَةٌ أو مَعينٌ مُمِعِنٌ — مِن هضْبَةٍ دُونَها لُهُوبُ
٩. أو فَلَجٌ ما بِبطنِ وادٍ — لِلماءِ مِن تحتِهِ قَسيبُ
١٠. أو جَدوَلٌ في ظِلالِ نَخْلٍ — لِلماءِ مِن تحتِهِ سُكوبُ

الغناء ملاذ الأنفس التي جرحها الحُزن، هكذا قيل، وهذا النغم البدوي الحزين الآسر يخفي وراءه وجعاً دامياً. لقد عاش عبيد ابن الأبرص طويلاً فامتلأت روحه بجراح الحياة، فكانت القصيدة ملاذه الأخير لمواجهة هذه المتاعب.

تبدأ المعلَّقة كالعادة بالوقوف على الطلل، يقف الشاعر عليه باحثاً عن بقايا الحياة الذاهبة، لكن الطلل في هذه المعلَّقة هو عالم الصحراء الرحب، الذي تصطفّ فيه الأماكن كما تصطفّ عربات القطار، فالموت يبسط رداءه على الصحراء، ويلفّ حباله على تسعة أماكن تختلف في طبيعتها الجغرافيّة بين السهل والجبل ومورد الماء والهضبة الصغيرة وكثبان الرّمل، فهي قفرٌ خالٍ ليس به أنيس. بعد أن كان عامراً بالحياة والذكريات الجميلة أصبح مسكناً للوحوش، وملاذاً للخوف، وملعباً للأحزان.

اللغة:
أقفر: خلا، **ملحوب:** مورد ماء لبني أسد، **القطبيّات؛ الذنوب؛ راكس؛ ثعالبات؛ ذات فرقين؛ القليب؛ عردة؛ قفا حبرّ:** أسماء جبال وهضاب وموارد ماء في ديار بني أسد التي تمتد بين القصيم وحائل حالياً، **عريب:** أحد، **الخطوب:** المصائب، **شعوب:** الموت، **سروب:** سريع الجريان، **شأنيهما:** مجرى الدمع، **شعيب:** قربة ماء مشقوقة، **واهية:** قديمة بالية، **معين ممعن:** ماء على وجه الأرض يتدفق من مكان مرتفع، **لهوب:** شقّ في صخرة، **فلج:** مجرى ماء صغير، **قسيب:** صوت جريان.

1. Malhūb is empty of its people.
Al-Qutabiyyāt, too, and al-Dhanūb

2. and Rākis, and Thuʿaylibāt
and Dhāt Firqayn and al-Qalīb

3. and ʿArdah, and the back of Mount Hibirr
where not a single one of them remains,

4. their places taken by wild beasts,
their land unmade by what has come to pass,

5. a land bequeathed unto destruction
and pillaged of the folk who dwelt there

6. and were slain, or otherwise died out.
To live to show grey hair is a disgrace,

7. you, whose eyes drip with tears
like a water-skin whose seams are

8. coming apart, or like a rushing freshet
coursing in a gully down a hill,

9. or like the brook that branches from the wadi
whose bed is roiled by the surge,

10. or like the fleet canal that parts the shadow
of the canopy of a palmy grove.

لقد بدّلت المصائب أحوال المكان، ونشرت الموت في جنباته، وأطفأت ابتسامةَ الحياة، فأصبح كلّ من نزل بهذه الأمكنة مصاباً بلعنة المكان؛ فهو إما قتيل، وإما هالك. ومن لم يمت في حروبه الدامية، مات جوعا. فكل ما فيها هالكٌ إلا وجه الله.

هذا الموت، الوحش المفترس الذي تنتشر ضحاياه عبر الصحراء الممتدّة، تقف أمامه ضحيّة جديدة، فبدأ يقترب منها، ويغرس مخالبه في ملامحها، ويشعل ناره في محيّاها. ولهذا كان شعور عبيد بالشيب شعوراً بالموت، فتنهمر دموعه على خديه كما تنهمر المياه من فم قربة الماء البالية، وتتدفق كما يتدفق النهر الجاري من شقّ صخرة في جبل مرتفع، وتجري كما يجري ماء الفَلَج ببطن الوادي، وتنساب كما ينساب الجدول الجاري تحت ظلال النخيل.

لم يرتض عبيد أن تكون دموعه أمراً عابراً في حدث عابر، ولهذا توقف عندها وأهال عليها كثيراً من الصفات التشبيهية التي تركزت حول الماء إكسير الحياة، فهي دموع من يتمسك بالحياة، في عالم يحيط به الموت من كل مكان. ورغبة الإنسان في البقاء كبيرة دائماً، مهما طال به العمر، وتوالت عليه الأحداث؛ فابن آدم يشيب وتشبّ معه خصلتان: الحرص وطول الأمل.

الصبوة في حضرة الموت

١١. تَصبو وأنّى لكَ التّصابي ... أنّى وقد رَاعَكَ المَشِيبُ
١٢. إن يكُ حُوِّلَ مِنها أهلُها ... فلا بَدِيءٌ ولا عَجِيبُ
١٣. أو يَكُ قد أقفَرَ منها جَوُّها ... وعادَها المحلُ والجُدُوبُ
١٤. فكُلُّ ذي نِعمةٍ مخلُوسُها ... وكُلُّ ذي أمَلٍ مَكذُوبُ
١٥. وكُلُّ ذي إبِلٍ مَورُوثُ ... وكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسلُوبُ
١٦. وكُلُّ ذي غَيبةٍ يَئوبُ ... وغائِبُ الموتِ لا يَئوبُ

إن هذا اللاوعي الذي تسيطر عليه الرغبة في الحياة، ينهال عليه العقل بسؤال صريح عن هذا التصابي؟ وكيف يكون التصابي والعشق وقد اشتعل الرأس شيباً؟ ولكنه السؤال الإشكالي الذي ليس له جواب.

هذا الموت الذي هجّر الأحبّة، ونشر الجدب، ليس بجديد ولا بمستغرب، فهذه سنة الحياة، وقانونها الذي لا يجامل أحداً؛ فكل ذي نعمة سيفقد نعيمه، وكل صاحب أمل سيكتشف أن الأجل يترصد خطاه، وكل ثري سيدع ثروته لمن خلفه، وكل مغتصب لمال غيره، سيأتي من يسلب منه ما سلب، وكل غائب سيعود إلَّا من غيّبه الموت، فغائب الموت ليس له عودة.

اللغة:
تصبو: الصبوة هي العشق، **راعك:** أخافك. **حوّل:** نُقل، **لا بديءٌ ولا عجيب:** أي تحوّل أهلها ليس جديداً، ولا غريباً، فهذه سنّة الحياة، **جوّها:** وسطها أو ما بين أرضها وسمائها، **المحل والجدوب:** القحط، **مخلوس:** مسلوب، **مكذوب:** لا ينال مراده، **موروث:** يرثه غيره بعد موته، **السلب:** ما يؤخذ بالقوة، **مسلوب:** مأخوذ منه، **يئوب:** يعود.

11. But these are kids' games. How can you play?
How, when you are menaced by gray hair?

12. For lands to be abandoned
is nothing new, nor cause for wonder,

13. any more than if the valley empties of its people
whenever drought and famine grip the land.

14. Whoever enjoys bounty is stripped of it.
Whoever holds out hope is sore deceived.

15. Whoever possesses capital bequeaths it.
Whoever gloats on spoils is despoiled.

16. Whoever makes a journey might yet come back from it,
but for the dead there is no coming back.

اللوحة الثانية

الظل الزائل

١٧. أعَــاقِرٌ مِثْـــلُ ذاتِ رِحْمٍ ... أو غـانِمٌ مِثـلُ مَـن يَخيـبُ
١٨. مـن يسـأَلِ النّـاسَ يَحرِمـوُهُ ... وسـائلُ اللهِ لا يَخْـيـبُ
١٩. باللهِ يُـدرَكُ كـُلُّ خـيرٍ ... والقـولُ في بعضِـه تَلغِيـبُ
٢٠. واللهُ ليـسَ لهُ شريـكٌ ... عـلّامُ مـا أخفـتِ القُلـوبُ
٢١. أفلِحْ بما شئتَ فقد يُبلَغُ بالـ ... ـضّعفِ وقد يُخدَعُ الأرِيبُ
٢٢. لا يَعِظُ النَّاسُ مَن لا يَعِظُ الـ ... ـدّهرُ ولا يَنفَـعُ التَّلبِيـبُ
٢٣. إلا سَجيّـاتُ مـا القُلـوبِ ... وكم يَـصيرَنْ شانِـئاً حبيـبُ
٢٤. سـاعِدِ بِأرضٍ إذا كُنـتَ بهـا ... ولا تَقُـل إنّنـي غَريـبُ
٢٥. قـد يُوصَـلُ النّـازِحُ النّائـي وقد ... يُقطَـعُ ذو السُهمَـةِ القريـبُ
٢٦. والمـرءُ مـا عـاشَ في تَكذِيـبٍ ... طُـولُ الحيـاةِ له تَعذِيـبُ

يخـرج عبيـد مـن عالـم المـوت إلى عالـم الحيـاة، ليقـرأ دفـتر الكـون قـراءة تكشـف عـن وعـي عميـق بحقيقـة الحيـاة. فـإذا كان المـوت نهايـة الحيـاة، وكل مـا يسـعى المـرء مـن أجـل تحصيلـه يتـم فقـده في منتصـف الطريـق؛ فـإن الحكمـة تقتـضي أن يعلـق الإنسـان قلبـه بالبـاقي، ويـدع الفـاني، ولا بقـاء إلا لله سـبحانه.

إن الوعـي بحقيقـة الحيـاة ينجـب موقفـاً صحيحـاً منهـا، والجهـل بحقيقتهـا يجعـل الإنسـان عاجـزاً عـن إنجـاب حلـولٍ لمشـكلاتها، والعاقـر الـتي لا تنجـب ليسـت مثـل المـرأة الولـود، والغانـم في شـئون حياتـه ليـس كالخـاسر، فالحيـاة موقـف، يحـدد النتيجـة. هنـاك مـن يـرضى أن يعيـش في ظـلال وَهْـم زائـل، وهنـاك مـن لا يـرضى أن يعيـش إلا في ظـل الحقيقـة الخالـدة.

التعلـق بـالله هـو المنفـذ الوحيـد للخـروج مـن ضيـق المـكان، وسـطوة المـوت. إنـه تـوقٌ للحريّـة، وحفـظ لكرامـة الإنسـان، وضمـانٌ للفـوز؛ فمـن يسـأل النـاس يحرمـوه، لكـنّ مـن يسـأل اللهَ لا يخيـب،

اللغة:
العاقـر: الـتي لا تنجـب، **ذات رحـم:** ولـود، **غانـم:** رابـح، **يخيب:** يخـسر، **تلغيـب:** ضعـف، **أفلـح:** الفـلاح بمعـنى الفـوز، والمـراد هنـا عـش، **يعـظ:** ينصـح، **التلبيـب:** اللـب بمعـنى العقـل، والتلبيـب تكلّـف العقـل، **السجيّات:** الطبائع، **الشـانىء:** الـكاره المبغـض، **يوصـل النـازح النـائ:** يُقـرّب الغريـب، **ذو السـهمة:** صاحـب القرابـة، **تكذيـب:** غـرور وخـداع.

17. Are the childless like those with children?
Is one who takes the prize like one who fails?

18. The one who asks of people meets rejection.
The one who asks of God is never failed.

19. All good that is attained is due to God.
The claim that some is thanks to others is messed up.

20. God is one without associate.
From him, who knows all, no heart hides.

21. Live by what you will. Weakness does not preclude success.
A man of expertise can still be duped.

22. A man who cannot learn from fate cannot be taught by people,
not even if they take him by the scruff.

23. What are hearts but inborn tempers?
How many hate their former friends?

24. Lend a hand in any land while you sojourn there.
Never say: “But I am alien to this place.”

25. In favor of alliance with a stranger from afar,
nearby relations are sometimes severed.

26. And as long as a man may live, he is in denial.
Long life is his punishment.

ا ا ا ا

فبـالله يـدرك كل خـير، ويكشـف كلّ كـرب، ويحصـل كل توفيـق.
إن علاقـة الإنسـان بربّـه تصحـح المسـار، وتحقـق الرضـا بالقـدر، والـسرور بالمكتـوب، فربمـا بلـغ الضعيـف بتوفيـق الله مـا لا يبلغـه اللبيـب الحـازم بجـدِّه واجتهـاده.

هـذه العلاقـة هـي الـتي تفتـح بـصر الإنسـان وبصيرتـه عـلى مـا حولـه، ومـن فقـد هـذه العلاقـة فَـقَـدَ إدراكَ حقيقـةِ الحيـاة، ولـن ينفعـه وعـظ الواعظـين، ونصـح الناصحـين، وكفـى بالدهـر واعظـاً. ومـن لـم يتّعـظ بالأزمـات، فلـن يفيـده الوعـظ بالكلمـات.

إن العقـل السـليم لا يغـني عـن الفطـرة النقيّـة، فـإذا اجتمعـا أدرك الإنسـان الحقائق، واسـتنطق المشـاعر، وعـرف أسرار النفس الإنسـانية المتقلّبـة، فمـن كان صديقـك اليـوم، قـد يكـون عـدوك غـداً.

هـذا الوعـي بحقيقـة الحيـاة لا يقتـضي العزلـة والتوحُّـد، بـل يفـرض البـذل والمبـادرة، فمـن عـاش لنفسـه عـاش صغـيراً، ومـن عـاش للنـاس عـاش كبـيراً كمـا قيـل. وحيـاة الإنسـان بـين معـنى يُـدرك، وأثـر يُـترك كمـا قـال محمـد الدحيـم، فعـلى الإنسـان أن يشـعر بانتمائـه لمـن حولـه، ويسـهم بعطائـه، ولا يقـول: إنـني غريـب، لا شـأن لي، وحـين يفعـل ذلـك ينـال مـا لـم ينلـه القريـب مـن النـاس، لأن النـاس بإنجازاتهـم، وليسـوا بانتماءاتهـم.

هـذا الشـعور الإنسـاني النبيـل، هـو الـذي يكشـف حقيقـة الحيـاة، ويقلِّـم أظافـر الوحـش الكامـن في داخـل كل منّـا.

ا ا ا ا

اللوحة الثالثة جدلية الموت والحياة

صورة الناقة

٢٧. بـل رُبّ مـاءٍ وَردتُـه آجِـنٍ سـبيلُه خائـفٌ جَديـبُ
٢٨. ريـشُ الحمـام عـلى أرجائـهِ للقلـبِ مـن خوفِـهِ وَجيـبُ
٢٩. قَطَعتُـهُ غُـــدوةً مُشِـيحاً وصاحـبي بـادِنٌ خَبـوبُ
٣٠. عيرانَـةٌ مُؤجَـدٌ فَقـارُها كـانَّ حَـارِكَها كثـيبُ
٣١. أخلَـفَ مـا بـازِلاً سَـدِيسُها لا حِقّـةٌ هِيْ ولا نَيـوبُ
٣٢. كأنّهـا مـن حمـيرِ عـاناتٍ جَـونٌ بصفحتِـه نُـدُوبُ
٣٣. أو شَـبَبٌ يرتـعِي الرُّخامَـى تَـلفُّـهُ شَمـأَلٌ هَـبوبُ
٣٤. فـذاكَ عـصرٌ وقـد أُرانِـي تحمِلُنـي نَهـدةٌ سُرحُـوبُ
٣٥. مُضـبّرٌ خَـــلقُها تضبـيرا ينشـقُّ عـن وجهِهـا السّـبيبُ
٣٦. زَيتيّـــةٌ نـــاعِمٌ عُروقُهـا ولـيّنٌ أسْرُهـا رَطيـبُ

جدليّـة المـوت والحيـاة هـي الفكـرة المركزيّـة الـتي تـدور حولهـا المعلّقـة، وقـف عبيـد يقـرأ كتـاب المـوت المفتـوح في وجـه الصحـراء، واكتشـف فيـه فقـر الحيـاة، وشـقاء الإنسـان، الـذي لا يخرجـه منـه إلّا التعلّـق بـالله عـز وجـلّ.

وقـد تحوّلـت المعلَّقـة في المقطعـين السـابقين إلى خطـاب إقناعـي احتشـدت فيـه الحكـم والأمثـال الـتي تكشـف حقيقـة الحيـاة، وتحـذّر مـن زخرفهـا الزائـل، ولعـلّ هـذا هـو الـذي منـح المعلَّقـة هـذا الاهتمـام لـدى القدمـاء، وإنّ مـن الشـعر لحكمـة.

في هـذا المقطـع وهـو أطـول مقاطـع المعلّقـة تتجـلى جدليـة المـوت والحيـاة في رحلـة عبيـد عـلى الناقـة والفـرس الـتي نشـاهد فيهـا صفحـاتٍ جديـدة مـن كتـاب المـوت.

يـرد عبيـد عـلى مـاءٍ آجـن، تغـيّر طعمـه ولونـه ورائحتـه، كـدَّر واردوه، فكـدّروا صفـاءه، وليـس هـذا المـورد إلا مـورد الحيـاة. الطريـق إليـه -مـع أنـه كثـير السـالكين- محفـوفٌ بالمخاطـر، والجـدب يحيـط

27. I do remember fear along the paths I beat
through arid waste to stagnant waters

28. with pigeon feathers at their rims,
where fear of drinking set the heart aflutter.

29. Onward from them in the morning,
my companion was a stout trotter.

30. Her backbone nice and smooth, her withers like a dune,
my camel was the wild ass's equal.

31. Her tooth of seven years had been supplanted.
She was no four-year-old, nor an aged mare,

32. but like a pied wild ass at the head of his herd
with the battle scars to prove it,

33. or like the oryx bull who crops the flowers
combed by the North Wind, so was my camel.

34. That was ages ago. In memory, I also see
myself atop a horse, a swift mare long-bodied

35. without defect in her structure,
her forelock parted by her face.

36. Smooth as oil she ran, with slackened neck veins,
a lithe one with a supple frame,

اللغة:
آجـن: راكـد متغـير اللـون والرائحـة، **سـبيله خائـف:** الطريـق الموصـل إليـه مخيـف، **جديـب:** قاحـل مجـدب، **أرجـاؤه:** نواحيـه، **وجيـب:** خفقـان، **مشـيحاً:** مجـدّاً في سـيري، **بـادنٌ:** ناقـةٌ ذات بـدن قـويّ، **خبـوب:** الخبـب نـوع مـن السـير تتابـع فيـه أخفـاف الناقـة عندمـا تلامـس الأرض، **عيرانـة:** تشـبه الحمـار الوحـشي، **مؤجـد:** متماسـك، **فقارهـا:** فقـرات الظهر، **حاركهـا:** سـنامها، **الكثيـب:** الرمـل المرتفـع، **أخلـف:** سـقط، **السـديس:** الـتي تسـقط سـنّها بعـد الرباعيّـة عندمـا يكـون عمرهـا سـبع سـنوات، **والبـازل:** الـتي ينبـت سـنّها بعـد السـديس في عامهـا التاسـع ، لا **حِقّـة:** أي ليسـت حقـة بنـت أربـع سـنوات، **ولا نيـوب:** عمرهـا سـبع عـشرة سـنة، **عانـات:** وحشـيّة، **جـون:** لونهـا فيـه بيـاض وسـواد لـون الحمـار الوحـشي، **صفحتـه:** جنبـه، **نـدوب:** آثـار عـضّ، **شـبب:** ثـور فـتيّ، **يحتفـر:** يحفـر عـن أصـل النبـات بأظلافـه، **الرخامى:** نـوع مـن النبـات، **تلفـه:** تهـب عليـه، **شـمأل:** ريـح تهـب مـن الشـمال، **عـصر:** زمـن، **نهـدةٌ:** فـرسٌ ضخمـة، **سرحـوب:** سريعـة، **مضـبّر خلقهـا:** قويـة الجسـم، **ينشـق:** يتـدلى لكنـه لا يسـتر بصرهـا، **السـبيب:** شـعر الناصيـة، **زيتيـة:** ناعمـة الملـس، **نائـمٌ عروقهـا:** عروقهـا ليسـت بـارزة، **لـيّنٌ أسرهـا:** جسـمها يطاوعهـا عـلى المنـاورة، **رطيـب:** لـيّن.

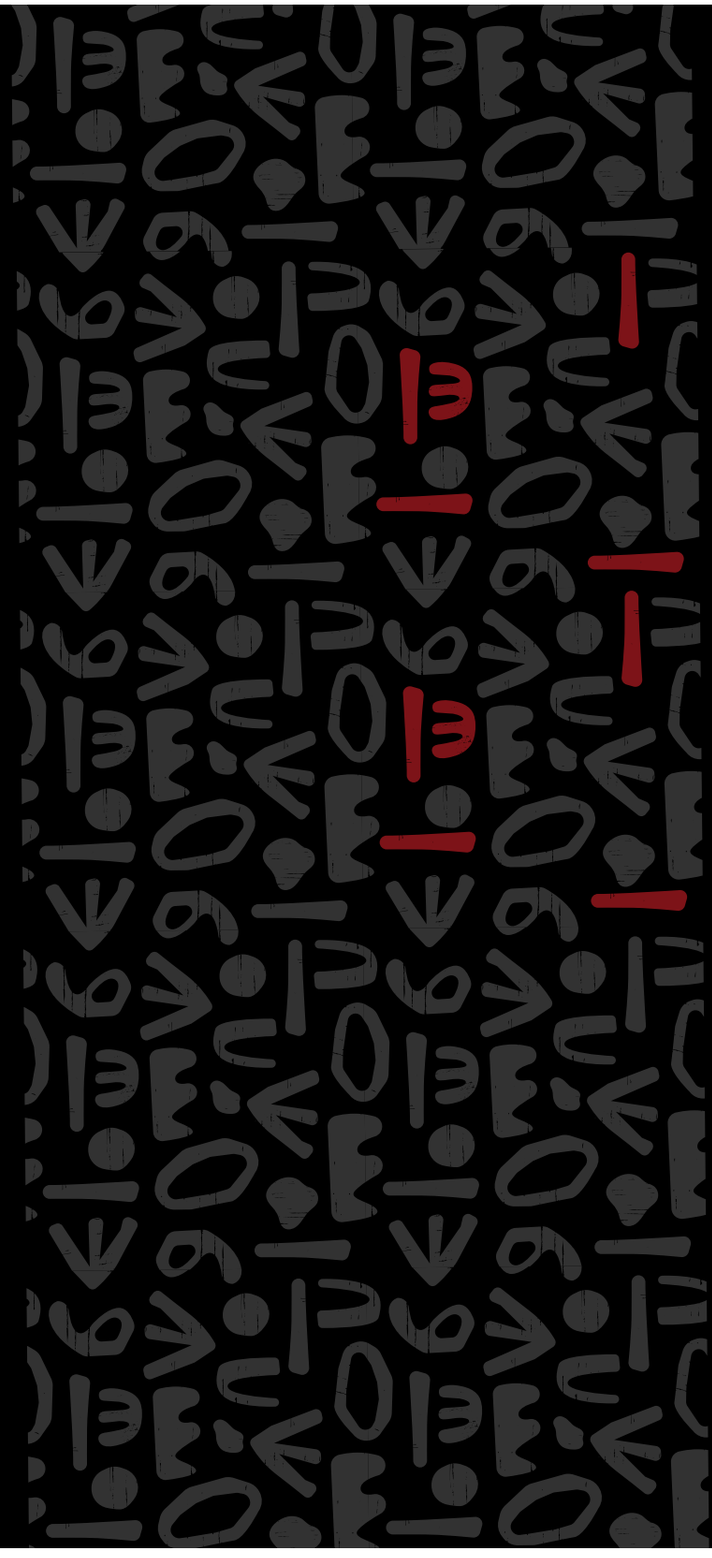

كل مـكان، وبقايـا الضحايـا عـلى صفحتـه، فريـش الحمـام المتناثـر عـلى صفحـة المـاء شـاهد عـلى معاركهـا الداميـة.

هنـا بـدأ قلبـه في الخفقـان، فمـرّ بـه مسرعـاً، وهـو عـلى ظهـر ناقـة قويّـة البدن،سريعـة الخطـو، لهـا سـنامٌ منتصـب كأنـه كثيـب الرمـل، تبلـغ مـن العمـر تسـع سـنوات. ناقـة مسـنّة بلغـت أشُـدّها، لا هـي صغـيرةٌ، ولا كبـيرة السـنّ، ليسـت قليلـة التجربـة، ولا عاجـزة عـن مواجهـة الصعـاب.

هـذه السـنوات التسـع الـتي تمثّـل عمـر الناقـة، كأنهـا تسـاوي الأماكـن التسـعة الـتي عمّهـا المـوت في مقدمـة المعلَّقـة، وبهـذا تتعـادل كفتـا المـيزان، المـوت والحيـاة.

يشـبّه ناقتـه القويّـة بحمـار وحـشيّ، عـلى جنبـه نـدوبٌ مـن آثـار العـضّ، وهكـذا يظهـر الضعـف في أعطـاف القـوّة، فليـس هنـاك قـوة خالصـة، ولا ضعـف خالـص. ولا يكتفـي بتشـبيهها بالحمـار الوحـشي، فهـي شـبيهةٌ بثـور يرعـى نبـت الرّخامـى، الـذي تعصـف بـه ريـح الشـمال.

وعـلى غـير عـادة الشـاعر الجاهـلي في تشـبيه ناقتـه بالحمـار والثـور، يكتفـي عبيـد برسـم صـورة غـير مكتملـة؛ فقـد جـرت العـادة أن يظهـر الحمـار في نهـار شـديد الحـرارة في فصـل الصيـف مـع جماعـة مـن الأتُـن (أي الإنـاث مـن الحمـير)، يبحـث عـن المـاء فـلا يجـده، فيتذكـر مـورد المـاء فينطلـق إليـه، وعنـده يجـد الصيـاد، الـذي تنهـال عليـه سـهامه فيهـرب خائفـاً قبـل أن يـروي ظمـأه.

ويظهـر الثـور في ليلـةٍ شـاتية، ينهمـر عليـه فيهـا المطـر والـبرد، وحـين تـشرق شـمس النهـار تنقـضّ عليـه كلاب الصيـاد. ومـن هنـا فـلا نـدري هـل حـذفُ بقيـة المشـاهد كان من عبيـد لغايـة لديـه، أم كان مـن نسـيان رواة المعلَّقـة الذيـن عدّلـوا فيهـا وبدّلـوا، فلـم يتبـقَّ في الذاكـرة مـن المشـهد إلا مـا هـو مذكـور في هـذه الروايـة.

عـلى تلـك الناقـة أمـضى عبيـد رحلتـه، في الزمـن المـاضي، وهـو يتـوق إلى أن تكـون رحلتـه القادمـة عـلى فـرسٍ سريعـة، ذات جسـد قـويّ، يتدلـى شـعر ناصيتهـا عـلى جبينهـا فـلا يحجـب عنهـا الرؤيـة. فـرس ناعمـة الملمـس، كأنهـا دُهنـت بالزيـت، ليّنـة الجسـم، قـادرة عـلى المنـاورة، لا تظهـر عروقهـا مـن تحـت جلدهـا فتفسـد جمالهـا.

هـذه الصفـات صفـات جَمَـال بخـلاف صفـات الجـلال الـتي وصـف بهـا الناقـة، فالفـرس تبـدو وكأنهـا العـروس الجميلـة ذات الشـعر المسترسـل، والقـوام المتناسـق، والنعومـة الفاتنـة.

ولا أرى هـذه الفـرس سـوى المسـتقبل الـذي يطمـح إلى بلوغـه عبيـد مـن وراء حجـب الزمـان والمـكان، والأمنيـة الـتي يهـدف إلى تحقيقهـا ضـد عالـمٍ تحكمـه المخـاوف، والجـدب، والوعـي الزائـف.

العُقاب والثعلب

٣٧. كأنّها لِقوةٌ طَلوبٌ ... تَخِرُّ في وكرِها القُلوبُ
٣٨. باتت على إرَمٍ عذوباً ... كأنّها شَيخةٌ رَقُوبُ
٣٩. فأصبَحت في غداةِ قِرّةٍ ... يسقُطُ عن رِيشِها الضّريبُ
٤٠. فأبصَرتْ ثَعلَباً سريعاً ... ودونَه سَبْسَبٌ جَديبُ
٤١. فَنَفضَت رِيشَها وولّت ... فذاكَ من نهْضَةٍ قريبُ
٤٢. فاشتالَ وارتاعَ من حَسيسٍ ... وفِعْلُهُ يفعلُ المذؤوبُ
٤٣. فنهضَتْ نحوَه حَثيثةً ... وحَرَدت حَرْدَهُ تَسيبُ
٤٤. فَدبَّ من رأيِها دَبيباً ... والعَينُ حِلاقُها مَقلُوبُ
٤٥. فجدّلتهُ فَطَرحتْهُ ... والصَّيدُ من تحتِها مَكرُوبُ
٤٦. فَرنّحتْهُ ووضعتْهُ ... فكدّحَت وَجهَهُ الجَبوبُ
٤٧. فَعاوَدتْهُ فرَفّعتهُ ... فأرسَلتهُ وهو مَكروبُ
٤٨. يَضغُو ومِخلبُها في دَفِّهِ ... لا بُدّ حيزُومُه مَقلوبُ

تدخل فرس عبيد معركة البقاء حين يشبهها بعُقاب فقدت شهيّة الأكل، وكأنها امرأة عجوز حرمها فقْدُ أولادها لذةَ العيش. تظهر بجوار عشها في يوم شديد البرودة على قمة جبل شامخ، وقد أحاطت به قلوب العصافير التي أكلتها، لأن العقاب يأكل جميع أجزاء الطائر إلا قلبه.

تبصر ثعلباً يسير على سهلٍ مجدب، فتنفض الجليد عن جناحيها، وتنقضّ عليه، فما أن يبصرها حتى يرفع ذيله، وتنقلب أجفانه من شدة الخوف، ويحاول جاهداً الهرب منها، ولكنّها تمسك به، وتظلّ ترفعه إلى السماء وتهوي به إلى الأرض حتى يستسلم، ويعجز عن المقاومة، وتغرس مخلبها في جنبه، ومنقارها في صدره.

إن انتصار الفرس التي بدت في غاية الجَمَال والقوة على الثعلب رمز المكر والخداع، هو انتصار الحقيقة ضد الزيف، والجمال ضد القبح، والصدق ضد الخداع.

قد لا تكون انتصرت في الواقع لكنها انتصرت في خيال عبيد، وهذا استشراف للمستقبل الذي ينبغي أن يكون. وهذه هي عظمة الشعر الذي يروي ما وقع وما يمكن أن يقع.

اللغة:
لقوة: عقاب، **طلوب:** سريعة الانقضاض على ما تطلب، **تخرّ:** تيبس، **القلوب:** قلوب الطيور، **إرم:** جبل صغير، **عذوباً:** ترفض الأكل، **شيخة:** عجوز، **رقوب:** لا يعيش لها ولد، **قرة:** برد شديد، **الضريب:** الجليد، **سبسب:** أرض مستوية، **جديب:** مجدبة، **نفضت ريشها:** نفضت الجليد من على ريشها، **نهضة:** طيران، **اشتال:** رفع ذيله، **ارتاع:** خاف، **حسيس:** صوت، **المذؤوب:** الذي هاجمته الذئاب، **حثيثة:** سريعة، **حردت:** اتجهت إليه، **تسيب:** تسرع، **دبّ:** مشى خائفاً متخفياً، **حملاقها:** جفنها، **من رأيها:** لما رآها، **مكروب:** مهموم، **جدلته:** ألقت به على الأرض، **كدحت:** جرحت، **الجبوب:** الأرض الصلبة، فعاودته **فرفعته:** ترفعه ثم تسقطه حتى يستسلم، **يضغو:** يصيح، **دفّه:** جنبه، **حيزومه:** صدره، **منقوب:** مثقوب.

37. coasting like an eagle on the hunt, into whose nest
the prey lands heart downward.

38. High upon a landmark, the eagle roosts in open sky,
her vigil like a wizened mourner's,

39. until the frosty dawn comes
and ice crystals flake from her feathers.

40. Then, across the barren waste,
she spots a speedy fox.

41. She shakes her limbs and feathers
before her launch.

42. The fox hears, and jerks his tail, overcome
with fear as of a wolf.

43. She launches at speed, and aims for him
along a gliding path.

44. The fox shrinks low and out of view,
eyes to the sky with the white part showing.

45. She flips the fox and lays him out below her
and makes him feel the anguish of the prey.

46. In her grip, the prey goes limp. She hurls it down
for rocky ground to gash it.

47. She bears it up again. Aloft,
she gives the fox a twist and drops it.

48. The fox cries! The eagle's claws are in his side.
There is no escape. His chest is punctured.

المعلقات

لجيل الألفية

The Muʿallaqāt for Millennials

Pre-Islamic Arabic Golden Odes

ISBN: 978-603-03-6392-6